(تمت)

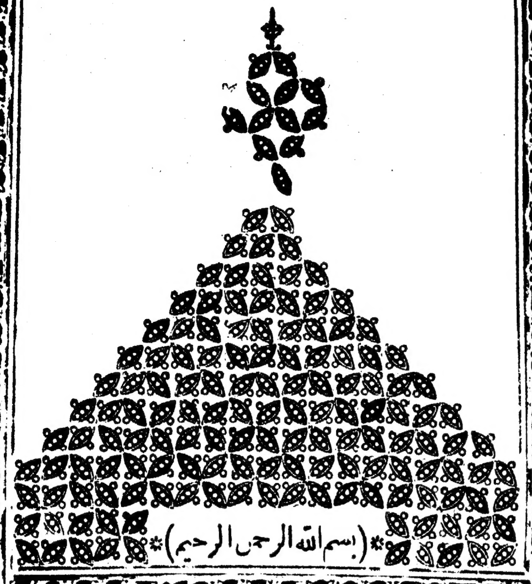
الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لفريد زمانه
ونادرة أوانه العلامة احمد المقرى المغربى
المالكى الاشعرى تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

محلاة هوامش أجزائه الاول والثانى والثالث بالتاريخ الفائق نغمات المثانى والمثالث المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام ابى الحسن على المسعودى احسن الله مثوبته فى دار المستقر وافرد هامش جزئه الرابع بالكتاب البديع الرائق المسمى تحفة الاحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما يتبع ذلك للعلامة السخاوى الهمام أمطره الله تعالى بهوامع الاكرام

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)



*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على ابن أحمد بن محمد بن حمدون الحميرى الاندلسى المالقى) قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤادبايدى النائبات مصاب * وجفن لفيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى أبحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شباب
اذا مر عمر المرء ليس براجع * وان حل شيب لم يفده خضاب
فحل حمام الشيب فى فرق لمتى * وقد طار عنا للشباب غراب
وكم عظة لى فى الزمان وأهله * و بين فؤادى والقبول حجاب
فدع شهوات النفس عنك بمعزل * فعذب الليالى مقتضاه عذاب
وسل فؤادا عن رباب وزينب * فما القصد منها زينب ورباب
وأنوى متابا ثم أنقض نيتى * فربع صلاحى بالفساد خراب
أقر بتقصيرى وأطمع فى الرضا * وما القصد الا مرجع ومتاب

(واما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع الناس فى بدئهم فمنهم من رأى أنهم من ربيعة ابن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الانفة وجاوروا ماهنالك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية ولدكل من الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر وقد اختصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فحالوا

ويعتبني في العز خل وصاحب * وهل نافع في الجامدات عتاب
أطهر أثوابي وقلبي مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب
وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فيسقى ر باغرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا منى * ولاحط عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تقفو أغفلة * وما سار بي نحو الرسول ركاب
وقلبي معمور بحب محمد * فمالي في غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد أيامي اذا قيل هذه * منازل من وادي الحمى وقباب
فجسمي في مصر وروحي بطيبة * فللروح عن جسمي هناك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض * تشق قلوب لا تشق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحي محمدا * وما كل من في الزمان يثاب
به أخمدت من قبل نيران فارس * وحقق من ظبي الفلاة خطاب
وكم قد سقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب المختار في حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته * فما مدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحي * وان رجائي راحة وثواب
اذا قيل من تعني بمدحك كله * فانت اذا أخبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
فانت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثي العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقادبها وبصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فسليمها للنائبات معرض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن ان العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهي طويلة ولم يحضرني سوى ما ذكرته * (ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني الوادي آشي أبو محمد) وله أخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعمم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء

سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على اماثه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى ان الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أي الفريقين هو انه خرج بكتفيه حيتان لا يهدآن الا بادمغة الناس فافنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة ووافاه أفريدون بهم وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان فاخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل نهاوند على ما ذكرنا وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط ادمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين في كتفي الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وما ذكرنا من خبر

فديتك بالنفس التى قد ملكتها * بما أنت موليها من الكرم الغض
ترديت للحسن الحقيقى بهجة * فصار لها الكلى فى ذاك كالبعض
ولما تلالا نور غرتك التى * تقسم فى طول البلاد وفى عرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر * نبت عنك اجلالا وذاك من الفرض
وأسدلت حمراء الملابس فوقها * بمفرق تاج المجد والشرف المحض
فاصبحت بدرا طالعا فى غمامة * على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه الله تعالى

أجبنا وبحى ناصرى وحسامى * وعجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامى

وقال رحمه الله تعالى لما أمن يستاذن مخدومه فى الحج والزيارة

أمنن بتسريح على وفعله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * درست معالمه وأنكر مذهبى
فقالتى ما ان مللت وانما * عمرى أبى حمل النجاد ومنكبى
وعجزت عن أن استثير كميتها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولاخفاء ببراعته

فدى مخضلا ذاك الجناح المنمنما * وسقيا وان لم تشك بأسا جعا ظما
أعدهن ألحانا على سمع معرب * يطارح مرتاحا على القضب معجما
وطرغير مقصوص الجناح مرفها * مسوغ اشتات الحبوب منعما
مخلى وأفراخا بوكرك نوما * ألا ليت أفراخى معى كن نوما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا أن الرماح صقيلة * وأن الشبا رهن الصدى بدمائه
وان بياديق الجوانب فرزنت * ولم يعد رخ الدست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير أبى زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن على المسوفى الميرقى الثائر على منصور بن عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى أيام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه ومن صحبه فى حركاته وكان آية فى بعد الهمة والذهاب بنفسه والغناء فى مواقف الحرب والجنسية علة الضم اذ ابن غانية كان غاية فى ذلك أيضا ووجهه الميرقى المذكور عشية يوم من أيام حروبه الى المازق وقد طال العراك وكاد الناس ينفصلون عن الحرب الى ان يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس وذمر أرباب الحفيظة وأنهى اليهم العزم من أميرهم فى الحملة فانهزم عدوهم شر هزيمة ولم يعد أبو محمد الا فى آخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى عملت هو شانى واذا أردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب بريحهم فانظر غيرى وتشاجر له ولد صغير مع ترب له من أولاد أميره أبى زكريا فنال منه ولد الامير وقال وما قدر أبيك فلما بلغ ذلك ابا محمد خرج مغضبا لحينه ولقى ولد

الضحاك فالفرس لا يتذاكرون الضحاك مع ابليس أخبار عجيبة هى موجودة فى كتبهم وتزعم الفرس أن ظهور المقدم ذكره فى ملوك الفرس هو نوح النبى عليه السلام وتفسيره ادريس بالفارسية الفهلوية وهى الاولى الراية والمطر دو العلم (واما الترك وأجناسها) فقد قدمنا كثيرا من أخبارها وقد غلط قوم فزعموا أن الترك من ولد طوج بن أفريدون وهذا غلط ولى طوج على الترك وسلح على الروم وكيف توليه عليهم وهم ولده وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوج ابن أفريدون بل لطوج فى الترك عقب مشهور والمعظم فى أجناس الترك هم التبت وهم من حمير على حسب ماذكرنا أن بعض التبابعة رتبهم هناك وما قلنا من الاكراد فالاشهر عند الناس والاصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار فاما نوع من الاكراد وهم الشاهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة وهى أرض الدينور وهمذان فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد والعاخرذان وهم من الكيكان ببلاد اذربيجان والملبانية والسراة وما

الامير المخاطب لولده فقال حفظك الله تعالى لست أشك في أني خديم أبيك ولكني أحب أن أعرفك بنفسي ومقداري ومقدار أبيك اعلم أن أباك وجهني رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد أنزلت في دار اكتريت لي بسبعة دراهم في الشهر وأجرى علي سبعة دراهم في اليوم وطولع بكتابي وقيل من المبرقي الذي وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربي ثائر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الي وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فاعدت الى محل اكتري لي بسبعين درهما وأجرى علي مثلها في اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لي شيء له حظ من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدري وترجمته رحمه الله تعالى واسعة * (ومنهم عبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي) المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها جامع أنماط السائل في العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من الغمرات

توفي سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي) كان اماما في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه تعالى

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ * (ومنهم أبو العباس القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصاري المالكي الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية) ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا في الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبي صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم في شرح مسلم وهو من أجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووي رحمه الله تعالى في كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفي رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف في بلاده بابن المزين وله كتاب كشف الاقناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعاني بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطي أخذت عنه وأجاز لي مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها * (ومنهم العارف الكبير الولي الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد ابن سيد بونة الخزاعي الاندلسي) أحد الاعلام المنقطعين المقربين أولي الهداية كان رضي الله

وفي بلاد الجبال من الساذنجان والكرديه والبارزلكان والباريجان والبارسان والحالبة والجبانار فيه والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلي الموصل وجبل الجودي (وفي الاكراد) من رأيهم رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي رضي الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادي العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والخلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد غرس ونصيبين وبست مما يلي بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والملوص والحب (قال المسعودي) فاما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها في الجاهلية والاسلام كيوم الهباءة وحروب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهي حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم جرار ومقتل جساس ابن زهير ويوم ذي قار ويوم شعب جبانة وما كان من بني عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها

تعالى عنه ونفعنا به كثير الاتباع بعيد الصيت فذا شهيرا قال الحافظ بن الزبير هو أحد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوى الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقى فى رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولى الكبير سيدى أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه بجائب فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركاته توفى رحمه الله تعالى فى شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة فى الاحاطة ملخصها ماذكرناه *(ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الانصارى الشاطبى الفقيه القاضى الصدر المتفنن المحصل المجيد) ذا علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا فى فقهه لا يستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية وأصول الفقه ومشاركة فى أصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت قضاء وعلم وسودده متوارث ومجده مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان فى قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لا يقدم الشهود الا عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه وأخرتموه وكان اذا جرى الامر فى مجرى الشهادة وما قاله القاضى ابن العربى أبو بكر وغيره من أنها قبول قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذى لا يليق أن يمكن منه الا الآحاد الذين تبين فضلهم فى الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد اغا هى فى صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وقد سئل من أولياء الله فقال شهود القاضى لانهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شئ أجل منها وان كانت خطة لا صفة فلا شئ أخس منها ولما كانت واقعة ابن مزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد دينى ولما توفى عجز القاضى الذى تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذى اقتفاه قال هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبرينى فى عنوان الدراية فى علماء بجاية *(ومنهم محمد ابن يحيى الاندلسى اللبسى) بلام فوحدة فسين قاضى القضاة أخذ عن الحافظ بن حجر ونوه به عند الاشراف حتى ولاه قضاء المالكية بحماة وسار سيرة السلف الصالح ثم جمع على نائبها فى بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر فى بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة فى الفنون قاضى الجماعة وقال انه انسان حسن امام فى علوم منها الفقه والنحو وأصول الدين يستحضر علوما كأنها بين عينيه ووصفه أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد كل منثور ومنظوم قاضى القضاة لازالت رايات الاسلام به منصورة وأعلام الايمان به منشورة ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره محبورة ولد سنة ٨٠٦ وتوفى ببرسا من بلاد الروم أواخر شعبان ٨٨٤ قاله السخاوى فى الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير ابو

وتفرقها فى البلاد وذكر والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيمها وبالله التوفيق

(ذكر ديانات العرب وآرائها فى الجاهلية وتفرقها فى البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

كانت العرب فى جاهليتها فرقا فمنهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى وقد تقدم ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته فى الفترة كقس بن ساعدة الايادى ورباب الشنى وبحيرا الراهب وكان من عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك واحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث

أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين) رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه في باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبي بكر بن الحكيم ولا بأس أن نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوي أبا الحسن علي بن يوسف العبدوي السفاح أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبي القاسم بن الايسر وأخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ في رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الامام الجزائري بجزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبي بكر المرادي الحنبلي لقيه بالقاهرة والشيخ رضي الدين أبو بكر القسمطيني والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي امام الديار المصرية في الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمي قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشي ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحراني والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان في طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ ببجاية عن خطيبها أبي عبد الله بن رحيمة الكناني وبتونس عن قاضيها أبي العباس بن الغماز البلنسي وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي ومن شعر ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى رد عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال
حالة يسري بها الوهم الى * أنها تثبت برأبا عتلال
وليال ما تبقى بعدها * غير أشواقي الى تلك الليال
اذ مجال الوصل فيها مسرحي * ونعيمي آمر فيها ووال
ولحالات التراضي جولة * مرحت بين قبول واقتبال
فبوادي الخيف خوفي مسعد * وباكناف منى أسنى موال
لست أنسى الانس فيها أبدا * لا ولا بالعذل في ذاك أبال

مال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح في الباب وجعل الاخرى في الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا

و بالترب منها اذ كحلنا جفوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه لخسارة * ولو أن كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لاتعدد كثرة * و بعدي عن المختار أعظمها ذنبا

انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الاحاطة ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ماصورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر في آفاق الاقطار اشتهار الصباح في سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانا ماقصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل و بنات الارسال حتى اقتحمنا بانفسنا لجج البحار فسمعنا بالطارف من أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا مافرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده ولا بين قبوله ورده الا كما يحسو الطائر ماء الثماد و يابى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيأ الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغريبة الى مناويه وبقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد في جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا في سبيل الله أخذ الاعتزام فامدنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر ونصرنا بالطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ماغدا ذكره في الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا وانتشقنا نسائم النصر الممنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علمتم الى ماقرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضي الى بلوغ الامنية والمأمول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها ونال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم في الدولة ماصار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخاير كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت

الايام

صدهم الله عزوجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول

أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم مابي عن نداكم من صمم
ان للبيت لربا مانعا * من يرده بأثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت * حمير والحي من آل قدم
فانثنى عنه وفي أوداجه * جارح أمسك عنه بالكظم
قلت والاشرم يرمي حيلة * ان ذا الاشرم غر بالحرم
نحزالك الله فيما قد مضى * لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة * ثم عادا قبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة * صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة * يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

الايام منه ماوهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من امواله وكتبه وتحفه مالايعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم *(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبي علي الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمي الاندلسي ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم و ببغداد من أبي بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزذ وطائفة وبواسط من أبي الفتح بن الميداني وباصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسي وأبي روح وأصحاب الفراوي وهذه الطبقة وخطه مليح مغربي في غاية الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر قال الضياء في حقه رفيقنا وصديقنا توفي بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التستري رضي الله تعالى عنه ومارأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشي كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسي رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربي الاشبيلي حفيد القاضي الحافظ الكبير أبي بكر بن العربي) قرأ النافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفي وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فاخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفي بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبي في تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبوزكريا القرطبي) سمع من العتبي وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزني والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغني ابن أبي عقيل وغيرهم وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد ابن عثمان الاعناقي وسعيد بن حميد وابن ابي تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزني ورسالة الشافعي وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل في فقهه الى مذهب الشافعي وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى واضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفي سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى ورضي عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي) كان من أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصري فلما توفي قاضي القضاة جمال الدين المالكي ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل

بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لما ولدت أشرقت الأرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازي ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعر بن شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فمنع منها ماتقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفي كتبهم ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعليانية وغيرهم من فرق الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعي المعروف بالاحمر في كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن علي

و بقي في المشيخة الى أن توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبامثاله آمين * (ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني المحدث الشهير) ذكره ابن السمعاني وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف في بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه مالا يدخل تحت حصر قال ابن السمعاني وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزأ خرجه من حديث يزيد بن هرون مما وقع له عاليا وجزأ صغيرا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا واحاديث أبي بكر الشافعي في احد عشر جزأ المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبي الحصين عن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو في التي بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف في أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا بخارى في أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن ابراهيم المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخي عن الحاكم أبي الفضل محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه وأخبرنا الجياني بسمرقند أنبانا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبانا أبو طالب محمد بن محمد بن سلمة أنبانا يزيد بن هرون أنبانا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعاني أيضا وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند أنبانا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد أنبانا أبو طالب بن غيلان أنبانا أبو بكر الشافعي أنبانا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي أنبا محمد بن حسان أنبانا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لي الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثني قال خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فاذا هم أصحاب طنابير وقال ابن السمعاني أيضا اخبرنا ابو بكر الجياني المغربي بسمرقند سمعت الامام أبا طالب ابراهيم بن هبة الله يبلغ يقول قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبي الحسين بن يحيى في كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان في بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتي ثم هرتي ثم شاتي * فاذا ما وضعن كن ربيعا
زوجتي للخبيص والهر للفا * روشاتي اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد في العين أن المجيع أكل التمر باللبن انتهى * (ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسي المري) ذكره الحميدي في تاريخه وأثنى عليه وقال كان من اهل العلم والادب

في نقضه لكتاب الصراط وذكره المعروف بالمنكي في نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط وهؤلاء محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العليانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنميرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول أحمد بن حائط وابن يالوس وجعفر القاضي الى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتاخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ممن أحدث تفريعا على ماسلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ماتقدم من مذاهبهم مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب أبي يعقوب المزابلي ثم أصحاب السوق ومن تاخر عنهم وفارقهم في أصولهم مثل أبي جعفر محمد بن علي الشلقاني المعروف بابن أبي القراقر وغيرهم ممن أتم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق في هذا الوقت ممن يراعي وقت الظهر وأصحاب هيج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول والذكاء

والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فاكثر ورحل الى المشرق فاحتفل في العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه في غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفي ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ويعرف بابن الافليلي الاندلسي النحوي وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني) ذكره ابن بسام في الذخيرة والحجاري في المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستاذنه في الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع في طريقه كتاب صحيح البخاري وعنه أخذه اهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شئ سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطا السبيل من أتى البيوت من ابوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بار بابها ولرب امل بين أثناء المحاذير مدبج ومحبوب في طي المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام في الجدب ويستصحب الحسام في الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء اجل * واغمدوا سيفا عليكم يسل

وبسبب قتل بني عباد لابي حفص الهوزني المذكور تسبب ابنه ابو القاسم في فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى ازال ملكه ونثر سلكه وسبب هلكه كما ذكرناه في غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده في محاله وبيت بني الهوزني المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم ابو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي الفقيه المالكي) احد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفي سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن انس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به *(ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزاري الالبيري الزاهد) سكن قرطبة قال ابن الفرضي كان منقطع القرين في العبادة بعيد الاسم في الزهد حج وعني بعلم القرآن

عليه شئ مما تقدم في كتابنا آنفا (وقد) تغلغل بنا الكلام في ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس في عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان مؤمنا موحدا وانه لم يشرك بالله عزوجل ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم وانه تنقل في الاصلاب الطاهرة وانه أخبر انه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى ان عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق في النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما انتدبه قوله في كتابنا المقالات في أصول الديانات وفي كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس في الامامة وفي كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصي ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعي في المتعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب واوصاه بالنبي

والقرا آت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطي وابن الوردوابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا أن العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفي رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي محمد ابن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين ✲(ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفي الاشبيلي الاديب البارع) له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفي ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء في النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

مالي موارد أمر بل مصادره ✲ اللعظ أوّله واللعد آخره
أرسلت طرفي مرتادا فطل دمي ✲ روض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت في خصبه لحظي فاعقبني ✲ جدبا بجسمي ما روّيه هامره
ولي وان لم أكن بالذكر أشهره ✲ فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهي طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحم الله تعالى الجميع ✲(ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي) رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز ابن الجمحي عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبي مصعب أحمد بن عبد الملك الزهري عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيباني والقزاز في آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولي عهد فسمع منه أكثر رواياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مامونا ولي قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف ابن الامام ✲(ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصاري البلنسي المحدث) رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسي الصيني وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها أبا عبد الله النعال وطرادا وغيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المديني وابو اليمن الكندي وأبو الفرج بن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في آخرين وتادب على أبي زكريا التبريزي وتوفي في المحرم سنة ٥٤١ رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوي والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضي القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه ✲(ومنهم ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجي) سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من أبي علي الصفار وجماعة وبها مات ✲(ومنهم ابو عثمان سعيد الاعناقي ويقال العناقي القرطبي) كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا

صلى الله عليه وسلم وقد تنوزع في اسم ابي طالب فمنهم من رأى أن اسمه ما وصفناه ومنهم من رأى ان كنيته اسمه وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبي صلى الله عليه وسلم وكتب علي بن ابي طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب في شعر له وصية ابي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال

اوصيت من كنيته بطالب
بابن الذي قد غاب ليس آيب

وقد كان اكبر العرب ممن بقي ودثر يقر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) في ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التي نسفت صرح النمروذ ببابل من ارض العراق فبات الناس ولسانهم سرياني وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمي الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ما ذكرنا في صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعبيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ

بغلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم ورحل فلقى جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين فى آخرين وحدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد بن قاسم وابن أبى زيد فى عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفى سنة ٣٠٥ بصفر والاعناقى نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق *(ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبى الاقليشى) روى عن أبى عثمان سعيد بن سالم المجريطى وأبى ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبى بكر الآجرى وأبى حفص الجمحى وبمصر من أبى اسحق ابن شعبان وروى عنه كتاب الزاهى جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن على المعروف بابن الطحان الاشبيلى المقرى) ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفى بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء فى الوقف والابتداء ومقدمة فى مخارج الحروف ومقدمة فى أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعينى خطيب اشبيلية وأبى بكر يحيى بن سعادة القرطبى وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشاقتها
وعاد النفس مصطبرا * وتنكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا فى علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبى العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبى عبد الله بن عبد الرزاق الكلبى وروى مصنف النسائى عن أبى مروان بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلى الحافظ وعلى بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالمغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبى العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحمهم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى) قدم مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطا عن سليمان بن أبى القاسم أنبأنا أبو عمر بن عبد البر أنبأنا سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضى الله تعالى عنه * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى الشاطبى) قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبى الحديد وأبا منصور العكبرى وغيرهما وصنف غريب الحديث لابى عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفانى وتوفى بارض حوران من أعمال دمشق فى رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه (ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغسانى الجليانى) وهو عبد المنعم بن

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ممن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول انا ابن قحطان الهمام ١٥ الافضل * الايمن المعرب ذى المهال

ياقوم سيروا فى الرعيل الاول
انا الندى باللسان المسهل
الايمن المنطق غير المشكل
حتوت والامة فى تبلبل
ياقوم سيروا فى الرعيل الاول
نحو يمين الشمس فى تمهل

نحل باليمن على ما وصفنا آنفا من هذا الكتاب (وسار بعده عاد بن عوص) ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انى انا عاد الطويل البادى
وسام جدى ابن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزيادى
وسوقه الطارف والتلادى

نحل بالاحقاف وأدانى الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء فى الارض فانتشر منهم ناس كثير منهم جيرون بن سعد ابن عاد حل بدمشق فمصر مصرها وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وشيد بنيانها وتسمى ارم ذات العماد وقد روى عن كعب الاحبار فى ارم ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها

عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعاني اكثر في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضي الفاضل ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان و بيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بني عصري على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فانتج فيهم قياسي تخليا * عن الكل اذ هم آفة الوقت والعرض
ألازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففردا ملصق الطرف بالارض
أرى الشخص من بعد فاغضي تغافلا * كشدوه بال في مهمته يمضي
و يحسبني في غفلة وفراستي * على العور من لحي بما قد نوى تقضي
أجانبهم سلما ليسلم جانبي * وليس لحقد في النفوس ولا بغض
تخليت عن قومي ولو كان ممكني * تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

وقال

قالوا تركت عن الا كابر تعرض * وسواك زوارلهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فليس يعوض
ان كان لي يوما اليهم حاجة * فبقدر ماضمن القضاء تقيض

وقال

حاول مفازك قبل أن يتحولا * فالحال آخرها كحالك أولا
ان المني من المنية لفظه * لتدل في أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد في الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أفنى العداة حسامه * ومتبعا أفنى العفاة ابتسامه
لقاؤك يوما في الزمان سعادة * فكيف بثاو في جنابك حمامه
وعبدك شاك دينه وهو شاكر * نداك الذي يغني الغمام غمامه
ولي فرس أصماه سهم فرده * أثافي ربع بالثلاث قيامه
تعرفيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه
أتينا لماء ودتنا من مكارم * يلوذ بها الراجي فيشفي غرامه
فرجاك غوث لا يغيب نصيره * ونعما لغيث لا يغب انسجامه

ابن عوص) ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أنا الفتى الذي دعى ثمودا
يا قوم سيروا ودعوا التريدا
لعلنا ان ندرك الوفودا
فنلحق البادي لنا الصديدا
انا أبينا يعرب الجحيدا
وعاد ما عاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادي القرى بين الشام والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس ابن عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا جديس والمسير اسلكا
فدتك نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا
اذ سارت العيس وأبدت شخصكا

وقد قلنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة (وسار بعد جديس) عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تبلبل
وسار منا ذو اللسان الاول
وحدثتنا في اللعاق الاول * فسرت حثا بالسوام المهمل

وله رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة *(ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي مؤلف المفتاح فى القرا آت ومقرى أهل قرطبة) رحل وقرأ القرا آت على أبى على الاهوازى وبحرّان على أبى القاسم الزيدى وبمصر على أبى العباس بن نفيس وبمكة على أبى العباس الكازرينى وسمع بدمشق من أبى الحسن بن السمسار وكان عجبا فى تحرير القرا آت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه فى وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات فى ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف بن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى *(ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر بن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى الاندلسى) ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وأنشأ له فى معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا كان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى ونصر الهيثى وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات أدبية ومقا لهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبى الحكم الملقب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا أتاه الغلام ومابه شئ فيجس نبضه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان أعور فقال فيه عرقلة

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ماعاد فى صبحة يوم فتى * الاوفى باقيه رثاه

وله يرثيه

ياعين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لارحم الرحمن شيبته * ولاسقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

ومن كنايات أبى الحكم المستحسنة قوله

ألم ترنى أكابد فيك وجدى * وأحمل منك مالا يستطاع
اذا ما النجم الجو استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * فى حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى الجامع

*(ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى القيسانى) وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب فى الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى *(ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى) دخل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ومنهم من سار الى بلاد مصر والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن اسحق ابن ابراهيم الخليل وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ماذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت فى مواضع من الشام وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع ابن نون مع ملك العماليق وأنهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم) من العماليق أذينة بن الصميدع الذى ذكره الاعشى فى قوله

أزال أذينة عن ملكه
وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة ابن ظرب ويقال هو الذى يعرف بامّه ثم ملك عمرو ابن ظرب ويقال هو الذى كان يعرف بامّه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدى بن مالك حروب كثيرة فقتله جذيمة على ماذكرنا وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر كأن عمرو بن ظرب لم يعش ملكا

مصر وحج ولقي امامنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريدخلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فظفر بهم وقتلهم وفر من بقي منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودي ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذله أمانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لي أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم اني قدسمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استترفقال عند يهودي مدة عام ثم اني قصدت هذا الوزير فغدربي فغضب الحكم على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فرؤي أبو البسام بعد ذلك في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن علي بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسي القرطبي القيذافي الشاعر) قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجي وكتب في الفرائض ورد على أبي زيد السهيلي وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله في كاس

أناجسم للعميا * والحميا الى روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال في صبي حبس

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال * ولم تحبسه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * في ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذافي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سير السيراء ويعجب النحاة من أجل الفراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه قاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا ظهر اهابه يخافه البرد ويهابه

(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

اني أنا طسم وجدي سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسي الحقي السواما
أخاك عملاقا وذا الاقدام
يافث لا كان ولي حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا في الارض على حسب ماذكرنا من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عمليق بن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شريد الجرهمي حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم ابن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شيء عن هواه مع اصراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا في ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهي حدائق ملتفة

أثيث خمائل الصوف يهزأ بكل هوجاء عصوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يمنه فرجى النوع أرجى الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو الممزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فحام أو نماه البياض الى سام فسام كأنه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم لازال مهديه سعيدا ينجز للأخيار وعدا وللأشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك) من أهل جيان رحل حاجا فادى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على ورد ولا صدر
الا ما أنت رائيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم أبو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي) من أهل المرية سمع من أبي عبد الله البوني وابن صالح وأخذ عنهما القرا آت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوي القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمر والخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره (ومنهم منصور بن لب ابن عيسى الانصاري) من أهل المرية يكنى أبا علي أخذ القرا آت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري) من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد في العبادة وانتبذ عن الناس ثم كر راجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان مات فقبره هنالك وقال في حقه أبو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى (ومنهم محب بن الحسين) من اهل الثغر الشرقي كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من ابي عبد الله بن سفيان الكناني الهادي في القرا آت من تأليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبي من شيوخ ابي مروان بن الصيقل *(ومنهم مساعد بن أحمد بن مساعد الاصبحي) من اهل اوربولة يكنى اباعبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن ابي تليد وابن جحدر والحافظين أبي علي الصدفي وأبي بكر بن العربي وكتب اليه ابو بكر بن غالب بن عطية ورحل حاجا في سنة اربع وتسعين واربعمائة فادى الفريضة سنة خمس بعدها ولقي بمكة اباعبد الله الطبري فسمع منه صحيح مسلم مشتركا في السماع مع ابي محمد بن جعفر الفقيه ولقي ابا محمد بن العرجاء وابا بكر بن الوليد الطرطوشي واصحاب الامام ابي حامد الغزالي وابا

وقصور مصطفة فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق فاراد قبض ولده منها فابت عليه فارتفعا الى الملك عملوق ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذي حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوفى خصاله أراد أن يأخذه قسرا ويسلبنيه قهرا ويتركني منه صفرا قال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا ولدا خاملا فافعل ما أنت فاعلا فأمر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل في غلمانه فقالت هزيلة في ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأبرم حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح * وأصبح زوجي حائر الرأي نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة وقيل الشموس بنت عمار الطسمي أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق

عبدالله المازرى وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس واخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغرى الغرناطى وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره فى الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغرى الغرناطى أخبرنى أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرنى الحاج ابو عبد الرحمن بن مساعد رضى الله تعالى عنه انه لقى بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فمالها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليـــل وشمس القلوب دون غروب

ولد فى صفر سنة ٤٦٨ وتوفى باوريولة سنة ٥٤٠ قاله ابن شعبان * (ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم) قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من ابى الطاهر السلفى وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهرى انتهى * (ومنهم النعمان بن النعمان المعافرى) من اهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فادى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفى سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابى ثور الحضرمى) من اهل طرطوشة اوناحيتها رحل الى المشرق وادى الفريضة ولقى بمكة ابا عبد الله الاصبهانى فسمع منه سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير (ومنهم ثابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمى) اصله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر قال السلفى قدم مصر بعد خروجى منها وتفقه على مذهب الشافعى وتادب وقال الشعر الفائق وكتب الى بشئ من شعره ومات فى رجب سنة ٥٤٠ بمصر * (ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسى) رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن يروى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسى وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الخشاب البغدادى من شيوخ الدارقطنى قال ابن الابار هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تاليف الدارقطنى فى رواة عن مالك فى باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت فى رواية ابى زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطنى وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفى حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضى من تاريخه والاول عندى أصح والله تعالى اعلم انتهى * (ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبى فريعة) واسمه زيد مولى عبد الرحمن ابن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل لبلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازى * (ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر المعافرى) من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبى عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فادى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال كان لى خير صديق أنتفع به وينتفع بى

ويادرى الصبح بام معجب فالبكر بعدكم من مذهب فلما دخلت عفيرة على عملوق وافترعها وخلى سبيلها خرجت عفيرة على قومها فى دمائها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها وهى تقول

لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس

وقالت أيضا تحرض جديس على طسم وأبت أن تمضى الى زوجها من كلمة

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشى فى الدما فتياتكم
صبيحة زفت فى النساء الى البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تفروا من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا
ويختال يمشى بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا لعدوكم * بحرب تلظى فى القرام من الجزل

وأقبل معه كتبه وكتبي ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفي في آخر خلافة عبد الرحمن الناصر *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي) كان من مشاهير أصحاب ابي علي البغدادي ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافي ببغداد الى أن توفي فلازم بعده صاحبه أبا علي الفارسي ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجاني ان أبا علي البغدادي غلس لصلاة الصبح في المسجد فقام اليه أبو محمد الزبيدي من مدود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه او ادلج اليه ليكون اول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال انا عبد الله الاندلسي فقال له الى كم تتبعني والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه ويقال انه توفي ببغداد سنة ٣٧٣ *(ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبي) رحل من الاندلس فاوطن القيروان واختص بابي عمران الفاسي وتفقه به وكان اديبا شاعرا عفيفا خيرا وفي شيخه ابي عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادى الفريضة وتوفي في انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وانشد له ابن رشيق في الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير اعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر * قيل قد مات وانقضى

وقوله

ساقطع حبلي من حبالك جاهدا * واهجر هجرا لايجرانا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى ببشر من يسر له البغضا

قال في الانموذج وأراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم *(ومنهم ابو بكر اليابري ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله ابن طلحة بن محمد بن عبد الله) اصله من يابرة ونزل هو اشبيلية وروى عن ابي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الاندلس منهم ابو بكر بن ايوب وابو الحزم بن عليم وابو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملا على العامة وكان متكلما وله رد على ابي محمد بن حزم وكان احد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن ابي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزيدوني والف كتابا في شرح صدر رسالة ابن ابي زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة في الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام الفه للامير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر في فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٠ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفي رحمه الله تعالى روى عنه ابو المظفر الشيباني وابو محمد العثماني وابو الحجاج يوسف بن محمد القيرواني

ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما * تقوم باقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس موكل * ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

وفي ذلك يقول أخوها

جاءت تمشي طسم في خميس
كالريح في هشهشة اليبيس
يا طسم ما لقيت من جديس
حقا لك الويل فهيسي هيسي

قال فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت عصبا لذلك فقال لهم الاسود بن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا يا جديس أطيعوني فيما آمركم به وادعوكم اليه ففي ذلك عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذلك قال قد علمتم أن هؤلاء يعني طسما ليسوا باعز منكم ولكن ملك صاحبهم عليكم وعليهم هو الذي يذعننا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد قبلنا قولك ولكن القوم أقراننا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا أن لا يقيلونا فقال والله يا جديس لتطيعوني فيما آمركم به وادعوكم اليه أو لاتكئن على سيفي فاقتل به نفسي قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فاني صانع للملوك وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤوا اليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم باسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا افعل ما بدا لك واجتمع

رأيهم عليه فقالت عفيرة لاخيها الاسود لا تفعل فان الغدر فيه ذلة وعار ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما

وابو عمرو عثمان بن فرج العبدوي وابو محمد بن صدقة المنكبي وأبو عبد الله بن يعيش البلنسي وغيرهم وكان سماع ابي الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦ رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبي الاندلسي) رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الطاهر السلفي كتاب طبقات الامم لابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي وحدث به عنه عن ابن برال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصريحي المري) ويعرف بابن مطعنة روى عن أبي بكر بن الفرضي النحوي وتادب به ورحل الى المشرق ولقي أبا محمد العثماني وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن البياسي بالاسكندرية لنفسه

يمد الدهر من أجلي وعمري * كما أني أمد من المداد
لنا خطان مختلفان جدا * كما اختلف الموالي والمعادي
فأكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللأيام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا في بياض * وتكتبه بياضا في سواد

وبعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله تعالى اعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبي سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامراء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية فلقي بها المازري وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوربولي في هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها اعواما وطار ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفي بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد في الخريدة والسمعاني في الذيل وانشد له

تلونت الايام لي بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت ادبرت عنها وان نأت * فأهون بمفقود لاكرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الازدي المرسي) ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد ابي علي الصدفي ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشي والانماطي والسلفي وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزها سالم الباطن وحكي عن شيخه ابي عبد الله الرازي عن ابيه أنه اخبره أن قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فسمع قائلا

يقول

قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ في الانتقام منهم فقالت عفيرة في ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاخترطوا اسيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون في حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونه فقالوا نفعل ما قلت ثم دعا الاسود بعملوق الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا على عملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار في ذلك أشعارا يرثي بها طسما ويذكر نعيمها وفعل عملوق باخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمي

يقول

لولا اناس لهم سرد يصوموننا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت فى صلاتى وادرت طرفى فما رايت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطله رحمه الله تعالى انشدنى ابو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى امل عودة * ولكننى لست ادرى متى
ودافعنى قدر لم اطق * دفاع المكروه اذ اتى
ومن امره فى يدى غيره * سيغلب ان لان او ان عتا
فيا نازلا بعدنا ها هنا * تحيتك ان كنت نعم الفتى

فسألت عن منشدها فقيل لى هو ابو بكر بن ابى درهم الوشقى وكان قد حج واراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو اصوب وابدل قوله يا نازلا يا ساكنا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى اعلم (ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى الاصبحى) لازم ابن سعد الخير واحتذى اول امره مثال خطه فقارب به وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من ابى الطاهر ابن عوف والسلفى وغير واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا صحيح البخارى على السلفى سنة ٥٦٣ قال وانشدنا الشيخ الاستاذ ابى الحسن على ابن ابراهيم بن سعد الخير البلنسى

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
أولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى أعلم *(ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف القضاعى المرى) سمع من أبى جعفر بن غزلون صاحب الباجى وغير واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفى والرازى وتجوّل هنالك وأخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسى وغير واحد وقال ابن المفضل أنشدنى المذكور قال أنشدنى أبو محمد بن صاره

وكوكب ابصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه
كفارس حل اعصار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادى آشى الحنفى) سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين فى العدالة بحلب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتماء الى قاضى القضاة الناصر بن العديم قال الصفدى رأيته بحلب أيام مقامى بها سنة ٧٢٣ فرأيته حسن التودد وانشدنى لنفسه من لفظه

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

فاتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وجعلها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن اين مبداك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رباح بن مرة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاة لهم فاجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذقنا طعاما حتى صرنا حطاما بالاطباء دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان امعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير واعلمهم بما فعل بطسم قالوا ومن فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا ما لنا فى هذا من ارب هم اخواننا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك ايها الملك فدعهم فقال حسان ما هذا بحسن ارايتم لو كان هذا فيكم اكان حسنا الملك كم أن يهدر دماءكم وما علينا

الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وبين قول ابي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى * يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاة

بين ترنم فوق الايك طائره * وطائر عمت الدنيا بشائره
وسودد أصبح الاقبال ممتثلا * في أمره ما أخوه الغر آمره

ومنها

من مخبر عني الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مقاصره
وان تقليده الزاهي وخلعته التي * تطرز عطفيها مآثره
بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه يوجد في الدنيا مناظره
أنشدت حين ادار البشر كاس طلى * حكت أوائله صفوا أواخره
وقد بدت في بياض الطرس أسطره * سود التبدي ما أهدت محابره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
وخلعة قلت اذ لاحت لتبرز بنا * بالروض تطفو على نهر أزاهره
وقد رآها عدو كان يضمر لي * من قبل سوأ فخانته ضمائره
ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة الغراء ثالثة * امنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر في الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ملغزا في قالب لبن

ما آكل في فين * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض وبسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدي ولما كنت في حلب كتب الي ابياتا انتهى *(ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسي) قال ابو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبي جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح في الحديث

في الحكم الا اننا ننصف بعضنا من بعض فقام فرسانهم فقالوا أبيت اللعن الامر أمرك فمرنا بما أحببت فأمرهم بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان ابيت اللعن ان لي أختا متزوجة في جديس ليس في الارض ابصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وأنا أخاف ان تنذر القوم بك فأمر كل واحد من أصحابك أن يقتلع شجرة من الارض فيجعلها أمامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فاشرفت من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ما ذاك قالت أشجار تسير وراءها شيء واني لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت وغفلوا عن أخذ اهبة الحرب ففي ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم

اني أرى شجرا من خلفها بشر * فكيف تجتمع الاشجار والبشر
ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم * فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه

فبلغ

فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضج من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يشيها لجدير ان يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر ان يبيض راسي لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي
وكان شعاري في الهوى قد لبسته * فرأسي أمي وقلبي عباسي

قلت لو قال شيعي لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تعجبا من عوى خلف ذي علا * لكل على في الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ويرحم الله بعض الاندلسيين حيث قال في رجز كبير

ومن يكن يقدح في معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد ابو حيان للمذكور

أرى الدهر ساد به الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا
ومات الكرام وفات المديح * فلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله ارجو به * ان يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ود اسأل الله أن * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت اني أتى * بل لم أكن التذ بالمحيا

وقال أبو حيان في هذه المادة

أماته لولا ثلاث أحبها * تمنيت أني لا أعد من الاحيا
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرايا
أتترك نص الرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا انتهى

(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام القاضي أبي الوليد الباجي) سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته في حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تآليف تدل على حذقه منها العقيدة في المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية في الورع توفي بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الامام الفاضل الاديب أبو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي) قال العز بن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب في هذه السنة و بلغنا انه توفي بعراكش سنة نيف واربعين وسبعمائة وانشدوا الذي قصيدة من نظمه امتدحه بها وانا اسمع ومن خطه نقلت وهي

الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار طيئ فاجاروه من الملك وغيره من غيران يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم في طيئ مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فاذا في داخلها عروق سود فسالها عن ذلك فقالت حجر اسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فنسب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جوا باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودي) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الارض وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم ان الله عز وجل حين أهلك هذه الامة

 العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا واوداسما وكانت ديار دا اسم بارض السماوة فاهلكوا

قفا مورداعينا جرت بعد كم دما * أناضي أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تثاقل أنجما * ورحن حنيات تفوق أسهما
يجشمها الحادي الامرين حسرا * ويوطئها الحادي الاخيرين هيما
على منسميها الشقائق منبت * وفي فويها للشقاشق مرتما

الى أن قال

وتعسا الآمال جهام سحابها * ترجى ركاما ما استهل ولا همى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذمم يرعاه ليل طويته * طواني سرا بين جنبيه مبهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلماته لمى
الى أن تجلى من كنانة بدرها * فعرس ركبي في حماه وخيما
ثمال اليتامى حيث ليس مظال * وكهف الايامى أيما عزم تمي

ومنها

فيا كف أأنت أم غيث ديمة * أسالت عبابا في ثرى الجود عيلما
ويا سعيه يهنيك أجرثني به * على معطفي علياه بردا مسهما
قضى بمنى أوطار نفس كريمة * وروى صداها حين حل بزمزما
وناداه داعي الحق حي على الهدى * فأسرج طوعا في رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدعائم رضا والزما

وهي طويلة * (ومن الراحلين من الاندلس الوليد بن هشام) من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابي ركوة واظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم ان مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية واخرج لهم ارجوزة أسندها الى مسلمة ومنها في وصفه

وابن هشام ثائم في برقه * به ينال عبد شمس حقه
يكون في بربرها قيامه * وقرة العرب لها كرامه

واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه في رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجي صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر واحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه في الوصول الى اوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى ان هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فامر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل في يد الحاكم كتب اليه

وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بوار وبلاد حوران
بالريح السوداء الحارة والتبت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن في ديار وبار وحمتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا احد من الناس الى تلك البلاد غالطا أو متعمدا حثت الجن في وجهه التراب وسفت عليه سوافي الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوي الحجا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أعمي على قلبه كانهم كبني اسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى أن تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال في ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفناه من قولهم في هذه الارض المجهولة
دعا جعلا لا يهتدي لمقيله * من اللؤم حتى يهتدي لوبار
وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يا مسلم بن جبار
وأقوالهم في مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف

فررت

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعي الموت الذي انا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي * كما اجتر ميتا في رحى الحرب سالب
وأجمع كل الناس انك قاتلي * فيارب ظن ربه فيه كاذب
وماهو الا الانتقام وينتهي * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابي ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها في ديار العدا * تملأ وعر الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلي يحيى بن سليمان) قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات في الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها * وزهت على كثبانها قضبانها

ومنها

فتكت بالباب الكماة فسيفها * من طرفها وسنانها وسنانها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما * الا سبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها * وتداولت وتناولت ألحانها
وتنسمت وتبسمت أيامها * وتهللت وتكللت أزمانها
غديرها ومنيرها وغبيرها * ومعبرها حسنا جلاء عيانها

(ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبي المعروف بالمغيلي) سمع من محمد بن عبد الملك ابن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبي سعيد بن الاعرابي وكان بصيرا بالعربية والشعر ومؤلفا جيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفي فجأة في شهر ربيع الاول سنة ٣٦٢ قاله ابن الفرضي * (ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصاري الغرناطي) قدم المشرق وتوفي بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصوري قال قاضي القضاة عبد العزيز بن جماعة الكناني في كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عني ديار الذي أهوى * فقلبي على طول التباعد لا يقوى

وخلاف في الجاهلية والاسلام يخبرون عن هذه الارض كاخبارهم عن وادى الروم والصمان والدهناء والرمل الذي بدارين وغيرها من الارضين التي نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهي عندهم من الابل التي قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى

كاني على وحشية أو نعامة * لها نسب في الطير وهو ظليم

والاشعار في ذلك كثيرة (وفي بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار ابن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدي

وعبد ضخم اذا نسبتهم * ابيض اهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقا يجمعهم * فبين الخط قعة العرب

والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم ابن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى اتوا مكة فنزلوها وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي

هذا سبيل كسبيل يعرب
البادئ القول المبين المعرب
يا قوم سيروا عن فعال الاجنب
جرهم جدي وقحطان ابي

(وسار اميم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بارض فارس فالفرس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب تنازع الناس في انساب فارس من ولد كيومرث بن اميم بن لاوذ ابن ارم بن سام بن نوح وفي ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس في الاسلام

ابونا اميم الخير من قبل فارس
وفارس ارباب الملوك بهم فخري
وما عد قوم من حديث وحادث
من المجد الا ذكرنا افضل الذكر

فخذ رعاك الله عن عرب رامة * فاني لهم عبد على السر والنجوى
فان مت شوقا في الهوى وصبابة * فيا بشرى ان مت في حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملامكم * فما عندكم بعض الذي بي من الشكوى
ويا جيرة الحي الذي ولهي بهم * أما ترحموا صبا يحن الى حزوى
ويا أهل ذياك الحمى وحياتكم * يمين وفي صادق القول والدعوى
ملكتم قيادي فارحموا وترفقوا * فأنتم مرادي لا سعاد ولا علوى
فما لي سوا كم سادتي لا عدمتكم * فجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

*(ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي قال ابن جماعة في الكتاب المسمى قريبا أنشدني المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد * ورضيع ذي المجد المرفع أحمد
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم * سرج المعالي والكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمي * دين الاله بيأسه المستأسد
يا نبعة الشرف الاصيل المعتلي * يا ذروة الحسب الاثيل الاتلد
يا نجدة الملهوف في قحم الوغى * عند التهاب جحيمها المتوقد
يا غيث ذي الامل البعيد مرامه * يا غوث موتور الزمان الانكد
يا من لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
يا حمزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المنجد
وافاك يا أسد الاله وسيفه * وفد المواطن جماك بمعهد
جئناك يا عم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل الهك في اغتفار ذنوبنا * شيم المزو رقيامه بالعود
لذنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التي * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك في هدانا واقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدى بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز في غد
لم لا نؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صلت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان وباليد
وبذلت نفسك في رضاه بصولة * فقتلت في ذات الاله الاوحد
فجزاك عنا الله خير جزائه * وسقا ثراك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفي بالمدينة الشريفة طابة على ساكنها

وقد ذكر جماعة من اهل السير والاخبار ان جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا اهل خيم وبدو

افضل الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى *(ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المايرقي) من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل وادبه موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذى هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لاخوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لا ثم لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان

انى لأحسد لافى أحرف الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسرانى

أستشعر الياس من لا ثم يطمعنى * اشارة فى اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبى الحسن المذكور فى ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى والابيات التى أولها القضب راقصة الى آخره نسبها اليونينى وغير واحد والصواب انها ليست له وانما هى لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلى وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبدلت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت فى مصر مستضاما * أرقص فى دولة القرود
واضيعة العمر فى أخير * مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الانام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من براعى * معنى قصيد ولا قصود
أودمن لؤمهم رجوعا * للغرب فى دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص فى دولة القرود ما وقع لابى القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك انه لما ولى الوزارة الزينبى دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر *وأرقص للقرد فى دولته *(ومن المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الهراوى) من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة فى الاحاطة ذكرناها مع زيادة

وسقف السقوف واتخذ السطوح وان وان حام بن نوح حلوا ببلاد الجنوب وان ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا فى باب السودان من هذا الكتاب وان نحوا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد افريقية وطنجة من ارض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل ان البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) فى بدء انساب البربر فمنهم من رأى انهم من غسان وغيرهم من اليمن وانهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عند ما كان من سيل العرم ومنهم من رأى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام فهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والانباط (وسار) بوقير بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند امم لهم اجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من ارض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد

عليها عند تعرضنا الاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى و رحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان وسكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وأمداح نبوية فى غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى مور يا باسماء الكتب

عرائس مدحى كم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف فى فنه مثله والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتى يا نور عينى لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا اعاولا * جلا لايضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذر الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين سحب منقله

وقد أوردنا فى ترجمة أبى عبد الله بن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية باسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تضمينه للابيات المشهورة

لم يبق فى اصطبار
مذ خلفونى وساروا
والحبيب أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار
بانوا فما الدار دار

والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها فى الشرق وغيره مما يلى جبل الفتح والباب والابواب (وبعث عاد) فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهى صمود وصدا والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحدون الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان فى نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء فوفدت

يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى
كانوا من الود أهلى
ما عاملونى بعدل
أصموا فؤادى بنبل
يا ابن بنت تكلى
يا روح قلبى قل لى
أهم دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
حسبى وماذا عناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا
أو جاملونى وجادوا
يا من به الكل سادوا
والكل عندى سداد
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

وتذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدرى أثاروا * وودعونى وساروا
يا بدر الخ
كتمت والوجد يملى * جد الهوى بعد هزل
وحار ذهنى وعقلى * ما بين بدرى وأهلى
يا بدر فاحكم بعدل * اذا اتوك بعذل
وحرموا الخ
لولا هواك المراد * ما كنت ممن يصاد
ولا شجانى البعاد * يا بدر اهلك جادوا
غلطت جاروا وزادوا * لكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ
انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفى رحمه الله تعالى فى البيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

يا أهل طيبة فى مغنا كم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق
وقوله

الشرب واللهو حتى جاءتهم الجرادتان فقالتا معاوية بن بكر تشرحان لهم ما وردوا من أجله وهو
ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تاتى أرض عاد * فلا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقيوا التحية والسلاما
ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت
ألا يا قيل من عوص * ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ * من الطول الكرام
سقى الله بنى عاد * معا صوب الغمام
فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفى مجىء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة
عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا لا تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء

ألا قبح الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء

أتاما معانى المعانى فهى قد جمعت * فى ذاته فبدت ناراً على علم
كالبدر فى شيم والبحر فى ديم * والزهر فى نعم والدهر فى نقم

وقال

ولما وقفنا كى نودع من نأى * ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للصب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا * يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكأن ورد الخد منك بمائه * قد شاب عذب لماك حالة ورده

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت * ليس فى غير زادنا من مجال
فأقمنا على الرحال وقلنا * ما لنا حاجة بحط الرحال

وقال

عذب قلبى رشأ ناعم * أسهر طرفى طرفه الناعس
يحرس باللحظ جنى خده * ياليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى * ونأى الفريق من الديار وسارا
ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال
أطالوا فى الندى اهلاك مال * فعاشوا فى الانام ذوى كمال

وقال

أيها المتهمون نفسى فداكم * أنجدونى على الوصول لنجد
وقفوا بى على منازل ليلى * فوجودى هناك يذهب وجدى

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة فى صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فاثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان ضمنة الاذهان بهذه الابيات

هذى فصول الربيع فى الزمن * كم حسن أسندت الى حسن
رقت وراقت فى شمائلها * بمثل صرف الشمول تحفنى
كم ملح قد حوت وكم ملح * يعجبنى لفظها ويحزننى
لم فيه من نفث ومن نكت * أشهدنى حسنها فادهشنى
جمع عدمنا له النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا اذن
يا حبر أهل العلا وبحرهم * أى بديع الكلام لم ترنى

فبصرنا النبي سبيل رشد * فابصرنا الهدى ونأى العماء
وانى موقن فاستيقنوه * بان اله هود هو العلاء
وان اله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء
وانى لاحق بالامس هودا * واخوته اذا حق المساء

فارسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم من واديهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فاتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تات الاربعاء الثانية ومنهم حى فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه فى أيام الشهر فى باب الشهور فلما شاهد هود النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفى ذلك يقول الهيل بن الخليل

لو ان عادا اسمعت من هود * واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد * عادوا بالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة الجدود * خبوا على الآناف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد * ماذا جنى الوفد من الوفود
احدوثة فى الابد الابيد

(وقال مهدبن سعد فى شعر له)

دعاهم خيفة لله هود * فما نفع النذير ولا اجابوا

بدرك فى مطلع الفضائل لا * يكون مثل له ولم يكن
هذى الفصول التى أتيت بها * قد أفحمت كل ناطق لسن
كم فن معنى بها يذكرنى * شجوى لشدو الحمام فى فنن
فن نسيب مع النسيم جرى * لطفا فازرى بالجوهر الثمن
وحسن سجع كالزهر فى أفق * والزهر فى ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عنى
لازال راق لمجتدر اقها * ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول هى للحسن أصول وشمول لها على كل القلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصول ولا انتهى قس الايادى الى هذه الايادى ولا ظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه نزهت فى طرف خمائلها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها لسحر حلال وخلال ما مثلها اخلال كلام كله كمال ومجال لا يرى فيه الاجمال اراقم بردها وناظم عقدها فى كل فصل جاء بكمال فصل وفى كل معنى عمر بالبراعة مغنى أعرب فاغرب وأوجز فاعجز وأطال فاطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول فى النثر باعه أزاهر نبتت فى كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لا تدرك بيد اكتساب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحلى فى الافواه من الشهد وأشهى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أدبها فى قالب النكت الحسان وذهب بمعاه عبد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لازال حسنها يملا الاوراق بما راق ويزين الآفاق بما فاق ولا برحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى *وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته ألطف من اسمه وأحسن من الدرر فى نظمه وأطيب من الورد عند شمه هبت على رياض فصوله نسيم صباه فوفاقت الازهار فى رباها وتشوفت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعقد النظيم وترنحت أفنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم كل فصل له فى الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشئه محاسن لا توجد الا فى كتابه صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية ملات تصانيفها المغارب والمشارق وقريحة اذا ذقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبلة لاهل الادب ويديه ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه

الجلهان وقد تقدم ذكره فى هذا الباب الملك عاد وثمود وغيرهم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عاد بن عوص ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عاد بن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزلوا ببلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقال شاعرهم يرثى من كان فى تلك الديار

ان طسما وجرهما وجديسا
والعماليق فى السنين الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا
واستمرت بهم صروف الليالى
وأدال الزمان منهم وأضحى
غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهم ريب الزمان فامسوا
دورهم بالقع لمر الشمال

(وقد كان) نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم

 (وكان) يثرب بن قامة بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب

فهلك هؤلاء أيضا ببعض ٤ ٢ غوائل الدهر وآ فاته فقال شاعرهم عن جودي على عبيد برجع ما باق فيضانها بانسجام

انتهى * وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا أمارات القبول ونزه طرفه في رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم في وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الاعزل

يا لها كلمات نقصت قدر الافاضل وفضحت فصحاء الاوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت في البلاغة على فريد وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألغى البلغاء رصفه وغرائب تعرفت بعد ديها وشوارد تألفت بهديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا يدجان معان تطرب السمع لما حكم وأحكام والفاظ هي الارواح لا ارواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة التماسك وضاقت عليه في وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبي الطرف ويستغرق الظرف نسج قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فالني ألفات كاعتدال القدود ونونات كاهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فظف ساعته يطنب في دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بالفاظه وسكره فلله در ألفاظك ودرر فضلك وأحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غواص والفاظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شيء قدير * وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمي تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى سايضيء ابحاجة أسهل الطرائق فما عال صداى كنسيم الصبا ولا كمثله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة نبتت فضة وذهبا

وتجنى من ملح الكلا * م بطارف أو تالده

كلم نوابغ نحو آ * فاق المطالع صاعده

لورامها قس لما * ألفى اباه ساعده

أبدى نتائج عيه * في ذي المعاني الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكي انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذي

عمر وابير باو ليس بها سف سرولا صارخ ولا ذو سنام غرسوا ليتهم بما يجري معين ثم حفوا السبيل بالارحام (وقد أخبر) الله جلت قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع في قوم شعيب ابن نوفل بن رعبيل بن مر ابن عنقا بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب ابن مدين بن ابراهيم وان شعيبا أخوهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بابي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ماذكرنا بنو المحض ابن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي التسعة والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه

الاحرف غير ماذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما

اشبه

أشبه الدر في انتظامه والثغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه أبدع في تاليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في ارواثه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا انتقى جوهره وأجيد في انتقائه قد أينعت ثمرات فضائله فاصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التي هي في الحقيقة لآذان الجوزا شنوف فاكرم به من كتاب ما الروض بابهى من وشيه ولا الريحان باعطر من شميمه ولا المدامة بارق من هبوب نسيمه ولا الدر بأسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تامله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين قد سور على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة بالباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التي شهدها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعي * وكتب الصفدي شارح لامية العجم ما نصه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتاليف الذي لو تربا المجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا والانشاء الذي أن شاء قائله جعل الكلام غيره في هبات الهواء هبا والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذي نبا عنه الجاحظ جاحدا وماله ذكر ولا نبا فسجت جواهر حروفه لمن أوجد في هذا العصر وعلمت ان الفاظه ترمي قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت ان قعقعة طروسه اصوات اعلامه التي تخفق له بالنصر وتيقنت ان سطوره غصون لا تصل اليها كف جناية بجني ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وميلوا باعطاف التعجب انها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما ملت بعدما تمت وعزلت بعدما هزلت جردت من نفسي شخصا اخاطبه واجاريه في اوصاف محاسنها التي اناهيه منها واناهبه فقال لي هذا الفن الفذ والنثر الذي قهر اقران هذه الصناعة وبذ والادب الذي سد الطرق على اوابده فما فاته شيء ولا شذ وهذا الانشاء الذي ماله عديل في هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فالحبيب بن اوس حسن بن حبيب فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة والفوائد التي ايقظت جفن الادب بعدما كان بالساهرة ومتع الله تعالى الزمان واهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز الابض والبديع الذي رم ما شعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعاني ابكاره وافتض وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدر وارفض واستمال القلب الفظ المافك ختم ذهوله وفض انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى *(ومنهم الاديب ابو جعفر الالبيري) رفيق ابن جابر السابق ذكره وهو

يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكان وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سميناه مشاعا متصلا على ما ذكرنا وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وأن شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتت عليهم فرثت جارية بنت كلمن أباها فقالت وكانت بالحجاز

كلمن هدم ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الحتف نارا تحت ظله * كونت نارا وأضحت دار قومي مضمحله

البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

ابدت لى الصدغ على خدها * فاطلع الليل لنا صبحه
فخدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن اضحى بها جنة * يدنو لديها الآمل القاصى
حل بها العاصى ألا فاعجبوا * من جنة حل بها العاصى

وقوله

ان بين الحبيب عندى موت * وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعرى متى تشاهده العين وتقضى من اللقاء الامانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

وموردالوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف لى أودع ورده * مافى وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا فى مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا الجيد الاحسان مجليا ومنهم من عاد قبل الغاية موليا *(رجع) ومن تاليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال فى خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسماة بالحلة السيرا فى مدح خير الورى التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسى نادرة فى فنها فريدة فى حسنها تجنى ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها المعانيها ويبدى غرائب مافيها الموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل فخير الامور أوسطها والغرض مايقرب المقاصد ويضبطها فاعرب من ألفاظها كل خفى واسكت من لغاتها عن كل جلى والله اسأل أن يبلغنا ماقصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما اطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
ياطيب عيشى عند ذكرى لها * والعيش فى ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام مانصه واذا أردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

وفى ذلك يقول المنتصر ابن المنذر المدينى
ألا ياشعيب قد نطقت مقالة * ابيت بها عمرا وحى بنى عمرو
وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها
كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر
ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى
وهوز أرباب الثنية والحجر
هموقطنوا البيت الحرام ورتبوا
خطورا وساموا فى المكارم والفخر
(ولهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها عليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كتابنا هذا منبه عليها وباعث على درسها (وأما حضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة غلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل فى أنسابهم غير ماذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب بن ذى مهدم بن حضور ابن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب بن نوفل بن رعيل بن مر بن عنقا بن مدين بن ابراهيم

يادار غيرك البلى ومحاك * فاحزن فى موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور
وانظر الى قول القطامى

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء الى طلل بال ورسم خال فاحسن حين حياه ودعا له بالسلامة كالمبتهج برؤيته محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع باوفى التحية وأزكى السلامة والذى فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشعراء حيث قال

الا عم صباحا ايها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لاتوجد الا فى الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة واعلام نجد تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب بنجد قد علت ذلك الوادى
نظرت فالفيت السبيكة فضة * لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلما كستها الشمس عاد لجينها * لما ذهبا فاعجب لاكسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندى * من أليم البعاد شوق شديد
واذا ما رأيت اطفاء شوقى * بالتلاقى فذاك رأى سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز على أناسك
اخترتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك
أرسلتها طاقيـة * لتنوب فى تقبيل راسك

وله من رسالة وافى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الحباب على الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه الله تعالى فى العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم * أحدا ولو أصفى اليك ضمائره
ان الموفق من يكون كانه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه مانال ذلك سالك
أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فمالها فى الهوى مزيد
فبحر شوقى بها طويل * وبحر دمعى بها مديد

الخليل صاحب مدين المزوج اليه موسى بن عمران المقدم ذكره و بينهما مئون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران و بين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا واشتد كفرهم جد نبيهم شعيب بن ذى مهدم فى دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل اظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله ادمه ولم يكذب وعيده فاوحى الله تعالى الى نبى كان فى عصره وهو برخيا بن احيا بن روبابيل بن شاليال وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن ياتى بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم و لما اتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لى سبع ليال اوم فى نومى بما ذكرت وانادى بمجيئك الى وابشر و يقال لى ما امرتنى به وانا انتصر للنبى المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم فى جنوده وغشى ديارهم فى عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا الحرب به من حيث عم الصوت جميعهم و يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان اقوى كيدا

فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم وأخذهم السيف فحصدوا أجمعين (وقد ذكر) أن فى قصة هلاكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع فى ديارهم والموضع الذى كانوا فيه فن الناس من رأى أنهم كانوا بارض السماوة وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشام الى حد الحجاز وهى لآن ديار خراب برارى وقفار ومنهم من رأى أن ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن فى هذا الوقت مضافة الى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام (قال المسعودى) وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقى منهم مذاهب وآراء فى النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار فى هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من اخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفانى والباقى ان شاء الله تعالى

وان وجدى بها بسيط * فلفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو البعلى قال ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماة

ولى عروضى سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وانشدنا ايضا لنفسه

ولى عروضى سريع الجفا * وجدى به مثل جفاه طويل
قلت له قطعت قلبى أسى * فقال لى التقطيع دأب الخليل

انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة فى ذلك

ان صدعنى فانى لا أعاتبه * فما التنافر فى الغزلان تنقيص
شوقى مديد وحبى كامل أبدا * لاجل ذلك قلبى فيه موقوص

وأنشدنا فى ذلك أيضا

عالم بالعروض يخبن قلبى * فى مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها وورائه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الا لأن الحسن فيها وافر

وله

صدوده لى مديد * وأمر حبى طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندى الاصول
فخصره لى خفيف * و ردفه لى ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساقى
حى العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
يا حسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

وأورد له أيضا

يا حسن ليلتنا التى قد زارنى * فيها فانجز ما مضى من وعده
قوّمت شمس جماله فوجدتها * فى عقرب الصدغ الذى فى خده

*(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هى التى يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبى * بالحاظ وأحداق

له الثلثان من قلبي * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث ما يبقى * وباقى الثلث للساقى
وتبقى اسهم ست * تقسم بين عشاق

قال ما نصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان وبقى من الثلث واحد اعطاه للساقى فبقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقى سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه يا قوم حالى * ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه

وأنشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وأنشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا اقتضت أشكال حسن * تقتضى أن ابيع قلبى بنظره

وانشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط فى الصدغ واو ريحان
ومد من حسن قده الفا * أوقف عينى وقوف حيران

وانشد له ايضا

الف ابن مقلة فى الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من * خيلانه نقطا لجلب فنون
يا للازجان و يا للهامن فتنة * فى وضع ذلك النقط تحت النون

وأورد له فى ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خد عليه رقاع الروض قد جعلت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطرا فغضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى عن هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
اقسمت بالمصحف الشامى وأحرفه * ما مر بالبال يوما عنك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

تنازع الناس فى كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس فى الدم لا غير وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرء منه نفسه ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا قال تابط شرا خاله الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لحته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن فى حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقى اليبس والبرد ونفيت الحرارة قال ابن براق من كلمة

وكم لاقيت ذا حب شديد
تسيل به النفوس على الصدور
اذا الحرب العوان به استهامت
وحال فذلك يوم قطرير

(وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط فى جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا اليه فى صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا وفى ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء

يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبدا تتوحش وتصدح وتوجد أبدا في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أمية لبنيه

هامتي تخبرني بما تستشعر فتجنبوا الشنعاء والمكروها

(وفي ذلك يقول في الاسلام توبة في ليلى الاخيلية)

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت على ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ماروى عن حاتم طي مما سنورد خبره في هذا الكتاب

اتيت لصحبك تبغي القرى لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر في اخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير في اشعارهم

وانشد له

ياصاحب المال الم تستمع * لقوله ما عندكم ينفد

فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا انت به مخلد

وله

ان شئت أن تجد العدو وقد غدا * لك صاحبا يولي الجميل ويحسن

فاعمل كما قال الخبير بخلقه * في قوله ادفع بالتي هي احسن

وله

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله

وتصديق ذلك في قوله * ومن يتق الله يجعل له

واورد له ايضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر

انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير في اشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين

دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * تخفف من لا يكون له حياء

فقد قال الرسول بان مما * به نطق الكرام الانبياء

اذا ما انت لم تستحي فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء

وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده

فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لاشك في سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدي

ان البراعة لفظ انت معناه * وكل شيء بديع انت مغناه

انشاد نظمك اشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهي طويلة فاجابه الصفدي بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا باللآلي في هداياه

خصصتني بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه

من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان في زواياه

وهي طويلة *(رجع) الى نظم ابي جعفر فمن ذلك قوله

تريك قدا على ردف تجاذبه * كجوطة فى كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل فى ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت
عقد بهما الفاظ قول امرئ القيس
اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصباجاءت بريا القرنفل
واورد له قوله
ولولا نجاء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق فى الركب محرم
ففوق ذرى المتنين برد مهلهل * وتحت رداء الخز وجه معلم
عقد فى الاول قول ابن الخطيم
ديار التى كنا ونحن على منى * تحوط بنا لولا نجاء الركائب
وعقد فى الثانى قول ابن أخى ربيعة
أماطت رداء الخز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهلهلا
وأورد له قوله
ان ادعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته
ان الجلالة حقا للقول له * هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
وقوله
من منصفى ياقوم من ظبية * تسرف فى هجرى وتأبى الوصال
وكلما أسأل عن عذرها * تقول لى ماكل عذر يقال
وقوله
هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار
وهاجر عندما هجروا فاضحى * لخيمة أم معبد الغفار
وقوله
بحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك للناس الخطوب
ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ماقاله الرجل الاريب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
وقوله
خليلى هذا قبر أشرف مرسل * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
رويدكما نبكى الذنوب التى خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصابى فاقفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل
قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السفط وقال قبله انه أخذ اعجاز هذه القصيدة من أولها الى آخرها على التوالى وصنع اصدورا وصرفها الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فجاء فى ذلك بمالم يسبق اليه ولم يقف أحد فى تلك المعانى على ماوقف عليه انتهى وقوله
كم ليال خلت بكم كاللآلى * نظمتها لنا يد الازمان

من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الارواح قد أتينا على مبسوطه ذلك فى كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

(ذكر أقاويل العرب فى الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب)

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار ظريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تأبط شرا
وأدهم قد جبت جلبابه
كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فاصبحت والغول لى جارة
فياجارتى أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت
بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتى
فان لها باللوى منزلا
ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون
يارجل عنز انهقى نهيقا
لن تنزلى السبسب والطريقا
وذلك أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار فيتوهمون أنها انسان فيتبعونه فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم

أيها النازحون عن رأى عينى * وهم فى جوانحى وجنانى
ما التذ الوصال بعد التنائى * وامر الفراق بعد التدانى
قد وكلنا لكل رب كريم * غيروان عن عبده فى أوان
ما رحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلونات الزمان

وقوله

تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجديه ملاك لمستعدى
دروب على الحسنى عفو لمن جنى * منيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ يهدى

وقوله

غزال ما توسد ظل بان * بهاجرة ولا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف * وبجزم القلوب فرعيه جرا
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * باه درا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * اسدى الينا من أيادى
قد زانها بحلى البلا * غة مفصحا فى كل نادى
قد قر فى بطن الثرى * متفردا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس ويلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام فخام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل فى فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا ساقيتها أزال جنبها[٣] ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ما ألف
عانقته فكأننى * لام معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لا تعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم

يكونوا يزولون عما كانوا ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وأن ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الحمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد

[٣] قوله الا ساقيتها الخ كذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى انتهى من هامش

فالسين من طرتى واللام مع ألف * من عارضى وهذا الميم ميم فى

وقال رحمه الله تعالى

لا يقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادى أنى * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه مانصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسد صلى الله عليه وسلم خاتمه وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وماسبق من هذر كلمه فمحت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهى حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده ان بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله ان لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كر العذار بوجنتيه * كما كر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضر بك الهوى * فاجبتهم يا ليتنى لم أعشق
قالوا سبقت الى محبة حسنه * فاجبتهم مافاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعترض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى الا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب وحالفنى الوحوش على الوفاء

وتحت عهودهن وبالبعاد
وغولا قفرة ذكرا وأنثى
كأن عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابى

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون فى أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب فى هذا المعنى وأن كل كوكب يظهر فى صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث فى هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أى رفيقة * لصاحب قفر خائف وهو معبر أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهر

فلما أن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

قال ما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء فى سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد فى حلاوته مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما فى الحسن مالهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن الوافية فما سلما من عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالى ليالى الخير فى اضم * والقوم قد بلغوا اقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالى التى تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالى الخير فى أضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا اقصى مرادهم فى ذلك الحرم *(ومن الراحلين الولى الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسى) وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجانسى نسبة الى بجانس قرية من قرى وادى آش وكان رحمه الله تعالى اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العباس احمد بن ابراهيم بن يحيى الازدى القشتالى فى تاليفه الذى سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لانقياد للمولى سراوعلانا وزهدوا فى الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا وانتدبوا لقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التاليف المذكور سالت الشيخ أبا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت ياسيدى لم تكن قرات ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للشرق ولا سافرت مع عالم تقتدى ببركته فى هذا الطريق فقال لى أقام الله تعالى من باطنى شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لى أمر نظرت فى خاطرى فيخطر لى خاطران فى ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فاذا وصلت الى اقرب بلد سالت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاساله عن ذلك فكان يذكر لى المحمود محمودا والمذموم مذموما فاحمد الله تعالى ان وفقنى ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم اعتمد على ما يقع بخاطرى من الامور الشرعية الى الآن حتى اسال عنه من حضر من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله فى حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم خواطر بق الحق فحماهم ونور بصائرهم فاصمهم عن الباطل واعماهم واهانوا فى رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما احسن قوله فى التاليف المذكور ياهذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن اخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى *(ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقى) نزيل القاهرة وهو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه المغرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الادريسى الصقلى وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية فى مقصده انتهى وقد كررت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع فليراجع

بيت بسعلاة وغول بقفرة اذا الليل وارى الجن فيه أرنت
(وقد وصفها بعضهم فقال)
بحافر العنز فى ساق مدملجة وجفن عين خلاف الانس بالطول
(وللناس) كلام كثير فى الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر فى اكناف اليمن واتهائم وأعالى صعيد مصر وانه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا اصاب الانسان ذلك منه يقول له اهل تلك النواحى التى سمينا امنكوح هو أم مذعور فان قالوا امنكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وما ذكرنا مشهور فى البلاد التى سميناو يمكن جمع ما قلنا مما حكيناه مما ذكرنا من هذه البقاع التى يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة اوغير ذلك من الآفات

قليراجع وكان ابن البيطار اوحد زمانه في معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه في الادوية والحشائش وجعله في الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان حظيا عنده الى أن توفي بشعبان سنة ٦٤٦ التي توفي بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع في الادوية المفردة وكتاب المغني ايضا في الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواص الغريبة وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبي انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه وتوفي بدمشق انتهى * (ومنهم الشيخ أبو الحسن على ابن محمد بن محمد بن على القرشي البسطي) الشهير بالقلصادي بفتحات كما قال السخاوي الصالح الرحلة المؤلف الفرضي آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الاندلس وأكثر تصانيفه في الحساب والفرائض كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن البناء والحوفي وكفاه فخرا أن الامام السنوسي صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته وأصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطي وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فأخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضي أبي الفضل قاسم العقباني وأبي العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقي بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشاني وحلولو وغيرهم ثم حج ولقي أعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ما حل فتحيل في خلاصه من الشرك وارتحل ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدت به الرحلة الى أن وافته منيته بباجة افريقية منتصف ذي الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتأليف ومن تآليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام في شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبي وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضروري وشرح ايساغوجي في المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزي وشرح رجز الشراز في الفرائض الذي أوله

بحمد خير الوارثين أبتدي * وبالسراج النبوي أهتدي

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبي عمرو بن منظور في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن بري ورجز شيخه أبي اسحق بن فتوح في النجوم الذي أوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لا تخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة في السياسة العامة والخاصة وهداية النظار في تحفة الاحكام والاسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار والتبصرة وقانون الحساب في قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان

والادواء المعترضة بجنس الحيوان من الناطقين والله اعلم بكيفية ذلك

ولم نذكر في هذا الكتاب ماذكره اهل الشرائع وما ذكره اهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وان الجان غشيها فحملت منه وانها باضت احدى وثلاثين بيضة وان بيضة تفلقت من تلك البيض عن قطربة وهي ام القطارب وان القطربة على صورة الهرة وان الابالس من بيضة اخرى منهم الحرث ابو مرة وان مسكنهم الجزائر وان الغيلان من بيضة اخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وان السعالي من بيضة اخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات اجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة اخرى الجماميص لانا قد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واتينا على ذكر انسابهم والمشهور من اسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره اهل الشرع مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص

للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية فى الفرائض وغنية النجاة وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقبانى ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد فى النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجى وملحة الحريرى والخزرجية ومختصر فى العروض وغير ذلك واخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويرى وأبى القاسم النويرى والعلامة الجلال المحلى والتقى الشمنى وأبى الفتح المراغى وغيرهم حسبما ذكر ذلك فى رحلته الشهيرة وهى حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من احوالهم رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله الراعى وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسى الغرناطى) ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشابها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسى وسمع على أبى بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافرى ابن الدب ويعرف بابن أبى عامر والخطيب أبى عبد الله محمد بن على بن الحفار ومحمد بن عبد الملك ابن على القيسى المنتورى صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية باخذه لها عن الخطيب أبى جعفر احمد بن محمد بن سالم الجذامى عن القاضى أبى عبد الله محمد ابن ابراهيم الحضرمى عن مؤلفها أبى عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين فى حصر حال الوارثين للقاضى أبى بكر بن عبد الله بن يحيى ابن زكريا الانصارى باخذه لها عن مؤلفها واجازله ابو الحسن على بن عبد الله بن الحسن الجذامى والقاضى أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن ابن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندرى والزين أبو بكر المراغى والزين محمد الطبرى وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسى فى آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولى وابن الجزرى والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما فى العربية بل هى كانت فنه الذى اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوى كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه فى مقدمة كتاب صنفه فى نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشئ نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعى وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل * لذى الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء فى وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف ان يورد جميع ما قاله اهل الفرق فى معنى ما ذكرناه وابينا ايضا على سائر ما خبرنا من الاشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وما قالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى اصول الديانات وبالله التوفيق

(ذكر قول العرب فى الهواتف والجان)

فاما الهواتف فقد كثرت فى العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أوليه مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتفرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمروراة الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص واوهمته المحال وكان

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسى أضر بآخره ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر فى حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أفكر فى موتى و بعد فضيحتى * فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
وتبكى دماعينى وحق لها البكى * على سوء أفعالى وقلة حيلتى
وقد ذابت اكبادى عناء وحسرة * على بعد أوطانى وفقد أحبتى
فمالى الا الله ارجوه دائما * ولا سيما عند اقتراب منيتى
فنسأل ربى فى وفاتى مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوى ومما كتبته عنه

ألفيته حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود نخلتها * درا تناثر فى عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعى الملوك راعى الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والا تفارق وتلق الندم
فهذا مقالى فاتسمعوا * نصيحة حبر من اهل الحكم
اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لا يجهل * ولاهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ماقاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى ان يخذلوا

وممن حدث عنه الراعى الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعى ومن تآليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك فى كراريس أربعة حسن فى موضوعه وله النوازل النحوية فى عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رائقة تكلم معه فى بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمسانى وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له فى صغره حكاية دلت على نبله وهى انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسالهم عمن كان وراء امام فحدث للامام عذر وذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم قدموه فيما بقى فهل تصح صلاتهم ام لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك فى شرحه للاجرومية الذى سماه بعنوان الافادة فى باب النعت اذ قال مانصه كنت جالسا بمسجد قيسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن على بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذ ذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزأ من صلاة ثم غلب عليه

بحث وما يعرض لذوى الوسواس وقطب ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوى او طريق مستقيم سليم لان المنفرد فى القفار والمتوحد فى المرورات مستشعر للمخاوف متوهم للتالف متوقع للحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها فى نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها فى اسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن امية ابن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه انه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بحط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى اوصاف ذكرها فقال

علقم انى مقتول
وان لحمى ما كول
اضربهم بالمذلول
ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالى ولك
اغمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين وهذا مشهور عندهم وان علقمة بن صفوان قتلته الجن (وذكروا) عن الجن

بيتين من الشعر قالتهما في حرب بن امية حين قتلته الجن وهما وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزأ من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوي فقال هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ثم طالبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولي الذكا والعلم والطعميه
ما كلمات أربع نحويه * جمعن في حرفين للاحجيه

يعني فعل الامر للواحد من وأى يئى اذا أضمر فانك تقول فيه ايازيد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل او نقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك أيضا

في أي لفظ يا نحاة الملة * حركة قامت مقام الجمله

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن فوائده قوله حكى لي بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليها المالكية ويقولون له أنت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال فان قلتم يا مالكية لسنا مالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل في مالك قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفاء مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان بحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه مالكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية مالكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الالفية في الكلام عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير لا يزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين ويرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شئ من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشئ وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رحمه الله تعالى ورضي عنه عنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير في بعض ما يحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد جمة

* (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى

واستدلوا على ان هذا من قول الجن بان احدا من الناس لم يتأت له ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في انشادها الان الناس قد ينشدون العشر بيتا والاكثر والاقل اشد من هذا الشعر واثقل منه ولا يتتعتعون فيه (وممن قتلته) الجن مرداس السلمي وهو ابو عباس ابن مرداس السلمي ومنهم الغريض المغني بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته ان يغني بابيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن علي بن حرب عن ابي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الطائي قال رأيت قبر حاتم طيئ ببيعة وهو اعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره اربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك

قاضي

قاضى الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الازرق قال السخاوى انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح مفتى غرناطة فى النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل انتفاعه به وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السرقسطى العالم الزاهد مفتيها أيضا فى الفقه ومجالس الخطيب أبى الفرج عبد الله بن أحمد البقنى والشهاب قاضى الجماعة بغرناطة أبى العباس احمد بن ابى يحيى بن شرف التلمسانى انتهى وله رحمه الله تعالى تآليف منها بدائع السلك فى طبائع الملك كتاب حسن مفيد فى موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف فى فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره مما يكتب فى سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضى
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلى الماضى

ومن انشائه فى التأليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم ابن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا وترحيبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما خاص له تحقيقه ووضح له فى معيار الاختبار تدقيقه والا فقد كان ما يلقيه غاية ما يحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتحصل انتهى وهو يدل على ما لكته فى الاشياء ويحقق ما يحصله الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغى الامساك عن البحث لئلا يفضى الحال الى ما ينهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ فى بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وإنما أخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعى وابن القاسم وأشهب مالكا فى كثير من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعى وقال لا أحد أمن على من مالك وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته فى عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك فى أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغى للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذى وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما أنشد ابن الازرق المذكور فى كتابه روضة الاعلام قول القائل فى مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدؤلى * عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو على وكذا * ختم النحو ابن عصفور على

قال بعد ما نصه على أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق الوادى آشى رحمه الله تعالى قد قال فيما ادافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق أبى الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع فى ذلك ما شاء لما تضمن من التورية

بضائع ابن الضائع المندب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

والجوارى بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن فى منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن وربما المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهرى قال حدثنا على قال أنبأنى عبد الرحمن بن يحيى المنذرى عن أبى المنذر هشام الكلبى قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابى هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البحترى مر فى نفر من قومه بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه فبات أبو البحترى يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال له قومه مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط الا قراه وناموا فانتبه صائحا واراحلتاه فقال له أصحابه ما بدا لك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتى قالوا له كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم منجدلة لا تنبعث فقالوا له والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال أيكم أبو البحترى فقال أبو البحترى أنا ذاك قال أنا عدى بن حاتم وان حاتما جاءنى الليلة فى النوم

فطـرت عقـابا كاسرا أوماترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور

انتهـى وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل فى شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازى على هـذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شـفاء العليل بالعين قلت يبعـد ذلك أن جماعة من تلامذته الا كابر كالوادى آشى وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبـان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدرى هل أكمله أم لا الا ان تقـديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها فى أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر فى شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجـدد الكلام فى غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقـدس فتولاه بنزاهة وصـيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة خمس وتسعين وثمـانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل فى تاريخ القـدس والخليل فليراجع فانه طال عهـدى به ومن بارع نظـمه رحمه الله تعالى قوله فى المحببات

ورب محبوبة تبـدّت * كانها الشمس فى حلاها

فاعجب لحال الانام من قد * أحبهـا منهـم قـلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذرى فى هذا الدخان الذى * جاور دارى واضح فى البيان

قـد قلتم ان بهـا زخرفا * ولا يلى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيـع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل

حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة * لتعـلم أن النبت فى الروض باقل

وقوله

وقائلة صف لى ربيـع محاسـنا * فقلت وعنـدى للـكلام بدار

همى ببطاح الارض صوب من الحيا * فللنبت فى وجـه الزمان عـذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد فى * سـنى وجنـة نبتهـا بارض

ولم لا يرى وردهـا يانعـا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لى ودموع العـين واكفة * ما أفظع البـين والترحال يا ولدى

ونحـن نزول وراء هـذا الجبل فذكر شتمك اياه وانه قرا أصحابك براحلتك وأنشد

أبا البخترى لأنت امرؤ
ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى
لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الرم عند المبيت
وحولك طى وانعامها
فانا سنشبع أضيافنا
ونأتى المطى فنعتامها

وقد أمرنى أن احملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفانى فى مدحه عدى ابن حاتم حيث يقول

ابوك ابو سباقة الخير لم يزل
لدن شب حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر ميتا
وكان له اذ ذاك حيا مصاحبا
قرى قبره الاضـياف اذ نزلوا به
ولم يقـر قبر قبـله الدهـر راكبا

(وحـدّث) أبو محـمد بن الحسن بن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافـدا عـلى بعض ملوك بنى امية قال فسرت فى ليلة ضحيا كيـة حالكة كأن السمـاء قـد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضلت الطريق فتوحت واديا لا اعرفـه فاهمتنى نفسى بطرحها حـتى - فقلت

فقلت أين السري قالت لرحمة من * قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما ألفيته بخط قاضي الجماعة أبي عبد الله بن الازرق عن علي رضي الله تعالى عنه من أراد أن يطوّل الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا انيل الرزق ومارادا باباسط باجواد ياعلي في عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لي رزقك وسخر لي خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحي القيوم القوي القادر الولي الناصر الغالب الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادي يا حق يا مبين افتح لي فتحا تنور به قلبي وتشرح به صدري واهدني الى طريق ترضاه وبين لي أمري وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى موريا

من تكن صنعته الانشاء لا * ينكر الرزق لاقصى العمر
ولو استعلى على السبع الدرا * ري بما في فيه من درر
فأنا الكاتب لكن لو بما * ع الى العتق لكنت المشتري

هكذا رأيت نسبتها اليه ولنختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يا لائمين على الهوى * فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومن لي بقلب تلتظي فيه زفرة * ومن لي بجفن تهمي منه أدمع
رويدك فارقب للطائف موضعا * وخل الذي من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * ويا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لمحة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجاله * فسوف تراه في غد عنك يرفع
وكن راجعا لله في كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين في قصدهم اليها بنور الهداية المضيء المشرق والاكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق والمغرين برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق

أعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم

الصباح فلم آمن عريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادي من شره وأستجيره في طريقي هذا وأسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادي

تيامن تجاهك تلق الكلا * تسير وتأمن في المسالك

قال فتوجهت حيث أشار الي وقد أمنت بعض الامن فاذا انا باقباس نار تلمع أمامي في خلالها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت بأوصال وهو ماء لكلاب يقارب برية دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

(ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك)

تنازع الناس في القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه او واحد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى ان في الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك والى آخرون ما وصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون في حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون في غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق

ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس أمنيته * (فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر) الذى يقال انه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنيذر الافريقى له صحبة وسكن أفريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الحبلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليمانى وذكر الحجارى انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقى وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى فى تاريخه الكبير اذ قال أبو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فادخله الجنة كذا ذكره البخارى بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليمانى امام من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا (ومن التابعين الداخلين الاندلس اميرها موسى بن نصير) وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية * (ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى) وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على ويقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فاتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور افريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا فى آية نظر فى المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصيح باهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الاذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يرو عن حنش الشاميون وانما روى عنه

مالل عرب وما تفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها فى الاغلب من الامور وليس هو موجودا فى سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك فى بعض الامم كوجود ذلك فى الافرنجة وما جانسها من هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذى قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفا ويمكن ان يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا فى الامكان خارجا من باب الممتنع فيكون الزجر والفال شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النمط

عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تأتى الله تعالى وسيفك حليته حديد فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به فى وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش ولعله الصواب لا ما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفى تاريخ ابن الفرضى أبى الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذى أسس جامعها وبها مات وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربى المدينة وفى تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذى هو فخر الاندلس * (ومن التابعين الداخلين للاندلس أبو عبد الله على بن رباح اللخمى) ذكر ابن يونس فى تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السوارى فى البحر مع عبد الله بن سعيد سنة أربع وثلاثين وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذى زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم عتبت عليه عبد العزيز فاغزاه أفريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفى بها ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون على بن رباح بفتح العين وأما أهل العراق فعلى بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين فى الباب الثانى وقال ابنه موسى بن على من قال لى موسى بن على بالتصغير لم أجعله فى حل (ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الحبلى) قال ابن بشكوال انه يروى عن أبى أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخارى فى تاريخه الكبير انه يعد فى المصريين وذكر ابن يونس فى تاريخ المغرب انه توفى بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفى بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله تعالى أعلم بحقيقة الامر فى ذلك (ومن الداخلين من التابعين حيان بن ابى جبلة) ذكر ابن بشكوال انه مولى قريش ويكنى أبا النضر وذكره أبو العرب محمد بن تميم فى تاريخ افريقية وقال حدثنى فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز ارسل عشرة من التابعين يفقهون أهل أفريقية منهم حيان بن ابى جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ويقال توفى بافريقية سنة اثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضى انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفى به قال وقال لنا ابو محمد الثغرى بين قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مرية ذكر أن فيها سبع سوارى فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحزم الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقله ابن سعيد عمن ذكر والله تعالى أعلم * (ومن الداخلين من التابعين فيما ذكر المغيرة بن أبى بردة نشيط بن كنانة العذرى) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ويروى عنه مالك فى موطئه وذكره البخارى فى تاريخه الكبير وفى

من أهل البحث والتنقير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالى واصل ذلك ان الاشكال انفصلت فى صورة أنسابها باشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لما به ضربت الفواصل اضرابها فى وحيدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من التغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شئ فى حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل اباته من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت اوحاد الاشخاص المنفصلة فى الهيئة وتغير الغير من اغياره ولذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى فى المرائى لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع وشملها المادة فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حد ان مشترك كان وانما ضمه ضرب من ضروب البحث والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظر فى

كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر *(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمى) ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضى الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال فى مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبى الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار فى موضع آخر ما صورته رجاء بن حيوة مذكور فى الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفى ذلك عندى نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر فى ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهرى) من خيار التابعين ذكره ابن حبيب فى الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبدالله بن سماسة الفهرى) ذكر ابن بشكوال انه مضرى وأن البخارى ذكره فى تاريخه (ومنهم عبدالجبار بن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى) جده عبدالرحمن أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال فى الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم منصور بن خزامة فيما يذكر) قال ابن بشكوال قرأت فى كتاب روايات الشيخ أبى عبدالله ابن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبدالرحمن الناصر رضى الله تعالى عنه فى بعض كتبه المختزنة انه قال طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة فذكر انه منصور بن خزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضى الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن خزامة أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس فى سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ورحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشج العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من نمط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبى الحسن على بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بابى الدنيا وأنه كان معمرا مشهورا بصحبة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضى الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر وهو ولى عهد وساله أبو بكر ابن القوطية عن مغازى على وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره فى كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال مائن جاهل فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد فى كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التميمى انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده فى نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة أو أربعة كما المعنا به فى غير هذا الموضع والله تعالى أعلم (ومن الداخلين الى الاندلس مغيث

الا غلب بصيره من حيث ساويهما من حيث ذكرنا فى قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين ويجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه فى كنه أفعاله وباينه فى سائر شكله فى الاغلب لوافقه فى القدم لان النسل لا بدله من تخصيص قوته بشئ يميزه من غيره يشبه من سواه ولذلك وجدوا الطول فى ازدشنواة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلظ فى الروم وأصحاب الجمال فى الاكثر من أهل الشام وأوباش مصر واللؤم فى الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللؤم على الطعام باصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف فى السودان والطرب فى الزنج خاصة وهذا الذى وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد قصصناه هذا الشأن على ماله فى كتبنا فى الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية فى كتبنا فى الصور السبعة فى أنواع السياسات المدنية على من

فاتح قرطبة) وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجارى انه رومى زاد الحجارى وليس برومى على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى سبى من الروم بالمشرق وهو صغير فادبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وانجب فى الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا فى قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على مافى طريقهما من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى ابن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما الى الاندلس وانسل بقرطبة البيت المذكور وفى المسهب انه فتح قرطبة فى شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التى تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر فى محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجارى انه تادب بدمشق مع بنى عبد الملك فافصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب وأخذ نفسه بالاقدام فى مضايق الحروب حتى تخرج فى ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذى فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأى والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسره ملكها الذى لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه أمانا ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجارى انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بينهن بدر بين نجوم وهى تكثر التعرض له بجمالها فوكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقر بما عزمت عليه فى شان مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر فى شانه فاقرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية فى صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق فى شان سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا فى تولية طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أى قبلة شاء لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا فعملت هذه المكيدة فى نفس سليمان وبداله فى ولايته ولقيه بعد ذلك طارق فقال له ليتك وصفت أهل الاندلس بعصيانى ولم تضمر فى الطاعة ما أضمرت فقال مغيث ليتك تركت لى العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن ياخذ منه ملك قرطبة الذى حصل فى يده فلم يمكنه منه فاغرى به سيده موسى ابن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفى يده عظيم من عظماء الاندلس وليس فى أيدينا مثله فاى فضل يكون لنا عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ فى اذايته عند سليمان وذكر الحجارى فى المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفى منه هنا قوله

زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة وأن النور فيه غريب مختار وان ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وان النور والظلمة قديمان وانهما لا يريان الا غير ممتزجين وان الاشياء لا تعمل الا فى جوهرهما ثم امتزجا من تلقاء انفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبى المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته تولد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التى ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة وان الله عزوجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوى عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذى أرسله وان المسيح انسان واله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد اتينا على جمل من متناقضات أهل الآراء فى اثناء ما تقدم من كتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقرى عن العتبى

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لساني كالمفصل ما أكعه الا حيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فأعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فقدم معه فوجدوا الوليد قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك *(ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل أشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بأمرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر واليا على الاندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه أفريقية فهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي (ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني) ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قالوا وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان أن قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعد ما استأذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب أفريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فاين ذا من ذاك والله تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم

قال وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم إذ سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شأنها فأنكر ذلك عبيد الراعي ولم يتنبه له أصحابه فقال عبيد

ألم تدر ما قال الظباء السوانح * أصفن أمام الركب والركب رائح

فكبر من لم يعرف الزجر منهم * وأيقن قلبي أنهن نوائح

ثم ساروا فقصدهم فالفوا الرئيس قد نهشته أفعى فأتت عليه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء في حالة رجوعها ووصف الحال الأول في شعره كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر عبيد الراعي في شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبني اسد والقيافة لبني مدلج وأحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بني نزار الاربعة في مسيرهم نحو الافعى الجرهمي ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة فمن هنالك تفرقت القيافة من احياء مضر على حسب ما تغلغل في العروق ونزع واهل العروق

مثل

مثل هذا في غزوة السمع فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفي رواية سنتين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولي الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب أفريقية وكان قدومه الاندلس في صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفي في شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذكر ابن حيان انه في أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فعاب على العلوج طول الفرار واذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثار ودافع عن ارضه ومن وقته اخذ نصارى الاندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بايديهم من ارضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك وقيل انه لم يبق بارض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج ومات اصحابه جوعا الى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة وما لهم عيش الا من عسل النحل في جباح معهم في خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا يخفى * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى وهي كانت سرير السلطنة لعنبسة اه * قال ابن حيان والحجاري انه لما استشهد عنبسة قدم اهل الاندلس عليهم عذرة بن عبد الله الفهري ولم يعده ابن بشكوال في سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب أفريقية اولهم يحيى بن سلمة وذكر الحجاري ان عذرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عذرة هو الذي استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفي عقبه بوادي آش من مملكة غرناطة نباهة وادب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ومجد مؤثل وكان سرير سلطنة عذرة قرطبة * وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية اذ استدعى منه اهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها في شوال سنة سبع ومائة واقام عليهم سنة وستة اشهر ولم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وتولى بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب أفريقية في شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولي بعده حذيفة بن الاحوص القيسي قال ابن بشكوال وأتى اليها واليا من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفي ابن أبي نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة * وولي بعده الاندلس الهيثم بن عدي الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوافى الاندلس في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولي

الكهن واهل الجبال أنوف وبارض الحفاء وهي بلاد الرمل من بلاد مصر وارض الشام في تلك الاراضي يتناول الانسان من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطئون وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم (ورأيت) بهذه الارض اناسا قد رتبهم ولاة المنازل يطوفون في هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم من طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما شاهد وأبصارهم سليمة والآفات عنهم مرتفعة والموانع زائلة ولولا أن هنالك لطيفة لا تتساوي

سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولي بعده محمد بن عبد الله الاشجعي قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب أفريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولي الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهري وذكر الحجاري أن من نسله بني القاسم أصحاب البونت وبني الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما في سيرته جائرا في حكومته وغزا أرض البشكنس فاوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولي عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا أدري أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن رحل بلج بن بشر باهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقام شلوه على جذعه الى أن سرقته مواليه بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولي ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهري استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولي ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التي قبلها فاقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة فاقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ باقصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبصره عيوب دينه فاسلم على يده ألفا رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازي فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على انفسهم عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفي في صفر سنة ١٢٣ وسريره قرطبة (ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري) قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته وعيثهم في الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن أفريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيري ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش البلاد التي صار عليها سبعون الفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربري المدعي للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ بسبتة وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فاوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من فل أهل الشام بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات

الجبال والقفار والدهاس أزجروا أعرف (وقد ذهب) قوم من أهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الحكم بالقيافة استدلالا على شرف القيافة وعظم خطرها وكبر محلها وتحقيق فضلها تعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه مجززا المدلجي وقد أنكر جماعة من فقهاء الامصار ممن سلف وخالف الحكم بالقيافة والدليل على فساد الحكم بها الحاق النبي صلى الله عليه وسلم الولد بابيه حين شك فيه لعدم التشابه فقال يا رسول الله ان امرأتي وضعت غلاما وانه لأسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقربا الى فهمه وقصدا منه لفساد علته التي قصدها وشك فيه هل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أين ذلك قال لعل عرقا نزع وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن سحماء ان جاءت به على النعت المكروه فهو للذي رميت به فلما جاءت به على النعت المكروه ووجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لي ولها

و بلغوا

وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت أن برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يأتي منهم مالقي العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم يرأجدى من الاستمداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقد مات عمه كلثوم في ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر هزمهم الى افريقية وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا اصعب فيه المقام الى أن كانت الدائرة على البربر فقتلتهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت هممهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى أفريقية فتعللوا عليه وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه في قتل ابن قطن فابى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فاخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة فجعلوا يسبونه ويقولون له أفلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا الا كل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ماخلع قد هربا وحشدا الطلب الثأر واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند وكان في أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ماصنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمي صاحب أربونة وكان فارس الاندلس في وقته فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون وبلج قد استعد لهم في مقدار اثنى عشر ألف سوى عبيد له كثيرة واتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي أروني بلجا فوالله لاقتلنه أو لاموتن دونه فأشاروا اليه نحوه فحمل باهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بايام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسيرة قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى

شأن فالحق الولد مع عدم الشبه هنالك ولم يلحق بالشبه ههنا ولم يجعله حكما وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام وانا ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر في معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وماذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة في الاحاطة بسياسة العالم واسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

(ذكر الكهانة وماقيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة)

تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ماتريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهي الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما

الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج تقدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم باحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فآل أمرهم معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى ان حضر عيد تشاغلوا به فابصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا واغترارا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبي ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فاقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار وكان ابيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فتجهمه أبو الخطار وأغلظ له فرد الصميل عليه فامر به أبو الخطار فاقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك متعصبين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث على فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا عما تريد فانا وأينا نتبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يواليك على أمر ينفعك وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عنده ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي وكان من اشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل الا تتكلم فقال اتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي قال ان عدوت اتيان أبي عطاء وشتت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا وان أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بينكما وحركته الحمية لك فاجابك الى ما تريد فقال له الصميل أصبت الرأي وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي وعمد الى ثوابة بن يزيد الجذامي أحد أشراف اليمن وساداتهم وكان ساكنا بمورور وقد استفسد اليه أبو الخطار فاجابهما في القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شذونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادي لكة وحصل اسيرا في أيديهم فارادوا

قتله

كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها الا انها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت الا كان فيها كاهنة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأويس الثاني وهما هرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا

قتله ثم أرجؤه و أوثقوه وأقبلوا به الى قرطبة وذلك فى رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبى الخطار بسنتين ولما سجن أبو الخطار فى قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبى فاقبل الى قرطبة ليلا فى ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه ومضوا به الى غرب الاندلس فعاد فى طلب سلطانه ودب فى يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح باعلى صوته يامعشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحرب وتردون المنايا عن أبى الخطار أليس قد قدرنا عليه فلو أردنا قتله لفعلنا لكننا مننا وعفونا وجعلنا الامير منكم أفلا تفكرون فى أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحربكم ولكن تحرجا من الدماء ورغبة فى عاقبة العامة فتسامع الناس به وقالوا اصدق فتداعوا للرحيل ليلا فما أصبحوا الا على أميال قال الرازى ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم سنة ١٢٥ وفى كتاب أبى الوليد بن الفرضى كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط فى التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسخط قيسا فثار به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولى الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامى قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بامره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس وأقام واليا سنة أونحوها ثم هلك وفى كتاب ابن الفرضى انه ولى سنتين ثم ولى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وبانى القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ولهذا البيت فى السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازى أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبى عبيدة الفهرى عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فسادبها قال الرازى كان يوسف يوم ولى الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم ثوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشى رضى به الحيان فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فاجابوا دعوته فادى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا

شديدا وشهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لاتعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحى الفلكى وأن ذلك فى المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما ماعداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت فى عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك فى القرانات الكبار (وذهب) كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها فى انتخاب المعانى اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين

وهما النفس والجسد ووجدنا الجسد مواتا لا حركة له ولا حس الا بالنفس وكان الميت لا يعلم سببا ولا يؤديه

بالايدي وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة في اليمانية في بعض الايام فامر بتحريك أهل الصناعات باسواق قرطبة فخرجوا في نحو أربعمائة رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصي ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يدا لقتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فابادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجيء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه في ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المراونية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولي عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي وجده شمر هو قاتل الحسين رضي الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس في طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المرواني في سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الاندلس ووالي ثغر أربونة وكان ذا باس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو في تدبير غزو يوسف اذا غتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري فخرج له وأنزله على أمان في سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق في اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه في كورة سرقسطة الحباب الزهري الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن ابن معاوية المرواني الى الاندلس وسعيه في افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل) وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بايديهم واستقر قدمهم في الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان في المقتبس انه لما وقع الاختلال في دولة بني أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل في فراره منتقلا باهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة فما حكي عنه انه قال اني لجالس يوما في تلك القرية في ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها اذ دخل الصبي من باب البيت فازعا باكيا فاهوى الى حجري فجعلت أدفعه لما كان بي ويأبى الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لانظر فاذا بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة وأخ لي حدث السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجاء يا أخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي على دنانير تناولتها ونجوت بنفسي والصبي أخي معي وأعلمت أخواتي بمتوجهي ومكان مقصدي وأمرتهن أن يلحقنني

فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الحسية والنفس البراعية والنفس المجلية ومنها ماقوته في الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدي الانسان الى استخراج الغيب وعلم الآتية وكانت فيه فتنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس في غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها في دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هرماس وظريفة الكاهنة وعمران أخي عمرو مزيقيا وخارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (وأما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدي والاجلح الزهري وعروة بن زيد الازدي ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذي قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفياني وكصاحب المستنير وكان في نهاية التقدم

ومولاي

ومولاي بدر معهن وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية فما كان الا ساعة حتى أقبلت الخيل فاحاطت بالدار فلم تجد اثرا ومضيت ولحقني بدر فاتيت رجلا من معارفي بشط الفرات فامرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري فدل علي عبد سوء له العامل فما راعنا الا جلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا في الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بانفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا باس عليكما فسبحت حائنا بنفسي وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخي فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخي ودهش فالتفت اليه لاقوي من قلبه واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته تقتل يا اخي الي الي فلم يسمعني واذا هو قد اغتر بامانهم وخشي الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد للسباحة في اثري فاستكفه اصحابه عن ذلك فتركوني ثم قدموا الصبي اخي الذي صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا براسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملأني مخافة ومضيت الى وجهي احسب أني طائر وانا ساع على قدمي فلجأت الى غيضة أشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى اتى افريقية وقد الحقت به اخته شقيقته ام الاصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بني أمية وكان عند واليها عبد الرحمن بن حبيب الفهري يهودي حدثاني صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشي المرواني الذي هو من ابناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الاندلس ويورثها عقبه فاتخذ الفهري عند ذلك ضفيرتين ارسلهما رجاء ان تناله الرواية فلما جيء بعبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودي ويحك هذا هو وانا قاتله فقال له اليهودي انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وثقل فل بني امية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما واخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على اخته فتزوجها بكرهه وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم ان عبد الرحمن الداخل اقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل امره في سفره الى ان استجار ببني رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتقلب في قبائل البربر الى ان استقر على البحر عند قوم من زناتة واخذ في تجهيز بدر مولاه الى العبور للاندلس لموالي بني امية وشيعتهم بها وكانت الموالي المروانية المدونة بالاندلس في ذلك الاوان ما بين الاربعمائة والخمسمائة ولهم جمرة وكانت رياستهم الى شخصين ابي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالي عثمان رضي الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بني امية يعتقبان حمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى ابي عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكر فيه ايادي سلفه من بني امية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته ويساله القيام بشانه وملاقاة من يثق به من الموالي الاموية وغيرهم ويتلطف في ادخاله الى الاندلس ليبلي عذرا في الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويامره

في العرافة (والكهانة) أصلها نفس لا لطيفة باقية ومقارنة للاعجاز باهرة وهي تكون في العرب على الاكثر وفي غيرهم على وجه الندرة لانه شيء يتولد على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة نور النفس واذا انت اعتبرت اوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هي تفردت فكرت واذا هي فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسي فنظرت بالاعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فاخبرت عن الاشياء على ما هي به وعليه وربما قويت النفس في الانسان فاشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هي أدت وكانت أكبر جزء في الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوي فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر في الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت كانت الرؤيا في النوم صادقة وفي الزمان موجودة وقد تنازع الناس في الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال

ان يستعين في ذلك بمن يأمنه ويرجو قيامه معه ويأخذ فيه مع اليمانية ذوي الحنق على المضرية لما بين الحيين من الترات فمشى أبو عثمان لما دعاه اليه وبانت له فيه طماعية وكان عند وروده بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا اذاكرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده في موافقتنا وكنا على ثقة في أنه لا يظهر على سرهما أحدا لمروءته وأنفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنمسح اذا على أمره ونذكر له انه قصد لارادة الايواء والامان وطلب أخماس جده هشام لدينا ليتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فاماوا ودعا الصميل خلوا به في ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف في ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهري بكورة سرقسطة فقال لهما أنا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله في جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته بأسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا لقيا من كان معهما في العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطارحاهم أمر ابن معاوية ثم دسا في الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار في الجمر وكانت سنة خلاف بالاندلس بعد خروج من المجاعة التي دامت بالناس وفي رواية ان الصميل لان لهما في أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه فردهما وقال اني روأت في الامر الذي أردتماه معكما فوجدت الفتى الذي دعوتماني اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لي فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما فلا أغركما من نفسي فاني أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي فبارك الله لكما في رأيكما فقالا له ما لنا رأي الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره ان طلب غير السلطان وانصرفا عنه الى البيرة عازمين على التصميم في أمره ويئسا من مضر وربيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا في تهييج أحقاد اهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيأ يجدون به السبيل الى ادراك ثأرهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس في الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى مواليه فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه في طلب الامر فبثوا من ذلك في الجهات ما دب به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور ومع شيعته ألفوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلي وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشير فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبي غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما هم بذلك أقبل البربر بفرق عرضوا دونه ففرقت فيهم من

فريق ان النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بملاقاة حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين أحدهما معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذي ألهى الحواس عن الادراك الى الحساس أعني الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمي نورها عرضيا لانه ليس النوم الكلي الذي يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالقة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفناه والوجه الآخر وهو النوم الكلي الذي يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهي طبيعة توجبها الخلقة في وقت ضرورة كما يوجب الجوع في وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهي الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لا تدركها الا في هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من طبعها فيكون فكر الانسان ما لم ينم مانعا للحس حتى الانام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الاشياء فيها قائمة

مال كان مع عثمان صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيئا فتعلق بحبل الهودج يعقل المركب فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف فقطع يد البربري وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة في جهة المنكب وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨ فاقبل اليه نقيباه أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبي عثمان فجاءه يوسف بن بخت وانثالت عليه الاموية وجاءه جدران بن عمرو المذحجي من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه في العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبي من اشبيلية فاستوزره وانثال عليه الناس انثيالا فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهري بالثغر وقد قبض على الحباب الزهري الثائر بسرقسطة وعلى عامر العبدري الثائر معه فبينما هو بوادي الرمل بمقربة من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأى الصميل اذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالي المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر في العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامر وابنه وختره بعهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاءه الله تعالى من التضييق على يوسف فاصبح وليس في عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فاقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأى فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فاني لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد أنفضنا من المال وأنضينا الظهر ونهكتنا المجاعة في سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستأنف الاستعداد له بعد أن ننظر في أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأى ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تسلكه ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبي واجتمع الرأى على ان يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بامير لا لواء له ولا علم نهتدي اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سيأتي وحكى ان فرقدا العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما أقبل الى قرطبة خرج اليه يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فاورثت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذي يجدونه في طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمى ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم

كأنها محسوسة لان الحس بها في أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كأنها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذي قد كان أشبهه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كأنه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التي تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت في المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما ينالها وهي عالمة أيضا في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التي تريد أن تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهرا لم يبطل استعمالها في نفسها ولم يبطل استعمال قواها وتنتقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التي

عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى ان حل يوسف بصحراء الصارة غربى قرطبة وعبد الرحمن فى مقابلته وتراسلا فى الصلح وقد امر يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية اخذ فى خلاف ذلك قد اعتد للعرب عدتها واستكمل اهبتها وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصرا لا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يامعشر يمن هل لكم الى فتحين فى يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدام ابن معاوية فيصير الامر لنا نقدم رجلا منا ونخلع عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فاسرها فى نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج فى اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زيادوا ستنام اليه اذ كان من موالى بنى أمية ونهض فى طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل فى صفر سنة ١٣٩ وشارطه على ان يخلى بينه وبين امواله حيثما كانت وان يسكن ببلاط الحر منزلة بشرقى قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه واعطاه رهينة على ذلك ابنه اباالاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذى اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد فى الارض وقد كانت الحال اضطربت به فى قرطبة ودس له قوم قاموا عليه فى أملاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفعهم الى الحكام فأعنتوه وجل عنه فى التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره ووحدته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية فى حصن المدور مستعدا اذ التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل فى أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه فى قرية من قراها عبد الله بن عمر والانصارى فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهرى يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأوذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على قناتين مشهورين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لااعلم فقال ماكان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معه وأكد عليه فى ان يحضره فقال لو انه تحت قدمى هذه مارفعتها لك

وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا الا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من راى أن ذلك هو سكون النفس وهدوّ الروح (ومنهم) من زعم أن مايجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من راى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء فى كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وانه يخرج عن البدن فى حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفاته واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب)

عنه

عنه فاصنع ما شئت فشد الى ربه الحبس وسجن معه ولدي يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعد بالاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما الهرب من نقب فاما ابو الاسود فنجا سالما واضطرب في الارض يبغي الفساد الى أن هلك حتف أنفه وأما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرد الى الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من الهرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف ادخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية في السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كاس ونقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا ابا جوشن انك ما شربتها ولكن سقيتها ومما ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه باحد دعائم دولته رئيس اليمانية ابي الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفي نفسه منه ما وجب فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على ان يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل في ناس قائلين فارسي بناحية باجة ودعا اهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى ان لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجيء به وباعلام اصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه واعناقهم وامر فقرطت الصكاك في آذانهم باسمائهم وأودعت جوالق محصنات ومعها اللواء الاسود وانفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وامره ان يضعه بمكة ايام الموسم ففعل ووافق ابا جعفر المنصور قد حج فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعني العلاء للحتف ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثار رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده في الابتياع فابتاع موالي الناس بكل ناحية واعتضد ايضا بالبرابر ووجه عنهم الى بر العدوة فاحسن الى من وفد عليه احسانا رغب من خلفه في المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ اربعين الف رجل صار بهم غالبا على اهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريأ من العجز سريع النهضة متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطي هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم الى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمني وأنا أستجيرك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بانصافي فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم قليلا ودعا بالقاضي وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير

الجمهور من المتطببين في ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون في منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأمراضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى في منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مفظعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع الملاهي والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين في أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا في كتابنا الرؤيا والكمال وفي كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا في هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب

لا يجمل بالسلطان العزيز ان عيون العامة تخلق بجلته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهدوا افتبرك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى أخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقرمني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما تراه بارض * وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما ساله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا
دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا اهله اليه * حيث انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع * شديد روع يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره ويتهانؤن بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى نداك المآل وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف في الطلبة وإذا المّ بك خطب أو حزبك أمر فارفعه الينا في رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك لها الى مالكك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوي الحاجات عن مقابلته بها شفاها في مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة

لما ذهبت اليه الناس في تحديد النفس وما قاله أفلاطون في تحديده النفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعي وحدها من وجه آخر أنه حي بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لاجسم وأن الروح يحرو به البدن والنفس تبطل أفعالها في البدن ولا تبطل هي في ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره أفلاطون في كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره أفلاطون في كتابه الى طيماويس وفي كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم في ذلك في النفس والصورة (وقد تكلم الناس) في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام في هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهي وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوي في طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء

الجماعة أولاً زوين بشأنها عن وصف المصيبة تنكا لا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفي المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتدعنه أكثر بني مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر في تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كاد اردانه حياض المنية فاول ما بدا به ان قال بعنا انفسنا وخاطرنا بها في شان من هانت عليه لما بلغ اقصى امله وقال وقد امره بالخروج الى غزاة انما تعبنا اولا لنستريح آخرا وما ارانا الا في اشد مما كنا واطال امثال هذه الاقوال واكثر الاستراحة في جانبه فهجره واعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها اما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام ممالكة واقامة أخرى غير الهجر الذي اهانني في عيون اكفائي واشمت بي أعدائي واضعف أمري ونهيي عند من يلوذ بي وبتر مطامع من كان يكرمني ويحفدني على الطمع والرجاء وأظن أعداءنا بني العباس لو حصلت بايديهم ما بلغوا بي أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب انك متى ما أردت أن تبني انفسك عندنا منا تأتيت بما يهدم كل مثات مشيد مما تمن به مما قد اضجر الاسماع تكراره وقدحت في النفوس اعادته مما استخرنا الله تعالى من أجله على امرنا باستئصال مالك وزدنا في هجرك وابعادك وهضنا جناح ادلالك فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك ما نريد ان شاء الله تعالى فنحن اولى بتاديبك من كل احد اذ شركك مكتوب في مثالبنا وخيرك معدود في مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط في يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استاصل ماله والزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره اهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم ينته بدر عن الاكثار من مخاطبة مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدور ايخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤول اليه الى ان كتب له قد طال هجري وتضاعف همي وفكري واشدما على كوني سليبا من مالي فعسى ان تامر لي باطلاق مالي واتحدبه في معزل لا اشتغل بسلطان ولا ادخل في شيء من اموره ما عشت فوقع له ان لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل في بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلي من شغل السلطان اشبه بالنعمة منه بالنقمة فاياس من ذلك فان الياس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى ان اتى عيد فاشتد به حزنه لما راى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه في ذلك رقعة منها وقد اتى هذا العيد الذي خالفت فيه أكثر من اساء اليك وسعى في خراب دولتك ممن عفوت عنه فتمنك النعمة في ذراك واقعد ذروة العز وانا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا في حضيض الهوان ايأس مما يكون واقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة امر بنفيه عن قرطبة الى اقصى الثغر وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بعقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر

وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير ذلك مما قد أتينا على ايضاحه في كتاب سر الحياة وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا الجمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليد يلين عظمها وكان شق بن مصعب بن شكر ان ابن أترك بن قيس بن عنفر بن أنمار بن ربيعة بن نزار معه في عصر واحد وكان فيهما جرة الكهانة وكذلك سلمة وزوبعة كانا في عصر واحد والله أعلم

(ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد في البلدان)

قال المسعودي قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا في البلدان ولم يزل ولد قحطان في أطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضي سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقيا وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن كهلان بن سبا

أفبالله الاما اقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت الى ان تضيق بي الدنيا وربما تشكو لفلان وتتالم من فلان وما تقولوه عليك ومالك عدو اكبر من لسانك فاطاح بك غيره فاقطعه قبل ان يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة وحصل في يده ثائرها الحسين الانصاري وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية امله اقبل خواصه يهنئونه يجري بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند فهناه بصوت عال فقال والله لولا ان هذا اليوم يوم اسبغ على فيه النعمة من هو فوقي فاوجب على ذلك ان انعم فيه على من هو دوني لاصلينك ما تعرضت له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كانك تخاطب اباك أو اخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي فتشفع لي متى اتيت بمثل هذه الزلة لا اعدمنيه الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على انفسكم اذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ورفع مرتبته وزاد في عطائه * ولما أنحى اصحابه على اصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال لا تستاصلوا شافة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على اعداء الدين ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهري ورأى شدة مقاساة اصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان انا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه ابعد من العيوق وأن آخر قال سعده أعانه لا عقله وتدبيره فحركه ذلك الى أن قال

لا يلف ممتن علينا قائل * لولاي ما ملك الانام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا * أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما في بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس الساطي بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم رادا على عبد الله فيما أراقه من دماء بني أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم تردعه هيبته وعصف ريحه

وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن وهي بلاد سبا التي ذكرها الله في القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الاكبر العادي وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فرقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس في قصة هلكهم يختلفون وفي سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وانهار متفرقة وكانت مسيرة اكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة وفي العرض مثل ذلك وان الراكب والمار كان يسير في تلك الجبال من أولها الى أن ينتهي الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها واحاطتها بها وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه وأهنإ حال وأرغد قرى وفي نهاية الخصب وطيب — واحتفال

واستخفافه الى حجه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء فى ذلك بكلام غاظ عبد الله واغصه بريقه وعاجل الغمر بالحتف فقضى وخلف فى الناس ما خلف من تلك المعارضة فى ذلك المقام وكثر القوم فى تعظيم ذلك فكأن الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذى كان من الغمر فى جنب ما كان منه فى الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعى فى اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شتان من قام ذا امتعاض * فخرما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم * مجردا للعداة نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * ولم يكن فى الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا اهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتى بعضه مما يقارب هذه الطبقة * وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه فى الخمول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر سعى فى سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا ويلومه من يسمع مبدأه وما آله ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدو فى القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فاراد أبو عثمان أن يشغل خاطره وينظر فى شئ يحتاج به اليه فجعل ابن أخته يثور عليه فى حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ ابو عثمان مع ابن أخى الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو والذى ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بنى العباس فى شان أبى سلمة لكن ساعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع اله الى ما كان عليه فى الظاهر وكان صاحبه الثانى فى الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابى الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله واقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما فى النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذى عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبى عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فذاقا من ثكل ولديهما على يدى أعز الناس عليهما ما أراهما أن أحدا لا يقدر أن ينظر فى تحسين عاقبته واذا تتبع الامر فى الذين يقومون فى قيام دولة كان ما لهم مع من يظهرونه هذا المآل واصعب * وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسى مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم ابن مهران من ولد الحرث بن أبى شمر الغسانى ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن

الهواء وصفاء الفضاء وتدفق الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة وكانت بلادهم فى الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلاب الافضال على القاصد والسفر بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال فمكثوا على ذلك ماشاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار فى جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التى هى اكثر ما يرد الى ارض سبا تنهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخراق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان فى هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة فى استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة واكمل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب فى مجاريها حتى تاتى الجبال فترويها سقيا وتم شرب القوم وقد كانت ارض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم فى ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم يجمعهم من اقطار الارض للالتجاء الى رأيهم والاخذ من

حويرث بن جبلة بن الايهم الغساني وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذي تقدمت ترجمته ثم منصور الخصي وكان أول خصي استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى ان توفي الداخل * ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سمة وزير لسكنه عن أشياخه للمشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبدالله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبي البرابر وقيل انه رومي وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبدالله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه في الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واحتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبدالله بن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان في عديد من يشاوره أيضا ويفضل امره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهري وقيل انه ممن اتهم في ممالاة اليزيدي في افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدي واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون ان الداخل ألفى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي فاقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصي ثم عمر بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جدار بن عمرو يقضي في العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بني مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفي سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدي وهو ابن اخي الداخل وكانا تحت تدبير يبرمانه في طلب الامر فوشي بهما مولى لعبيد الله بن أبان وكان قد ساعدهما على ساهما به من الخلاف أبو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجاري ان الداخل كان يقول اعظم ما انعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الي من اقاربي والتوسع في الاحسان اليهم وكبري في اعينهم واسماعهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة علي فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من اصحابه هذيل ابن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفي المسهب حدث بعض موالي عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الي وقال ما عجبي الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم في مهاد الامن والنعمة وخاطرنا بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ويسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم

وسموا

يهلك الزرع ويسوق من جملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى براري تقذف به الى البحر واخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يترا كم حتى يعلو الجبال لان في طباع الماء طلاب الخفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه الخراق على ما وصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهي في جريانه الى الخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهي الثلاثون مخراقا الصغار التي قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله وعمل الماء في أصول ذلك المخراق واضعفه ممر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل في المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فلما سكنت أبناء قحطان

على ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيهما من القحطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والخراق

وسعوا الى العظمى فنازعونا فيما منحنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذا طلعنا على عورا رتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساء ظننا في البرىء منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه وان أشدهما على في ذلك أخى والده هذا المخذول فكيف تطيب لى نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصرى مع بصره أخرج له الساعة فأعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار أدفعها اليه وأعزم عليه في الخروج عنى من هذه الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى أخيه فوجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعرفته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لا يكون بليغا في الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذى سعى في حتفه قد سرى ما سعى فيه الى رجل طالب العافية وقنع بكسر بيت في كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لا مرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ في الحركة الى بر العدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لا يخدعنى بهذا القول عما في نفسه والله لو قدر أن يشرب من دمى ما عف عنه لحظة فالحمد لله الذى أظهرنا عليهم بما نووه فينا وأذلهم بما نووه فينا* واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بنى مروان وغيرهم من بنى أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزى بن عبد العزيز أخو عمر بن العزيز وسيأتى قريبا* وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعى الفاطمى البربرى بشنت مرية فأعيا الداخل أمره وطال شره سنين متوالية الى أن فتك به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملابس الحضرمى رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبى رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبى الصباح فقتلوا في هزيمة عظيمة وقيل نجوا بالفرار فامنهم الداخل وفي سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الخزرجى وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما الى أن فتك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفي سنة ١٦٣ ثار الدماحس بن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل ففر في البحر الى المشرق قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل في التى قبلها بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفى أبوه معاوية في حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت الشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد سرد ناس ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التى عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر في ملك بنى أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك* فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب

والبنيان فقذف به في جريه ورمى به في تياره وذلك ابان زيادة الماء واستولى الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا ولا خلاف بين ذوى الدراية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون ذلك أظهر في الاعجوبة كما افار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت في العبرة وأوعد في الحجة ولا يتنا كر احلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان الا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ماذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عرد أغرقتهم فارة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم فرق ذ مهم

بعد كلام ابن حيان الذى قدمناذكره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدوّ الا هزمه ولا بلد الا فتحه شجاعا مقداما شديد الحذر قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجمع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على فل بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفزة وهم أخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فاجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله ابن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كور البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فاشاروا عليه أن يعقد له لواء فجاؤا بعمامة وقناة فكرهوا أن يميلوا القناة تطيرا فاقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التى عقدت أولا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسمالا خلقة ملفوفة معقدة جهلوها فاسترذلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فانكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شان تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان

الى أن انتهى الى ما كان من قصتهم فى ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مارب وأن مارب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مارب اذ
يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مارب سمة لقصر هذا الملك فى صدر الزمن قال ابو الطمحان فى ذلك

ألم تروا ماربا ما كان أحصنه
وما حواليه من سور وبنيان
ظل العباد يبقى فوق ثلته
ولم يهب ريب دهر حد خوّان
حتى تناوله من بعد ما هجعوا
ضربا اليه الى أسباب كتمان

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول فى كلمته

ففى ذلك للمؤتسى اسوة
بمارب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير
اذا جاء ماؤهم لم يرم
فاغنى الحروث وأعنابها
على ساعة ماؤهم قد قسم
فطار القيول وقيلاتها
بها فى فياف سراب الظلم
وكانوا بذلكم حقبة * فمال بهم جارف منهزم
فطاروا سراعا وما يقدمو * ن منه لشرب صبى فطم

انه لم يزل يعرف الوهن في ملك بني أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذي عقده أولا عبد الله بن خالد من موالي بني أمية وكان والده خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بني حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفتقت عليه أثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التي لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصاري ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهري بالقرب من قرطبة وتراسلا لخادعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم ينشب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا فكان خالد يقول ما كان شئ في ذلك الوقت أحب الي من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوّ صاحبي وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين اعانوه هذا فتى حديث السن تحته جواد وما نأمن أول ردعة يردعها ان يطير منهزما على جواده ويدعنا فاتى عبد الرحمن أحد مواليه فاخبره بمقالتهم فدعا أبا الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسي هذا قلق تحتي لا يمكنني من الرمي فقدم الى بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمان اصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه اي يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والمتزاحفان اموي وفهري والجندان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وارجو انه اخو يوم مرج راهط فابشروا وجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذي كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهري وكانت يوم جمعة ويوم اضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون الفا من قبائل قيس واحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري وابن هبيرة المحاربي وصالح الغنوي وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربي قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال بن الطفيل العبدي وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحوّل على بغله الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فمر به أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشياء أشباها أموي باموي وفهري بفهري وكلبي بكلبي ويوم اضحى بيوم أضحى ويمني بقيسي والله اني لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تنجلي الغماء ومعترك منتفع فانثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري باني القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب

(وقد ذكرنا) في كتابنا أخبار الزمان الملك الذي طال عمره وحسنت سيرته وأنه بني هذا السد الذي هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار وما أكثرت العرب في صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبصحة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجي في شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن الحكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل ... قد صح في طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الد ... هر وأثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم ... تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد أصبحت دار حمير خربت ... وأنت فيها كانك الوتد
تسال غربانها اذا حجلت ... كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل في علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام في بدو الامر ونقصها على مرور الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للاسلام في تمام الأثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول

وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن وقيل الصميل بن حاتم ابن عمرو بن جندع بن شمر بن ذي الجوشن كان جده شمر من اشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضي الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وساد بها وكان شاعرا كثير الشكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه في زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهري كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهري الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما انتقل سلطانها الى بني أمية واستفحل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول في القرون السالفة سنة الله التي قد خلت في عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهري والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكي أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فامر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل اعرف مزيته من جدي من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابي جعفر المنصور في عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه في أن ام كل منهما بربرية وان كلا منهما قتل ابن اخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن اخيه المغيرة بن الوليد ابن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة برصافته

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول اكتئابي عن بني وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة * فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي * يصح ويستمري السماكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم واشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بني العباس وكتب جماعة من اهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس في طائفة ويذهب بعامة من اطاعه ثم اعرض عن ذلك بسبب امر الحسين الانصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن ايضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

ايها الراكب الميمم ارضي * اقر مني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض * وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكرنا منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

والاجسام أقوى لان طرق الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت الاعمار أزيد وكان العالم في اولية شانه تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة في تناهي النقص في الاجسام والاعمار (وقد أبى) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تاخر وزعموا أن تاثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وأنها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن في سائر الارض كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض في الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا في صفته كثر فلنرجع الآن الى ما نحن عليه ومن وصفه خرجنا من ذكر سبأ ومأرب وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان

وأبرز في ذات الاله ووجهه * ثمانين الفا من لجين وعسجد
وانفقها في مسجد زانه التقى * وقرّر به دين النبي محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه * يلوح كلمع البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكلبي) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروى عن امه عن عائشة رضي الله تعالى عنها الا انه كان مندرا صاحب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من اهل بيته جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه ابو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فاقبل عند استعباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول يا ابا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغني عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فاعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار *(ومن الداخلين الى الاندلس جزى بن عبد العزيز اخو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه) دخل الاندلس ومات في مدة الداخل وكان من اولياء الله تعالى مقتفيا سبيل اخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى *(ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي) ويكنى اباثمامة وجده صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وسفيان بن وهب الخولاني وحبان بن سمع الصدائي وقيد اسمه الدارقطني رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة وبياء معجمة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس ويقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمي وأبو عميرة المزني وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم ويطول سردهم منهم ربيعة بن قيس الجملي وأبو عبد الرحمن الحبلي وزياد بن نعيم الحضرمي وسفيان بن هانئ الجيشاني وسعيد بن شمر السبائي وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهري وعبد الرحمن بن أوس المزني وزيادة بن ثعلبة البلوي وشيبان بن أمية القتباني وعامر بن ذريح الحميري وعمير بن الفيض اللخمي وأبو حمزة الخولاني وعياض بن فروخ المعافري ومسلم بن مخشي المدلجي وهانئ بن معاوية الصدفي وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقي وغيرهم قال ابن يونس توفي بافريقية في خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق في مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني المالكي في تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعني الموجهين الى

لعمرو وكاهنة من أهل ٣ من حمير يقال لها طريفة الخبر (وكان أول شئ وقع بمارب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في ايام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبينا طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم ان سحابة غشيت ارضها وارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا احرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رايت مثل اليوم قد اذهب عني النوم رايت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ الا احرق فما بعد هذا الا الغرق فلما راوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها من جاشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فاسرعت نحوه وامرت وصيفا لها يقال له سنان ان يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن

٣ بياض بالاصل

افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل أفريقية ويعلموهم امر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدى فى الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضى *(ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى الاندلس) ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى بن ابى رباح وأبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله الصنعانى ومعاوية بن صالح وزيد بن الحباب العكلى وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضى ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى *(ومنهم زيد بن قاصد السكسكى) قال ابن الابار وهو تابعى دخل الاندلس وحضر فتحها واصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقى ذكره يعقوب بن سفيان واورد له حديثا من كتاب الحميدى انتهى *(ومنهم زرعة بن روح الشامى) دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل *(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى) قال ابن الابار تابعى دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن يونس مؤرخ مصر انه يروى عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ويروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الحميدى انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه وولى بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ماحكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبى مسلم والى افريقية اجتمع رأى اهلها عليه فولوه أمرهم وذلك فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولى بشر بن صفوان الكلبى افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف اخاه حنظلة انتهى (ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموى) فر من الشام خوفا من المسودة فر بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن ابن معاوية الداخل فاكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قعدد بنى أمية ثم انه لما وجد الداخل يدعو لابى جعفر المنصور اشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بنى العباس ببنى أمية فتوقف عبد الرحمن فى ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسى فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة اشهر ولما زحف اهل غرب الاندلس نحو قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن انهض اليهم عبد الملك هذا فانهض فى معظم الجيش وقدم ابنه امية أمامه فى اكثر العساكر فناطلهم امية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانحاز منهزما الى ابيه فلما جاءه سقط فى يده وقال له ماحملك على ان استغففت بى وجرات الناس على

واضعات ايديهن على وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصفها اذا ذهبت هذه المناجد عنا فاعلمنى فلما ذهبت اعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما رآتها ظريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت الى ان دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح فقعدت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان على الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال لها هلمى ياظريفة الى الفراش فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود الماء لما كان فى الدهر السالف قال عمرو من خبرك بهذا قالت أخبرنى المناجذ بسنين شدائد يقطع فيها الوالد الواحد قال ماتقولين قالت أقول قول الندمان لهفا

والعدو وان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فامر بضرب عنقه و جمع اهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من المشرق الى اقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وتقدمهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ولم تقم بعدها لليمانية قائمة وقتل بين افريقيين ثلاثون ألفا وجرح عبد الملك فاتاه عبد الرحمن ووجهه يجري دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا واعطيتك كذا ولاولادك كذا وأقطعتك واياهم كذا ووليتكم الوزارة * ومن شعره لما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يانخل أنت فريدة مثلي * في الارض نائية عن الاهل
تبكي وهل تبكي مكممة * عجماء لم تجبل على جبل
ولوانها عقلت اذا لبكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجني * بغضي بني العباس عن أهلي

* (ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين) ونزل حين دخوله بلبلة وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب * (ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله ابن المغيرة الكناني حليف بني عبد الدار) سماه أبو محمد الاصيلي الفقيه في الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه يروي عن سفيان بن وهب الخولاني (ومنهم عبد الله المعمر الذي طرأ على الاندلس في آخر الزمان وكان يزعم انه لقي بعض التابعين) قال ابن الابار وروى عنه أبو محمد أسد الجهني ذكر ذلك القيسي وفيه عندي نظر انتهى (ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة بن ذئب المهري) روى عن أبي ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني وعوف بن مالك الاشجعي ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال في الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه) وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للاندلس وكان المذكور اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وامراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغير واحد ممن عرفنا به في هذا

متى ترين ذلك قالت هي داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهي قالت اجل ان لي الويل ومالك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجيء به السيل فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال ماهذا ياطريفة قالت هو جلل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قال تذهب الى السد فاذا رايت جرذا يكثر في السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم ان النقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذي يقع قالت وعد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده ياعمرو وفليكن الثكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى طريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

ابصرت امرا عادلي منه الم
وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفعل خنزير اجم
او تيس صرم من أفاوين الغنم

الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دونى * ولى على همتى ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذاك من فعله جنون
فرع باقق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم انى * أحب كسب المعالى
* وانما اتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطناع الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فحالهم فى انعكاس * بها وحالى حالى

وتراجمهم واسعة وقد بسطت فى المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا فى الباب قبل هذا من أخبار بنى سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق ابو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمى البخارى الحافظ نزيل مصر) سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا برويان معا عن عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وعن أبى الفضل السليمانى ببيكند وأبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبى يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى وأقرانه باليمن وأبى القاسم تمام بن محمد الرازى بدمشق وابن أبى كامل باطرابلس الشام وأبى محمد عبد الغنى ابن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبى نصر الكلاباذى وأبى عبد الله الحاكم وأبى بكر ابن فورك المتكلم وأبى العباس بن الحاج الاشبيلى وأبى القاسم على بن أحمد الخزاعى صاحب الهيثم بن كليب وأبى الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسى وأبى الفتح محمد بن ابراهيم بن الجحدرى وأبى بكر محمد بن داود العسقلانى وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقى ولقى بافريقية العابد ولى الله سيدى محرز بن خلف التميمى مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد فى نفسى من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى ان مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله وثوابها فسمع منه أبو عبد الله الرازى وذكره فى مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبنى وقال هو من الرحالين فى الآفاق أخبرنى انه يحدث عن مئين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدى وأبو بكر الطليطلى وأبو عبد الله بن منصور الحضرمى وأبو سعيد الرهاوى وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى وأبو الحسن بن مشرف الانماطى وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشى وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن على بن الحسين الموصلى الفراف وأبو عثمان سعد ابن

فقالت له ظريفة ان من فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورمله وقد علمت ان الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا ريح فقام عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى ظريفة فاخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه أحد لعلمته ولا ياتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه فى غدها او فى تلك الليلة ورأى عمرو فى النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم ان ذلك واقع بهم وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه وأجمع ان يبيع كل شئ له بارض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشى ان يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفي عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه ابو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي البغدادي النرسي منسوب الى قريه من قرى بغداد سمع صحيح البخاري من ابي الوقت السجزي وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار في التصوف منها تاليف في اباحة السماع قرأت عليه اكثره وقرأت عليه عوالي النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة *(ومنهم ابو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن احمد الخراساني الباخرزي المالكي يكنى ابابكر) سمع من ابي الخير احمد بن اسمعيل الطالقاني القزويني والى يعقوب يوسف بن عمر بن احمد الخالدي الزنجاني وقدم الاندلس وحدث بصحيفتي الاشج وجعفر بن نسطور الرومي وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه ابو القاسم الملاحي وسمع منه بمالقة ابو جعفر بن عبد الجبار وابو علي بن هاشم في صفر سنة ٦٠٠ ومولده في ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السلفي الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويغنم * وبعد أشج الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبي هدبة القيسي شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفي اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ في يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق علي بن بندار ابن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أهل بغداد قدم الاندلس) تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي وتلمذ له وسمع منه الموضح والمنجح من تآليفه في الفقه وما تم له من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتني بهذا الشان رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلاء النيسابوري) لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن ابن أحمد البصروي قال أبو علي وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظني اني لقيته بسرقسطة ذكر ذلك القاضي عياض في المعجم من تآليفه والله تعالى أعلم * (ومنهم سهل بن علي بن عثمان التاجر النيسابوري يكنى أبا نصر) سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي وأبو الفتح السمرقندي وأدرك الامام أبا المعالي الجويني وحضر مجلسه ودرسه ولقي بعده أصحابه القشيري والطوسي وغيرهما وكان شافعي المذهب ذكره عياض وقال حدثني بحكايات وفوائد وأنشدني لابي طاهر السلفي وأجازني جميع رواياته وحدثني ان وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو اربع وسبعين واربعمائة وقال أبو محمد العثماني انشدني ابو نصر سهل بن علي النيسابوري الحقواني قال أنشدنا ابو الفتح نصر ابن الحسن انشدنا ابو العباس العذري قال انشدنا ابو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق

أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذاهم بعيد وجمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذاهم بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهي أرض همدان فلحق به وادعة بن عمرو فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها في ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحي فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا في ملوك كراكر

في شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصي بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهي المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهي أرض الشام قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق

رجعت

رجعت الى نفسى فقلت لما انظرى * الى ما اتى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها * كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل اهله * وجدى لما تدعى اليه وسابقى

قال عياض توفى سهل هذا غريقا فى البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصرى) كان من اهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث متيقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولى قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف ابو القاسم الخولانى واقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم ابى المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن ايوب فى قوم من شيعة العبيدى ملك مصر ووفد ايضا معه ابو الوفاء المصرى ثم استصحبه امير المؤمنين يعقوب المنصور معه فى غزوة قفصة الثانيه وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولى قضاء فاس وولى ايضا ابو الوفاء صاحبه القضاء وتوفى وهو متولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقى) أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهانى فى مجلس أبى طاهر السلفى لدخوله اباها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالمشرق أبا بكر بن ماشاده السكرى وأبى الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفى وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقى ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلى واجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعى عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تاليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن جبيرة الضبى وابنا حوط الله أبو محمد وابو سليمان وأبو القاسم الملاحى وابو العباس بن الجيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدنى عند توديعى اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار وما زارا * كانه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا * ما ضره لو دخل الدارا
نفسى فداؤك من زائر * ما زار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابى فى شرح سنن أبى داود بقراءة جميعه عليه ومولده فى شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفى هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبى عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى *(ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن على القرشى) من ذرية عبد بن زمعة أخى سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس فى زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهروا فيها معتقدهم الخبيث فحل يومئذ من

فالحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الازدى وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام ابن الكلبى) وأما ابى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد ذا زمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن الهمان بن جهم ابن عدى بن عمرو بن مازن ابن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى أن كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة ابن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى المسناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما يلى صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحلة وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد

الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها دارا واتخذها قرارا و بها لقيه ابو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس عالديه وقد ذكره فى تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى ان نجم منهم ابو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلى هل ليلى ونجد كعهدنا * فيا حبذا ليلى و يا حبذا نجد
عسى الدهر أن يقضى لنا بالتفاته * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله اثناء رسالة

قوس العلا وضعت فى كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت فى مطالعها * بلى واجرى جياد الخيل مجريها

ونشا هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد اخذ من العلوم فى غير مائن وحقق فيه كل ماظن وذكره فى المسهب وسمط الجمان وفضله اشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو على القالى صاحب الامالى والنوادر) وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن فامر ابنه الحكم وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير لعاملهم ابن رماحس ان يجيء مع ابى على الى قرطبة و يتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابى على ففعل وسار معه نحو قرطبة فى موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب فى طريقهم و يتناشدون الاشعار الى ان تجاوروا يوما وهم سائرون ادب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن افضل المناديل وانشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لايدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا على فانشد الكلمة فى البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الالبيرى وكان من أهل الادب والمعرفة وفى خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبا على البيت متثبتا مرتين فى كلتيهما أنشده اعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين و يتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه و يصف له ماجرى لابن رفاعة و يشكوه فاجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه و بعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبى على القالى انما كانت فى خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لافى خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته فى أيام الناصر لما ذكره غير واحد من حضوره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما ألمنا به فى غير هذا الموضع وفى القالى يقول شاعر الاندلس الرمادى

من حاكم بينى و بين عذولى * الشجو شجوى والعويل عويلى

ورمع فاقاموا على غسان وشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم

اما سالت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بنى مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن الازدى (وللقوم أخبار) فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة و يقال له الحجاز وانما سمى السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا فى سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشام وفرز بينه و بين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والاردن وبلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مارب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا أن لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

في

في أي جارحة أصون معذبي * سلمت من التعذيب والتنكيل

ان قلت في بصري فثم مدامعي * أو قلت في قلبي فثم غليلي

لكن جعلت له المسامع موضعا * وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثاني قال يصونه في استه وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي

كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

قال أظنه ضرطة والجزاء من جنس العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب الامالي وكان الحكم كريما معتنيا بالعلم وهو الذي وجه الى الحافظ أبي الفرج الاصبهاني ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغاني وألف أبو محمد الفهري كتابا في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبي علي البغدادي عند تهدمها وهما

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا تدفنوني بالعراء فربما * بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واسم أبي علي اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سليمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو علي احفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبي بكر بن دريد الازدي وأبي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه ابو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن بظاهر قرطبة ومولده بمنازكرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع أهل قاليقلا وهي من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية ان أبا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع

ان كان ما يصم في ضلاله * من ربكم فلينطلق بماله * اليه عنا والى عياله

فاجابتها امرأة مؤمنة فقالت
لولا الاله لم يكن عيالنا
ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذي يحيينا سؤالنا
ويكشف الغم اذا ماهالنا

فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء أرضهم فاهلك شجرهم وأباده وأزال أموالهم وأنعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ماشرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا أن لا نشرك بالله شيا فسالت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ماسالوا فاخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فاتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فابوا الا طغيانا وكفرا ففرقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم (قال المسعودي) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مارب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره في هذا الباب فلنرجع الآن الى أخبار الكهان وكان أول ما تكهن به سطيح الغساني انه كان نائما في ليلة سها كية مظلمة مع حرمته في الحاف والحي خلوف اذ زعق من بينهم ورن وتاوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق لطرقنكم ماطرق قالوا ماطرق ياسطيح قال

الارض الطيبة المونقة فصادف ابابكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعبا له

من أين اقبلت يامن لاشبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه مالا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضي عنه وممن أخذ عن ابي علي القالي بالاندلس ابو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان

والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدي واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بانه كان في صباه في غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالي قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه ككتاب النوادر والامالي والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع في اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله في الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل بمخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابه لايشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدي اماما في الادب ولكنه عرف فضل القالي فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقرله وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط أبا علي ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام وكانوا يسمونه البغدادي لوصوله اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد ولاته فيهم وفيه يقول الرمادي متخلصا في لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل

قسه الى الاعراب تعلم أنه * أولى من الاعراب بالتفضيل

حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل

فالشرق خال بعده وكانما * نزل الخراب بربعه المأهول

فكانه شمس بدت في غربنا * وتغيبت عن شرقهم بافول

ياسيدي هذا ثنائي لم أقل * زورا ولاعرّضت بالتنويل

من كان يامل نائلا فانا امرؤ * لم ارج غير القرب في تاميلي

وقد تقدمت ابيات القالي التي أجاب بها منذر بن سعيد في الباب قبل هذا فلتراجع ثمة والله تعالى اعلم *(ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادي اللغوي) واصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة ايام المنصور

ذو جيسة في الوجرة وجرة بعد جرة في ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بامره وتعاصفت سدود من أودية هنالك فاتتهم في ليلة باردة قرة كماذكر فساقت الانعام والمواشي وكادت أن تذهب بعامتهم (واسطيح الكاهن ولشق بن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميري في ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة وكانت منها كل ذات جمجمة وماقسراه له في ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح في رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سلقمة وزوبعة وماكان من أمرهما وخبر شان الظليم والسحرة وماكان بين علك وغسان من الحرب في رقة اللبن وحلاوته وثخنه ونزل غسان أعلى الوادي وعلك في أسفله وماكان في ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عادياء وماكان من أمره وأمر خازن الكاهن وماقاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وماكان من العير الاقمر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدي وغير ذلك مماذكرناه فيما سلف من

امن

ابن ابى عامر عزم المنصور على ان يقفى به آثار ابى على البغدادى الوافد على بنى امية فما وجد عنده ما يرتضيه واعرض عنه اهل العلم وقدحوا فى علمه وعقله ودينه ولم ياخذوا عنه شيئا لقلة الثقة به وكان الف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه فى النهر ومن شعره قوله

ومهفهف ابهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته * فاخذتها منه على غرر
فاخافنى قوم فقلت لهم * لا قطع فى ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدى سمعت ابا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت ابا العلاء صاعدا ينشد بين يدى المظفر عبد الملك بن ابى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسبت المنعمين على البرايا * فالفيت اسمه صدر الحساب
وما اقدمته الا كانى * اقدم تاليا ام الكتاب

وذكر الحميدى ان عبد الله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال لصاعد ولابى عامر بن شهيد صفاها فاخفما ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الزهيرى صاحب ابى العلاء وتلميذه وكان شاعرا اديبا اميا لا يقرا فلما استقر به المجلس اخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد أعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كمقلة تطرف فى وجنه

انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده اعيان مملكته ودولته من اهل العلم كالزبيدى والعاصمى وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم فى هذه العلوم واحب ان يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله واقبل عليه وساله عن ابى سعيد السيرافى فزعم انه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمى بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدى فما تحسن ايها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن اولق فضحك صاعد وقال امثلى يسال عن هذا انما يسال عنه صبيان المكتب قال الزبيدى قد سالناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدى صاحبكم ممخرق فقال له صاعد اخال الشيخ صناعته الابنية فقال له اجل فقال صاعد وبضاعتى انا حفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجرى فى المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا واتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم اراه كتاب النوادر لابى على القالى فقال ان اراد المنصور امليت على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما اورده ابو على فاذن له المنصور فى ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص ولما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسالوا المنصور

(قال المسعودى) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب فى تسمية الليالى وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتاثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتامل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما نريد والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى أسمائها من التاريخ)

أول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول

في تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب الشكت تاليف ابي الغوث الصنعاني فتراميى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اي والله قرأته بالبلاد الفلاني على الشيخ ابي فلان فاخذه المنصور من يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته كما تزعم فعلام يحتوي فقال وابيك لقد بعد عهدي به ولا احفظ الآن منه شيا ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور ابعد الله مثلك فما رأيت اكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتي الا بالغريب غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ما جرى له انه كان بين يدي المنصور فاحضرت اليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبي عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتي صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فالفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها والقاها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فاحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي

وثونه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ما سميناه من شهورها وهي ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آذرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات في النجوم وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمناه وذلك انهم زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم في عدد أيام السنة التي ملك فيها بختنصر وكان أولها يوم الاربعاء

اللآلى أي مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم ان كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع ما فيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أمر فعبي له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان في البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ما تأتي به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك في الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا * على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بانواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح في عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تراه العين في جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغرب له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا أنك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة في سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقي * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف في يمنى يديه المجاذف
ولم تر عيني في البلاد حديقة * تنقلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلني له اني لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفي ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبي * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل في كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف في كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن أبي عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لا نظير له في علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فأعجب المنصور منه

وأما تاريخ القبط في كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فيلفوس وكان أولها يوم الاحد والذي بين تاريخ البختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذي بين تاريخ فيلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ألف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فأول هذه التواريخ تاريخ البختنصر ثم تاريخ فيلفوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من أول السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان أولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان أولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من أول السنة من ملك الاسكندر وكان أولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور العرب وعدة أيام السنة ومعرفة الانواء)

فأول ذلك ان أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهي مختلفة في العدد فنيسان ثلاثون يوما وأيار احد وثلاثون

فتوفي فاتن هذا سنة ٤٠٢ و بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة ... وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ باوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ما جرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يده وصله

يا حرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذال
يا سلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما ان رأت عيني وعلمك شاهد * جدوى علائك في معم مخول

ومنها

وأبي مؤنس غربتي وتحفظي * من صفر أيامي ومن مستعملي
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بأيل
سميته غرسية وبعثته * في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك غادية السرور بعزة * وحللت أوجا بالسحاب المخضل

فقضى في سابق علم الله سبحانه وتعالى ان ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فاسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب وانورد من أخبار صاعد فنقول حكي ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفي الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة حكي أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر فقطعت لكافور الاسود غلامي منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معي الى قصر المنصور فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا العبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه لباذل الهيئة فمالك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور مالا فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وأمر لي بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامري أمير البلد كان في المجلس اديب يقال له بشار فقال للموفق دعني أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فأبى الامساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء

يوما وحزيران ثلاثون يوما ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه حساب الهند وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطال الليل والتذ الشراب
ومضى عنك حزيران وتموز وآب

وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد زكريا ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوي الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس في معنى المهرجان انه كان لهم ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد عم ظلمه خواص الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى

ما

ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعد انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال بعد أن أطرق ساعة الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شيء من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد واشار اليه ان يقول فيه فارتجل (لم أدر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهذا المنصور بن ابي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رايته بخزانة فاس في كتاب الفصاحة في الازهار والانوار حكى فيه في ترجمة النيلوفر ان المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور ان يغرس في بركة عظيمة ذات اميال نيلوفر ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وارسل الى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق ذهب وبيد خمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والفضة في اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصراني من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فاني رايت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها حيلة عجيبة في اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابي عامر آية الله سبحانه في السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بني مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بني أمية بالاندلس في اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جوذر وفائق فتياه ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان هذا الايتم لنا الابقتل جعفر المصحفي فقال له جوذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفي ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة فقال لهما المصحفي وهل أنا الا تبع لكما وانتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا في تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جوذر

ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه تسمى تلك اليوم الذي مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم في لغتها ما تؤخر العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلويه وهي الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس وخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثاني ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعا وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون

و فائق في المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وماهو عليه من الاستجابة فاجابه المصحفي بالقبض عليه والاوجه غيره ليقتله فقتله خنقا لما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في الفرش وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرفي نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد اثرة وتملك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة وقوي على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأدية لطيف الخدمة فاخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا ينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر وأطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغري به الحرة ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور ووصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لا كثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتجديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الا من شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحامة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الى مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ماجئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره فلا تحري وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعمت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لو جاءني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح أم هشام وحمله على رؤس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك

يوقدون في ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما بمدينة انطاكية ومايكون فيه بالشام لاهله عيد في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها ومايظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسي البطرك المعظم عندها في ديانتها وأن النصرانية تسمي انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أقسس واسمها القديم بوزنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبطرس فبدؤا برومية لانها لبيطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا مقدما وانما هو يحدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) ايضا كنيسة أخرى تدعى استوست

وقال

وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره فى علم الحدثان يتخيل فى ابن أبى عامر انه المذكور فى الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول فى بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلاشك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفى وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالى وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفى أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فاشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبى عامر فاقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان ينهض غالب الى تقدمة جيش الثغر وخرج ابن أبى عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفى وقفل ابن أبى عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفى عن المدينة وكانت فى يده يومئذ وخلع على ابن أبى عامر ولا خبر عند المصحفى وملك ابن أبى عامر الباب بولايته للشرطة وأخذ عن المصحفى وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة وانهمك ابن أبى عامر فى صحبة غالب ففطن المصحفى لتدبير ابن أبى عامر عليه فكاتب غالبا يستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن أبى عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوّفه الحيلة ويهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبى عامر فأنكحه البنت المذكورة وتم له العقد فى محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبى عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفى بالنسبة اليه كلاشئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفى ودخل ابن أبى عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس فى الاندلس وايقن المصحفى بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبى عامر فى شئ من التدبير وابن أبى عامر يسايره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبى عامر الى أن صار المصحفى يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفى باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفى وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبى عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخى المصحفى قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التى كانت تحمل بين يدى ابن أبى عامر فى الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل فى المطبق قبل عمه جعفر المصحفى فلما استقصى ابن ابى عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنتين مرة يحبس ومرة يترك ومرة يقر بالحضرة ومرة ينفرعنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محتمل واعتقل فى المطبق بالزهراء الى ان هلك واخرج الى اهله ميتا وذكر انه سمه فى ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد

وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزوروه وهى كنيسة مزوروه وبنيانها من احدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان للملك) من ملوك الرومية بانطاكية خبر عجيب فى كنيسة اشتوست وكانت خارج السور من انطاكية وهى فى أيدى اليهود فعوّضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة اشتوست وهذه الدار التى كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بافطيخس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطيخس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

جعفر بن عثمان الى أهله بامر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوّابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما احسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بامره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده والحضور على انزاله فى ملحده فنظرته ولا اثر فيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوّابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتلع من جانب الدار وأنا أعتبر من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه وما تجاسر أحد منا للنظر اليه وان لى فى شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع فى سمع ولا تصوّر فى لحظ وقفت له فى طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حف به وأخذ الناس السكك عليه وافواه الطرق داعين ومارين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتى بعض كتابه الذين نصبهم جناحى موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفى نفسى ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه فى الغزوات واحتمله واتفق أن نزلت بجليقية الى جانب خبائه فى ليلة نهى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدوّ أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها توفى عند موعدها الحرا
فلله أيام مضت بسبيلها * فانى لا انسى لها ابدا ذكرا
تجافت بها عنا الحوادث برهة * وابدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالى ما يدرى الزمان مكانها * ولا نظرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الايام الا سحائب * على كل ارض تمطر الخير والشرا انتهى

واما غالب الناصرى فانه حضر مع ابن ابى عامر فى بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا الى أمرها فجرت محاورة بين ابن ابى عامر وغالب فسبه غالب وقال له ياكلب انت الذى افسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت فى الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن ابى عامر نفسه من راس القلعة خوفا من ان يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شيأ فى الهواء منعه من الهلاك فاحتمله اصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى فجيش بهم وقابله ابن ابى عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن ابى عامر ما جدله وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن ابى عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه مادهى الامن جانب حاشية القصر فرقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الامن وثق به اوعجز عنه ثم ذكر له ان الحرم قد انبسطت ايديهنّ فى الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح اخت رائق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن ابى عامر وانها اخرجت فى بعض

وثلاثين وثلثمائة تسعمائة سنة وأربعون سنة ٩٤ وتكون سنو الاسكندر ألفا ومائتين وخمسا وثمانين ويكون من الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز واذار أحد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر * صن وصنبر وبالوبر
فاذا انقضت أيام شتوتنا * أيام صادوة عن القر
كسع الشتاء موليا هربا * وأتتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من اذار يستوى الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس الايام

الايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموّهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء ذلك ومرت على صاحب المدينة فما شك انه ليس فيها الاما هو عليها وكان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار فاحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظ الاموال بانهما كه في العبادة وان في اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث يؤمن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عن قيمة ورق وسبعمائة ألف دينار وكانت صيح قد دافعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من اخراجها فاجتمع ابن ابى عامر بالخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء في حفظ قواعد الدولة فخرست ألسنة العدا والحسدة وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فابرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق ما لا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب في يده زي الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته وقد مرض المرض الذي مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان يقول ان زماني يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة مني ولعله يعني من حضر معه تلك الغزاة والافعما كر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بامر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصاياته وكلما أراد أن ينصرف برده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضي ابو ذكوان فدخلها أول شوال وسكن الارجاف بموت والده وعرف الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فاحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن في قصره بمدينة سالم اضطرب العسكر وتلوّم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى قرطبة فيمن بقي معه ولبس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له سجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد في الاندلس ولنمسك عنان القلم في أمر ابن أبي عامر فقد قدمنا في محله جملة من أحواله وما ذكرناه هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولي التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوي البغدادي حكى انه دخل على المنصور يوم عيد عليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصف فزلق فسقط في الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتي عليه فخلع عليه وأدنى

واكتست الارض من زخارفها
وشي ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان معتدلا
وليس بحلول الشمس الحمل تستوفي الخمر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحول والقوة (قال المسعودي) وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين في العدد وذلك أن أوّل شهور الروم ينواريوس وهو كانون الثاني وقد قدمنا أن في أوّل يوم منه يكون الغطاس وشباط فبرواريوس واذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سطمبر وتشرين الاوّل أقطوبر وتشرين الثاني نوعبر وكانون الاول دسمبر *(ذكر شهور الفرس)* كلها ثلاثون يوما فاولها فرودرى وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثاني أورديهشت ماه وخرداد ماه وتير ماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهر ماه وابان ماه وآذر ماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودي ماه وأول

مجالسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيآن كانا فى الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيرى فقال هلا قلت

سرورى بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه

ثنانى نشوان حتى غرقت * فى لجة البركة المطبقه

لئن ظل عبدك فيها الغريق * فجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مروان وان قسناك بأهل بغداد ففضلتهم فبمن نقيسك بعدا انتهى وقال فى الذخيرة فى ترجمة صاعد وفد على المنصور نجما من المشرق غرب ولسانا عن العرب اعرب واراد المنصور أن يقفى به آثار ابى على القالى فالفى سيفه كهاما وسحابه جهاما من رجل يتكلم بملء فيه ولا يوثق بكل مايذره ولا ماياتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم ادر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاشجار سراق

كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه اخلاق

وقدمه الجارى بقوله

كأن ابريقنا والراح فى فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال فى بدائع البدائه دخل صاعد اللغوى على بعض اصحابه فى مجلس شراب فملأ الساقى قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف ابى البركات على بن الحسين اللغوى

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار

كأنما ابريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار

انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يعجله * مودعا للفراق أين أنا

فدكفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فانت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبى عامر بمعارضة قصيدة لابى نواس

انى لاستحيى علا * ك من ارتجال القول فيه

من ليس يدرك بالروية * كيف يدرك بالبديه

وقال حاشد البغدادى فى صاعد اللغوى وكان صاعد ينشدهما و يبكى و يقول ما هجيت بشئ أشد على منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتى * بقبولها و بواجب الشكر

يوم منه يخرج الكوسج فيه راكبا بغالة بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ما وصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وما عدى ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيا من ألم ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك فى أوقات كثيرة من فصول السنة وادورون والاردحش ودرماه ودسمهر وردمنا وآذروبهمن ماه واسفندار مدرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله اعلم

(ذكر ايام الفرس) *

وهى هرمزو بهمان وأدربهشت وشهرين واسفندارموز خرداد ومرداد وديناودين ادواران وحردمله ونبر ونبرس ودى وه هروانرويس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

باكر بنا لذة المدام * فى يوم سبت ويوم رام

شريطتى فيه أن ترانى * وقت الضحى فاتر الكلام

وبادورو نبرين واردواسال واسار وحامار

لا

لاتهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وانت لاتدرى

نعوذبالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيرى روض * مخرمة كاوراق العقيق
توكل بالغروب عن التصابى * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضى ابى سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى وابى على الحسن بن احمد الفارسى وأبى بكر بن مالك القطيعى وأبى سليمان الخطابى وغيرهم قال الحميدى خرج من الاندلس فى الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفى بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال فى حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور ابن أبى عامر فى حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد فى الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزبيل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يامولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد فى نسخة لابى بكر بن دريد بخطه كاكراع النمل فى جوانبها فقال له أما تستحى يا أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر فى رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصارى قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن قرقول وولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسى النحوى وأبا زيد السهيلى صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال وانشدنى

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * رأو فضول أوخيانه

وذكر أنه أدرك الشيخ الولى العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته عمرا كشسنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين وما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولى الله السبتى قد

وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهرا لربع اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه المهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهور والله تعالى أعلم

(ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى أحد عشر يوما وربع يوم فتتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقد ذم الله تبارك وتعالى

 فعلهم بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر وسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أخذها * عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه فصيحا مشاركا فى فنون من العلم سمح الله تعالى له انتهى * (ولا باس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس ثم نعود أيضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول) ٥ (من النساء الداخلات الاندلس من المشرق عابدة المدنية أم ولد حبيب ابن الوليد المروانى المعروف بدحون) وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير انها تروى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروى عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهى أم ولد بشر بن حبيب والذى وهبها لدحون فى رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم بها الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه رحم الله تعالى الجميع * (ومنهن فضل المدنية) وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها فى الغناء واشتريت هنالك للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهى ثالثة فضل وعلم فى الحظوة عند الامير المذكور وكانت أندلسية الاصل رومية من سبى البشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الآداب * (ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمى صاحب اشبيلية) وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها فى مولاها تمدحه

ما فى للاغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم
انى حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

وأنشد لها السالمى لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات باوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات فى النعيم كانما * خلق الهوى العذرى من أخلاقها
نفسى الفداء لها فاى محاسن * فى الدهر تشرق من سنى اشراقها

* (ومنهن الجارية العجفاء) قال الارقى قال لى أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك فى أحسن الناس غناء فخرجنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا فى مثلها وطوله فى السماء ستة عشر ذراعا وفى البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقى السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم اطلعت

على حسب ماذكرناه ذكره فرفوريوس فى كتابه فى وصف منازعة أفلاطون وارسطاطاليس فى ذلك فاما علة كون الشتاء بارض الهند فى الحالة التى يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم فقد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس فى قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان فى بعض البقاع من الارض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمى بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة فى وجوههم عند تكامل الحرارة فى الوجه على الاغلب من كونها وارتفاعها لغلبة البرد على اجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ماذكرنا فيما سلف من كتبنا فى هذه المعانى المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا فى العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كاخبار العامة فى كون النسناس وأن وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم ذوو ألباب وقولهم فى عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة

علينا العجفاء كلفاء عليها هروى أصفر غسيل وكأن وركيها في خيط من وسخها فقلت لأبي السائب بأبي أنت ما هذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذي شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاستبقني أن قد كلفت بكم * ثم افعلي ما شئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فتحسنت في عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فإيما بك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه * يا قلب أنك بالحسان لمغرم
يا ليت أنك يا حسام بأرضنا * تلقي المراسي طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون إخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فاعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكني فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقة بين وربت العجفاء في عيني كاير بوالسويق بماء مزنة ثم غنت

يا طول ليلي أعالج السقما * أدخل كل الأحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فالقيت طيلساني وأخذت شاذكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة في البيت فيها قوارير دهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الشغ قوانيني يعني قوارير فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره وقال للعجفاء لقد هجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف إليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس فابتيعت له العجفاء وحملت إليه *(ومن القادمين على الأندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر ابن محمد بن عبد الرحمن الموصلي)قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر إلى ملك الأندلس فسمعت منه بالمرية انتهى *(ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير ابن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعي)يكنى أبا جعفر دخل الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروي أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى أن الأمير محمدا روى عنه منها وأنزله برية *(ومنهم أحمد بن أبي عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف) من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله إليها في محرم سنة ٣٤٣ فأكرم الناصر مثواه وكان فقيه أهل مصر ذكره ابن حيان *(ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن الاسكندراني) لقي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الأندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وأنشد على السلفي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة

أجناس ناس ونسناس ونسناس وهذا محال من القول لأن النسناس إنما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقي النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا * خلفا في أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أي ذهب الناس وبقي من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس إلى أن الجن نوعان أعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحن وأنشد الراجز

مختلف سحرهم جن وحن

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وإنما ذلك من توهم الأعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الأخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالأخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والأمصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق وبعضهم في المغرب فأهل الشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يشير سلطانه إلى أن النسناس فيما بعد عنهم من البلاد وناى عن الديار وقد رووا في ذلك خبرا مخرجه من طريق الآحاد أن ذلك في بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصري

عشت تسعين وأر * جو أن أعيش لمائه

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القراآت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفار[illegible] البخاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العر[illegible] والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدو[illegible] وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما رواه [illegible] من شيوخه وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله مح[illegible] اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الار بعي[illegible] بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم ال[illegible]

*(ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) و[illegible] البلاد ومن المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على [illegible] العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي [illegible] العلاء حسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه [illegible] (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حلت وصفي * أوجبت حقا للحقوق [illegible]
وتحيي كل التحية دونها * وكذاك دونهم [illegible] الاشراف
أحسن بان [illegible] بها * مهتزة لورودها [illegible]
كالروض [illegible] فلعرفها * يا ابن النبي على [illegible]
وعلاك أن ابا العلاء مكانه * يلفي به الاسعاد و[illegible]
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له [illegible]

هذه يا سيدي تحية تجب لها اجابة وحية وتصلح بها هشاشة وارتياحة [illegible] العجالة ويعتنها مع صدر من ابناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة [illegible] الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحر احسا[illegible] وروضا يجني منه أطايب السمر الجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته [illegible] وحصل [illegible] من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القص[illegible] [illegible] بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في

وفارق

عن أبيه يعقوب بن الحرث بن نخيم عن شيبة بن الحرث التميمي قال قدمت الشحر فنزلت على رأسها فتذاكرنا النسناس فقلت صيدوا لنا منها فلما أن رجعت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة فقال لي النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم حلوه فخلوه فلما حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيا قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون في قنصه فلما خرجنا الى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ومثل الثدي في صدره ومثل رجلي انسان رجلاه وقد ألظ به كلبان وهو يقول

الويل لي مما به دهاني
دهر من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربا ني
ألفيتماني حضرا عناني
لولا سباقي ما ملكتماني
حتى تموتا أو تفارقاني
لست بخوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
[illegible] قضاء الملك الرحمن
[illegible] ذا القوة والسلطان

[illegible] فالتقيا به كلبان فاخذاه [illegible] يزعمون أنهم ذبحوا منها [illegible] فقال آخر من شجرة [illegible] ياكل السماق قال [illegible] نسناس آخر خذوه [illegible] فذبحوه وقالوا لو سكت [illegible] مكانه [illegible] ترى أنا صمت فاخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه

وفارق افريقيه لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى
حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف
الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوي ويبصر ما يحقر عنده المرئي والمروي وهي
غاية يقول الآمل عليها اطلت حومي وجنة يتلو الداخل لها يا ليت قومي وسيدي هو
مهاباب على الفتح بني وجناب عنان الامل اليه ثني وقصده من هذا الشريف أجل قاصد
واطلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى
شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكن
يعرف عن نفسه ما ليس في وسع واصفيه ويقتضي من عزيمة بره ما لا سعة للترخص فيه
ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم
ب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم
رحمة الله تعالى وبركاته في الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩
الثاني) هل لك يا سيدي أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن في الشرف
تا بالوصي والحسن ... الذي ملكته قيادي واسكنته فؤادي
الآداب النقية ونش... فا المشرقية وتنصف فترى أن في سلنا
وأن المحاسن ... ها ولدنا وزرع وادليس مما عهدنا وأنا في
لك وأماثل من يشا ... لك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج
الشريف الاجل ... ارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل
ية السيارة ... ع ونسيم ورتع في جميم وهشيم وشاهد
مطالع ... حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن
من أصابع العدا الى العقدة ويحصل
ب بخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل
كل حسبه وخلقه فاذا رأيته
افلاذه والحظ فيما يجب من
كواره ويقبس من أنواره
الهيم يهمي وتضرب في
(ومنهم تقي الدين
ال الوادي آشي
ل بعض

و
الاخ
محمد ابي ال
فيه ا

أن المهرة تصطادها في
بلادها وتأكلها (قال
المسعودي) ووجدت أهل
الشحر من بلاد حضرموت
وساحلها وهي تسعون
مدينة على الشاطئ من
أرض الاحقاف وهي أرض
الرمل وغيرها مما اتصل
بهذه الديار من أرض
اليمن وغيرها من عمان
وأرض المهرة يستظرفون
أخبار النسناس اذا ما
حدثوها ويتعجبون من
وصفه ويتوهمون أنه
ببعض بقاع الارض مما
قد نأى عنهم وبعد كسماع
غيرهم من أهل البلاد
بذلك عنهم وهذا يدل على
عدم كونه في العالم وانما
ذلك من هوس العامة
واختلاطها كما وقع لهم
أخبار عنقاء مغرب وهذا
يدل على عدم كونه في
العالم ورووا فيه حديثا
عزوه الى ابن عباس ونحن
لم نحل وجود النسناس
والعنقاء وغير ذلك مما
اتصل بهذا النوع من
الحيوان الغريب النادر
في العالم من طريق العقل
فان ذلك غير ممتنع في القدرة
لكن أحلنا ذلك لان
بر القاطع للعذر لم يرد
ود ذلك في العالم
اع من الحيوان

عشت تسعين وار * جو أن أعيش لمائه

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب النائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القرا آت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشابها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي مارواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى *(ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على كتابين كتبهما في شان العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي احدهما لابي العلاء حسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا جملت وصيتي * اوجبت حقا للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بان تلقى ابن حسان بها * مهتزة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك أن أبا العلاء مكانه * يلفى به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له اوصاف

هذه ياسيدي تحية تجب لها اجابة وحية وتصلح بها هشاشة وأريحية اودعتها بطن هذه العجالة وبعثتها مع صدر من أبناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة متواضع مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحرا حصاه الدر النفيس وروضا يجني منه أطايب السمر الجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضيء سناه ويحل بيتا من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصور الحمر والبيض وورد الجون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في أرض الهرمين

وفارق

النسناس فقلت صيدوا لنا
منها فلما أن رجعت اليه
اذا بنسناس منها مع بعض
أعوانه المهرة فقال لي
النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم
حلوه فخلوه فلما حضر الغداء
قال هل اصطدتم منها شيا
قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك
قال استعدوا فانا خارجون
في قنصه فلما خرجنا الى
ذلك السرح خرج منها
واحد يعدو وله وجه كوجه
الانسان وشعرات في ذقنه
ومثل الثدي في صدره
ومثل رجلي انسان رجلاه
وقد ألظ به كلبان وهو يقول
الويل لي مما به دهاني
دهر من الهموم والاحزان
قفا قليلا ايها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربا ني
الفيتماني حضرا عناني
لولا سباقي ما ملكتماني
حتى تموتا أو تفارقاني
لست بخوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان
قال فالتقيا به كلبان فاخذاه
ويزعمون أنهم ذبحوا منها
نسناسا فقال آخر من شجرة
كان ياكل السماق قال
فقالوا نسناس آخر خذوه
فاخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت
هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى أنا صمت فاخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه

وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحقر عنده المرئى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها اطلت حومى وجنة يتلو الداخل لها ياليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجل قاصد وأطلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكن يعرف عن نفسه بما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة برء ما لا سعة للترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم الحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك يا سيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصى والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى وأسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقية وتشتاق اللطائف المشرقية وتنصف فترى أن فى سيلنا جفاء وفى مغربنا جفاء وأن المحاسن نبت أرض ما بها ولدنا وزرع واد ليس مما عهدنا وأنا فى هذا أشايعك وأتابعك وأناضل من ينازلك وينازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف السيد المبارك الاجل نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرية المختارة ونجم الدرية السيارة جرى مع زعزع ونسيم ورتع فى جميم وهشيم وشاهد عجائب كل اقليم وشرق الى مطلع ابن جلا وغرب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العد الى العقدة ويحصل من محض الحقيقة على الزبدة وقد علم انه ما كل الخطب كخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدبه يا سيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بان الشرق قد اتحفه أبرقة بغداذه بل رمانا بجملة أفلاذه والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه انما هو فى الحقيقة لجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لا محالة تفهمه فهمى وتشيم من شيمه عارضا برى القلوب الهيم يهمى وتضرب فى الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمى والسلام انتهى * (ومنهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفى المصرى) قال الوادى آشى فيه انه من أعيان مصر قال وسالته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فاجابنى بان هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطبخ فى الفرن بأرواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر ية لدون الحنفية فى ذلك قال وسالته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة

أن المهرة تصطادها فى بلادها وتأكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم ورووا فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى العالم

 وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان

أولها ثلاثة مثلثة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لي وعيب ما يقع من بعض النقاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة في أصول الدين وغيرها على من يرد عليهم قصدا في تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضي الكفر وواحدة تقتضي الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى وقد ذكرنا في الباب الاول من هذا القسم حكاية البصري المغنى القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية في دولة بني المعز بن باديس وسردنا دخوله عليه في مجلس أنسه وما اتفق في ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارتحل المغنى اليها ومات بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المؤرخ في كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغنى المذكور لجعلنا له ترجمة في هذا الباب اذ هو به أليق والامر في ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب *(ومنهم الولي الصالح العارف بالله سيدي يوسف الدمشقي رضي الله تعالى عنه) وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذلي الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتي مدينة وادي آش الكرة بعد الكرة لزيارة عارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثني مولاي والدي رضي الله تعالى عنه من لفظه بتماسان امنه الله تعالى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على سنة شهر رمضان المعظم في زمان ولايتي الخطابة والامامة بالمراص من خارج وادي آش أعادها الله تعالى فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت في ذكر اتخذه في هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فاجمعت على مطالعة حلية النواودي ٢ لعلي اقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتي أحدا فلقيني الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى في الطريق فقال لي سيدي يوسف الدمشقي يسلم عليك ويقول لك الذكر الذي تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقني الزهد في الدنيا ونور قلبي بنور معرفتك قال والدي رضي الله تعالى عنه وكان هذا سبب تعرفي له ولقائي اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوى في هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولي الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمي بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا ان عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري ولو اجتمعت على كتبي المخلفة بالمغرب لاتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي *وفي الاشارة ما يغني عن الكلام*

(الباب السابع)

في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزوها وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك

النادر ذكرها كالنسناس الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع كتاتيه في غيره من الحيوان فبقي شاذا فريدا متوحشا نادرا في العالم طالبا للبقاع النائية من البر مباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفي الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذي اليه قصدنا في هذا الكتاب وقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم ان المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عنى بهذا الشان من الحكماء أن يأتي له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن ارسل الى اليمامة في حمل العربد الى بلاد الشحر وفي حمل النسناس في كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا في ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد بعلم ذلك

من

من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الاندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب في فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة في الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ومن اجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشترى والمريخ * وانتقد عليه بعضهم بان أقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها الشمالي والسابع في جزائر المجوس وللاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثاني والمريخ للثالث ولا مدخل لهما في الاندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الاندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون في افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها ورواياتهم بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذي شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وعد رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم أولا مشرقيا انتهى قال ابن سعيد اما اصول الخط المشرقي وما تجد له في القلب والعين من القبول فسلم له لكن خط الاندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور في رسالة لابن حزم وقال فيها ان أهل الاندلس صينيون في اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها انتهى * وعد ابن غالب في فضائلهم اختراعهم للموشحات التي استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من بر العدو ومع بلاد افريقية فاما أهل البادية فمالوا في البوادي الى ما اعتادوه وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار وأحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس

(وأما ما ذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسي وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي وانه ذكر انه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار واطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما رووه فلا بد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا في الزمان الاول من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله

باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك وأما أهل الحواضر فتاقوا الى الحواضر واستوطنوها فاما أهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون فى أمور المملكة ولا يستعمل بلدى ماوجد أندلسى وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأجلوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أومبطل انتهى * وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى أنى ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق أحق ان يتبع فلعل مطلعا يقف على ماذكره ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمس التابع له والراضى بنقل قوله فى هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين

ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها * وقالوا بانى فى الثناء مقصر

ويكفى فى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هى بغداد المغرب وهى أعظم مافى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التى كانت فى مراكش بسلطان افريقية الآن أبى زكريا يحيى ابن أبى محمد بن أبى حفص فصار فيها من المبانى والبساتين والكروم ماشابهت به بلاد الاندلس وعرفاء صناعه من الاندلس وعمائله التى يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشان فانما أكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لاتجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدى أنشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهى

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أنى المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل للناس أنجم
واخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنم عليهم فى الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها وقال هذا مالا يقدر اندلسى على مثله وبالحضرة ابو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تيمموا * وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلى ردانى الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
ابيت سمير الفرقدين كانما * وسادى قتاد أوضجيعى أرقم
واحور وسنان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى اجفانه والى الهوى * فايقنت انى است منهن اسلم
كان ابراهيم اول نظرة * رأى فى الدرارى أنه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة فى جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق افتتحوها

وسادات

وأدخل الله موسى وبنى اسرائيل فى التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون فى التيه وجميع من كان مع موسى من بنى اسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم فى التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز فى بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبى من بنى عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها فانقطع نسلها فابقيت صورتها تحكى فى البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوى الدراية الى أن أقوال الناس فى أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون أنه جاء بامر عجيب قال شاعرهم وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال

قومه اذا أنا مت فادفنونى فى حقف من هذه الاحقاف وهى تلول عظام من الرمل واحرسوا قبرى أياما فاذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذى فيه قبرى أياما فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى وأخرجونى الى شفير القبر وأحضروا الى كاتبا ومعه ما يكتب فيه حتى أملى عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة قال فرصدوا قبره واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم فحضر ولده وشهر واسيوفهم وقالوا والله لا نترك أحدا ينبشه أتريدون أن نعير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه أهله قال شاعر بنى عبس

بنى خالد لو أنكم اذ حضرتم ... نبشتم عن الميت المغيب فى القبر

لابقى عليكم آل عبس ذخيرة ... من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبار كثيرة فى هذا المعنى واشباهه من فنون الاخبار من أخبار بنى اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلق الخيل وهو ما حدثنا به الحسن بن ابراهيم الشعبى القاضى قال احدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أبو الحرث

وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقى النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر ان اباعلى البغدادى صاحب الامالى لو افد على الاندلس فى زمان بنى مروان قال لما وصلت القيروان وانا اعتبر من أمر به من اهل الامصار فاجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال ابو على فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغنى انه كان يصل كلامه اذا بالتعجب من اهل هذا الافق الاندلسى فى ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم ان علمى علم رواية وليس علم دراية فخذوا عنى ما نقلت فلم آل لكم ان صححت هذا باقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام الحجارى فى المسهب الاندلس عراق المغرب عزة انساب ورقة آداب واشتغالا بفنون العلوم وافتنانا فى المنثور والمنظوم لم تضق لهم فى ذلك ساحة ولا قصرت عنه راحة فما فيه بعصر الا وفيه نجوم وبدور وشموس وهم اشعر الناس فيما كثره الله تعالى ببلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم احد فى هذا الشان وابن خفاجة سابقهم فى هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان واما اذا هب نسيم ودار كاس فى كف ظبى رخيم ورجع بم وزير وصفق لماء خرير اورقت عشية وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية اوتبسم عن شعاع ثغر نهر اوترقرق فى جفن زهر اوخفق بارق اووصل طيف طارق اووعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين اقبل رائد الصباح اوازهرت روضة السماء بزهر كواكبها اوقوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين فى الوصف اذا قعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج سماء واطلعت شبه النجوم اسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم فى جميع الاوصاف والتخيلات ائمة ومن وقف على اشعارهم فى هذا الشان فضلهم فيه على اصناف الامة وقد غلبتهم على الشعر انسابهم العربية وبقاع هم النضرة وهممهم الابية ولشطار الاندلس من النوادر والتشكيتات والتركيبات وانواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته وتخلق تشكلى وتسلى المسلوب قصته مما لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى وما ركب ولا استغرب أحد ما أورده ولا تعجب الا أن مؤلفى هذا الافق طمعت هممهم عن التصنيف فى هذا الشان فكاد يمر ضياعا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا انتهى * وقد رأيت أن اذكر رسالة أبى محمد بن حزم الحافظ التى ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو على الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمى القيروانى الى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الاندلس فى تخليد أخبار علمائهم وما ترفضائلهم وسير ملوكهم ما صورته

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبي انى خالق منك خلقا فاجتمعت فأمر جبريل فأخذ منها ثم قال الله هذه قبضتي قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم تقاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسل فصهل فقال باركت فيك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أخبرني أى الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال يا رب اخترت أحسنهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفي ولده الى يوم القيامة يعني الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل يذكر كل نوع لما ذكرنا (قال المسعودي) رحمه الله وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصري في كتابه المترجم بكتاب الحلائب والحلائب وذكره لكل

كتبت يا سيدي وأجل عددي كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة سائلا مسترشدا وباحثا مستخبرا وذلك انى ذكرت في بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير ونبل ومصدر كل طرفة ومورد كل تحفة وغاية آمال الراغبين ونهاية أماني الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته فشجع الجبان واقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العيي وشعر البكي واستنسر البغاث وتثعلب الحفاث فتنافس الناس في العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والايام ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطلق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب واشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن هم أحدهم ان يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا في حلق العميثل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علماء الامصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فألفوا دواوين بقى لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا في القبور فضلا عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذى سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لا سيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه أكثر الحز وأخطأ المفصل وأطال الهز لسيف غير مصقل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فارشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك في ذلك الجلية وبيدك فصل القضية والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخى يا أبا بكر سلام عليك

سلام

سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالى ثم لقيك في حال سفر ونقلة ووادك في خلال جولة ورحلة فلم يقض من محاورتك أربا ولا بلغ في محاورتك مطلبا وانى لما احتللت بك وجالت يدى في مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عينى في تضاعيفها درج قد أملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبينا في الدار أهل افريقية ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم الى رجل اندلسى لم يعينه باسمه ولا ذكره بنسبه يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلادهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ويبقى علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه في ذلك واستدل على صحته عند نفسه بان شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم ساعدنا المجلس الحافل باصناف الآداب والمشهد الآهل بانواع العلوم والقصر المعمور بانواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى قرارة المجد ومحل السودد ومحط رحال الخائفين وملقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكتسبه الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته ولا ينال حضره هوينته وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالى دنوه ولا يعلو في جيد الخلال علوه بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور واجتزى من الاطالة في تقريظه بمنتماه المذكور فحسبي بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا الخاطب وراغبا في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسى أو بعد عنه فخفى فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى ان ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى واياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من في القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفى وصول كتابى على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار تآليف اهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت في اخبارى اياك بما ارسمه في كتابى هذا كمهد الى البركان نار الحباحب وباني رضوى في مهيع القصد اللاحب فانك وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضى وما توفيقى الا بالله سبحانه فاما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره وهو كتاب مريح

سنة أجريت فيها الخيل في الجاهلية والاسلام ان سليمان بن داود زود أناسا من الازد فرسا يصيدون عليه فسمى زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره (وللناس في الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التى تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هى أخبار الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وأنه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم باوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه في فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا في خبر الجائز الممكن الذى ليس بواجب أنه لاحق بالاسرائيليات من الاخبار والاعجاز عن عجائب البحار ولولا ما قدمنا آنفا

من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار مما رواه أصحاب

ماءيج وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك يسر عاجله ويغبط آجله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخباره بالشيء قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت أم حرام منهم أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى احداهما أولى الا والتالية لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى أولى الا الثانية ولا الثانية ثانية الا الاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين وبشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصادق آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها في تلك السفن هبيرة الفزاري وأما صقلية فانها افتتحت صدر أيام الاغالبة سنة ٢١٢ أيام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى وبهامات وأما اقريطش فانها افتتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من فل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى ان كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر المتعصبين لها أهل الاندلس وأما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعق تمائمنا مع سر من رأى في اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها

الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار مما لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدور وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الدقل فحل الكيس ولم يزل يرمي درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة فاضل بهم البحر وألقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحب العصر فخرجوا فاذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا واذا هم برجل

تسعين

تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن في علوم القراآت والروايات وحفظ كثير من الفقه والشعر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائي الاقطار فسيح المجال والذي نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكان فيه شركاء لاكثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفا غير المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تأليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك افريقية وممالكها دواوين ضخمة وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك ألف أيضا في أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة وتكور والبصرة وغيرها تآليف حسانا ومحمد هذا أندلسي الاصل والفرع آباؤه من وادي الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولابد من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا ان نأتي منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل تارك لسكناها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وانما سكن علي الكوفة خمسة اعوام واشهرا وقد بقي ٥٨ عاما واشهرا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى وكذلك ايضا اكثر ممن ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران ابن حصين وانس بن مالك وهشام بن عامر وابي بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن اكثرهم ومكثهم مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين بدؤا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين بعمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي والمكيين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولي الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذي اختاره أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع في محمد بن هانئ سوانا والعدل أولى ما حرص عليه والنصف أفضل ما دعي اليه وبعد التفصيل الذي ليس هذا موضعه وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضي الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا وما أعلم في أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبي طاهر وأما سائر التواريخ التي ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزي النسب وصفاها

بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد وصفة وجهه كذا وأنه خاطبهم وساءلهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بحمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار في معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاث انهضامات أما الاول فهي المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فـ مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد في العروق الى الجسد كاندفاع الماء النهر الى السواقي والـ فتهضمه باعضاء الجـ البالية فتصيره الى شبه اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وماسوى ذلك وأن أقدارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فبالصيف تقوى

وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تاليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن يتصل بها تاليف في أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على أنهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان في شيء من ذلك تاليف لكان الحكم في الغالب أن يبلغنا كما بلغ سائر تاليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهاني في أخبار أصبهان وكتاب الموصلي وغيره في أخبار مصر وكما بلغنا سائر تاليفهم في أنحاء العلوم وقد بلغنا تاليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضي احمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة وتشنيعه على الشافعي وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تاليفهم دون مشهورها وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر أزهد الناس في عالم اهله وقرأت في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبي حرمته الا في بلده وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع وتغذيتهم بأكرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التي ابانهم بها عن جميع الناس والله يؤتي فضله من يشاء ولا سيما اندلسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما يأتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته باضعاف ما في سائر البلدان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي اي زمان قرأ ولامه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار احد طريقين اما شفوفا عاليا يعليه على نظرائه او سلوكا في غير السبيل التي عهدوها فهنالك حمي الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلده والحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالحرا وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتاليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تاليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي ألفت بالاندلس كتاب القصي مالك بن علي

المرة الصفراء ويكثر اهتياجها والخريف يقوي السوداء والشتاء يقوي البلغم والربيع يقوي الدم ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وأن البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام ٣ المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد ربما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته علامة حتى يكون مقوما
ث الخلط اذا هاج (وقد
أبقراط) ينبغي أن
ن كل شيء في هذا العالم
دراعلى سبعة أجزاء
م سبعة والاقاليم سبعة
ن الناس سبعة أولها
ثم صبي الى أربع
سنة ثم غلام الى
دي وعشرين سنة ثم
ب ما دام يشب ويقبل
الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم من الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو

وهو

الذي يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فللبرد كما ذكرنا لان البياض اذا الحت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن

وهو رجل قرشي من بني فهر لقي أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبي اسحق ابراهيم بن مزين في تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعاني الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا وكتابه في رجال الموطا وما لمالك عن كل واحد منهم من الآثار في موطئه وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع في شئ من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري وكان شافعي المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد وكان داودي المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما في أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا منها احكام القرآن على ابواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب المجتبى على ابواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب في فضائل قريش وكنانة وكتابه في الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة اليه وبوّبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال في معناه ومنها كتابه في الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك ومنها كتاب الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن

يوسف بن الفرضى فى المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغنى الحافظ البصرى فى ذلك الا كتابين وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحوا لثلاثين لا أعلم مثله فى فنه البتة ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ما وضع فى الرجال أحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلى البغدادى ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم فى التاليف القائم فى ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضى وهى كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطى فما شاء أبو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها فى الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم فى فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهى المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالى والطيران الحثيث والكتاب الذى جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلى المعروف بابن المكوى والقرشى أبو مروان المعيطى فى جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذى جمع فيه القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصرى أقاويل الشافعى كلها ومنها كتاب المنتخب الذى ألفه القاضى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت لمالكى قط كتابا أنبل منه فى جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتآليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن فى معناه وكان شافعى المذهب نظارا جاريا فى ميدان البغداديين ومنها فى اللغة الكتاب البارع الذى ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوى على لغة وكتابه فى المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله فى بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزى المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع فى فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى فى اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل وهو أظن فى الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغى أن تخلو رسالتنا عنها وهى ان أبا الوليد عبد الله ابن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى حدثنى أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبى غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار اندلسية على ان يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لابى الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح فى هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لانى لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد فى اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس فى غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابى على اسمعيل بن القاسم وهو مبار لكتاب الكامل لابى العباس المبرد ولعمرى لئن كان كتاب أبى العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبى على لا كثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعى وهو جار فى مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفى لكتاب الكسائى حسن فى معناه وكتاب ابن سيده فى ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف فى الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء فى أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابى عمر

أطراف الاصابع والشفة والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم أبقراط) أن فى بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة فى الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهى مخصبة لان تلك البلاد بلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فاجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم فى صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط فى معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتأثيرها فى الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هى التى تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها فى البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التى فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم فى صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت اذابت الهواء وبردته وسخنت البحار

أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى الان أبا بكر انما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير أندلسي شيأ وأحسن الاختيار ما شاء ـا الغاية وأتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق ح أبي القاسم ابراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدا ومن اريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها وتواريخ يت منها أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ ـبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف وفي أخبار بني قيس والتجيبيين ويل والثغر وقد رأيت من ذلك كتبا مصنفة في غاية الحسن وكتاب جزء في شيرة في اخبار رية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تاليف اسحق بن سلمة حق الليثي وكتاب محمد بن الحرث الخشني في اخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد س وكتاب في اخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في انساب مشاهير الاندلس في خمسة اسفار ضخمة من احسن كتاب في الانساب واوسعها وكتاب قاسم ن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه في فضائل بني امية وكان ن الثقة والجلالة بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة في اصحاب المعاقل لاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس ستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها اخبار شعراء البيرة في نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب لوالع في انساب اهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في اخبار اهل الاندلس بف ابي مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب الف في هذا المعنى وهو في الحياة ـد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين بن عاصم في سير ابن ابي عامر خباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوي في طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب كن بن سعيد في ذلك وكتاب احمد بن فرج في المتنزين والقائمين بالاندلس واخبارهم وكتاب اخبار اطباء الاندلس لسليمان بن جلجل واما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد ادركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها واما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة وامارسائل استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة

والانهار وكل شئ فيه رطوبة وتغير لون كل ذي رطب وحالاته وهي ترخي الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا في السماع وغشاوة في البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذي يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطيب الابدان وتصحح الادمغة وتحسن اللون وتصفي الحواس وتقوي الشهوة والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تأخر في الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هبت بارض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أوبأ من الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما في فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم في أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تأمل ذلك وكذلك يجده من تأمل ما وصفنا في سائر الامصار في بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط في معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة

الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به فلسنا نثق بانفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من اهل بلدنا الا اني سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا وكذلك كتاب لا فما تقدم الى مثله في معناه واما اذ ذكرنا التآليف المستحقة للذكر والتي تدخل تحت السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم الا في احدها وهي اما شيء يخترعه لم يسبق اليها يتمه او شيء مستغلق يشرحه او شيء طويل يختصره دون ان يخل بشيء من معانيه متفرق يجمعه او شيء مختلط يرتبه او شيء اخطأ فيه صاحبه يصلحه واما التآليف عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر بعلمها واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه وقد كان قوم يذهبون الى الاعتزال نظار على اصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن اسحق و السمينة والحاجب موسى بن حدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد وكان داعية الى الا لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب اصحاب الحديث كتاب في المعنى هو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة الفائدة لانا اسقطنا فيه المشاغب كلها واضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البرا المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا تحققنا به تآليف جمة منها ما قد تم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صد ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا اردنا السمعة فنسميها والمر بها وبنا اجل وجهه وهو ولي العون فيها والمليّ بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبـ وحسبنا الله ونعم الوكيل وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم وناية من محلة العلماء ذكرنا من تآليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة والـ والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفـ وذويه ومراد المعارف وأربابها ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابي الشعر لم نباه به الا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الاشعث السجستاني وأحمد بن شعيب النسائي واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي وهو شريكهما في صحبة المزني بن ابراهيم والتلمذ له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا أبا الحسن بن المغلس والخلال والديباجي ورويم بن أحمد وقد شاركهم عبد الله في ابي سليمان وصحبته واذا أشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابه وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس واذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرياحي وأبي عبد الله محمد بن عاصم لم نقصر اعن

المشرق وهى القبول والثانية تهب من المغرب وهى الدبور والثالثة من التيمن وهى الجنوب والرابعة من التيسر وهى الشمال (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ارادة فرأينا ان نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة فى هيئة النجوم والفلك زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة ستمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائة فرسخ ومن مكة الى جدة اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون الف فرسخ فى أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) فى المشرق أحد عشر ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ فى مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه) أربعمائة فرسخ فى ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل برجان) الف اكار

أ كابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلي لما تاخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبي فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك ابن سعيد المرادي وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف ن وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ومحمد ابن عبد الله بن مسرة في طريقه التي سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه في جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق لعلمه والهادي الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم شرف وكرم انتهت الرسالة * وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى * وقال ابن سعيد بعد ذكره ذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرني والله تعالى ولي الاعانة * أما القرآن فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي الب القرطبي وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب في كتاب فرحة الانفس ليف مكي المذكور فبلغ بها ٧٧ تاليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابي محمد بن عطية رناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه فضلاء المائة السادسة وأما القراآت فلمكي المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب سير لابي عمرو الداني مشهور في أيدي الناس وأما الحديث فكان بعصرنا في المائة ابعة الامام ابو الحسن علي بن القطان القرطبي الساكن بحضرة مراكش وله في تفسير يبه وفي رجاله مصنفات واليه كانت النهاية والاشارة في عصرنا وسمعت انه كان تغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين بن عمار دلسي في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطا والسنن والنسائي والترمذي كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابي محمد عبد الحق الاشبيلي مشهور متداول القراءة وهي أحكام كبرى وأحكام صغرى قيل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي مشهور وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذي ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعي السرقسطي وكتاب النهاية لابي الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجي وأما اصول الدين واصول الفقه فللامام أبي بكر ابن العربي الاشبيلي من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدي الناس وله تصانيف غير هذا ولابي الوليد بن رشد في أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين في نحو ستين مجلدة وانما ذكر ابن حزم

وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن ابن معاوية ثلثمائة فرسخ ٣ (عمل ادريس) الفاطمي الف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابي المنتصر اربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) الفان وخمسمائة فرسخ في ستمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب الف فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا في ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا في أربعين فرسخا (عمل البجه) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل النجاشي) ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وستمائة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام في وصف أصول الطب وهل ذلك ماخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس في ذلك فلم نتعرض لايراده في هذا

كتاب المقتبس وهو فى عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويعنى فيها عما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسى أحد معاصرينا وهو الآن بافريقية فى حضرة تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر وكتاب المظفر بن الافطس ملك بطليوس المعروف بالمظفرى نحو كتاب المتين فى الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة فى الدولة اللمتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفى الغرناطى له كتاب فى أخبار دولة لمتونة وأن أبا الحسن المالقى له كتاب فى أخبار الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٢٩ ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب فى تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء فى خاطره وله كتاب الصلة فى تاريخ العلماء وللعميدى قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة فى عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسى صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجى القرطبى له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى فى أخبار الاندلس الى دولة عبد المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٠ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة فى التواريخ مثل كتاب نقط العروس فى تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب التبيين فى خلفاء بنى أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين فى خلفاء المشرق للمسعودى وللقاضى ابى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى كتاب التعريف باخبار علماء الامم من العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم فى معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبى له كتاب اختصار تاريخ الطبرى قد سعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبى بكر الحسن بن محمد الزبيدى فى أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضى أبى الوليد الفرضى فى أخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ الفه كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبى من جزيرة شقر فى التاريخ الذى أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام فى جزيرة الاندلس ليس هذا مكان الاطناب فى تفضيلها وهى كالذيل على حدائق ابن فرج وفى عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو معلوم بلاغة والمحاكة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم فى القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابى عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخلابتوفيته حقه من الفضلاء واستدرك من أدركه بعصره فى بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسى بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الحجارى المسمى بالمسهب فى فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها

من هذا الكتاب فى أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده فى هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على أغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين فى المراد لما ذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوى المعرفة الى علمه ولما تغلغل بنا الكلام فى نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعانى مما لم يتقدم ذكره وقد اتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والايضاح فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله تعالى اعلم

(ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم)

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف

من يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان
ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم
ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل
كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوى على كتابي المشرق في حلى المشرق
والمغرب في حلى المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة
أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر
بحلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور
في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي
الذكر فيطالب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في
اشبيلية وابن الامام في استجة والحجاري في وادي الحجارة * وأما ما جاء منثورا من فنون الادب
فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس
صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الآداب للحصري وكتاب واجب الادب
لوالدي موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلئ لابي عبيد البكري
على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح
أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ويكفي
ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي الحجاج الاعلم لشعر المتنبي
والحماسة وغير ذلك مشهورة * وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل
ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي
الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق
المغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقي باليمين من كل جهة وطار بجناح
لاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن
سيده وابن الطراوة والسهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشان
معتمد عليه ولابي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه به * وأما كتب علم
الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاونبي وكتاب معجم
ما استعجم من البقاع والاماكن وفي كتاب المسهب للحجاري في هذا الشان وتذييلنا عليه
في هذا الكتاب الجامع ما جمع فوائد الاولين والآخرين * وأما كتب علم الموسيقى
فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي
بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيى الخدج المرسي
كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو ممن أدرك المائة السابعة
وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله
كتاب التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور معتنى به
بالمغرب والمشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب
في الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا

يعتقدون أن الله عزوجل جسم وان الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالاسماء
فدعاهم ذلك الى أن
اتخذوا تماثيل وأصناما
على صورة الباري عزوجل
وبعضها على صورة الملائكة
مختلفة القدود والاشكال
ومنها على صورة الانسان
وعلى خلافها من الصور
يعبدونها وقربوا لها
القرابين ونذروا لها النذور
لشبهها عندهم بالباري
تعالى وقربها منه فاقاموا
على ذلك برهة من الزمان
وجملة من الاعصار حتى
نبههم بعض حكمائهم على
أن الافلاك والكواكب
أقرب الاجسام المرئية
الى الله تعالى وأنها حية
ناطقة وأن الملائكة تختلف
فيما بينها وبين الله وأن كل
ما يحدث في هذا العالم
فانما هو على قدر ما تجري
به الكواكب على أمر الله
فعظموها وقربوا لها
القرابين لتنفعهم فمكثوا
على ذلك دهرا فلما رأوا
الكواكب تخفى بالنهار
وفي بعض أوقات الليل لما
يعرض في الجو من السواتر
أمرهم بعض من كان فيهم
من حكمائهم أن يجعلوا
لها أصناما وتماثيل على
على صورها وأشكالها
فجعلوا لها أصناما وتماثيل
بعدد الهياكل الكبار
المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها أنواعا من القربان خلاف ما للآخر على أنهم اذا

الشان حشر عليه ما سمع به يقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي و كتاب الزهراوي و كتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشان فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي و بين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا وما الملك والفضل الا من بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول و يمر ضياعا وأرجو اذا اخليتما له فكريكما يصدر عنكما ما يحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندي الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم ملء فيه ويطنب ما شا فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني ممن أنشأته وحباني بان كنت ممن أظهرته فامتد في الفخر باعي وأعانني على الفضائل كرم طباعي وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حركني ساكنا وملأني فارغا فخرجت عن سجيتي في الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع في فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع و يأتي بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يضله من تاه في تلك المسالك رام ان يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام ان يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل اضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيا من نفخ في غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تتكاثر بما جعله الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدو أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقن حياءك ايها المغرد بالتحبب المتزين بالخلق المتحبب الى الغواني بالمشيب الخضيب

عظموا واما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا الكل منهم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم في سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولان زحل من شانه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله والفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر يوداسف بارض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهي بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله و بين خلقه وأتى أرض فارس وذلك في اوائل ملك طهمورث ملك فارس وقيل ذلك في جم سند وهو اول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان يوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع

أين

الصدر من هذا العالم (وجد ديوداسف) عند الناس عبادة الاصنام والسجود لها الشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكر ذوو الخبرة بشان هذا العالم واخبار ملوكهم انه اول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده افضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشا عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه ارباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى وكل من سالها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان اظهر الله الاسلام وبعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وانقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (وبيت ثان) معظم

اين عزب عقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك ابلغت العصبية من قلبك ان تطمس على نور بصرك ولبك اما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا ايضا ومانحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسي جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بني عبد المؤمن ادامها الله تعالى فقد كان عندنا بالخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

واني من قوم كرام اعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف في الاسلام في الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال اودارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ في مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر في الآفاق وصار اثبت في صحائف الايام في اعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس في كل بلدة * وهب هبوب الريح في البر والبحر

ولم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى ان حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا ودرست آثارهم

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

فكم مكرمة انالوها وكم عثرة اقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبي عامر وما أدراك الذي بلغ في بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا في بلادهم من المسلمين ولم يبرح في جيش الهرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله * أبدا ولا يحمي الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وشره أقاصي البلاد ولما ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني وليس منهم الا من بذل وسعه في المكارم ونبهت الامداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو

صمادح وبنو الافطس وبنو ذي النون وبنو هود كل منهم قد خلد فيه من الامداح مالو مدح به الليل لصار اضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض وتفتك في أموالهم فتكة البراض حتى ان أحد شعرائهم بلغ به مارآه من مناقستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه في قسمه ومن أعظم ما يحكى من المكارم التي لم نسمع لها أختا ان أبا غالب اللغوي ألف كتابا فبذل له مجاهد العامري ملك دانية ألف دينار ومركوبا وكسا على أن يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك أبو غالب وقال كتاب ألفته لينتفع به الناس وأخلد فيه همتي أجعل في صدره اسم غيري وأصرف الفخر له لا أفعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته وأضعف له العطاء وقال هو في حل من أن يذكرني فيه لا أصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا في ملاءة الحضر فاني أخص منهم بني عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كأعياد وكان لهم من الحنو على الادب مالم يقم به بنو حمدان في حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا في بلاغتي النظم والنثر مشاركين في فنون العلم وآثارهم مذكورة وأخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم التامة ما هو متردد في ألسن الخاصة والعامة وبالله الا سميت لي بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبسقوت الحاجب أم بصالح البرغواطي أم بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس في مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا للملكه قدرا وبعد ماذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد انشدوه أيعلم أمير المسلمين ماقالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف من المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جواري سودا وبيضا قال لا يامولانا ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لان ليالي السرور بيض فعاد نهاره بعده ليلا لان ليالي الحزن ليالي سود فقال والله جيدا كتب له في جوابه ان دموعنا تجري عليه ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حربغل لا فثم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت للمناضلة بالعلماء فاخبرني هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذي يعمل باقواله الى الآن ومثل ابي الوليد الباجي ومثل أبي بكر بن العربي ومثل أبي الوليد بن رشد الاكبر ومثل أبي الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة

على رأس جبل باصبهان يقال له مارس وكانت فيه اصنام الى ان اخرجها منه يستاسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه احجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من اوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن اراد ان يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو البوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك في ذلك الصقع وتنقاد الى امره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن أجل ذلك سميت البرامك لان خالد ابن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها اشقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح عما عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق

لمعاقل من سوسن قد شيدت * أيدى الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وحماتها * حول الامير لهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو ابو عمرو بن فرج فى قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت النهى جماح شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه العكام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وهل بلغ أحد من مشبهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر اللماى

عارض أقبل فى جنح الدجا * يتهادى كتهادى ذى الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

أو مثل قول أبى حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء احرقها * عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
واذا ما غربت فى فمه * تركت فى الخد منه شفقا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عمد الى قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغنى فى الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد فى قوله

ولما تملأ من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنو رفيق درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتى ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبى ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل العذب بالزعاق فقال وليته سكت

اصين بناه ولد عابور بن بعويل بن يافث بن نوح وافرده للعلة الاولى اذ كان منشأ هذا الملك ومده وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك فى قديم الزمان وجعله سبعة ابيات فى كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من انواع الجواهر المضافة الى تاثير تلك الكواكب من ياقوت اوزمرذ على اختلاف الوان الجواهر ولهم فى هذا الهيكل سر يسرونه فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذى تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما

ونقصت عني العين أقبلت مشية الحباب وركني خيفة القوم أزود

وأنا أقسم لو زاد جمل محبوبة له لكان ألطف في الزيارة من هذا الازور الركن المنقبض للعيون لكنه ان أساء هنا فقد أحسن في قوله

قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع الساهر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعي الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغي أن يتكلم ومثله يليق أن يدون

وواعدتها والشمس تجنح للنوى * بزورتها شمسا وبدر الدجى يسري
فجاءت كما يمشي سنى الصبح في الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فاشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقود الاعتناق بيننا * فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطلق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه أنه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * في دوح مجدكم أقوم وأقعد
ان تسلبوني ريشكم وتقاصوا * عني ظلالكم فكيف أغرد

وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك في ان يأتي به في منزع يصير خلقه في الاسماع جديدا وكليله في الافكار حديدا فأغرب أحسن اغراب وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل اعراب وهو ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤوس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا
والروض اهدى لنا شقائقه * وآسه العنبري قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا * اودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقي المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وقال

أديراها على الروض المندى * وحكم الصبح في الظلماء ماضي
وكأس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وكذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفناه من نسج الديباج وغيره من الصنائع وأهل صناعة النجوم لا يثبتنا كرون ان يقولوا أعطته الزهرة كذا وأعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشتري الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه في بابه

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت فبيت منها كان بانطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المتلمون في موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين فخرب عند مجيء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه

وقال

وقال

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع في اوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل ن طمع بعده في اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشى انس اضجعتني نشوة * فيها يمهد مضجعي ويدمث
خلعت على بها الاراكة ظلها * والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقي والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال في بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه * والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل * والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة * نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى * عنه فذهب صفحتيه أصيل

والقائل

أذن الغمام بديمة وعقار * فامزج لجينا منهما بنضار
واربع على حكم الربيع بأجرع * هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بتغريد هنالك أيكة * خفاقة بهبوب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة النوار

والقائل

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
اذ لا ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

والقائل

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذى بناه سفلانيوس وهو في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحراني حين وافى المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم ابن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شأنه ما وصفنا (والبيت الثاني) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التي ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على ما زعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذى بناه الضحاك وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد وأقاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى واختلاط طويل ننزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولى التوفيق

وهب نفحة روضة مطلولة * في جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كحيل اللحظ في شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا نماها الكرم فهي كريمة * ولم ترض بابن المزن فهي حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والسنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل في وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

واشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * واذنه من ورق الآس
تطلع للغرة في شقرة * حبابة تضحك في كاس

وهل منكم من يقول منادما النديم وقد با كر روضا بمحبوب وكاس فالفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف ان يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو ابو الحسن بن بسام

الابادر فانا لسنا سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل في غلام حائك بمثل قول الرصافي

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلى * لولم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان امرى في الصبابة لى * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقته حببي الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل في الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالحوك اغله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضما بكفيه أو فحصا بأخمصه * تخبط الظبي في أشراك مختبل

ومثل قوله في تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشى رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكأن الشمس في أثنائه * ألصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرق غير الهديل
طائر شاد وغصن منثن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول في موشح فيما يجره هذا المعنى

بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهي تونس وراء بلاد القيروان وهي من أرض الافرنجة وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثاني بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم يعقدونه وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

(ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة)

كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم في هذا الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود يحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها

ورداء الاصيل تطوى به كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة رقاصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار

ألوامى على كلفى بيحيى * منى من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال * كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى جناه فليس يدرى * أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى فى لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقى فى قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضجت وردة خده بتنفسى * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومى فى قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح
وموضع الداء منه عضو * لا يرتضى مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بأبدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الا على متن جواد الخصى
زدت على موسى وآياته * تفجر الماء وتخفى العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكى فى قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا فى حمير * واذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفى قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخلق لقبيح ما * يأتيه فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبى العباس بن جنون الاشبيلى

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شترت فقلنا زورق فى لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكأنما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يصيح

عظام الموتى من النواويس وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل وتحت الاخرى غرابيب سود من صور الغداف وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر فى وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم فى قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والمخاريق المصطنعة التى اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة للصابئة وغيرها مما لحق بهذا الباب)

للصابئة من الحرانيين هياكل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدرى أشاروا الى العقل

وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعله معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود المذكور ان كنت شاعرا فقل في هذه فقال ارتجالا وهو ابن مجير

ساشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب في جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يد منعم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو أبو جعفر الذهبي

ايها الفاضل الذي قد هداني * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى اضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وهل منكم أعمى قال في ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلى

أما اشتفت مني الايام في وطنى * حتى تضايق فيما عن من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل في الشعر

وهل منكم الذي طار في مشارق الارض ومغاربها وهو ابو القاسم محمد بن هانئ الالبيرى

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت فائيته في النجوم ولولا طولها لانشدتها هنا فانها أحسن ما قيل في معناها

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول أبي وهب العباسي القرطبي

انا في حالتي التي قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير ولا ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أثنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبي محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها شيئا يدوم
فاغد منها في أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التي تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظرنى شزرا اذا جئته * كانما جئت لاخصى على

الاول أم الثاني وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول والعقل الثاني وذكر ذلك ثامسطيوس في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثاني الاسكندر الافروديسى في مقالة أفردها في ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هياكل الصابئة) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل ولا أدرى هل هو العقل الاول أو هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل في جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبسطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذى بقى) من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران في باب الرقة يعرف بمصلينا وهو هيكل آزر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام

ومثل

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادى آشية التى تقول

ولما أبى الواشون الا افراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والماء والنار

أنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبى بكر بن بقى ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقى
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وبقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

بقوله أيضا

لها ردف تعلق فى لطيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

قد أطلت عنان النظم على انى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما اخبرتنى من شاعركم الذى تقابلون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا أضخم شعرا من أبى العباس الجراوى وأولى لكم ان تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفا كم ما جرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان اراقما * فانك فيهم داثم الدهر ثعبان

فما اقبح ما وقع ثعبان وما اضعف ما جاء داثم الدهر ولقد أنشدت احد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوى فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب فى الثقالة وان اردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن ابى عامر ومدة ملوك الطوائف اخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من ابطال عصرنا ما سمعت عن الامير ابى عبد الله بن مردنيش وانه كان يدفع فى موا كب النصارى ويشقها يمينا ويسارا منشدا

اكر على الكتيبة لا ابالى * أحتفى كان فيها ام سواها

حتى انه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بامور الحرب مشهود بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال واعلى مرتبتك امن يكون راس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض

ومما ذكر فى هذه القصيدة قوله ان نفيس العجائب * بيت لهم فى سرادب تعبد فيه الكواكب * أصنامهم خلف غائب

وكان ذا فهم ومعرفة وتوفى بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الار بعة المتخذة لانواع صور الاصنام التى جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك فى ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات فى تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجرى الاصوات فى تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل فى قديم الزمان فيصطادون بها العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك

بهلاك نفسه الى هلاكهم فقال له دعني فاني لا أموت مرتين واذا مت انا فلا عاش من بعدي
والقائد ابو عبد الله بن قادوس الذي اشتهر من شجاعته ومواقعه في النصارى وحسن بلائه
ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله في هذا الشان أن يقول احدهم لفرسه اذا سقاه فلم
يقبل على الماء مالك ارايت ابن قادوس في الماء وهذه مرتبة عظيمة * والفضل ما شهدت به
الاعداء * ولقد اخبرني من اثق به انه خرج من عسكر في كتيبة مجردة برسم الغارة على بلاد
النصارى فوقع في جمع كبير منهم فجهد جهده في الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل
يقاتل مع اصحابه في حالة الفرار الى ان كبا باحد جنده فرسه وفرعنه فناداه مستغيثا فقال
اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجر الي هذا النصراني نخذ فرسه
وركض نحوه فاسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجا معه سالما وامثال هذا كثير واما
جئت تحصاة من تبذير واما كرم النفس وشمائل الرياسة فانا احكي لك حكاية تتعجب منها
وهي مما جرى في عصرنا وذلك ان ابا بكر بن زهر نشات بينه وبين الحافظ ابي بكر بن الجد
عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فاجرى ابن زهر يوما ذكره
في جماعة من اصحابه وقال لقد آذاني هذا الرجل أشد اذية ولم يقصر في القول عند امير
المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له احد عوامهم اني اذكر لك عليه عقدا فيه
مخاصمة في موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه في النكال
اشد مبلغ فخرج ابن زهر واظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لوكيله امثلي يجازى
على العداوة بما يجازى به السفل والاوباش واني اجعل ابن الجد في حل من موضع الخصام
وامر بان يحمل له العقد ثم قال واني والله ما اروم بذلك اصالحه فان عداوته شديدة من حيث
وانا أسال الله تعالى ان يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله علي * وان تعرضت الى ذكر البلاد
وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ما يميت الحسود كمدا * أما
اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر
حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير في اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه
اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزتين بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك
اتصالا لا يوجد على غيره واخبرني شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن نيلها انه
لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك اخبرني شخص آخر دخل
بغداد وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر
فيه غير منكر لا ناه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة
المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته واهله اخف الناس ارواحا واطبعهم نوادر
واحملهم لازاح باقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من
لا يتبذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذي ذكره احد الوشاحين

مضافون لخواص حكمائهم
اضافة سبب لا اضافة حكمة
لانهم يونانية وليس كل
اليونانيين فلاسفة انما
الفلاسفة حكماؤهم
(ورأيت) على باب مجمع
الصابئة بمدينة حران مكتوبا
بالسريانية قولا لافلاطون
فسره مالك بن عقنون منهم
وهو من عرف ذاته تأله
وقد قال أفلاطون
الانسان نبات سماوي
والدليل على هذا أنه شبيه
شجرة منكوسة أصلها
الى السماء وفروعها
في الارض ولافلاطون
كلام كثير في هل النفس
في البدن أو البدن في النفس
كالشمس أهي في الدار
أو الدار في الشمس وهذا
قول تتغلغل بنا الكلام
فيه كالكلام في تنقل
الارواح في انواع الصور
(وقد تنازع) أهل هذه
الآراء ممن قصد هذه
المقالة في النقلة على وجهين
وطائفة من الفلاسفة
القدماء اليونانيين والهند
ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا
نبيا مرسلا منهم افلاطون
ومن يمم طريقهم فانه حكى
عنهم أنهم زعموا أن النفس
جوهر ليست بجسم وانها
حية عالمة مميزة لاجل ذاتها
وجوهرها وانها هي المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها في ذلك أن تقيمها

موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلية اعروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف وسلكها واد اى شرف قد حاز ماشاء من الشرف اذعم اقطار الارض خيره وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا اذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت أحسن هذان أم اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامى والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى بر العدوة من هذه الاشياء الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف واقوال والبرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البرابر وأما واديها ومراكبها براو بحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فاصناف اخذت من التفضيل باوفر نصيب واما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون اكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك واما علماؤها فى كل صنف رفيع اووضيع جدا اوهزلا فاكثر من أن يعدوا واشهر من أن يذكروا واما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فلو قسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم ومامن جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة الا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فاتخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها ام قراها ومركز فخرها وعلاها اذ هى اكبر مدنها واعظم امصارها

* واما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها الشريعة ومنافستهم فى السودد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر هم بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر فى سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما فى أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فاخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من اعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون فى هذه الحالة لا نؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره فى الدخول فى المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده وعلى

من الحركة المضطربة الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ وتألم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبير وبطل لان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت لان شخصها يفسد ولأن جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتاخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ الخمس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل ثم بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى ان ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم

وجهـه اثر ذلك فقال مابالك يامولاى فقال ألاترى لهؤلاء الذين نقدمهم وننوه عنـد الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم ماليس عليهم فيه شطط بل لايعيهم ولاهو مما يرزؤهـم صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعـة وذكر له ماكان منهـم فقال يامولاى أنت أولى الناس بالانصاف من هؤلاء مافقدتهـم أنت ولانوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهـم علمهم أو كنت تاخذ قوما جهالا فتضعهم فى مواضـعهم قال لا قال فأ نصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا والآخرة قال صدقت ثم قال واما كونهم لم يقيلوا هذا الرجل اشدة فقره فالعلة فى ذلك نحن بما يبقى لك فى الصالحات ذكرا قال وماهو قال تعطيـه من مالك قـدر مايلحق به من الغنى مايؤهـله لتلك المنزلة ويزيل عنك خجل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ماسبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الى الى انها والله شنشنة عبشمية والى الذى قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهـم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر مايؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عدد فامر له به فى الحين ونبه قدره بان أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه ارتبة لاتخفى بقطع * يفنى الزمان ومابنته مخلد * ثم انه اذا كان له من الغنى مايكفيه عن اموال الناس و مايصـده عن محارم الله تعالى ومن العلم مالايجهل به التصرف فى الشريعة أباح واله الحكم والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل باصح الاقوال المالكيـة حتى انهم كانوا الاولون حاكما الابشرط أن لايعدل فى الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسى السلاطين وهى كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها الغزاة غير عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبى عامر حين تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش وا عرض بظاهر قرطبة خيـله ورجله وقد جمع من أقطار البـلاد مانهض به الى قتال الـ وتدويخ بلاده فنيف الفرسان على مائتى ألف والرجالة على سـتمائة ألف و بهـا حتى الآ من صناديد المسلمين وقوادهم ممن لايفتر عن محاربة ولايمل من مضاربة من أسماء باقاصى بلاد النصارى مشهورة وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم مع و يحكى أن العمارة فى مبانى قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشى فيها على السرج المتصـلة عشرة أميـال وأماجامعهـا الاعظم فقـد سمعت أن ثريانه من نواقيس النصارى وأن الزيادة التى زادفى بنائه ابن أبى عامر من تراب نقـله النصارى على رؤسـهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنبانيتها ومافضل الله تعالى به تربهامن بركة ماينبت فيـه من القمح وطيبـه وفيها جبال الورد الذى بلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضـل لمن قطف بيده مايمخونه منه ونهرها ان صغر عنـد ها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقطع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وفى جوانبـه من البساتين والمروج مازاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها لبـلاد الاندلس قلعـة اذهى أكثرها زرعا وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم

رجع) بنا الاخبار عن أحوالهم (فن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن زكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ذكر فيـه مذاهب الصابئة الحرانيين منهـم دون من خالفهم من الصابئة وهـم الكنياريون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عنـد كثير من الناس وصـفها أعرضـنا عـن حكايتها اذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا الى وصف الآراء والديانات وقـد خاطب مالك بن عقنون وغـيره منهم بشئ مما ذكرناه وغيره مما عنه كتبنا فمنهـم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغـيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهـه بالملح اذا سـدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه ومايظهر منه من الحركات والاختلاج عـلى مايدل ذلك من أحوال السـنة وغير ذلك من أسرارهـم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقـد ذكر جماعـة ممن له تامل بشان أمور هـذا العالم والبحث عن الاخبار بان باقاصى بلاد الصين هيكلا مدورا له سبعة ابواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشان عالية السمك فى أعالى القبة شبه الجوهر

وأمتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولا خلت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير ومما يعد في مفاخرها ما بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر براو بحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى لكثرته وما كان بابدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرحائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ولنسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ما شاءه الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى أظرف منها في جوابها للحسيب الوزير الناظم الناثر أبي جعفر ابن القائد الاجل أبي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحور مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبت اليه بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قومتها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا صدح القمري الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادي الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها وتوشيحه لخصور أرجائها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الريي المنسوب اليها لان اسمها في القديم رية ولقد أخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستطراف وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بليش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه

يزيد على رأس الرجل تضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يدن أحد منها على مقدار عشرة أذرع شيئا وان حاول أحدهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت وان رميت بشيء كان كذلك فليس شيء من الحيل يؤدي الى تناولها ولا يسبب وان تعرض لشيء من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت في أنواع الاحجار المغناطيسية وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر اكبابا متمكنا تهور في البئر فصار في أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند هذه بئر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه وتؤدي هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها الا من وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا

فليعلم أنا اشد منه بأسا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض بحجر به صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب ماهو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائي عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحريق على بنيته وتأسف على افساد شئ منه أو هدمه والله أعلم بذلك

المسافة من شجر التين وان بعضه ليجتني جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة وتين بلش هو الذي قيل فيه لبربرى كيف رأيته قال لا تسألني عنه وصب في حلقي بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقي وقيل لاحد الخلفاء وقد أشرف على الموت اسأل ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسألك من جميع ما في الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التي تجاوز اثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى *وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذي خص أهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة وساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذي يجعله رؤساء مراكش في البرار بدو الرخام الصقيل الملوكي وواديها المعروف بوادي بجانة من أفرج الاودية ضفتاه بالرياض كالعذار بن حول الثغر فغي أن ينشد فيها

أرض وطئت الدر رضراضها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذي قهر النصارى في البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبي وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منه كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع في أعشارهم ولم يوجد لهذا الشأن مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهي أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور وواديها قسيم وادي اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغردة والازهار المتنضدة ما قد سمعت وهي من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهي بلدة تجهز منها العروس التي تنتخب شورتها لا تفتقر في شئ من ذلك الى سواها وهي للمرية ومالقة في صنعة الوشي ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التي تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التي تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال *وأما بلنسية فانها لكثرة بساتينها تعرف بطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متفرجات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هي موصوفة بذلك ومما خصت به النسيج البلنسي الذي يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب *وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا وزرقا

(ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها)

فاما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الأولى والثانية فاول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك انه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وانها من جنس الآلهة النورية واشياء ذكروها اعرضنا عن ذكرها لاعتياصها وذلك انهم جعلوا للنور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وان الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فا لطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع في صيد الليالي من الغزلان والطير والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج

وماشية وهى على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغى أبدا سواه معينا

هذا زان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرنى الآن فى فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بنى عبد المؤمن على انفراد وغيرها فى حكم التبع * واما علماؤها وشعراؤها فانى لم أعرض منهم الا لمن هو فى الشهرة كالصباح وفى مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الرئيس الفقيه أبى بكر بن زهر وذلك انى كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمى من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول فى علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم منى أبو بكر بن زهر أنى نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لى أقرأت شعر المتنبى قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرنى بقول المتنبى

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراسانى وقلت له قد والله كبرت فى عينى بقدر ما صغرت نفسى عندى حين لم أفهم نبيل مقصدك فالحمد لله الذى أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندى وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدى صحبة أكيدة ومجالسات انس عديدة ومزاورات تتصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة فى تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى فى تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعنى بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولى قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدى قصيدة فى المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا نهضت فان السيف منتهض * ترمى السعود سهاما والعدا غرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس فى كل ما تنوبه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسأل بربع تناءت عنه أقمار
لا خفف الله عنى بعد بينهم * فانى سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

الا رعى الله ظبيا فى قبابهم * منه لهم فى ظلام الليل انوار

وله

فى الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك فى الليل يظهر من الماء ما فيها حتى يقع فى جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وانه أصل لكل شئ ومبدأ لكل شئ ومبدأ الكل تمام فاما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذه بهمن بن اسفنديار ابن بستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والرى وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيخره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدرى من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال انه كان فى ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار وذلك زمان ابنه بمشرق

علاني بذكر من همت فيه * وعداني عنه بما أرتجيه
واذا ما طر بتما لارتياحي * فاجعلا ذكره مدامة فيه
ليت شعري وكم أطيل الاماني * أي يوم في خلوة التقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لي أين كل ما تدعيه
لادموع ولاسقام فماذا * شاهد عنك بالذي تدعيه
قلت دعني أمت بدائي فاني * لو براني الغرام لا أبديه

وقال في عواده لما مرض

اني مرضت مرضة * اسقطت منها في يدي
فكان في الاخوان من * لم أره في العود
فقلت في كلهم * قول امرئ مقتصد
أبرالذي قد عادني * في أست الذي لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدني والدي للحافظ أبي الطاهر السلفي قال وكفى به شاهدا وبقوله مفتخرا

بلاد أذربيجان في الشرق عندنا * كاندلس بالغرب في العلم والادب
فما ان تكاد الدهر تلفي عزيزا * من اهليهما الا وقد جد في الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقي أبا نواس قال له أنشدني لابي الاجرب قال فانشدته ثم قال أنشدني لبكر الكناني فانشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم انا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه * يكفي من الحلي ما قد حف بالعنق * ولنبدأ ما نسوقه من أخبار الاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم في الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران المارتلي وكان سكن اشبيلية

لا تبل ثوبك ان أبليت جدته * وابل الذي أبلت الايام من بدنك
ولا تكونن مختالا بجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك
ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما اكتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبي اللوشي

شردا النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما
حرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار في الذي * يتمنى من حراك وسكون
انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

وقال أبو وهب القرطبي

تنام وقد أعد لك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن استيجان نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن استيجان بعد ذلك بيوت النيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان يستاسف الملك يطلب نارا معظمها جمر فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة دارابجرد من ارض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اذر وحوا وتفسير ذلك نار النهر وذلك أن آذر أحد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت الفرس ان كيخسرو لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذي نقلها الى الكاريان فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس أن تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكاريان ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان في قديم الزمان فأخرجته حماني بنت بهمن

وتصبح مثل ماتمشى مضيعا * كأنك لست تدرى ما المراد
أتطمع أن تفوز غدا هنيا * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد
اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أنا فى حالتى الى آخره وجدت فى تركته بخطه فى شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

ياعاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون
أما ترانى أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون
أحسن ما أسمع فى حبه * وصفى بمختل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

بأربعة أرجو نجاتى وانها * لأكرم مذخور لدى واعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم أنى مسلم

وقال ابن حبيش

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية او * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من احد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله اوفق لى

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

وقال ابو محمد القرطبى

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قد أولعوا بمجاز

وقال الشميس

لله فى الدنيا وفى اهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن فمن طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعنى من الناس ومن قولهم * فانما الناس اخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبالرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

وقال ابو القاسم بن بقى

الا انما الدنيا كراح عتيقة * اراد مديروها بها جلب الانس
فلما اداروها أثارت حقودهم * فعاد الذى راموا من الانس بالعكس

وقال ابو محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان ابصرتها شيأ يدوم

ابن اسيذ اباذ و جعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار نخرب والناس فى وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان ابن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر طريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وأنه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أو ستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان وفى مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا ابن دارا (وفى مدينة جور) من ارض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد

فاغد منها الى امان * ان يساعدك النعيم
واذا ابصرتها منك على كره تقيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبى

والى المدامة لا ار يد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى
لم يبق من عهد الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى
ان كنت أشربها الغير وفائها * فتركها للناس لا لله

وقال ابو محمد بن السيد البطليوسى مما نسبه اليه فى المغرب

اخو العلم حى خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ما حصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب نادما كلتا يديا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا * ى لا يجدى فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكى عليا
وان الدهر لم يعلم مكانى * ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأننى سأعيش ميتا * به ويسوءنى أن مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدى أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمى ومن نفسى
فن رسولى الى قلبى ليسالهم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادى فما يندى ولو وطئوا * صخرا لجاد بماء منه منبجس
وفى الحشا نزلوا والوهم يخرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لانهضن الى حشرى بحبهم * لا بارك الله فيمن خانهم ونسى

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر والف وهو ممن يتبرك به فى تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به *واعلم ان أهل الاندلس كانوا فى القديم على مذهب الاوزاعى وأهل الشام منذ اول الفتح فى دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأى مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأى الحكم واختياره واختلفوا فى السبب المقتضى لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمنا ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف

عيدوهو احد منتزهات فارس وفى وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال اخربه المسلمون وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكوارى واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل فى العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهى قصبة فارس عشرة فراسخ (وبجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار ولما فيها من البنيان اقاصيص يطول ذكرها قد دوّنتها الفرس وكذلك ما كان بأرض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بنى عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة انفس دفع الى احدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وامه بارض الشام والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود فى الانجيل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد

له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بنى العباس فى ذلك الوقت لم تكن مرضية وكا بدلما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ماهو مشهور فى كتب التاريخ فقال الامام مالك رضى الله تعالى عنه لذلك المخبر نسال الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعى والله تعالى أعلم * وحكى أن القاضى الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبى يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فانشد

عليكم سلام الله انى راحل * وعيناى من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدرى هل هى له أو لغيره

كنا نعظم بالآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشئ غير واحدة * هى الرجاء فسوّى بيننا الياس

وأنشد أيضا

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد * كما أشتهى منهم صديقا وصاحبا
فصوّبت رأيى فى فرارى منهم * وشمرت أذيالى وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره فى الكتمان

أخفى الغرام فلا جوارحه * شعرت بذاك ولا مفاصله
كالسيف يحجبه الحسام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض فى الشبيبة دائما * والموت ليس يمر لى فى البال
والآن شبت وصحتى موجودة * وأرى كأن الموت فى أذيالى

ولما أنشده تاج الدين بن حمويه السرخسى الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوّا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلى وأنشد

أثرنى لكشف الخطب والخطب مشكل * وكلنى لليث الغاب وهو هصور
فقد يخفض الاسماء وهى سواكن * ويعمل فى الفعل الصريح ضمير
وتنبو الردينيات والطول وافر * ويبعد وقع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم ير بعده مثله فى رجال الاندلس ذا كرا للفقه والحديث بارعا فى الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم والاهل ومن آثاره الحمام بحوفى الجامع الاعظم من غرناطة وزاد فى سقف الجامع من صحنه

وقد أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الزعفران التى دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبز تحت الصخرة وغوصها فى الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتى نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل فى هذا الخبر (وقد كان أردشير) بنى بيتا آخر يقال له باربوفى اليوم الثانى من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية فى عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدى فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره فى جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمى سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسطرون ملك السريانيين فى رستاق يقال له أباجر من بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف

وعوّض أرجل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والموائد من قرطبة وفرش صحنه بكذان الصخر ووجهه أميره علي بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حاها سال قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل تصرفه من ذوي البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كمل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد انعش خلقا رضي الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره في مجلس أطربه سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لاتلمني بان طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخطف غلام من غلمانه نوّارة ومد بها يده الى أبي نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفي كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير تروّ ياسيدي جرت الايام بفراقك وكان الله جارك في انطلاقك فغيرك روّع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يختار لك ما تاتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان يعدك من العواري السريعة الارتجاع فلا ياسف على قلة الثوى وينشد * وفارقت حتى لا أبالي من أهوى * ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامّة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدي المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفي آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبي الوليد البطليوسي المشهور بالنحلي وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فاجاب النحلي لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن في دعص النقا * والتف في ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعنا له صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو معنا كنت فقال له يا قاتل المحل ما تلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلي معه فجاء وقعد في مسلخ الحمام حتى يستاذن عليه فجعل المعتمد يحبق في الحمام وهو خال وقد بقيت في

بالحضر فمن ذكره منهم أبو دواد بن حارثة بن حجاج الايادي بقوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهي * ذا ثراء وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن استطرون والساطرون واستطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا ممن أفناهم الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن نبذ بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يغير رجاله على العراق والسواد وكان في نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن فاقام سابور عليه شهرا لايجد سبيلا الى فتحه ولا يتاتى له حيلة في دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لي ان تتزوجني وتفضلني على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه ائت البربار وهو نهر في أعلاه

فأمرته بتمام ابعه النظر ابن يدخل فادخل الرجال منه فإن ذلك المكان

رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز اللوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النحلى فصادفه فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول ما رتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فأمر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال

قد صار عندهم عنقاء مغربة * أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بالف دينار وبالف دينار أخرى تنفقها * وذكر القرطبي صاحب التذكرة فى كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلى * لطعام الامراء

أنت من جهلك هذا * فى محل السفهاء

ان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قد ملئ علما لرجل سأله فقال ان لى جارا يعمل بالربا ولا يجتنب فى مكسبه الحرام يدعونى الى طعامه أفأجيبه قال نعم لك المهنا وعليه المأثم ما لم تعلم الشئ بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبى ذكى وكان الشعبى وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعى وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الى من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناض وله ولمثله فى بيت المال حظ والمسؤل عن التخليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنا وعليه المأثم ما لم تعلم الشئ بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه فمن علم

يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى اسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة فقال لها سابور مالك لا تنامين قالت ان جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطا وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبوك يغذيك فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجدير أن لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين فأمر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلا سبيلهما فقطعاها ففى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى بن الدلهمى العبسى

ألم يحزنك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد

ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من يزيد

أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور والجنود

فهدم من بروج الحصن صخرا * ١٦٢ كان بناؤه زبر الحديد وفى قتل سابور للنظيرة بنت الضيزن وما كان منها من الغدر بابيها وقومها وارشادسابورالى دخول الحصن يقول عدى ابن زيد العبادى

والحصن صب عليه داهية من قصره قد أبدسا كنها
أتته اذلم يوف والدها محبها اذأضاع راقبها
وأسلمت أهلها لليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصبح ومانجدين سباسبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنارفى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة فى الموضع المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضناعن ذكرهاوانما ذكرنامااشتهرمنها (والهيا كل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذى ذكره الله عزوجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورسنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض

الشئ بعينه حراماماخوذا من غير حله كالجزية وغيرهاوشبهها من الطعام والدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أوسرقة أوماخوذة بظلم بين لاشبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وما اعلم من علماء التابعين احدا تورع عن جوائز السلطان الاسعيد بن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا فى التورع وسلك سبيلهما فى ذلك احمد بن حنبل وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم اجمعين والزهد فى الدنيا من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها ان يحرم ما اباح الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سالوا عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من انتم فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالونى عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى هذا الحديث أيضا عن عبدالله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا ترده لى الله رزقه وهذا كله مبنى على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البر انتهى *وحضر ابن مجير مع عدوله جاحد لمعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا ساشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى وابن مجير هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا وبعدت على قربها منالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبدالله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ماجاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوى حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال ياسيدنا اهتدم بيت وضاح خير شراب ماكان عفوا * كانه خطبة ارتجالا فبدر المنصور وهو حينئذ وزير ابيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون *ومر المنصور أيام امرته باوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجير * ومن شعر ابن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها * نشاوى تهادت تطلب العزف والنصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان جردوه فى ملاءته النفا
وابلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا

وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذحازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه * واصفر لم يمح بها جلده صرفا
واشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطط الراهى بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * اظبيا ترى تحت العجاجة ام طرفا
وقد كان فى البيداء يالف سربه * فربته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ما اردت الجرى اعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها انشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجير من قصيدة اولها

اعلمتنى القى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى ان قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوة * فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للاقمار

وممن روى عنه ابو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية باتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور الموحدى قال كانت لابى بكر بن مجير وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان احدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا اشعارا انشدوه اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فانشد قصيدته التى أولها أعلمتنى ألقى عصا التسيار واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجير أيضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجير

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهو دون اسم لعلمى أنه * لا يسمى العبد الا سيده

من حسبان وجبل تستر فاحدثته موضعا للاصنام وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فتحهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لا ماذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وساله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وانه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ما ند من ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من

وقوله

ملك تروبك منه شيمة * انست الظمآن رزق النطف
جمعت من كل مجد خلت * لفظة قد جمعت من أحرف
يعجب السامع من وصفي لها * ووراء العجز مالم اصف
لو أعار السهم مافي رايه * من سداد وهدى لم يصف
حلمه الراجح ميزان الهدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكنني * اعجب من بين لنا يقدر
كأننا في فلك دائر * فانت تخفي وانا اظهر

وهما الغاية في معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلي

اذا اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عز من وطرى
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل في الشعر

وقال القاضي أبو حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة لحمام الحمام
كانما الايدي قسي لها * والطير اهداف وهن السهام

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايك في برده * ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كخائض شمر عن ساقه

وقال ابو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي

اذا كان ودي وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ودصرفته * الى غير من تحظى لديه وتكرم

ومن حكايات اهل الاندلس في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ماحكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرني من أثق به عما هذا معناه قال خرج الوزير ابو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الفنت تحف بها مروج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوار في زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها

يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيهما من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول في أيدي الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها مما ذكرنا مثل كتاب افسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له افشانه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد ودرسازاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى (وقد كان) مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره تماثيل

وواديها وحلتها في زاهر ملبسها و باهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزري على مداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان وقد دنو والانفراد للهو والطرب والتنزه في روضى النبات والادب وبعثوا اصحابهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قعال النبيذ الذي كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفي عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمان وعدوانه والخطب والوائه ودخوله بطوام المضرات على تمام المسرات وتكديره لاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفي يوم وما أدراك يوم * مضى قعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما خاراتاراح وروح * تكسر ذا فاشقاف وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبي عامر بن المظفر ابن المنصور بن أبي عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر في خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ في تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغرسنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدي أسماء من نديم * ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا في السهاد منها * وهي لعمري من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضي ابن ذكوان فجيء ببا كورة باقلا فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لآلئ أحدثت صلفا * فاتخذت من زمرد صدفا
يسكن ضراتها الحروذي * تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلطف الجبال فاتخذت * من سندس في جنانها لحفا
شبهتها بالثغور من لطف * حسبك هذا من رمز من لطفا

وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهي منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريص وهو مبني الى هذا الوقت في وسطها وكان يجري فيه الخمر في قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء في مدحها الملوك غسان من مارب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبني بالآجر العادي والحجر عظيم البنيان وفي كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من ابوابه من أعاليه في بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر ان هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نارلها (قال المسعودي) وقد ذكر ابو معشر المنجم في كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذي يحدث بناؤه في العالم في كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبي معشر في كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب في الارض وقد أعرضنا عن ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد يأجوج ومأجوج وتنازع الناس في كيفية بنائه

جازابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب ومابه وصفا
قدم درالرياض منتخبا * منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب * والنول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ اذ قدر * فكان حسبى من المنى وكفا

وقال ابن بسام ان جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبى عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتى منك هازلعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
منتقد الجانبين ماض * كانه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى * والحد من دونها فليل
فالشد فى أمرها فسيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كانما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لايقول
ينظر من لبده لدينا * بحر دم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطرائفيين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أترك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك ياخليلى * قنافذا تباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى ابر تنفذ جلد الفيل
كانها أنياب بنت الغول * لونخست فى است امرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشا منديل
نقل السخيف المائق الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لاأطعمها أكيلى * ولاطعمتها على شمول انتهى

وقال فى بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره فى صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكانه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن

المرسومة ومابصعيد مصر من البرابى المصنوعة وبغير أرض الصعيد من أرض مصر واخبار مدينة العقاب وماذكر الناس فيها وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بارض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذباب والكلاب وقصة ارض الذهب التى حذاء سجلماسة من ارض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولامخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى امتعتهم فيجدون اعمدة الذهب وقد ترك الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء اخذ متاعه وترك الذهب وان أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع وهذا مشهور بارض المغرب بسجلماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك باقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر

من

من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدي أن تبدي عذاره * وتم نخسان القلب مني اصطباره
وقد كان ظني أن سيمحق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره
فاظهر ضد ضده فيه اذ وشت * بعنبره في صفحة الخد ناره

واستزاده فقال

محيت آية النهار فاضحى * بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشي العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار ألم فابدى لنا * بدائع كنا لها فاقدينا
ولولم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب في السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدي وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه في يوم ذي غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزي كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال عقار ينفد الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخي له عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر بأتيب الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام ان يلح في سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع راسه اليه وقال على البديهة

ياحسن الوجه لاتكن صلفا * ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثي لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وامر له ببدرة و يقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى قلت اذ كرتني هذه الحكاية ماحكاه علي بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن ايوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه في رسالة فجعلني بين سمعه و بصره وانزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي اوارادة الحديث معي فلم اشعر في بعض الليالي وانا نائم في فراشي الا به وهو قائم على راسي والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حواليه وقد حف بما يليه به وكانهم الاقمار الزواهر في ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروعا فامسكني و بادر بالجلوس الى جانبي بحيث منعني عن القيام عن الوساد وابدى من الجميل ما ابدلني بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبني الشوق اليك ولم ارد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان في مجلسه من خواص القوالين فحضروا واخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد

من الحرف واتصالها بالقرى والفضاء من اعلاها واسفلها وماقاله الناس في تاويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره واخبار مخاليف اليمن وهي القلاع والحصون كقلعة نخل وغيرها وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهيا كل والكنائس والعمود الذي عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون في أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير في مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ماذكرنا في أخبار الطلسمات عن ماليماس وغيره في كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التي ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التي بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان في نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التي أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشي في أطراف مفاوز الهند وما

جدا اذا وكان له فى ذلك الوقت مملو كان هما نيراسماء ملكه وواسطتا در سلكه وقطبا فلك طربه ووجده ومركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى أمرهما ويستجلب منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فقلت للوقت

يا مالك الكاتم يحكى سيرته * ماض ولا آت من البشر

اجمع لنا تفديك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر فى الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة فى وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى * بأكناف الرها صوب الغمام

وليلا بات الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام

فنورمن شموع أوندامى * ونور من سقاة أومدام

يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام

تريك به الكؤس جود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام

يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام

فكم من موصلى فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام

وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام

لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ماضن غيث بانسجام

ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام

فماشمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام

فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ماضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى انتهى ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذقال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشى والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون فى الخدمة مرتضعون لافاويق النعمة فحضرت فى جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل العسكر الاحضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر فى دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناولوه للصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض الختام مفكوك الفدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه

المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كسرى ببلاد مرماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلائق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار ككون المرجان ببحر المغرب وعدمه فى غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره

و يستعطفه لزيارته و يرققه و يستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للشاغرة بها وقع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جمرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر ثم رجع اليها والابيات

أروى رماحك من نحور عداكا * وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالسعالى شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من يشناكا
واسترعف السمر الطوال وروّها * واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها * مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الهلاكا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى روّاكا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عراكا
فارحم حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولاح البلاد هناكا
وانهض الى راجى لقائك مسارعا * فمناه من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الافلاكا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا عن يمينه وقال يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فادارها بين يدى فقال له السلطان أهكذا على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رجلى انخذالا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى فها هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكنت أتوهم

(وقد كان) بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم وان الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر فى كتابه والموضع الذى حفره بحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر واجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه محمد ابن على الخرانى من أرض مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر مما يلى بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما و يعرف هذا الخليج بالزنير والحسة واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج ذنب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل ما فى كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملأته السوافى من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) أن يوصل بين هذين البحرين مما يلى النيل من أعالى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر

أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ر * ياه شفتنى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم فلم لا تعجز الامثالا كا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندى وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية فى حائط من قناكا
يكفى الاعادى حر باسك فيهم * أضعاف ما يكفى الولى نداكا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أم البلاد علا عليها قدرها * لا سيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهى قد * حوت المعلى فى القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وأمنح غيرها سقياكا
مكثى جهاد للعدو لاننى * أغزوه بالرأى السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحثنى شوقى الى لقياكا
انى لامنحك المحبة جاهدا * وهواى فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بى وبباسك السامى وكل ممالك يخشاكا
لا زلت تقهر من يعادى ملكا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر ابنك الباقى أبا * وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت الى مكانى وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآنى السلطان قد عدت قال لى هل عملت شيئا ظننا منه أن العمل فى تلك اللمحة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشد فانصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وترقبوا منى ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بانه المعلى فى البنين اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا للذكره وأبان صمته مخفى المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له وعند حصولها فى يده قام من غير اشعار لاحد عادا ومن ارادة القيام فى خلده سترا لما ظهر عليه من الرقة على المولى الاولاد وكتما لما عليه من الوجد بهم والمحبة

أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها اما الى جدة فيختطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ما ذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حكى) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وآثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

(ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب)

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس فى بدء العالم ممن أثبت حدوثه ونفاه وما جرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول

والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذى غير رأى وخاطرى بالتعريض له أشياء كان يقترحها على فانفذ فيها من بين يديه ويخف الامر منها على لذا التى عليه منها أنى كنت فى خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بنسو يدجواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الى وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب وأذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فدينك أهب للناس فضلا بزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
وبدونك فانحهم من العلم والحجا * كما نحتهم كف لك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتى به جل أوقلا
فلازلت فى عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط انه دخل فى أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فاشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بمالم يعهد
عجبا لأمواه الدساتير التى * فاضت على نارنجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندرى رحمه الله تعالى اذ قال دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجد نهره وألبسه من سلخ الافاعى ردا وجسمه ردى لايمنع من برقه بدرجن ولا ثريا مغفر ولايسلم من حده من ثبت ولاينجو لطوله من فر فهو يبكى للنفاق ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شأنه فقال على لسانه

أروق كما أروع فان تصفنى * فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع

وقال أيضا فيه

رب يوم له من النقع سحب * مالها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى * فكأنى وراحة الشمس برق

وقال أيضا فيه

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع

بالقدم من الفلكيين والطبيعيين وما أوردته الفلكية من قولها ان الحركة الصانعة للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التى بين العقدة التى ابتدأت منها حتى تنتهى اليها راجعة ثم تنفصل عنها عادت كل ما بدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب اشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذى كان عند الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت فى بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات فى العالم وجعلت لها أصلا فى التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعبرت الى النسل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه ما فيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ الكون على طريقه لان الذى أوجبه أولا قد وجد حقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذى أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات فى الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك أن الشمس

فكأنما استعملت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال أيضا فيه

انظر لمطرد المياه بصفحتي * ولنار حدي كم بها من صالي
قد عاد شذي في المضايق شيمتي * كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كمت دياجي الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص في بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسرى في الدجى الفاحم
وكلما قلب في لمة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر في دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهي شمس تحت سحاب النقاب وغصن في أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت الظبي المذعور أفرقه القانص فهرب وتتثنى تثني الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه العمل في وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدي القيرواني

أعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فاين تلفت الغزلان

ثم صنع

لما ناظر في ذرا ناضر * كمراكب السن فوق القناة
لوت حين وات لنا جيدها * فأى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبي من قانص * فروكرر في الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعنا
كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لي متى
قالت انا الظبي الغرير برواعا * ولى وأوجس نبوة فتلفتا

قال علي بن ظافر وحضر يوما عند بني خليف بظاهر الاسكندرية في قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثناياه بشرفاته واتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما أتحفتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره في

الثمر والزهور في الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذي قد باد في الشتاء ويبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها بعادته في انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شأن الاجسام وتحيط بانتقالها من حال الى حال لشاهدت ممرها في دائرة الزمان مبتدئة في رتبها راجعة اليها مشكلة في محيط الدائرة باشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة في المرور كاختلاف الاسباب وفي هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب ان الاشياء الموجودة غير خالية من أحد منزلين اما أن يكون بدؤا وانتهاء واما أن يكون بدء الانتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير عادلها

زبرجد كرومه والجو قد بعث بنخائر الطيب لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه والبحر يرعد غيظا من عبث الرياح به فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بعدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام في أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافتر عن نور بروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمنثور
والرمل في حبك النسيم كأنما * أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع تشن بعطفي مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * في الافق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بني خليف لم يزل * يثني المعاطف في حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السيوري الاسكندري النحوي بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس في جماعة فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصري وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو في تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة ولمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقة فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * ء لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا في يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسني على * أني الفصيح سيبويه
مالي اذا أبصرته * شغل سوى نظري اليه

انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذي حلا وأبعدنا عنه بما مر النجعة فنقول ذكر الفتح في قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرني الوزير أبو عامر بن بشتغير انه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان وتغرب بين اقاحي نجوم الثغور رقتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه

ولا حاصر بجميعها وقد وجدنا التناهي والابتداء في أجزائها وأبعاضها على الدوام وأنا في كل يوم جديد نعاين خلقا جديدا وصورا في العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متماثلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشياء وأوقعها في غاية انتهاء صدرها وأوجب ان للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شئ من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبطلت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعدما هو بالنهاية ويوجد في حوزاتها ايجاد ما لم يكن ودخلها في حوزتها ما هو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شان المعاني ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحس ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن فلابد من محدث هو بخلافها لا أشكال له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيئا مثلا حتى يعلم له قدرا ووزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن

ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبـــدل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الى بكاسه فكففتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لاخذت في تلك السبيل بأخذي * فيما مضى ونزعت فيها منزعي انتهى

وحكى الحميدي أن عبد الملك بن ادريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب بن أبي عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمي عني اليه * لراجعني بتصديقي جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه به هذه الابيات

أما ترى برد يومنا هذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سيرا اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالي أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
مادام من أرملاط مشربنا * دع دير عمى ودير نا باذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شأنهم فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هاك شيخا قاده عذر لكا * قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزيرفيهم رقاصة * قام للسكر يناغي ملكا
انا لو كنت كما تعرفني * قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا * ورأى رعشة رجلي فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي

حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة واخذوا في ذلك ماخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ما ذهبت اليه اليهود وأما الصابئة من الحرانيين والكتابيين فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا في ذلك الى حد معلوم من نفاد قوة الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب في ذلك الى نحو ماذهب اليه أصحاب الانبس والجلاس وان العالم سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن

بغدادى يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستطبعه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال الله دركُ ياوزير ترقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى * وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فانس بى وجرى الحديث الى ان شكوت له تجنى بعض أصحابى على ونفاره عنى فقال لى ساسعى فى اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائى لذلك المتجنى على مع بعض أصحابى واعزهم على فلما رآنى ذلك الصديق موليا عنه أنكر عليه وساله عن السبب الموجب فاخبره وزادا فى مشيهما حتى لحقابى وعزم على فى مكالمة صاحبى وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذى تولى اصلاح ما كنا مرنا بفساده قلنا قد كان ما كان فاطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمى ولا أبوح به * أصلح بينى وبين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى * كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة * لكن الى بعدها دعوى

وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة وحكينا هنالك بلفظ المطمح فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أباعامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فمرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف بالدرارى فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقدرمقوا ذلك الظبى بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تختطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا * وناظرة تحت طى القناع الخ * ومرت فى الباب الرابع هذه الابيات * وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لما نعيت أباعامر بن شهيد الى أبى عبد الله الخياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المنافسة فبكى وأنشدنى لنفسه بديهة

لما نعى الناعى أباعامر * أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هنالك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلح قرا زاهرا * وتجنى الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
وان ليومك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه بنى اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه فى بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين ان رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم فى سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سنى ذى القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وستون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم الفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة

صباح اصطباح باسفاره * لحظنا محيا العلا اسافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤس * فازال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنافاتنا * واحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فننظر ما يذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله * فننظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا * وباطنها ينثني ظاهرا
وثناه ثان لاعبابه * دقائق تثني الحجا حائرا
وفي سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فالوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فالفلك عارضها ماطرا
وسعدك يجتاب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن دريد بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشى ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها أخرى * كأنها شمس علت بدرا
امتحنت احداكما مهجتي * بمثل ماتمتحن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ماتضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على غرفة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لاتسعنا فقال ماذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم في ذلك فقال ابن هند الداني فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفي الحق أن تحكي سرافيل نافخا * وامكث في رمس الصدود وألبث
فسالك نبي الحسن تاتي باية * فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فرعليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

النبي صلى الله عليه وسلم اربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة اشهر وعشرة ايام فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (وللمجوس) في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وان لابدء له ولانهاية ومن ذهب منهم الى ان له انتهاء ولابدء له قد اتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ماسلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من اهل البحث والنظر من أهل الاسلام ان الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق الباري جل وعز احدثه لامن شيء وبعثه لامن شيء في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده

اصبح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قال وكان يوما مع لمة من أهل الادب فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه عاجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أومابه من فيه ثم رمى به * فكأنه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن منحوته
غدا النهر عقدك والطود تا * جك الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البدائه عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها فى المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس ان تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة وأحاطت به احاطة الطفاوة بالغزالة وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسداى والطرب استهواه وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فأبدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به تدا على ملك * بذ الاوائل فى أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ود مولى خلقه زهر * يذكو وبهجته أبهى من القمر انتهى

ثم قال ما معناه وقوله نينان غير معروف فان نونا لم يجى جمعها على نينان وقد كان سيبويه

آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس فى بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر اوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك عما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مداركها المحسوسات فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول فى الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا فى كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده وأخبر عن شان بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر ما لم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات

لحن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة

تلاعب نينان البحور ربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فعيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البر عسل * وهن مع النينان فى البحر عوّم انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضىء بالله سليمان بن هود الجذامى رحم الله تعالى الجميع * وعبر المذكور عن قضية ابن وهبون فى هلال شوّال بما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوّال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويذوى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانقاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

ياهلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى

هبك تحكى سناه خدا بخد * قم بخفّى لخدّه بمثال انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها كما الطرر يقته * وذكر ابن بسام ان الوزير أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان فى بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو مما اجتمع ملح سامح الله تعالى الجميع * وقال أبو جعفر الكاتب القرطبى الربضى

والى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وبعضهم ينسبها الى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاول * وقال أبو جعفر المذكور فى فوارة رخام كلفه وصفها والى قرطبة

ماشغل الطرف مثل فائرة * تمج صرف الحياة من فيها

اشرب بها والحباب فى جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تنمنمها * تخطبها العين اذ توافيها

كأنها درة منعمة * زهرا قد ذاب نصفها فيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب براسه * فبكى باعين كاسه

رجل تخونه الزما * ن ببؤسه وبباسه

يجرى على غلوائه * طلق الجموح بناسه

مما أظهره الله عزوجل على يدى عيسى بن مريم من المعجزات وعلى يدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عزوجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد ونهى أن يتجاوز بالنسب الى ما فوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا أن النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم نذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ماقرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معوّلنا فى جميع ذلك على ماسلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عزوجل موقع النية ووجه القصد أعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة أخذا

أخـذا بأوفـر حظه * لرجائه من يأسـه

وقال أحد بني القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت قد القنا شبهها * وقد ملن نحوى فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبدالله بن السراج المالقي ونحن على خرير ماء أجز * شربنا على ماء كأن خريره * فقال مبادرا * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الاخير منهما

خليلي أبابحر وما قرقف الطلى * بأعذب من قولي خليلي أبابحر
أجز غير مامور قسيما نظمته * تامل على مجرى المياه حلى الزهر

فاجازه

تامل على مجرى المياه حلى الزهـر * كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقـد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشـعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسـود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كانها في شكلها مقلة * وذلك الاسـود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبي عبدالله بن عبد العزيز اثر صدوره عن بلنسية

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسـيم
مقبولة هبت قبو * لا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلنسـيـة لرياها نميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبـد الالـه نداء مغلوب الغريم
ان عيل صبري من فراقك فالعـذاب به أليم
او أتبعتك حنينها * نفسي فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا * وسرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما ذمنا * في زمانك بالذميم

اليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض في كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية على ماليس في طاقتها ويسوم النفس ماليس في حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعاني وقليلها للقليل وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم وأخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامعا لتاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به وقبل رسالته وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلنذكر الآن مولده

زمن كالوف الرضا * عيشوق ذكراه القطيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم ان حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى باى خلال سرك فيك أقبل أو أهيم
ألجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م وبشرك الغض الجميم
ان أشمست تلك الطلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
ابلاغة ان عد أهلوها فانت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لابل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حسبى الثناء بحسن برك ما بدا برق وشيم
ثم الدعاء بان تهنأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغنه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يبنى مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يبهج الانفسا
و بعد ذا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاسواء والابؤسا
ودام عبادلعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضد بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل حمد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف علياته * مفوه مقتدر أخرسا
لا زال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الاكؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجد فقده الانفس
فان خلال أبى عامر * بها يحقر الورد والنرجس

قبل بعثته (وهو محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان بن أدبن أدد بن ناحور بن يعوربن يعرب بن يشجب بن ثابت ابن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن آزر بن ماخور بن ساروع ابن ارعواء بن فالغ بن عابر ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما فى نسخة ابن هشام فى كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صانوع ابن يافث بن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ارعواء ابن اسروح بن فالخ بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى

و كتب الى الوزير أبى المعالى المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه * فلتتبعها هذه الثانيه
أبا المعالى نحن فى راحة * فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب * عنا فزرنا كى ترى حاليه
أنت الذى لو نشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

و كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار * كأنا صد ناشط المزار
تطلع لى هلال الهجر بدرا * وصار هلال وصلك فى سرار
وشاع شنيع قطعك لى بوصلى * فهلا كان ذلك فى استتار
أيجمل أن ترى عنى صبورا * فاصبح مولعا دون اصطبار
و كنت أزيد سمعك من عتابى * ولكن عاقنى فرط الخمار
فراع مودتى واحفظ جوارى * فان الله أوصى بالجوار
و زرنى منعما من غير أمر * وآنس موحشا من عقر دارى

فكتب اليه ابن زيدون

هواى وان تناءت عنك دارى * كمثل هواى فى حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد * تباعد بين احيانى المزار
رأيتك قلت ان الهجر بدر * متى خلت البدور من السرار
ورابك أننى جلد صبور * و كم صبر يكون عن اصطبار
ولم أهجر لعتب غير أنى * أضرت بى معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها خمار * يبرح بى فكيف مع الخمار
وهل انسى لديك نعيم عيش * كوشى الخد طرز بالعذار
وساعات يجول اللهو فيها * مجال الظل فى حدق النهار
وان يك فر عنك اليوم جسمى * فديت فما القلب من فرار
و كنت على البعاد أجل شئ * لدى فكيف اذ أصبحت جارى

و كان أبو العطاف اذ ورد اشبيلية رسولا قد سأله ان يريه شيأ من شعره فمطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فاجابه ابن زيدون فى العروض والقافية

أفدتنى من نفائس الدرر * ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها * قران سقم الجفون للحور

وهى أكثر مما ذكر * و كتب رحمه الله تعالى أعنى ذا الوزارتين بن زيدون الى ولادة

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد قام صبح البين صبحنا * حين فقام لنا للعين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لا يبلى و يبلينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربهم قد عاد يبكينا

ابن ناخور بن ساروغ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن برد بن مهلاييل ابن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفى التوراة) أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبى عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من نهيه ان يتجاوز عن معد فقد ثبت ان نتوقف فى النسب على ما ذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودى) وقد وجدت نسب بن عدنان فى السفر الذى أثبته تاروخ بن باريا كاتب أرميا النبى صلى الله عليه وسلم أن معدا بن عدنان بن أد بن الهميسع بن

غبط العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا * وانبت ما كان موصولا بايدينا
بالامس كنا وما يخشى تفرقنا * واليوم نحن وما يرجى تلاقينا
ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظا من العتبى اعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ما غير النأى المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياسارى البرق غاد القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عنى تذكرنى * الفا تذكره أمسى يعنينا
و يانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيا كان يحيينا
من لا يرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن عنا يقاضينا
و بيت ملك كأن الله أنشاه * مسكا وقد أنشأ الله الورى طينا
او صاغه ورقا محضا وتوجه * من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تأود أدته رفاهية * تدمى العقول وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ظئرا فى تكلله * بل ما تجلى لها الا احايينا
كانما أثبتت فى صحن وجنته * زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاءه شرفا * وفى المودة كاف من تكافينا
يار وضة طالما أجنت لواحظنا * وردا جناه الصبا غضا ونسرينا
و ياحياة تملأنا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
و يانعما خطرنا من نضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كاننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء تكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

ابن عنفى بن عنف بن عبيد بن الرعى ١٨٢ بن حمران بن سيس بن قنرى بن نحرى بن بلخى بن ارعو ابن عنقاء بن حسان
ابن عيسى بن افياد بن ايهام
ابن معصر بن ماحب بن رواح
ابن سماى بن مر بن عوص بن
عوام بن قيذر بن اسمعيل
ابن ابراهيم الخليل عليه
السلام وقد كان لارمياء
مع معد بن عدنان أخبار
يطول ذكرها وما كان
من أمرهما بالشام وقد
ابتدأنا على ذكر ذلك فيما
سلف من كتبنا وانما
ذكرنا هذا النسب من
هذا الوجه ليعلم تنازع
الناس فى ذلك (وقد نهى
النبى صلى الله عليه وسلم
عن تجاوز معد لعلمه من
تباعد الانساب وكثرة
الآراء فى طول هذه المدة
والاعصار (وكنيته)
صلى الله عليه وسلم أبو القاسم
وفى ذلك يقول الشاعر
لله ممن قد برا صفوة
وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم
محمد النور أبو القاسم
وهو محمد وأحمد والماحى
الذى محا الله به الذنوب
والعاقب والحاشر الذى
يحشر الناس على عقبه
صلى الله عليه وسلم (وكان
مولده) عليه السلام عام
الفيل و بين عام الفيل
وعام الفجار عشرون سنة
والفجار حرب كانت بين
قيس عيلان و بين كنانة استحلوا فيها القتال فى الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو

انا

انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمشربه * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال انت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا عنك يغنينا
ولو صبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبكي وفاء وان لم تبذلي صلة * فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفي الجواب امتناع قد شغفت به * بيض الايادي التي مازلت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت * صبابة بك نخفيها وتخفينا

وانما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ويظن أن ما في القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهي وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرني منه الآن الا قوله في المطلع

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا * وعن قطاف جنى الاعطاف تحمينا
تألف كان يحيينا ويضنينا * تفرق عاث في شمل المحبينا
أضحى التنائي بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله في هذا التسديس

ما للاحبة دانوا بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين ناوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التي وطأ فيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع (رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ما غرتهم منك الظنون
أملوا ما ليس يمنى * ورجوا ما لا يكون
وتمنوا أن يخون الـعبد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجري * وهو اني اذ يدين
أرخص الحب فؤادي * لك والعلق ثمين
باهلا لا تتراآ * ه نفوس لا عيون

وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة

انى أرى الحرب تحيى وأبي
عند تناديهم بآل وهب
معتزم الصولة عالي النسب
أمي خندف والياس أبي

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو اسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصي وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدي بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤي بنو أسامة بن لؤي بنو الادرم وهم تيم بن غالب بنو محارب بن فهر بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤي بنو نباتة وهم سعيد بن لؤي ومن بني مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند

شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد
وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجون من كل حي
ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفي ذلك قال خداش بن زهير العامري

فلا توعديني بالفجار فانه
أحل ببطحاء الحجون المخازيا

(وقد كان) الحلف في ذي القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فمطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

يا للرجال لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الحي والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته
ولا حرام لثوبي لابس الغدر

فمشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد

عجبا للقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذي ضرك لوسر * بمرآك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحي * وأنت من الزمان مدى اقتراحي
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحاني وراحي
فديتك ان صبري عنك صبري * لدى عطشي عن الماء القراح
ولي أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
وأعجب كيف يغلبني عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحي
ولما أن جلتك لي اختلاسا * أكف الدهر للعين المتاح
رأيت الشمس تطلع في نقاب * وغصن البان يرفل في وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالي وصال واجتناب * وفي يومي دنو وانتزاح
وحسبي أن تطالعك الاماني * بافقك في مساء أو صباح
فؤادي من أسى بك غير خال * وقلبي من هوى لك غير صاح
وأن تهدى السلام الي شوقا * ولو في بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما ألقى الفؤاد
أصفي الوداد الى الذي * لم يصف لي منه الوداد
كيف السلو عن الذي * مثواه من قلبي السواد
يقضي على دلاله * في كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجري كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا في الهوى * خطا فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أنبيك مابي * ياراحتي وعذابي
متى ينوب لساني * في شرحه عن كتابي
الله يعلم أني * أصبحت فيك كما بي
فما يلذ منامي * ولا يسوغ شرابي
ياقتنة المتعري * وحجة المتصابي

وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب

الشمس انت توارت * عن ناظرى بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
يا قمر يا حين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لا شك مصيب
أن سر الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد رأتك الامانى * رضا فلم تتعدك
يا ليت شعرى وعندى * ما ليس فى الحب عندك
هل طال ليلك بعدى * بطول ليلى بعدك
سلنى حياتى أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدى لما * أصبحت فى الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واستحسن الحانها

يقصر قربك ليلى الطويلا * و يشفى وصالك قلبى العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * فقد نسيم الحياة البليلا
كما أننى ان اطلت العثار * ولم يبد عذرى وجها جميلا
وجدت ابا القاسم الظافر المؤيد بالله مولى مقيلا
لاقلامه فعل أسيافه * يظل الصرير يبارى الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

ايها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التاييد فى ابهى الصور
وتفيأ ظل سعد يجتنى * فيه من غرس المنى احلى الثمر
وردا النجح فكم مستوحش * شائق منك الى انس الصدر
كان من قربك فى عيش ند * عاطر الآصال وضاح البكر
فثوى دونك مثوى قلق * يشتكى من ليله مطل السحر
قل لساقينا ابجدا كوسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لى فيه المثل السائر فى * جالب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر

وقثم بن مرة و بنو الحرث بن فهر فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم فساروا الى دار عبد الله ابن جدعان فتحالفوا هنالك ففى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب

حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا * يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا فى كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ودو فجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام فى تجارة خديجة ونظر نسطور الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الاسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها

لاعــدا حظك اقبال برى * قاضيا ابناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت فى ارضائه ازكى السير
حين صممت الى اعدائه * فانقتهم منك صماء الغير
فاض غمر للندى من فوقهم * كان يروى شر بهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذ راى آثاره مثل الزهر

وقال رحمه الله تعالى وهى طويلة

لم يكن هجر حبيبى عن قلا * لا ولا ذاك التجنى مللا
سره دعوى ادعائى ثم لم * يدر ما غاية صبرى فابتلى
انا راض بالذى يرضى به * لى من لو قال مت ما قلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما * صار حالى فى هواه مثلا
ياقتيت المسك يا شمس الضحى * ياقضيب البان ياظبى الفلا
ان يكن لى امل غير الرضا * منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

اذكرتنى سالف العيش الذى طابا * ياليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذ نحن فى روضة للوصل انعمها * من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق يطالبنى * فكلما قيل فيه قد قضى نابا
كم نظرة لك عندى قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم * فان اكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى * واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللجين عليها تاج عقيان
غريرة لم تفارقها تمائمها * تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لا تجدن من عشقى لها بدلا * يحيى سوالف ايامى وازمانى
حتى يكون لمن ابيت خاتمة * نسخت فى حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

انت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يامؤنسى نكلفك العتب دلالا من الرضا الممنوع
انما انت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

ياليل طل لا اشتهى * الا بعهدى قصرك
لو بات عندى قمرى * مابت أرعى قمرك
ياليل خبرانى * التذ عندى خبرك

قريش وكان فى حيطانها الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتاتى لها ما أرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ماذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا باول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء واخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش

بالله قل لى هل وفى * فقال لا بل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

لئن فاتنى منك حظ النظر * لا كتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فحسبى تسليمة تختصر
أحاذر أن يتجنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فاصبر مستيقنا أنه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذى يملأ عينى من تامل
حمل القلب تباريح التجنى فتحمل
ثم لاتيأس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجد ومن أهواه فى الحب عابث * وأوفى له بالعهد اذ هو ناكث
حبيب نأى عنى مع القرب والاسى * مقيم له فى مضمر القلب ماكث
جفانى بالطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأى فى القطيعة حادث
تغيرت عن عهدى وما زلت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما * بانى عن حتفى بكفى باحث
ستبلى الليالى والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو أننى أقسمت انك قاتلى * وانى مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

ياغزالا أصارنى * موثقا فى يد المحن
اننى مذ هجرتنى * لم أذق لذة الوسن
ليت حظى اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعى يامعذبى * فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سرى مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب * فكما شئت لى فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحش لى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * وأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها فى غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جوارى الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

أسد بن عبد العزى بن قصى وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فشالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فأخذ عليه السلام الحجر ووضعه فى مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا القوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وحدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شان ونبأ عظيم (وقد تنوزع) فى هذا القائل فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر فى ذلك اليوم فى جمعهم فى صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما

استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهى الوصائل وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة

صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره
فى الحكم العدل الذى لاينكره
وقد جهدنا جهدنا ليغمره
وقد عهدنا أوله وآخره
فان يكن حقا ففينا اكثره

(وكان) من بناء الكعبة الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذى القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام) لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران ام الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بارض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد

يامعطشى من وصال كنت وارده * هل منك لى غلة ان صحت واعطشى

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهى لاتعلم انه يعلم فقال

كسوتنى من ثياب السقم أسبغها * ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر منك وخد بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى التشاكل بين الروم والحبش
أوفى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لوشئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال فى ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفنى المنام وصاح الليل يا قرشى
هذا وان تلفت نفسى فلا عجب * قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون وان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفنانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لايخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصارى الاشبيلى المعروف بالابيض فى تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عند ماعطسا
تعشق الدرع مذشدت لفائفه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فتزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع فى * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لى لما أحمر الياقوت تصقله
فقال طرفى سفاك بصارمه * دماء قوم على خدى فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبى * ثم هبت ريح صده
فشرار النار طارت * فانطفت فى ماء خده

وهو تخييل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسى فى المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات عجيب

وغضارة الايام تأبى أن يرى * فيها الابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالي طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وكان ابن الرقاق الاندلسي الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر في الليل ويشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا حدادا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه فاتفق أن برع في الادب والعلم ونظم الشعر فقال في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدر ما لها مغرب * أرامة خدك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفي دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أنى استقرت بعد نازينب
لم نسر الا بشذا عرفها * أولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبني حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فاطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس في حانوته مكب على صنعته فوضعها في حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى في غلام رام يرمي حجرا فشدخ وجهه

واحوى رمى عن قسي الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد دثر
وما شق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

بابي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

سقتني بيمناها وفيها فلم أزل * يجاذبني من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغني من الراح من سلسال ذي أشر
قل للكواعب غضي للكرى مقلا * فاعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداء سني * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه يعقد بالنظر
يطفو عليها اذا ما شجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت في الافق بالقمر

تنوزع في ذلك فمنهم من قال انه مات بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بشهر ومنهم من قال انه مات في السنة الثانية من مولده (وامه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفي السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفي السنة الثانية) من كونه في بني سعد كان أبوه يقول

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذي الاركان

(وفي رواية أن عبد المطلب قال)

لاهم رب الراكب المسافر
محمد قلب بخير طائر
نحي عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
في درج الريح والاعاصر

(وفي السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهم لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال ما زال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بامته لوزنها (وفي السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل في مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفي السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه إلى

وقال

تضوعن أنفاسا وأشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادوني بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لأسرحن نواظري * فى ذلك الروض النضير
ولآكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدي أن يسود معشر * فيضحي لهم يوم وليس لهم أمس
كذاك نجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جيلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغني عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابي على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدي اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهي بدر يستضاء به * ولون شعري مصبوغ من الغسق
وكحل عيني سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعري حمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عيني من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * لوني كذا حبها يقضي على رمقي
فقام ذو اللمة السوداء يرشقني * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف خنث الجفون كأنما * من أرجل النمل استمد عذارا

أخواله تزورهم فتوفيت بالابواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خامسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج مع عمه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودي) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

(ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته)

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وانزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة واول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق واتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحرا وهو اول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه باول السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم امر

فتخاله ليلا اذا استقبلته * وتخال ما يجرى عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم فى طفو * وعالم فى انطفاء

وقال أحمد بن بردا الاندلسى فى النرجس وهو البهار عند الاندلسيين و يسمى العنبر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزله بها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أيا ساميا من جانبيه الى العلا * سمو حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذى الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت ولم تعبأ برد جوابه * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فرصاحب الانزال فيها بفاصل * فان الفتى يهذى وليس بفعال

...ل وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال ...و الفضل بن حسداى وكان يهوديا فاسلم و يقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر ...لانبياء الصلاة والسلام

نور يدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيابها منا حشاشات
قد كان من قبلها فى كاسها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات

...قد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الوزن والقافية ولولا خوف ...سآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ...بن عبد ربه كان صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب ان ابن عبد ربه ...مر به يوما وكان فى مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت انك أعرج الا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحمد انى مزمع سفرا * فودعينى سرا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية و يسمى صاحب العقعق حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبى عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لى عن رائه * وكنت فى قعدد ابنائه

صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفى ذلك يقول الشاعر

فى رأس ألف من السنين الى ثلاث حصلت يقين
والمائة المعدودة التمام الى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا وكان فينا هادى السبيلا

(وقد تنوزع) فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستانف الاسلام بل كان تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلى اذ كان

فبدر ابن عبدر به وقال

ان كنت فى قعدد أبنائه * فقد سبقى أملك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا وعاش ابن عبدربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى * (ومن الحكايات) فى مروءة أهل الاندلس ماذكره صاحب الملتمس فى ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبى الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته فى الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله * يحسب الناس بانى متعب * الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعنى صاحب الملتمس ومن أغرب ما يحكى أنى كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضى غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الغرس فجعلته يعنى ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بينى و بين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال أنا ما كان القصد لى فى اجتماعكما ولكن سعيت جهدى فى غرضك وها أنا اسعى أيضا فى افتراقكما اذ هو من غرضك وخرج فى الح[...] فصل القضية ولم أرفى وجهه أولا ولا آخرا عنوانا للامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق با[...] ففتحت له ودخل وفى يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخى اعلم أنى كن[...] السبب فى هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذى وجدته الا [...] عند عمك فبالله الا ما سررتنى بقبوله فقلت له أنا ما أستحيى منك فى هذا الامر والله ان أخذ[...] هذا المال لاتلفنه فيما أتلفت فيه مال والدى من أمور الشباب ولا يحل لك أن تمكننى من[...] بعد أن شرحت لك أمرى فتبسم وقال لقد احتلت فى الخروج عن المنة بحيلة وانصرف ع[...] انتهى ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبى عمران المارتلى فق[...] صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدنى شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قو[...]

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا انزل
وأزجر عينى فلا ترعوى * وأنصح نفسى فلا تقبل
وكم ذا تعلل لى ويحها * بعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل
وفى كل يوم ينادى بنا * منادى الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل
كأنى بى وشيكا الى مصرعى * يساق بنعشى ولا أمهل
فياليت شعرى بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثانى قوله

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصيته فى الوساطة فقال ما ساعدتنى رقة وجهى على ذلك انتهى (رجع) الى نظم الاندلسيين وقال ابن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز

أقرب الناس اليه وأتبعهم له ومنهم من رأى غير ما وصفناه هذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال بالنص فى الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا المترجم بكتاب الصفوة فى الامامة وفى كتاب الاستنصار وفى كتاب الزاهى وغيره من كتبنا فى هذا المعنى * ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة وعبيد الله فجاءهم النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء فى صدر الاسلام يذكرهم

فياسائلى عن خيار العباد * صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش * وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوى الهجرة السابقون * ثمانية وحدهم نصره
على وعثمان ثم الزبير * وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا * وجاور قبراهما قبره
فمن كان بعدهما فاخرا * فلا تذكروا عنده بفخره

(وقد اختلف) فى أول من أسلم فمنهم من رأى افضل

أفضل ما استصحب النبيل فلا * تعدل به فى المقام والسفر
جرم اذا ما التمست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه * عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
تحمله وهو حامل فلكا * لولم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما فى السماء من خبر
أبدعه رب فكرة بعدت * فى اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذى فطنة من البشر
فهو لذى اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهى من أحسن ما سمعت فى الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما فى الامر أنى صائر * الى عادل فى الحكم ليس يجور
فيا ليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غنى ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

قال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زار من أهوى على غير موعد * فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحى لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحى به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد الله بن الازرق وهى

عم باتصال الزمن * ولا تبالى بمن
وهو يواسى بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظى * والظهر منها منحنى
أو من مليح مسعد * موافق فى الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجنى
والغصن فى أثوابه * اذا تمشى ينثنى
لا أم لى لا ام لى * ان لم ابرد شجنى
واخلعن فى المجون * والتصابى رسنى
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدنى
يا عاذلى فى مذهبى * ارداك شرب اللبن
أعطيت فى البطن سنا * ناان تخالف سننى
أى فتى خالفنى * يوما وما يلقنى

عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال على ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبى صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم على كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أجبنا من القول فى ذلك فيما قدمناه ذكره فى هذا المعنى والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر هجرته وجوامع مما كان فى أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته)

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك فى سنة احدى من الهجرة وهى السنة التى نزل فيها الأذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر

 (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلي دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر باداته ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مأمورة حتى أدركته الصلاة في بني سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعي في آخرين معه الى أن الجمعة لاتجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لايجزي وخالفه غيره من

فانني الناصح * وانني وانني
فلاتكن لي لاحيا * وفي الامور استفتني
فلم أزل أعرب عن * نصحي لمن لم يلحني
وان تسفه نظري * ومذهبي وتهني
فالصفع تستوجبه * نعم ونتف الذقن
والزبل في وجهك يعلو باتصال الزمن
وبعد هذا أشتفي * منك ويبرا شجني
وأضرب الكف أماm ذلك الوجه الدني
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قعقع قع قعقع قع * الضحك يغلبني ٣
قد كان أولى بك عن * هذي المخازي تنثني
النفي تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدي صديقا كان لي * بنفسه يسعدني
فتارة أنصحه * وتارة ينصحني
وتارة ألعنه * وتارة يلعنني
وربما أصفعه * وربما يصفعني
أستغفر الله فهذا القول لايعجبني
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الحديث من يسمعني
دهر تولى وانقضى * عني كطيف الوسن
ياليتني لم اره * وليته لم يرني
دنست فيه جانبي * وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي * لكن ببخس الثمن
كانني ولست أد * ري الآن ما كانني
والله ما التشبيه عند شاعر بهين
لكنه أنطقني * بالقول ضيق العطن
واحسرتي وا أسفي * زلت وضاعت فطني
لو أنصف الدهر لما * أخرجني من وطني
وليس لي من جنة * وليس لي من مسكن
أسرح الطرف وما * لي دمنة في الدمن
وليس لي من فرس * وليس لي من سكن
ياليت شعري وعسى * ياليت أن تنفعني

هل

هل امتطى يوما الى الشرق ظهور السفن
وأجتلى ماشئته * في المنزل المؤتمن
حينئذ أخلع في * هذي القوافي رسني
وتحسن الفكرة بالـ * فدوش والسمنسني
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثني
والبيض في المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مشـ * ـويا كثير السمن
من منعذي أفديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعلة قد استوى * فيها الفقير والغني
هل للثر يد عودة * الى قد شوقني
تغوص فيه أنملي * غوص الاكول المحسن
ولي الى الاسفنج شو * ق دائم يطربني
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرقا * ق من هيام أشني
واسكت عن الجبن فان نتنه يذهلني
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالسوسن
أي امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكرالا * تاذ والمؤذن
لو كان عندي معدن * لبعت فيها معدني
لكنني عزمت أن * أبيع كم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبني
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدني
وهات ذكر الكسكسو * فهو شريف وسني
لا سيما ان كان مصنوعا بفحل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدري أذني
وان ذكرت غير ذا * أطعمة في الوطن
فلابد من المشوما * ت بالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * انتهى في السمن
وتن بالعصيدة التي بها تطربني
لا سيما ان صنعت * على يدي ممركن
كذلك البلياط بالزيت الذي يقنعني
تطبخه حتى يرى * يحمر في التلون
والزبزبن في القصا * في حسب أهل البطن

الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم وكان في بطن الوادي المعروف بوادي رانوناء الى هذه الغاية ثم استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شيء ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي مكارم الباري منه وتوفيقه اه فنزل عنها وسار الى منزل أبي أيوب الانصاري وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف ابن سحيم بن مالك بن النجار فاقام في منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع واحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته وفي ذلك يقول صرمة بن أنس احد بني عدي بن النجار من قصيدة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لا يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه * فلم ير من يوفي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه * وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى من الناس واحدا * بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا

فاسمع قضايا ناصح * يأتي بنصح بين
من اقتني النقي مني فهو نعم المقتني
وان في شاشية الفقير انسا للغني
تبعدني من وصلها * عن وصلها تبعدني
تؤنسني عن اللقا * عن اللقا تؤنسني
فأضلعي ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يهن
وصدني عن ذاك قلة الوفا بالثمن
ايه خليلي هذه * مطامع لكنني
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعني
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الألسن
يصور الاشياء وهي أبدا لم تكن
فقوله يريك ما * ليس يرى بالممكن
فاسمع وسامح واقتنع * واطوحشاك واسكن
ولننصرف فقصدنا * أطراف هذا الموطن
انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * في أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب في مواضع

لقد غضبت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب الملم بلمتي * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد في القدح المعلى في حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بني تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا ان أخلاقه لم تعنه على الوفاء باسباب الخدمة فقلصت عنه تلك النعمة وأخرج عن تلك العناية وارتحل الى بجاية وهو الآن بها عاطل من الرتب خال من حلي الأدب مشتغل بالتصنيف في فنونه متنفل بواجبه ومسنونه ولي معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره

بذلنا له الاموال في كل ملكنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا * ونعلم أن الله لا رب غيره * وان رسول الله للحق راثيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعا وان كان الحبيب لمصافيا

فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة في منزل عائشة رضي الله عنها وكانت علته اثني عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادي القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادي القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع في أعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادي القرى من غير أن يأتي المدينة وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهي المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والا كواب
لو يدعى لطف الهواء أو الهوى * ما كنت فى تصديقه أرتاب
وكأنه مما شدا مستهزئ * وكأنه مما بكى نداب
وكانه بنشاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب   انتهى

وقال أبو المعالى القيجاطى

فقلت يا ربعهم أين من * أحببته فيك وأين النديم
فقال عهد قد غدا شمله * كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلى وقبطلة من أعمال وادى اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساءت وحق الاله حالى
رحلت أبغى بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالى
وعدتم ألف ألف وعد * لكننى عدت بالمحال

وقال أبو عمران القلعى

طلعت على والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لى كيف لا أوليك شعرى * واخلاص التحية والسلام

وقال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسى

أنا سكران ولكن * من هوى ذاك الفلانى
كلما رمت سلوا * لم يزل بين عيانى

وقال

حبيبى ما لصبك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فالسلام على فؤادى

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند هموم من ثار مع أخلاق كريمة وآداب كانسكاب الديمة انتهى * وقال ابن سعيد فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى كاتب ابن هود القائل لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد أحييت لى ذاك السميا
فى حلى نظم ونثر * علقا فى مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلى المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية * ووجهك فيه فتنة الناظرين
لاسيما اذ تلتقى خطرة * فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتمتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذى ورده * ما زال فيه لذة الشاربين

رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر الاولى وكان خروجه طلبا لكرز بن جابر ثم غزوة بدر الكبرى وهى بدر الثانية التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبنى سليم ثم غزوة السويق طلبا لابى سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذى أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها فى تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فاما ما ذهب اليه الواقدى فانه وافق ابن اسحق فى قتال النبى صلى الله عليه

وماحوى ذلك الازار الذي * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها في غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتنوا به وكان مروره على داره وحكى عنه انه أعطاه في زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على مافيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد في حقه ان بيته باشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذواقا لاطراف العلوم انتهى ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس ووزر له وعمااستوزره في بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته ولم أستفد منه الاما كنت أحفظه في مجالسته وكان شديد التهور كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو في محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي الى مالم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له قحة واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعني الا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذي أقول مالم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدي لمثله متأخر

يا هل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الارض الا بكؤس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في الغيظ الى أضيق مكان فقلت له ياسيدي هذا هو السحر الحلال فبالله الا مازدتني من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالي
وخد الروض أحمره أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تضيء بهن أكناف الليالي

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملك عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند دمازرته * عاين طرفي منه سحرا حلال
اذ أصبح الطل به ليلة * وجال فيها الغصن شبه الخيال

فقلت زد فانشد

ولما ماج بحر الليل بيني * وبينكم وقد جددت ذكرا
أراد لقاءكم انسان عيني * فمد له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عيني * بصحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها وأنشد

المعروف بمدعم رمى بسهم فقتل وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة في قول الواقدي انه قاتل في احدى عشرة غزوة وفي قول ابن اسحق في تسع فقتاله في التسع باتفاق منهما وزاد الواقدي على ماذكر وقد قيل ان اول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من اهل السير والاخبار في عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين ان قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال حدثني الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمرو الواقدي كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ثمانيا واربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ماتقدم في صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج علي) بن أبي طالب

هات المدام اذا رأيت شبيهها * في الافق بافرد ابغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الحمائم فيه انتهى

ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود رعا انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتني * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أك عالما وابيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها انا بين تلك وبين هذى * مصاب من عدو او حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة احسن اليه القائم بها ابو العباس اليانشتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان ياتي بما يوغر صدره فقال يوما في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها في نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا * وشافعنا له حسب وعلم
ورمنا بدا اقبلها واخرى * اعيش بفضلها ابدا واسمو
فانشدنا لسان الحال فيه * يد شلا وامر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي مترصدا له الغوائل فحفظت عنه ابيات وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي

يقول اخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الرعاع فما به ابدا ندين
نحي على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك ففيك أكفر ما نكون

فارسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضي العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكي الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر

وقال محمد بن أحمد الاشبيلي بن البناء

كانك من جنس الكواكب كنت لم * يفتك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الداني ألف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة فمات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جل المثلث أن يبكي لما قدرا * وأن يقول أسي يا ليته قبرا
فاضت دموعك أن قاموا باعظمه * وقد تطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض عما كان حملها * من الايادي فلت شلوه ضجرا

لفاطمة عليها السلام بعد ستة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك

(وكانت) أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبي طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان ابا طالب اسمه (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضي الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة ايام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر) بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم انه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم

فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن

وعز جسمك أن يحظى به كفن * فما تسر بل الا الشمس والقمرا

وقال ابو العلاء عبد الحق المرسي رحمه الله تعالى

يا ابا عمران دعني والذى * لم يمل بى خاطرى الا اليه
ما نديمي غير من يخدمني * لا الذى يجلسني بين يديه
يرفع الكلفة عني ويرى * انها واجبة مني عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لا تخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سحرت الاعينا
واعطف على فان روحى زاهق * وانظر الى بنظرة ان أمكنا
لا يخدعنك أن ترانى لابسا * ثوبى فقد اصبحت فيه مكفنا
مازال سحرك يستميل خواطرى * بارق من ماء الصفاء والينا
حتى غدوت بحرحب زاخر * فرمت بى الامواج فى شط الضنا

وقال

ما للنسيم لدى الاصيل عليلا * اتراه يشكو زفرة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغسانى قاضي مالقة

أهواك يا بدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
ما ان تنصرت ولكننى * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن غفير قاضي اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعية أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعية وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المناظر له فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عينى * وليس لى وصلة اليها
الاسلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما
أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباحنى الخد الرقيما
فر لنا مجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أما مجرد الارتجال فام عن الكثير صادر وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا منها فى هذا الكتاب فى القسم الاول موارد ومصادر ويجبى من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية على بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب بن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له

يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودى) وقد تنوزع فى مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبى جمرة عن ابن عباس وقد روى عن أبى هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث واربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دغفل يعنى ابن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر

ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وحكى محياه في زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضة ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسرار محاسنه رباه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فميلها وغص بها مباسم نورها فقبلها وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعة وان شدا فالورق ساجعة تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبذل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضمه بخلوته وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عني يا ابن المؤيد في وقـ ـت شهي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الاغـ ـصان لما سرى عليلا رفيقا
بت فيها منادما لصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن الـ ـبان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشا ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرآ * ه فأبدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم ما لاح في الجدر كافو * ر بياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام في قومه يرينا الشقيقا
واذا ما بدت جواهرها في الـ ـجو أبدى في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا ريحاننا طيب ذكرا * ك فخلناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

قال فاجاب عنها من الوزن دون الروي

قد أتتني من الجمال قصيد * يا لها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب الـ ـمسك في سبكها وصفو الماء

شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا انا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر في مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من اموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

(ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

فارتنا طباعه وشذاه * والذي حازذهنه من ذكاء
سيدي هل جمعت فيها اللآلي * يا أخا المجد أم نجوم السماء
أفحمتني حسنا وحق أياديـ * ـك التي لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يا مولائي
هل يسامي الثرى الثريا وأني * يدعي النجم فرط نور ذكاء انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * في كل يوم الى أن يكثر العدد
في واحد منهم تصفي الوداد له * من التكاليف ما يفني به الجلد

وله

نحن ركابي نحو أرض ومالها * ومالي من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب في موضع لا يناله * وأمسيت منه مثل يونس في اليم
بهذا قضى الرحمن في كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجي باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسي في البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهري القرطبي في ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوى تحتها من فرط روعته * فاظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القاسم الباجي في جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلي

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسي

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صفوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وما ودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله في فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قامر الارواح ناظره قمر
تعمد كلب عض وجنته التي * هي الورد ايناعا وأبقى بها اثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء في صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا الفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلا ونديما في صبي من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت في حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من

القوم

من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفي بها العالم المستبصر ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث في تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت في أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل مأخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (ففي أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان ٣ (وفي السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفي السنة السادسة) أخرجته أمه الى أخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة ونعى ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفي السنة التاسعة) خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وقيل انه خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

من بين سائر اخوته وهم العباس وحمزة والزبير وحجل والمقوم وضرار والحرث وابولهب وهم عشرة بنو عبد المطلب

القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الفار فسقاط على البياسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت أبا الحجاج من رب شيبة * غدا لابسا في الحب ثوبا من القار
والجأه الفار المشارك للنوى * ولم ار قطا قبله فر من فار

وله

قد سلونا عن الذي تدريه * وجفوناه اذ جفا بالتيه
وتركناه صاغر الاناس * خدعوه بالزور والتمويه
لمصل يسوقه لمصل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض اصحابه يذكره بالايام السوالف

أبا حسن لعمرك ان ذكرى * لايام النعيم من الصواب
امثلي ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بناخيل التصابي
ونحن نجر أثواب الاماني * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هو الأحلى لدي وان جناني * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل فقال

جنة وادي العسل * كم لي بها من امل
لولم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابي من المشرق وقد وخط ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابي الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل ابا الحجاج هذا الذي * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر * مما جنى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمح للجميع في هذا الهزل الشنيع ويصفح عنا في ذكره انه مجيب سميع * وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زواريقها في سماء النهر عقبانا وابدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تامل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها

ألا يا حبذا ضحك الحيا * بحانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء

وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سميناه وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الا صفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع في أروى فمنهم من قال انها أسلمت وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين وانها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمي وكان نخاسا في الجاهلية بياعا للجواري وكانت هذه احدى

اذابدت الكواكب فيه غرقى * ورأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة فى ديوانه صاحبت فى صدري بن المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير وملّ الركب رسيمه وذميله وأخذ كل منا مرتادا مقيله اتفقنا على أن لانطعم طعاما ولانذوق مناما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ماحضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطرى فقلت أتربص به وأعرض بعظم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غدر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى التجيبى هناك أرضا * وقد شمل العجاج به سماء
ودس به انحطاطا بطن واد * مذاعشب بشعر لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى متهم فى نفسه واتفق انهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فأفرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلنى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لاعنبا أمتص عنقوده * ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل برى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبى عمران بن ابى تليد رحمه الله تعالى قد سبقنى الى ذلك فالفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ماتناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يامن يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أوخده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا حسن مافى القطعة سياقه الاعداد والافانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحدة منها مايلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكأنه نازعنى القول فى هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوى الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور

فاذا

وهى يومئذ بنت أربعين وقيل فى سنها غير هذا (وفى سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ماقدمنا (وفى سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس فى تاريخ مبعثه عليه السلام (وفى سنة) ست وأربعين كان حصار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (وفى سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفى هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ماذكرنا على غير هذا التفصيل (وفى سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب مانطق به التنزيل (وفى سنة) اربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت ابى بكر رضى الله عنهما وهى ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة اشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهى بنت ثمان

عليك فقلت له ان أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فياخذ كلا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة

ثق بالذى سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يابنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله ولى المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأروبه عنك فقال نعم ما أرى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فاقدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شئ من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبى آخر الدهر فقال يابنى لا تملك قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

ايها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطفئ مالى من اللهيب
وعليه أحوم دهرى وأكننى أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فمازج قلبى من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان قلبى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أنى لا أضيق به * ذرعا فحان حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتلاقى رمقى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله ياخيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينتطح فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتى فى بكورها ساقى القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدأ بمن تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير مالم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم اوسكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها

فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقني بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فاثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه في الباب الخامس في المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية في الميدان وقد وقف يرمي بالنشاب فصنعت فيه بديها

يا ملكا مذ خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت في قربك الناسا
وودت الامـلاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا

انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشي وزير الرئيس أبي اسحق بن همشك صهر الامير أبي عبد الله محمد بن مردنيش في غلام أسود في يده قضيب نور بديها

و زنجي أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكي في هجاء أهل فاس تعصبوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين على بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى أمورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل آخر يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد فاثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذي أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتي الفقيه ببيضة * يشهد بان مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ما ناك عبد الله عرس أبي الحسين

وقال أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الانصاري عمل والدي محملا لا يكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكى الجنان * لا تقسني بسلم البنيان
فضل شكلي على السلالم أني * محمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفي * واصفراري ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم وال الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعي * التفت صنعتي وحسن ابتداعي
أنا للنسخ محمل خف حملي * أنا في الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقي

سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم واضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بني المصطلق (وفيها) وهي سنة أربع كان مولد الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفي سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بني قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه زينب بنت جحش (وفيها) كان تقول أهل الافك على عائشة رضي الله تعالى عنها (وفي سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفي سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى

ليس المدامة مما أستريح له * ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما الذى كتب اطالعها * وخادمى ابدا فى نصرتى قلمى

وقال ابو القاسم البلوى الاشبيلى

لمن اشكو مصابى فى البرايا * ولا القى سوى رجل مصابى
امور لو تدبرها حكيم * لعاش مدى الزمان اخا اكتئاب
اما فى الدهر من افشى اليه * باسرارى فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز على نهاى سوى كتابى

وقال ابو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب العجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعرى كيف انتم * وانا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله فى نصرانى وسيم لقيه يوم عيد

توحد فى الحسن من لم يزل * يثلث والقلب فى صده
يشف لك الماء من كفه * و يقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابوه صفوان سابق الميدان * وقال ابن بسام ساير ابن عمار فى بعض اسفاره غلامان من بنى جهور احدهما اشقر العذار والآخر اخضره فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقته جوهرى النجار * حلى اللمى جوهرى الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان * رقاق الحواشى كرام السجايا
ولا غرو ان تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جمان الحديث * تساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة فى التفايا انتهى

ومعناه ان ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما واحب خضرة التفايا وهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما * وقال ابو العرب ابن معيشة الكنانى السبتى اخبرنى شيخ من اهل اشبيلية كان قد ادرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بان قوله الحق قال كنت فى صباى حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحنى عين احد الا ملكت قلبه وخلبت خلبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينا انا واقف على باب دارنا اذا بالوزير ابى بكر بن عمار قد اقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذانى ورآنى اشرأب الى ينظرنى وبهت يتاملنى ثم دفع مخصرة كانت بيده فى صدرى وانشد

كف هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح
هو فى صدرك نهد * وهو فى صدرى رمح

وعبر فى البدائع على طريقة القلائد عما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه اخبرنى ذو الوزارتين ابو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم اجرى الجو فيه

اعتمر فى عمرة القضاء على ما ذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهاء فى ذلك وتنازع الناس فى نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن ابى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر بن ابى طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر (وفى سنة ثمان) استشهد جعفر بن ابى طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة بارض موتة من ارض البلقاء من أرض الشأم واعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفى سنة ثمان) كان افتتاح النبى صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس فى فتحها اصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء (وفيها) غزا غزوة حنين

اشقر برقه وومى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من اوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق الوان البز وبثت ما يعلو العطر والراح قد اشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه واخجل خدها حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بفتى رومى من اصبح فتيان المؤتمن قد اقبل متدرعا كالبدر احتجب سحابا والخمرا كتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه فى هيئة الاسد وقد جاء بريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه فى ضواحى قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك انوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فامره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهو يتيه يسقى المدام كانه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكاس فى أنامل سوسن * و يدير أخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر الجالس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا وأبى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق * وأحرز حسنه لفتى سعيد انتهى

وقال فى البدائع مؤلفه ما نصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل أجياد قضبانها فتشوف الى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

لمؤلفة قلوبهم وفيهم ابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفى سنة تسع) حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ على ابن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر ان لا يحج مشرك وأنه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلى الى اليمن واحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما اسلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بقائها بعد ابيها ومن الذى صلى عليها

وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت بردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صببه * كأنه أرقم قد جد فى هربه

وقال السميسر

بعود شر بن دمى قهوة * وغنينى بضرو ب الاغانى
كأن عروقى أوتارهن * وجسمى الرباب وهن القنانى

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فاذلها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * و بقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق و برغوث أتوا * نحوى وقد شدوا عذابى
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابى

وأحسن منه قول ابن شرف القيروانى

لك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض و يرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعذل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
لى والبراغيث والبعوض اذا * أجننا حندس الظلام قصص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

ونحو هذا قول الحصرى فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلنسية بى * وذادعنى غموضى
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها واتفق أن عبر فى السكة راجلا ومعه جماعة من أصحابه فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تغفله ربما أوقعه فى تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كتائب تحسب لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك أو ذيب
جوارح أهليه حر وفور بما * تولته من نقط الطعان أنابيب

واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولداه صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى أبى لهب فطلقاهما الخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام لزينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام وولداه عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد

 أتينا فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه

وقال الحميدي ذكر لي أبو بكر المرواني انه شاهد محبوبا الشاعر النحوي قال بديهة في صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافي على شط
وتبكي فتحيي من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر في بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض وادكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها * لآلي جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمي فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركني سماحا * فلمثلي يحق منك السماح
ان تخاني اذا نطقت عييا * فبناني اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو في نظام ونثر * ثم أثني وفي العنان جماح
فيهزل كما تأود غصن * ويجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه فانشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادمي
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا ابي أبا الوليد النحلي فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت في النحلي سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان أياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل في البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة في الشاعر ابن الفراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر في بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء في أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتأملوا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأعنان السماء فأشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب انتهى

وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب

ومن مبعثه الى هجرته وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازي والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

* (ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام) *

قال ابو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قومه وهم الغاية في الفصاحة والنهاية في البلاغة وأولو العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار في المكارم وفي الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سنتهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض

المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلي أبو الوليد فيه بديها

وركب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا * والثريا نقطا فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة

لله طرف جال يا ابن محمد * فحبت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لأربعه الهدى تحجيلا
وكأنما فى الردف منه مباسم * تبغى هناك لرجله تقبيلا

وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكأنما عمر على صهواته * قمر تسير به الرياح الاربع

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر * وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى اشبيلية

لله اخوان تناءت دارهم * حفظوا الوداد على النوى أو خانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدى الطيب وهو دخان

وحكى أن أيوب بن سليمان السهيلي المروانى حضر يوما عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودى هناك فتكلم المروانى بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوف أبو الحسن بن جودى لمعرفته وكان اذ ذاك فتى السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سألت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولى توقيرا فقال ابن جودى قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك فقال يا هذا طالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسأل وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد

انا ابن الالى قد عوّض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستجبوا التنكرا
ملوك على مر الزمان بمشرق * وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا

ففطن ابن جودى انه من بنى مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المروانى فقال ابن باجة لابن جودى أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل فى مجلسى تجدنى قد قربته وأكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوا الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام * نأخذ من ماله ومن أدبه * وحكى أن بكارا المروانى لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها ونقرت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤيائك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والا فتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحة أمامه وهو يعد حبوبها

ظهيرا مع كونه عربيا مبينا (وقد تنازع الناس) فى نظم القرآن واعجازه وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورده من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام مخبرا عما أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وعام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما

ويسبح فيها فقال لي ارفق على أتمم وظيفتي من هذا التسبيح وأقض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف علي وقال ما القرابة التي بيني و بينك فانتسبت له فعرف أبي وترحم عليه وقال لي لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان يأخذني بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لي هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأني الدهر الى أن أرتزق به فقال ياولدي انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فانشدني أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فعلبت بخاطري شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لي الا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فاطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولي أكثره فيما حملني عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يابني ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل * ان يصدق الطير ننك لميسا * فنحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا والله لا نشذ عن السلف الصالح أنشدني ما وقع لك غير متكلف فلم يحدني خاطري الى غير قولي من شعر أمجن فيه

أبطأت عني واني * لفي اشتياق شديد
وفي يدي لك شئ * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان في نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا باس عليك فانشدني غيره ففكرت الى أن أنشدته قولي

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدي بالاجرع
وأرسل دمعي شرار الدموع * لنار تأجج في الاضلع
فقام عذولي لما رأى * بكائي وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة * لمن حفظ العهد في الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجيء ويذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فأعدت فعاد ما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك اياه فقال وهل حرك مني الا خيرا وعفة يابني ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت وهي مستعدة لهبوب الرياح فان هب عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فاعجبني منزعه وتأنست به ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش بل ما زال يسعدني ويحدثني باخبار فيها هزل ويذكر لي من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره فلما كثر تأنسي به أهويت الى يده كي أقبلها فضمها بسرعة وقال ما شأنك فقلت راغبا اليك في أن تنشدني شيأ من نظمك فقال أما نظمي في زمان الصبا فكان له وقت ذهب ويجب للنظم أن يذهب معه وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله وهو يثقل

قال عليه السلام وهذا يعرفه كل ذي رأي صحيح وذي رياسة وسياسة (ثم قال) العائد في هبته كالعائد في قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان القيء لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذي لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله أحثوا في وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى في وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهي عموما للصادق والكاذب وأن يحثى في وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما نذكر في هذا مستفيض في السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس ويستعمل العوام كثيرا منه في ألفاظها وتورده في أمثالها وخطاباتها والاكثر منهم لا يعلم أن

عليك فقلت له ان أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فيأخذ كلا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة

شق بالذى سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يابنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله ولى المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا السلوّ عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأروبه عنك فقال نعم ما أرى به بأسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فما قدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شئ من هذا الفن فعلت ما تملأ به قلبى آخر الدهر فقال يابنى لا تملأ قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

ايها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطفئ ما بى من اللهيب
وعليه أحوم دهرى ولكننى أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فمازج قلبى من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان قلبى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أنى لا أضيق به * ذرعا فحان حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتلاقى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله ياخيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينتطح فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتى فى بكورها ساقى القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدا عن تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم اوسكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها

ثم قال حسبك وان كلفتنى زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتنى الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتنى وأكببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه نحولى
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبى التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعنى فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فلا سمعى عجائب وبسط أنسى وكتبت كل ما أنشدنى ثم قلت له لولا خوفى من التثقيل عليك لم أزل أستدعى منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك فما عندى مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لى هذا داء عملك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بنى عيشتى بتلك الشبكة أصطاد بها فى سواحل البحر ما أقتات به ولى زوجة وبنت يعودمن غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وفى نيتى أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فنقرت الباب فكلمتنى المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ناله كالجنون فقلت له ما شأنك فقال انى أريد أن أموت شهيدا فى الغزو وهؤلاء جيران لى قد عزموا على الغزو وأنا ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال فى سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسى هى التى قتلتنى بهواها أفلا أقتص منها فاقتلها قال فقلت لها امن خلف للنظر فى شأنكم فقالت ليس ذلك لك فالذى خلفنا الله لا نحتاج معه الى غيره فادركنى من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت انى قريبه ويجب على أن أنظر فى حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذى محرم ولنا من العجائز من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا فقلت لها هذه دراهم خذوها استعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على مافاتنى من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه فقالت لى المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت انه قد قتل فقلت لها أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد عليا فى الدين والدنيا

*وقال محمد بن أيوب المروانى لما كلف قوم ما حاجة له سلطانية فما نهضوا بها فكلفها رأس بنى مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

 نهضت

من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤوى الضالة الا ضال حبك الشئ يعمى ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما أو حرم حلالا الرجل احق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على حب من أحسن اليها امنك من اعتبك ما نقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن لا ذنب له الشاهد يرى ما لا يرى الغائب خذ حقك فى عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير أجرته قبل أن يجف عرقه أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف

نهضت بما سالتك غير وان * وقد صعبت اسالكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر فى كونه يتعرض لمدح خدام بنى مروان فقال له أعز الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتمونى ذنبا وجعلونى رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها اكثر ممن يهينها وان كان فوقها وانى من هذا وهذا فى أمر لا يعلمه الا الله الذى بلانى به و ياويح الشجى من الخلى وأنا الذى أقول فيما يتخلل هذا المنزع

نسبت لقوم ليتنى نجل غيرهم * فلى نسب يعلو وحظى يسفل
أقطع عمرى بالتعلل والمنى * وكم يخدع المرء اللبيب التعلل
فمالى مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل
ولكننى أقضى الحياة تجملا * وهل يهلك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قد دنا لومك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر فى شانه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المروانى يمدح المظفر بن المنصور بن ابى عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل
وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رفعة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قابلته * مثل السنان بجحفل وبجحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس فى زمانه ابن دراج القسطلى فقال له القسطلى أنشدنى أبياتك التى تقول فيها * على قدر ما يصفو الخليل يكدر * فانشده

تخيرت من بين الانام مهذبا * ولم ادر انى خائب حين أخبر
فمازجنى كالراح للماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر
الى أن دهانى اذ أمنت غروره * سفاها وأدانى لما ليس يذكر
وكدر عيشى بعد صفو واغا * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلى وقال والله انك فى هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها البلال بن جرير

لو كنت اعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت مالم أفعل

ولكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن اين يلوح ذلك فقال القسطلى من قولك وادانى لما ليس يذكر فما يظن فى ذلك الا انه اداك الى موضع فعل بك فيه فاغتاظ الاموى وقال يا ابا عمر ومن اين جرت العادة بان تمزح معى فى هذا الشان فقال له حلم بنى مروان يحملنا على ان نخرق العادة فى الحمل على مكارمهم فسكن غيظه * وكتب المروانى المذكور الى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة انهض الله تعالى سيدى باعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم افقه بعد ما بكى ودقه وصقلت اصداء اوراقه وفتحت حدائق احداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت

وجنة الكافر ما أملق تاجر صدق الدعاء سلاح المؤمن خير الامور أوسطها اذا أتاكم الزائر فاكرموه اشفعوا تحمدوا وتؤجروا الايمان الصبر والسماحة أفضلكم أفضلكم معرفة ماهلك امرؤ عن مشورة ما عال امرؤ اقتصد ماهلك امرؤ عرف قدره شر العمى عمى القلب الكذب مجانب للايمان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى من أثنى فقد كفى قلة الحياء كفر المؤمنون هينون لينون شر الندامة يوم القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة ان تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة فى كل عام ترذلون زر غبا تزدد حبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس او قال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله احد الا نادما من عمل خيرا قال ياليتنى ازددت ومن عمل غير ذلك قال ياليتنى قصرت وهذا

مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سبب هلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معانى

غدرانه وتوجت اغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعد ما تلفعت بسحابها وتنبه فى ارجاء الروض ارج النسيم وعرف فى وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا ناظر اخيك الى ان يجيله فى هذه المحاسن ويجدد نظره فى المنظر الذى هو غير مبتذل والماء الذى هو غير آسن والفصل اليوم احسن ما ملح وابدع ما حزن فيه وجمح فخذلى باعارة ما انهض عليه لمشاهدته ويرفع عنى خجل الابتذال بمناكبة الانذال لازلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى اخيه عبد الله المعروف بالبلنسى حين فر كتابا يقول فى بعض فصوله والعجب من فرارك دون ان ترى شيأ فخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فرارى دون ان ارى شيأ الا انى خفت ان ارى مالا اقدر على الفرار بعده ولكن تعجب منى ان حصلت فى يدك بعد ما افلت منك * وقال له وزيره احمد بن شعيب البلنسى اليس من العار ان يبلغ بك الخور من هذا الصبى ان تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك ابيك فقال ما اعرف ما تقول وكل ما وقى به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل واول ما ينظر الاديب فى حفظ راسه فاذا نظر فى ذلك نظر فيما بعده * وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموى ويعرف بالحجر

اجعل لنا منك حظا ايها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندى منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى ابا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * والبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد اعيا

وحكى انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن اضحى وكان من اعيان غرناطة فمدحه بقصيدة ثم بموشحة ثم بزجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فاخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا مثل الذى اشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءنى فبكى
ان المقل الذى أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى اعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة * فيها لافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كحيل الطرف فى شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج فى درع الكمى سنان
عقارا نماها الكرم فهى كريمة * ولم تزن بابن المزن فهى حصان

كثيرة منها ان يكون اخبارا ان من غش المسلمين على حسب الحال فى الوقت ان بعض اهل الكتاب او المنافقين اخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهى عن الغش وقد قيل غير ذلك والله اعلم مثل ماروى عنه ابو مسعود البدرى قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة احد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن ابى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فجزع الاكثر فافضى ذلك الى على رضى الله عنه فقال صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض احد بعد رأس مائة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على اموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودى) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر أبو اسحق الزجاجى النحوى صاحب أبى العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتاخر عنهم اوردنا من ذلك فى هذا الكتاب ماسهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد اتينا على جميع ما يحتاج اليه فى هذه المعانى وقد

وقد حان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال فى وصف فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة فى شقرة * حبابة تضحك فى الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكى يهجو

أعدد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصر فى المشيه * لما بدت فى خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذى مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلى فى الامير الكبير أبى بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه فى غزاة غزاها

سر حيث سرت يحله النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفى الهجير بظلها وتنيم * بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحرها الكفار

هذا غير ما تمناه الجعفى حيث قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفعت على ذى سفر فأحراها بان تعوق عن الظفر ونعتها بعد درار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار وما أحسن قول القائل

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

وقال الحجارى فى المسهب كتبت الى القاضى أبى عبد الله محمد اللوشى أستدعى منه شعره لا كتبه فى كتابى فتوقف عن ذلك وانقبض عنى فكتبت اليه

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب * نائى المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كل مهمه * كما سرى نسيم الريح بالعذب
انى وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتى وعن أدبى

فكان جوابه

ياطالبا شعر من لم يسم فى الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
انى وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمخشلب
لكننى صنت هذرى عن روايته * فمثله قل عن سام الى الرتب

(باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

قال المسعودى ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب ابن الخزرج الانصارى فى يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبى صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق فى سائر الروايات على ماذكرنا وكان مولد أبى بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من أيامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده فى هذا الكتاب بعد ذكرنا لايام بنى أمية وبنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ

خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محللا ذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لى مما أتحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار وقال صالح بن شريف فى البحر وهو أحسن ما قيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما أن كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة * لذلك يرمينى بهن مصيب
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذى يزرى بالدر الثمين ودخل ابن بقى الحمام وفيه الاعمى التطيلى فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ما قال الاعمى * وقد ذكر فى بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقى ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقى حمامنا فيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلى المتطبب اذ قال رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار فادخلنى

مقادير السنين والشهور والايام ونبين تاريخ أصحاب السير والاخبار بين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا فى ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره)

كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان وهو ابو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا وقيل انما سمى عتيقا لعتق امهاته واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة

ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير اليه

اليـه سائسـه وذلك بشفاعـة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الاربلي وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بي عليـه وأبصرت مياهـه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية و بعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوّت باصوات طيبـة ومنهـا أحواض رخام بديعـة الصـنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسـنة الاتقان ثم منهـا الى البستان ثم أراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صـنعة اختهـا ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخـل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفي صـدر الدهليز خلوة مربعـة تسع بالتقريب أربعـة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجـائب في هـذه الخلوة أن حيطانهـا الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه و بين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في اى حائط شاء منهـا ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبـة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضـه اصـفر و بعضـه احمر فاما الاخضر فيقال انه حجارة تاتى من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفـة في اللون وغـيره وهي ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لى الخـادم السائس هـذا صنع على هـذه الصفة لمخدومي حتى انه اذا نظر الى ما يفـعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعـة والتقبيل ووضع ايدى بعضهم على اعجاز بعض تتحرك شـهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبـه قال الحاكي وهـذه الخلوة دون سائر الخلوات التى دخلت اليها مخصوصة بهذا الفـعل اذا اراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجوارى الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا في هـذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصوّرة في الحائط ومجسمة بين يديه و يرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت في صـدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليـه انبوبان مركب في صـدره وأنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاوّل برسم المـاء الفاتر وعن يمنـة الحوض و يساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليهما باخر النـد والعود وابصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها اموال كثـيرة وسالت الخادم عن تلك الحيطان المشرقـة المضيئة من اى شئ صنعت فقـال لى ما اعلم قال الحاكي فما رأيت في عمرى ولا سمعت بمثـل تلك الخـلوة ولا باحسـن من ذلك الحمام مع أنى ما أحسـن ان اصـفهما كما رأيتهما فانه لم تتكرر رؤيتي لهـما ولا اتفق لى الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذى ذكرت كفاية انتهى ولما اتصـل أبو القاسم على بن أفلح البغدادى الكاتب بامير المؤمنين المسترشـد بالله العباسى ولقبه جمال الملك وأعطاه أربع ديار في درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهـدم الكل وأنشأ داره الكبـيرة وأعانه الخليفـة في بنائها وأطلق له أموالا وآلات البناء وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذى فيه بيت مستراح فيه أنبوب ان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليـه التاج وماوصفنا من البرود والحلي فلما شاهد من ابي بكر ماوصفنا التي ما كان عليـه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سـوق مـن اسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصـار قال فاردتم ان اكون ملـكا جبـارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لا ها الله لا تـكون طاعـة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التـكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) ابا بكر رضى الله عنـه عن ابى سفيان صخر بن حرب امر فأحضره واقبـل يصيح عليه وابو سفيان يتملقه ويتـذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني فقـال له على أبي سفيان فدنا من أبي بكر وقال له أعـلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقـدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصـار وقال له يا أبت ان الله قد رفع بالاسـلام قـوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافـة وابوه باق غـير أبي بكر (وام ابى بكر) سلمى وتـكنى ام الخـير بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن اسعد بن تيم بن مرة (وارتدت العـرب) بعـد استخلافـه بعشرة ايام (وكان له) من الولد

ان عجب الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
وبحت روضة أخلاقه * في رياضا نورها مذهب
صدر كساصدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كائن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تلم به موثقا
فاضحى يتيه على كل ما * بني مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسى الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال العلو * لئو الفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقى

انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا فجئت بصبحي سوالف وسلاف
وبساق يسبي العقول بساق * وقوام وفي العناق خلافي

ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كما ولبعضهم

ان حمامنا الذي نحن فيه * أي ماء به وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخاري

والغز بعضهم في الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربي اذ ينفس كربه * ويعظم أنسي اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنا فيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيري متكلما

الى خلافة أبي بكر ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبدالله وأما عبدالرحمن ابن أبي بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبدالرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفيسان والمسح ومحمد ابن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبدالله وعونا ومحمدا بني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ولا عقب لهما وعقب عبدالله بن جعفر علي واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فاولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الجرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبدالمطلب وسلمى تحت حمزة بن عبدالمطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فروة بنت القاسم

متكلما محققا برأى الاشعرية وذا كر الكتب الاصول فى الاعتقاد مشاركا فى الادب مقدما فى الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو ديني ففيه لا تعذلونى
أنا والله مغرم بهواه * علاوني بذكره علاوني

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبي يستدعي بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن في مجلس أغصانه الندامى وغمامه الصهبا فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حد يثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامة أو شمس حجبتها غمامة اذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها أو شربها مقهقهة فحمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فانت وحياتك كلماتنا وقد آن حلولها فى الاكليل انتهى وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعدما سال يجفف

وتذكرت هنا بذكر الورد ما حكاه الشيخ ابو البركات هبة الله بن محمد النصيبي المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة اذ قال كنت فى زمن الربيع والورد فى دارى بنصيبين وقد احضر من بستانى من الورد والياسمين شئ كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل على شاعران كانا بنصيبين احدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدى فقلت لهما اعملا فى هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

يا حسنها دائرة * من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها * فى حلة من شفق
كعاشق وحبه * تغامزا بالحدق
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقني المهذب الى ملحته فى هذا المعنى وهو قولى

يا حسنها دائرة * من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها * فى حلة من خجل
كعاشق وحبه * تغامزا بالمقل
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى وما ألطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لى فما * يشير الى التقبيل فى حالة اللمس
وبعد زوال الشمس القاه وجنة * وقد أثرت فى وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر فى بدائع البداءة اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس بن صارة الاندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس

وسند كر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله فى ايام معاوية بن ابى سفيان (ومات ابو قحافة) فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهى السنة التى استخلف فيها عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقد قيل انه مات فى سنة اربع عشرة (ولما بويع) ابو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال أفسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال ابو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومجاذبة فى الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشأم فقتل هناك فى سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه احد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا اهل المسجدين ومن بينهما واناسا من العرب قدم عدى ابن حاتم باهل الصدقة الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه ففى ذلك يقول الحرث

ابن مالك الطائى وفينا وفاء لم ير الناس مثله * وسربلنا مجدا عدى بن حاتم وكان ابو بكر رضى الله عنه قد سمته اليهود

السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذي البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكي الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر في الكتاب المذكور أنه اجتمع مع القاضي الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز   طار نسيم الروض من وكر الزهر
فقال الاعز   وجاء مبلول الجناح بالمطر   انتهى ويعجبني قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دوني ولي دونه السكر
ترقرق ماء مقلتاي ووجهه * ويذكي على قلبي ووجنته الجمر
أرق نسيبي فيه رقة حسنه * فلم أدر أي قبلها منهما السحر
وطبنا معا شعرا وثغرا كأنما * له منطقي ثغر ولي ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم أنني * لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني شئ سوى الحظ وحده * وأما المعالي فهي عندي غرائز

وقال   جدد بقلبي وعبث * ثم مضى وما اكترث
واحربا من شادن * في عقد الصبر نفث
يقتل من شاء بعينيه ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت في حجر النعامى * لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما

في شئ من الطعام وأكل معه الحرث ابن كلدة فعمي وكان السم لسنة ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولما احتضر قال ما أنا الا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها وثلاث تركتها وددت أني فعلتها وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر في ذلك كلاما كثيرا ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته صريحا ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميت الامر في عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها وددت أني يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لي أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أني كنت قد قذفت المشرق لعمر ابن الخطاب فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله ووددت أني يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدرا للقاء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذي القصة والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله صلى الله

تحسب

تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحي * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز بحريز بن عكاشة الشجاع المشهور الذي ذكرنا في هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها في بعض جنباتها وكتب اليه

يا فريدا دون ثان * وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البيلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض * جاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا * كسجاياك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا * أم سنى المحبوب أورى ازندا
هب من مرقده منكسرا * مسبلا للكم مرخي الردا
يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
أوردته لطفا آياته * صفوة للعيش أرعته ددا
فهو من دل عراه زبدة * من مريج لم تخالط زبدا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطاني اليدا
كلما كلمني قبلته * فهو اما قال قولا رددا
كاد أن يرجع من لثمي له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده * أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا بت به في روضة * أغيد يغزو بنانا أغيدا
قام في الليل بجيد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى

سالته هل للانصار في هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات اسماء ذات النطاقين وهي أم عبد الله بن الزبير وعمرت مائة سنة حتى عميت وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع في بيعة علي) بن ابي طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة ايام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما انفذ ابو بكر الامر الى الشام كان فيما اوصى به يزيد بن ابي سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسي بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه اول خيرك اليهم وأقلل جلسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن انت الذي تلي كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها

ومكان عازب عن جيرة * أصدقاء وهم عين العدا
ذي نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر في خد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحدو رالماء منه أبردا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان نجيب ذلك الاوان وقد افتن في الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربع الشباب شرخه ولا استمجد في الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لابي عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذي نادى محقا بموته * لعظم الذي أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما * هبطنا خداريا من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدناك يا خير البرية ناعبا
وما ذهبت اذ حل في القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التحمل رائما * منحناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى في الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناوبا
ومن ذا لربع المسلمين يقوتهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيا لهف قلبي آه ذابت حشاشتي * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذي غاب السرور لموته * فليس وان طال المدى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو له رب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أباحاتم صبرا الاديم فانني * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
ومازلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيي الخطوب المصاعبا
ساستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا
لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدرا لها وكواكبا

قال في المطمح ودبت الى أبي عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برئت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب نبا لها جفنه عن المضجع وبقي بها لا يأرق ولا يهجع الى أن أعلقت في الاعتقال آماله وعقلته في عقال أذهب ماله فاقام مرتهنا ولقي وهنا وقال

قريب بمحتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فيا له * عدو لابناء الكرام حسود
وماضره الا مزاح ورقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جني ماجني في قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد

واستوف عسكرك وأدن حرسك واكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن من سواك (وقد اعرضنا عن ذكر كثير من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر العنسي الكذاب المعروف بلهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الابناء في امرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى ام صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم

اضحت نبيتنا انثى نطيف بها * واصبحت انبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

اضل الله سعي بني تميم * كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثي وعمرو بن يحيي وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من امره مع الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين وما

ومافى الا الشعر أثبته الهوى * فسار به فى العالمين مريد
أفوه بما آته متعرضا * لحسن المعانى تارة فازيد
فان طال ذكرى بالمجون فانها * عظائم لم يصبر لهن جليد
وهل كنت فى العشاق أول عاقل * هوت بحجاه أعين وخدود
فراق ووجد واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد
فمن يبلغ الفتيان أنى بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار ساكنوها من الاذى * قيام على جمر الحمام قعود
ويسمع للعيسات فى جنباتها * بسيط كتر جيع الصبا ونشيد
ولست بذى قيد يرن وانما * على اللحظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الحمام وقد بكى * على القصر الفا والدموع تجود
ألا أيها الباكى على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب نأى به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ماعليه مزيد
ومازال يبكينى وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونا * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف فى الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تأخر * وللبدر شجنا بالظلام عدود
الا انها الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فاذعن ذا قوى * من الدهر مبدء صرفه ومعيد
وراضت صعابى سطوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التى من بيتها كف مركبى * أقربك دان أم مداك بعيد
فقلت لها أمرى الى من سمت به * الى المجد آباء له وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركته يدجنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على العقول ظهيرا فانها اقعدته حتى حمل فى المحفة وعاودته حتى غدت لرونقه مشتفة وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويزيح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لاشك لاحق
تمنيت أنى ساكن فى عباءة * باعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الطل فى فضل عيشتى * وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق
خليلى من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كأنى وقد حان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى * يدا فى ملماتى وعند مضايقى

وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلى الاوس عن معاضدة سعد خوفا أن يفوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاختيار فى الامامة وما قالوه فى امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب
قد كان عندك أنباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فاقام الحج فى تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو

لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته

عليك سلام الله اني مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبيني اذا ما ذكرتني * وتذكار أيامي وفضل خلائقي
وحرك له بالله مهما ذكرتني * اذا غيبوني كل سهم غرائق
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه * بترجيع شاد أو بتطريب طارق
فلي في ادكاري بعد موتي راحة * فلا تمنعوها لي علالة زاهق
واني لأرجو الله فيما تقدمت * ذنوبي به مما درى من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدي بين أهلي ولم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

وهجا ابن ذي النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما وانني * لآمن كلبا حيث لست مؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازي دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيا راكب الوجناء بلغ تحية * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتني الحادثات ولم أجد * لها وزرا أقبلت نحوك أعتدي
ومثلك من يعدي على كل حادث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فعلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذني من طول هم مجدد
وها أنا في بطن الثرى وهو حامل * فيسر على رقبى الشفاعة مولدي
حنانيك ألفا بعد ألف فانني * جعلتك بعد الله أعظم مقصدي
وأنت الذي يدري اذا رام حاجة * تنقل بها الآراء من حيث يهتدي

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتي موهوبة من علاكا * وكيف أرى عادلا عن ذراكا
ولو لم يكن لك من نعمة * على وأصبحت أبغي سواكا
لناديت في الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الا نداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته * وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فاطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله لمولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ولا يرعون الا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من أجدب

وحسبك

الله عليه وسلم وأبي بكر عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة أبو بكر الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبي بكر وحج في خلافته سبع حجج وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف وصلى عليه صهيب الرومي وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

(وتذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط ابن رباح بن عبد الله بن رداح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمي الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بأمير المؤمنين سماه عدي ابن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعري فلما قرئ ذلك على عمر قال اني لعبد الله واني لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن

وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى مالا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ماظنك بقوم الصدق يستحسن الامنهم فرفع المنصور رأسه وكان محامى أهل الادب والشعر وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال مابال أقوام يشيرون فى شئ لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيما لايدرون ارضى ام يسخط وأنت أيها المنبعث للشر دون ان يبعث قد علمنا غرضك فى اهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ احدا غرضه فى احد ولو بلغنا كم بلغنا فى جانبكم وانك ضربت فى حديد بارد واخطأت وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا واصغارا وانى ماطرقت من كلام الرمادى انكارا عليه بل رأيت كلاما يحل عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تهديه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الاحسان الغامر مالايستنبطه غيره بالكثير والله لوحكمته فى بيوت الاموال لرأيت انها لاترجع ما تكلم به قلبه ذرة واياكم ان يعود احد منكم الى الكلام فى شخص قبل ان يؤخذ معه فيه ولاتحكموا علينا فى اوليائنا ولو ابصرتم منا التغير عليهم فاننا لانتغير عليهم بغضا لهم وانحرافا عنهم بل تاديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم نظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت مائل السمع لكل احد منكم فى صاحبه لتفرقتم ايدى سبا وجونبت انا مجانبة الاجرب وانى قد اطلعتكم على مافى ضميرى فلاتعدلوا عن مرضاتى فتعنبوا واسخطى بما جنيتموه على انفسكم ثم امر أن يرد الرمادى وقال له أعد على كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ماقدرت الثواب أولى بكلامك من العقاب فسكن لتانيسه واعاد ماتكلم به فقال المنصور بلغنا ان النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدر لكلام استملحه منه وقد امرنا لك بمالا يقصر عن ذلك ماهو انوه واحسن عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم رد رأسه الى المتكلم فى شان الرمادى وقد كاد يغوص فى الارض لوجد لشدة ماحل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولاأياد يرغب فى نشرها فاين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذى قيل فيه

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أماكان فى الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح مآثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى * ومن حكاياتهم فى العدل انه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا أحد الصالحين فى جنة

يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع مافتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد ابن عامر بن حريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لاتفل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار ولايجيب احدا بليل وله يوم فى الشهر لايخرج الينا فقال عمر على به فلما جمع بينهم وبينه فقال ماتنقمون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ماتقول ياسعد قال ياأمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ واخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لايجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لايخرج الينا قال نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فامسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل فراستى فيكم ياأهل حمص فاستوصوا به خيرا

والحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها لايتام من أقاربه فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فامر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الارض ويحملك الحرص على ما يفنى أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها ولئن تحجبت عني بسلطانك واقتدرت على بعظم شأنك فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال على بالمشتغلين ببناء الصمادحية فاحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بأن نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها في عين الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق ثم أمر بان تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحيته ولقد مر بعض أعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال اشعرتم أن هذا المكان المعوج في عيني أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضاهم بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولي عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بارض اغتراب لا أمر ولا احلى
وقد أصدأت فيها الجذاذة أغلى * كما نسيت ركض الجياد بها رجلي
فلا مسمعي يصغى لنغمة شاعر * وكفى لا تمتد يوما الى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فاني رأيت منه خير من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدا مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء في ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الي في أن استأذنه في ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر لتعلم أنا اليوم في خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يجمل بنا الاجتماع مع أحد لا سيما مع ذي أدب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل في زيارتنا ونكابد من ألفاظ توجعه وألحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلي ويحيي كمدا قد فني ومالنا قدرة على ان نجود عليه بما يرضى به عن همتنا فدعنا كأننا في قبر نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر

قال ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان و بهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشتري لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسي وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا دواة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشام أباعبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل له

واما

وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكأنا لم نكشف حالنا سوانا ولا اظهرنا ما بنا لغيرنا فلا نحمل غيرك بحملك قال ابن الابانة فلا والله سمعى بلاغة لا تصدر الاعن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الاصورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

وكتب اليه ابن الابانة

ياذا الذى هز أمداحى بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فتحيل فى قليل بروجهه اليه وكتب اليه

المجد يخجل من يفديك من زمن * ثناك عن واجب البر الذى علما
فدونك النزر من مصف مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

افدى أبا عمرو وان كان عاتبا * فلا خير فى ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

وقال الشقندى فى الطرف ان عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به الى يحيى بن مطروح يستدعيه لانس

يا أخى بل سيدى بل سندى * فى مهمات الزمان الانكد
لح بأفق غاب عنه بدره * فى اختفاء من عيون الحسد
وتعجل فحبيبى حاضر * وفى يشتاق كاسى فى يدى

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أنا عبد من أقل الاعبد * قبلتى وجه بأفق الاسعد
كلما اظمأنى وردفا * منهلى الابداك المورد
ها أنا بالباب أبغى اذنكم * والظما قد مد للكاس يدى

وكان قد سلط عليه انسان مختل اذا رآه يقول هذا ألف لا شئ عليه يعنى ان ملكه ذهب عنه وبقى فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال أنا أكفيك مؤنته واجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا الف لا شئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك أشد عليه وكان به علة الحصا فظن أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به فى موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدى) فى كتابه فى فتوح الامصار ان عمر قام فى المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبى صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى ارض فارس فقام ابو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب ابو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فأمر أبا عبيدة وفى حديث آخر انه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان أول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقى جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه

أمر بقطع الجسر فقال له سلمة بن أسلم أيها الرجل انه ليس لك علم بما ترى وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين

خلت أمتى ولكن ذاتى لم تخل * وفى الفرع ما يغنى اذا ذهب الاصل
وناضر كم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجىء به الفضل
وكل اناء بالذى فيه راشح * وهل يمنح الزنبور ما يمنحه النحل
سأصرف وجهى عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الى وجهك السبل
فما موضع تحتله بمرفع * ولا يرتضى فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوى * ولكن بار باب العلا يحمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبى ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
فخيل لى أنى أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلاء بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يامن حكى البيدق فى شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر مافيه

وقال ابن خفاجة

ياأيها الصب المعنى به * هاهو لاخل ولا خمر
سوّد ماورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله البياسى

صغر الرأس وطول العنق * شاهد اعدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة فى الخلق
فاذا أبصرتها من رجل * فاقض فى الحين له بالحمق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمرى لقد سر الخلافة قائما * بخطبته الغراء سهل بن مالك
وأما ابن عياش وقد كان مثله * فضلوا جميعا بين تلك المسالك
ومات وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلنا هالك فى الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموى ذكره فى جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير

انه

بسوء سياستك ثم بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبرارى فلا تريد الآن تهلكهم فى هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد حم ماترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لافعلت جبنت والله ياسليط فقال سليط والله ماجبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأى فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط فى بعض قوله لولا انى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورعه فى يده فطعنه فى عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فاخذ الناس

انه لم يكن على هاشم التخير فى الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فجوزى خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للائم عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الارضا للامير واجتنابا لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه ارضا لجالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه واقصر فيما بعد عن تفنيده ثم وسعى فى تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك فى الشدة لافى الرخاء والاخ من ذب عنك فى الغيب لافى المشهد والوفى من وفى لك اذا خانك زمان وقد أتانى من كلامك بين يدى سيدنا جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادنى بمودتك اغتباطا وبصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدى على وصلك وأخصك باخائى وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر منى على أن تزيد ما بدأت به بان تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة ويستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أباذا كرى بالغيب فى محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصرى
أتتنى والبيداء بينى وبينها * رقى كلمات خلصتنى من الاسر
لئن قرب الله اللقاء فاننى * سأجزيك مالا ينقضى غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها البدر من سرارك وعجل بطلوعك فى أكمل تمامك وابدارك وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان عما زكنته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى ان خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما أعتقده لك وكم سهرت وأنا نائم وقت فى حقى وأنا قاعد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم ذكر أبياتا لم تحضرنى الآن * ومن حكاياتهم فى علو الهمة فى العلم والدنيا انه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحوى حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم احمل اثنى عشر ألف دينار وها هى تحت ابطى وأخرج لهم اثنتى عشرة ياقوتة كل واحدة منها بألف دينار وأما الذى أحسنه فانها عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه وأما الذى أقول فانتم كذا وجعل يسبهم هكذا انقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبى حيان النحوى رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال فى تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومدله جناحين وطار فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه فتأذى فى مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر

حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش فارس فى هذا اليوم حادويه ومعه راية فارس التى كانت لافريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهى المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور وطولها اثنا عشر ذراعا وفى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها فى الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد فأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن ابن عوف ودعا الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلى ما ترى يا أبا الحسن اسير أم ابعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس فى جلة مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه

من أبيات

يطم على العنقاء في طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبي الـقاسم ناهيك حسن رائقها
أما ضراط استه فراعدها * فليت شعري ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين دوّمها * فكري في البصق في است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل وسبه * وأول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق في صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وبمصر من المزني وغيره * ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلي المذهب * وأبو القاسم أصبغ بن السمح وكان بارعا في علم النجوم والهندسة وله تآليف منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة وكتابان في الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السند هند وله كتاب في عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوي كان عالما بالعدد والطب والهندسة وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان * ومنهم أبو الحكم عمر الكرماني من أهل قرطبة من الراسخين في علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحرّان وهو أوّل من دخل برسائل اخوان الصفا الى الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعيني وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقسطي كان ناقدا في علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا في العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو حي قرطبي بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل باميرها الصليحي القائم بدعوة المستنصر العبيدي فحظي عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشي الطليطلي عارف بالهندسة والمنطق والزيوج ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشي من أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعاني الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

وكان

عبد الرحمن بن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فديت بابي وأمي أقم وابعث فانه ان انهزم جيشك
فليس ذلك كهزيمتك وانك
ان تهزم أو تقتل يكفر
المسلمون ولا يشهدوا
أن لا اله الا الله أبدا قال
أشر علي من أبعث قال قلت
سعد بن أبي وقاص قال عمر
أعلم أن سعدا رجل شجاع
ولكني أخشى أن لا يكون
له معرفة بتدبير الحرب
قال عبد الرحمن هو على
ما تصف من الشجاعة
وقد صحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشهد بدرا
فاعهد اليه عهدا وشاورنا
فيما أردت أن تحدث اليه
فانه لن يخالف أمرك ثم
خرج فدخل عثمان عليه
فقال له يا أبا عبد الله أشر
علي أسير أم اقيم فقال
عثمان اقم يا أمير المؤمنين
وابعث بالجيوش فانه لا
آمن ان اتى عليك آت أن
ترجع العرب عن الاسلام
ولكن ابعث الجيوش
ودار كها بعضها على بعض
وابعث رجلا له تجربة
بالحرب وبصر بها قال عمر
ومن هو قال علي بن ابي
طالب قال فالقه وكلمه
وذاكره ذلك فهل تراه
مسرعا اليه اولا فخرج
عثمان فلقي عليا فذاكره
ذلك فأبى علي ذلك وكرهه
فعاد عثمان فاخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال ليس بصاحب ذلك

وكان من العلوم بحيث يقضى * له فى كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة أنها * بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال

لا اركب البحر ولو أننى * ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رأت عينى أمواجه * فى فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى فى الطب وغيره حتى انه عانى جميع ما فى كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما امكن بالاغذية او ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على اقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة فى الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج واقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن احمد المالقى الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق اليها وتوفى بدمشق فى سنة ست واربعين وستمائة اكل عقارا قاتلا فمات من ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس فى عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابى غالب كان اعجوبة دهره فى الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد اخبرنى من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك فى اول الليل فقال لهم ان شئتم تختبرونى اجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اى قافية شئتم لا اخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشدون (أرق على ارق ومثلى يأرق) وسماره قد نام بعض وضجر بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله أدباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا ابا عمران أو اجب أن يمنعه منى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فاكذبته الجماعة فقال اسمعونى وامسكوه فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه فاقسمنا عليه أن يكف وشهدنا له بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار بمخنق اشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين ولا يدرى حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فى
وقد استشرتك فى الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير

قال عثمان وطلحة بن عبيد الله قال له عمر أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ولكنى اخشى ان لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذلك ولكنه رجل غائب فى عمل قال عمر أرى ان أوجهه واكتب اليه ان يسير من وجهه ذلك قال عثمان ومره فليشاور قوما من اهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلى قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربع ما افاظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الايلة ثم صاعدا الى ناحية المدائن ونمى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان فى عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل ابى عبيدة وسليط فقالت بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأى وقد مضى لكم فى ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فاقامت الفرس أياما بالمدائن ثم

وانما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندي لفقدك أوجال أبيت بها * كأنني واضع كفي على قبس

ولا ملامة ان لم أهد نيره * حتى تمد اليها كف مقتبس

قد كنت أودع سر الشوق في طرس * لكنني خفت أن يعدو على الطرس

وأنشدله أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة في املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب

يا راحلين انا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب

تخلى الديار من الحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا في وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفي أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب

أعار الصبح صفحته نقابا * فغر به وصح لنا النقاب

فهما احث خال الصبح وافي * ليطلب ما استعار فما يصاب

اذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب

فيا عجبا له فضل الدراري * فكيف أزال أربعه التراب

سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلفى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي اهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابي فأتوني برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه على من أوله الى آخره فعجبت من حفظه وكان اعمى وابن سيده المذكور هو ابو الحسن على بن احمد ابن سيده وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

فتضحى فهل في بردظلات نومة * لذى كبد حرى وذى مقلة وسنا

وتوفي ابن سيده المذكور سنة ثمان وخمسين واربعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى

*ومن حكاياتهم في حب العلم ان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضا اسمه بالكتاب المظفري في خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدا وتوفي المظفر سنة ستين واربعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لاهل الاندلس كتاب السماء والعالم الذى الفه احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رايت بعضه بفاس وتوفي ابن ابان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم واجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى في صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم واكابرهم *ولنذكر جملة

المرزبان وأخذهم السيف وغرقوا أكثرهم في دجلة واخذ المسلمون ما كان في عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالبجلة فاقبل اليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلي وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في ايهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد ان طعنه حسان ولحسان في ذلك ابيات

الم ترني خالست مهران نفسه

باسمر فيه كالخلال طرير

تخرصر يعلو التقاني برجله

وبادر في راس الهمام جرير

فقال قتيلي والحوادث جمة

وكاد جرير للسرور يطير

فقال أبا عمرو وقتلي قتلته

ومثلي قليل والرجال كثير

فارسل عينا ان رمحك ناله

واكرم ان تحلف وانت أمير

(وقد تنازع) أهل

الاخبار والسير في جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من

من ذكر الجملة فنقول حكي عن عالم المرية القاضي ابي الحسن مختار الرعيني وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاءه يمشي مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه ماهذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصا وشمر ثيابه فقال له زهير ماهذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لي فوقع في خاطري انه عزلني عن القضاء وولاني الشرطة فضحك زهير واستجلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضي هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازائه عامي اساء الادب عليه

ألا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذو العلم والجهل في القدر
تضيع به الآداب حتى كانها * مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروى ان المقرئ اباعبدالله محمد بن الفراء امام النحو واللغة في زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطأ من وجهه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام في المذاكرة فقال احدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من ابناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت واريدان تتممه فقال ماهو فقال * الا بأبي شادن اوطف * فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان وردك لايقطف * وثغر ثناياك لايرشف
فأي اضطرار بنا ان نقول * الا بأبي شادن اوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قيل لي قد تبدلا * فاسل عنه كماسلا
لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا
قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا
ايها العاذل الذي * بعذابي توكلا
عد صحيحا مسلما * لاتعير فتبتلي

وتذكرت بهذا ما انشده لسان الدين في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف

قلت للساخر الذي * رفع الانف فاعتلى
انت لم تأمن الهوى * لاتعير فتبتلي

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتي ماعرف
وقال الشهود على المدعي * واما انا فعلي الحلف
فجئنا الى الحاكم الألمعي * قاضي المجون وشيخ الطرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من اين اكل الكتف
فقلت له اقض مابيننا * فقال الشهود على ماتصف
فقلت له شهدت ادمعي * فقال اذا شهدت تنتصف
ففاضت دموعي من حينها * كفيض السحاب اذا مايكف

الفرس ذلك وسار شيراز في جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر ابن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهي من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه في يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبي وقاص فنزل زبالة على حسب ماأمره به عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشأم وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلي القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ في ثمانية وثمانين الفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون الفا والمشركون في ستين الفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبدالله الأسدي في ذلك اليوم وهو يقول

فحرك راسا الينا وقال * دعوا يا مهاتيك هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فاين الخلف
واوما الى الوردان يجتني * واوما الى الريق ان يرتشف
فلما رآه حبيبي معي * ولم يختلف بيننا مختلف
ازال العناد فعانقته * كأنى لام وحبى الف
فظلت اعاتبه فى الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهرى خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج مع ولده الى وادى اشبيلية فصادف جماعة فى مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف واشار الى ولده فقال له الزهرى ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهرى فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لا يجزئ فى الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجى يوم خميس فلما أصبحا وصعد الزهرى يخطب يوم الجمعة والباجى حاضر قدامه فنظر اليه الباجى واوما الى محل الحدث واخرج لسانه فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة يشير بالعصا الى جوابه على ما قصد رحمه الله تعالى * ومر العالم ابو القاسم بن ورد صاحب التآليف فى علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد اتاك يبغى اباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا لجواب * يرتضى بالندا اذا ما تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه واقسم فى النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى ان ابا الحسن سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء والى جانبه من اخذ بجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه ويابردها على كبده ثم قال بديها

يشربها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أفعاله
والبكر ان لم يستطع صولة * تلقى على البازل أثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس فى يده فقال

ألا بابى وغير أبى غزال * اتى وبراحه للشرب راح
فقال منادمى فى الحسن صفه * فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخده * دعوتهم فقاتلح لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالغزال فتم الطيب واكتمل الانس

وقال وقد شرب ليلة فى القمر

شربنا بمصباح السماء مدامة * بشاطى غدير والازاهر تنفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكؤس لم يبرح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف فى جنة

فخرج اليه هرمزو كان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فاسره غالب أسرا فاتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين يتغشاه الذهب
أنى امرؤ لامن يصيبه السبب
مثلى على مثلك يغريه الكتب

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فجاء الاثم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج فى مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة فأتى به سعد بن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفى الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة

بهجة لجفاتهم ورقة من ثقيل يرغب في الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدي هذا مكان * لا يرى فيه بلحيه
غير تيس مصفعاني له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * سائقا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الازجال خليفة ابن قزمان في زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماضر كم لو كتبتم * حرفا ولو بالمسار
اذ أنتم نور عيني * وسطاي واختياري

وقال الخطيب الاديب النحوي أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير في صبي كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو في غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسني

ياحسنا مالك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنى مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتني * منه وقد ألدغني عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسني * ويالذاك اللفظ ما أعذبه
ففوق السهم ولم يخطني * واذرآني ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبني * وحبه اياي قد عذبه
يرحمه الله على أنني * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة الانفس في فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوائد وحكي ان قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس واختبره في ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان في زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضي أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة في المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه ما صورته فاذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وان الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا ممن لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل

تحاذيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيول فبعث الى بني أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فامرهم بمعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طليحة بن خويلد الاسدي مع فرسان بني أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضي الله عنه كتب الى أبي عبيدة ابن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر في كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ماذكرنا وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع في أوائل المدد فابقى

فالله تعالى سائلهم عن تقاعدهم فيك وما اقتضاها عمر رضي الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذي ذكره الحجاري في المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن العيدان من أعمال قلعة بني سعيد وأدب في قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي وهو القائل

صابح محياه تلق النجح في الامل * وانظر بناديه حسن الشمس في الحمل

ما ان يلاقي خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجي المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضره يا سيدي لا تقرب هذا اللعين فانه قال في اليهودي

ولكن عندي للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكي على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذي ينبغي أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا في أصحابنا من لا يرعى مسلما في حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى

فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر في الذكر

فاني اذن أولى الورى بفراقكم * ولا سيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبي عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغساني البجاني اتهم برهق في دينه فسجنه في المطبق مع الطليق القرشي والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت في السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا في التكاذيب

رامت عداتي تعذيبي وما شعرت * ان الذي فعلوه ضد تعذيبي

راموا ابعادي عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادنائي وتقريبي

لم يعلموا أن سجني لا أبا لهم * قد كان غاية مأمولي ومرغوبي

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولي جليس قربه * بعد الاماني كذباعني

قد قذيت من لحظه مقلتي * وقرحت من لفظه أذني

هون لي في السجن من قربه * أشد في السجن من السجن

أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم ما لحقهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت قال انا بهمن حادويه وهو المعروف بذي الحاجب فنادى القعقاع يا لثارات ابي عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارزا لهم على ما ذكرنا من قتله اياهم فالا فقتله القعقاع ويقال أن القعقاع حمل في ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر ففيه يقول القعقاع

جبوبة جياشة بالنفس * هدارة مثل شعاع الشمس
في أغواث من قبيل الفرس * أنخس بالقوم أشد نخس
حتى يفيض معري ونفسي

وبارز في ذلك اليوم الاعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخو الاعور في ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر * من يوم اغواث دواوين الشعر
من غير ضحك كان أسوا وأشر

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب وجلس في أعلاه يشرف على الناس وقد توافق الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتظرون فلما سمع ذلك سعد قال لمن لو

لوان خلقا كان ضدّاله * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتمى فكرى فى وجهه * سلط ابطيه على ذهنى
كانما يجلس من ذا وذا * بين كنيفين من النتن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لماعيل صبرى فهل * يسمع دعواى المليك الحليم
مولاى مولاى ألا عطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فدعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فى على طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى ٣خلنى من وادومن قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يامن غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعييب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها الجبال الرحة أشجار التين والعنب لاتقع العين الاعلى خضرة فى أيام الفرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لاتمار الاريح * ربما قد تهب أولاتهب

يشير الى أن مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من برالعدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ايه
كانها طست تبر * و يبصق الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسى انه دخل عليه فى مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسى

اسقنى الكاس صاحيه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبوجعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقياله * ليس ترويه ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودى لما عاد الى ملكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا على بن حسون وقال له كيف بايعت عدوّى من بعدى وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوّك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت فى يد من لايسعنى الا طاعته ومن نظم القاضى المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * و يبتغى العدل باحكامى
أضحت به أملاكه مثل أشـ ـكال خيال طوع أيامى
هذا لما أبرم ذا ناقض * كانهم فى حكم احلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى كما قال الحجارى فى صباه طلق

فأيقظونى فان ذلك شر واشتد القتال فى الليل وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر فسمع انتماء الناس فى آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على مايفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه و يستقيله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يابنت حفصة هل لك فى خير فقالت وماذاك قال تخلين عنى وتعيرنى البلقاء ولله على ان سلمنى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلى فى القيد فقالت وما انا وذلك فرجع يرسف فى قيده وهو يقول

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذاقمت عنانى الحديد فأغلقت
مصارع من دونى وصم المناديا
وقد كنت ذامال كثير وثروة
فقد تركونى واحدا لاأخاليا

٣قوله خلنى الخ هكذا بالاصل ولينظر وقوله من الفردوس فى نسخة من العروس هكذا بهامش الاصل

الجوح بعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأحلته تلك الرجعة فيما شاء من الرفعة وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكلما مررنا على امرأة بديع حسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم يمنع عنها صرفه ثم سايرته بعد ما ارجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلي الطريق معرضا الى ناحية متى زاحمته امرأة ولو حكت الشمس صاحية فقلت له في ذلك فقال

ذلك وقت قضيت فيه غرامي * من شبابي في سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعيني * من مشيبي ودعته بسلام

ومن شعره في صباه

لا تحجبوا رجعتي باللوم عن غرض * ولا تتركوني وصيدي فرصة الخلس
طلبتم رد قلبي عن صبابته * ومن يرد عنان الجامح الشرس

وما أقصر باطله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبي عففت عن الهوى * كما يهتدي حلف السرى بنجوم
وفارقت أشياع الصبابة والطلا * وملت الى أعلى علا وعلوم

ولما ألب بنو حسون على القاضي الوحيدي المذكور صادر عنه العالم الاصولي أبو عبد الله بن الفخار وطلع في حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأرابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلي على خيرة أنبيائه محمد الهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفي نصيرا وظهيرا ونفزع اليك مما دهمنا في حماك ونبث اليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك ويأبى الله ان يدهم من احتمى بأمير المسلمين ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى نقتها بين يديك في حق أمرك الذي عضده مؤيده لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للاحكام ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ويرضى الله تعالى ويرضى الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا دريناه موقف خزي ولم يزل جاريا على ما يرضى الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنو حسون الى الطعن في أحكامه والهدم من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جمعوا ولجاجهم فعموا وصموا وفعلوا وأمضوا ما به هموا والى السحب برفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله

أستنكر شيب المفارق في الصبا * وهل ينكر النور المفتح في الغصن
اظن طلاب المجد شيب مفرقي * وان كنت في احدى وعشرين من سني

وقوله

اقل عتابك ان الكريم * يجازي على حبه بالقلى

وللّه عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت أن لا ازور الجوانيا فقالت سلمى انى استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم وقد تنوزع في البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص في المسلمين فخرج في ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص في قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس الا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذي لم نره في يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشام من أصحاب هاشم ابن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب

وخل

وذل احتمالك ان الزمان * يعز بتكديره ما احتملا
وواصل اخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك ان تنبلا
اذا ما خليل اساء مرة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا

ولما وفد ابو الفضل بن شرف بن برجة فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة الى اهل حضرة المملكة العظمى انشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الفلق * وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستفاد الروض طيب العبق
والاح الفجر خدا خجلا * جال من رشح الندى فى عرق
جاور الليل الى انجمه * فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة * ايقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنى عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق
أبى بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطل تمريها الصبا * وجفون الروض غرقى الحدق
فتأتى فى ازار ثابت * وتثنى فى وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدى سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تمطى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده باليقق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لمعة أوجنة أو ولق
مدركا بالمهل مالا ينتهى * لاحقا بالرفق مالم يلحق
ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطو فى خرق
وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شباخطية * لا يجيد الخط مالم يمشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذراع ما آن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق

لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو ابن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم ابن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر و يقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على تعبيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر * بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات * وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادس لم يشعروا بى * ولم أشعر بمخرجى الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائى

وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم عريفا

يتلقاني بكف مصقع * يقتنى شأو عذار مفلق
ان يدر دورة طرف يلتمع * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على انبوبه * وجرت أكعبه في زئبق
كاما قلبه باعدعن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتآخذن بعهد موثق
أوجبت في الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا في حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى * يرتمي في مائها بالحرق
لونضا وهو عليه ثوبه * اتعرى عن شواظ محرق
الهب من هبوات أخضر * من فرند أحمر مرعلق
وارتوت صفحاه حتى خلته * بحيا من لكفيك سقي
يا بني معن لقد ظلت بكم * شجر لولا كم لم تورق
لو سقي حسان احسانكم * ما بكى ندمانه في جلق
أودنا الطائي من حيكم * ما حدا البرق لربع الابرق
أبدعوا في الفضل حتى كلفوا * كاهل الايام ما لم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أي البوادي أنت قال أنا من الشرف في الدرجة العالية وان كانت البادية على بادية ولا أنكر خالي ولا أعرف بحالي فمات ابن اخت غانم خجلا وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبي عبد الله محمد بن شرف الجذامي ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن ما في خده من بدائع * فاعجبه ما ضم منه وحرفا
وقال لقد ألفيت فيه نوادرا * فقلت له لا بل غريبا مصنفا

وقوله
قد وقف الشكر بي لديكم * فلست أقوى على الوفاده
ونلت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله
اذا ما عدوك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور في أيامهم أثر * غير الذي في عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة قوله

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يفد عليه في الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه في قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التي مر مطلعها الى أن بلغ

وان أترك أذيقهم الحتوفا فقالت له سلمى يا أبا محجن في أي شيء حبسك هذا الرجل تعني سعدا فقال والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فأصف القهوة وتداخلني أريحية فألتذ بمدحي اياها فلذلك حبسني لاني قلت فيها

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

وهي أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فأقامت مغاضبة له عشية ازمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبي محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله قال لاجرم والله لا أجبت لساني الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس في اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة العوراء والفرات في عرض ما بين الصفين وقد قتل من

قوله لم يبق للعور البيت فقال له كم فى القرية التى تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوّغك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجارنى من زمان * لم يكن من خطوبه لى بدّ
منشد كلما أقول تناهى * ما لمن يبتغى المكارم حدّ

وابن أخت غانم هو العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل فى ابن شرف المذكور

قولوا الشاعر برجة هل جاءمن * أرض العراق فحاز طبع البحترى
وافى بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
يا جعفر اردد القريض لاهله * واترك مباراة لتلك الابحر
لا تزعمن مالم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع فى مغربه وقال انه حدثه بداره فى مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابى حنيفة الدينورى فى ستين مجلدا وغير ذلك * وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومى نسب اليه لشهرة ذكره وعلوّ قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون فى أوّل شبابه على أبى الوليد بن ضابط النحوى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف

فقال ابن عبدون معرضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان اذ ذاك شيخا

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المظفر بن الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق
فان كنت منى بامتداحك ظافرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا
وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملك يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

المسلمين ألفان وخمسمائة ما بين رثيث وميت وقتل من الاعاجم مالا يحصى فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن فى كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة فيرتاح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمى يا نخلة بين فارس * وبين العذيب لا يجاورك النخل

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيا نخلة الجرحى ويا نخلة العدا * سقتك الغوادى والغيوث الهواطل

وأثخن الاعور بن قطبة فحمل من المعركة فسأل حماله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

وهي صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت في نهر العقيق والريح دبور فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع حباله ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارة ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الي الي

وكتب أبو علي الحسن بن الغايظ الى صاحبه ابي عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يامن أقلب طرفي في محاسنه * فلا أرى مثله في الناس انسانا
لو كنت تعلم ما لاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استعنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب في الطريق

يامن اذا ما سقتني الراح راحته * أهدت الى بها روحا وريحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها * فليس عندي بحكم الظرف انسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذكرا حسنا فيه واحسانا
وفي البساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لاعدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو علي الحسن بن كسرى المالقي المشهور على ملك اشبيلية السيد أبي اسحق ابراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي فأنشده قصيدة طار مطلعها في الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهي المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقي غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فزاد في لألائها اللآل
كأنها الشمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال
قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها في المقال
وأجرياذكر الوشاح الذي * نازل من خصرها في مجال
فقال لم أرض بما نلته * وليتني مثلكما لا ازال
اغص بالخصر وأعيا به * كغص ظمآن بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضا * يقضي فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحمامنا الذي * كل عن شكره فمي
كم اراني بقربه * جنة في جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلي وضيء الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج السهيلي مارا في الطريق الذي جرت عادته بالمشي فيه فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوضيء فقال له بعض اصحابه ممازحا بعبوره على منزله فقال نعم وانشد ارتجالا

جعلت طريقي على بابه * ومالي على بابه من طريق
وعاديت من اجله جيرتي * وآخيت من لم يكن لي صديق
فان كان قتلي حلالا لكم * فسيروا بروحي سيرا رفيق

وابو القاسم السهيلي مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى ايضا بأبي زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد نحر به العدو لما اغار عليه وقتلوا اهله واقاربه وكان غائبا عنهم فاستأجر من اركبه دابة واتى به اليه فوقف بازائه وانشد

يادار

يادار أين البيض والآرام * أم أين جيران على كرام
راب المحب من المنازل انه * حيا فلم يرجع اليه سلام
لما أجابنى الصدى عنهم ولم * يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلى والرصافى الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافى

عفا الله عنى فانى امرؤ * اتيت السلامة من بابها
على أن عندى لمن هاجنى * كنائن غصت بنشابها
ولو كنت ارمى بها مسلما * لكان السهيلى اولى بها

وتوفى السهيلى بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزرت قبره بها مرارا سنة عشر والف وسكن رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضى ابا بكر بن العربى وابن الطراوة وعنه اخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره ايضا لما قال كيف أمسيت مكان كيف اصبحت

لئن قلت صبحا كيف امسيت مخطئا * فما انا فى ذاك الخطا بملوم
طلعت وافقى مظلم لفراقكم * فخلتك بدرا والمساء عمومى

*وحكى ان الوزير الكاتب ابا الفضل بن حسداى الاسلامى السرقسطى وهو من رجال الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فجن بها جنونه وخلع عليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها فى يديه فتعامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفى على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطر بنا غيم يمازج شمسه * يستر طورا بالسحاب ويكشف
ترى قزحا فى الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان فى مجلس المقتدر بن هود ينظر فى مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذى تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وجلدها من جلد بعض من تعلم فمات خجلا وضحك المقتدر وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطى حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأندائه * مقلدا منه بعقد ثمين
الا أجب بقاندائى الى الـكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا * فكن لها بالله صبحا مبين

وكتب على بن خير التطيلى الى ابن عبد الصمد السرقسطى يستدعيه الى مجلس أنس انا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم فى مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا للطرب ألوية وسالت بيننا للهو أودية وحضرتنا مقلة

فطاف به الناس لايحسون السير ولا يرونه وتنادوا وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون الفا منهم قرنوا انفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لايبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين ايديهم قنابيل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى ان قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ما قدمناه ومنهم من راى ان قاتله رجل من بنى اسد ولذلك يقول شاعرهم فى ذلك اليوم وهو عمرو بن شاس الاسدى من ابيات

جلبنا الخيل فى اكناف هف
الى كسرى بوافقها رعالا
تركن بهم على الاصنام
سعرا
وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنا منهم حيث التقينا
قياما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كابان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية

تسأل منك انسانها وصحيفة فلكن عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لتحصل بك في جنة الخلد صقلت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع الحبر الصميم طابع كتابك فنحني منه جوهر منتخب لا يشوبه مخشلب هو السحر الا أنه حلال دل على ودحنيت ضلوعك عليه ووثيق عهد أنتدب كريم سجيتك اليه فسالت فالق الحب وعامر القلب بالحب أن يصون لي حظي منك ويدرأ لي النوائب عنك ولم يمنعني أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطي جواد الانحدار الى محبوبك الا العارض الم الم بي فقيد بقيده نشاطي وتركني أتحامل على فراشي كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وانا منتظر لادباره (ومن لطف اهل الاندلس ورقة طباعهم) ما حكاه ابو عمرو بن سالم المالقي قال كنت جالسا بمنزلي بمالقة فهاجت نفسي أن اخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكني من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن على المالقي فقال لي اني كنت ادعو الله تعالى ان يأتيني بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان مني ثم جلست عنده فقال انشدني فأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمي عليه وتصبب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يا بني اعذرني فشيئان يقهراني ولا أملك نفسي عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتي هذه الابيات في هذا الباب بأتم من هذا وعلى كل حال فهي لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسيأتي تسمية صاحبها الاندلسي كما في كتاب المغرب لابن سعيد العنسي المشهور رحمه الله تعالى وقال بعض الادباء ليحيي الجزار وهو يبيع لحم ضأن لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيي يقول للمشترين مه زولوا وقال التطيلي الاعمى في وصف أسد رخام يرمي بالماء على بحيرة

أسد ولو أني أنا * قشه الحساب لقلت صخره
وكأنه أسد السما * يمج من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقي وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فلما أنشد الاعمى موشحته التي مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدري

خرق كل منهم موشحته وتحاكمت امرأة الى القاضي أبي محمد عبد الله الازدي الاصبحي وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبي أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه

والعذيب فذهب كثير من الناس الى ان ذلك كان في سنة خمس عشرة ومنهم من رأى انه كان في سنة أربع عشرة والذي قطع عليه محمد بن اسحق انها كانت في خمس عشرة وقال في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس انها مصرت في ربيع سنة ست عشرة وان عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتكريت وان عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الحربية ومصر سعد بن ابي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغساني وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودي) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندي غلاما

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * أي صبر ترى يكون عليه

وحضر أبو اسحق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع أبي محمد جعفر بن عنق الفضة الفقيه السالمي وتذاكرا فاستطال ابن عنق الفضة ولعب بأطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له يا هذا لم تترك لأحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال أنا القائل

الهوى علمني سهد الليال * ونظام الشعر في هذي اللآل

كلما هبت شمال منهم * لعبت بي عن يمين وشمال

وأرقت فكرتي أرواحها * فأتت منهن بالسحر الحلال

كان كالملح أجاجا خاطري * وسحاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يجهل ولك المعذرة في جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه وقضى حقه وحكى ابن غالب في فرحة الأنفس أن الوزير أبا عثمان بن شنتفير وأبا عمر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم إلى طعام صنعه لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب

هي خيرية المساء حديثا * وأنا في الصباح أخشى رقيبي

فاذا أمس كان عندي نهارا * لم تخفى عليه بعد الغروب

واذا الليل جن حدثت جلا * سي بما كان من حديث غريب

قيل ان الدجى لديك نهار * وكذاك الدجى نهار الأريب

فتمنيت ليلة ليس فيها * لذكاء السنى من مغيب

حيث أعطيك في الخلاء وتعطيني مداما كمثل ريق الحبيب

ثم أغدو كأنني كنت في النو * م وأخفي المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد في كلام أهل الأندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجيبا دعا إلى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب

ان فعلت الذي دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير فأعلمه بالأمر القائد ابن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب إلى المعتمد

أنا عبد دولتيه كل بر * لم تدع من فنون برك فنا

غير رفع الحجاب في شربك الرا * ح فماذا جنيناه أن يجنى

وتمنى شراب سؤرك في الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسرته أبياته وأجابه

نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لأهل المدينة فان رأيت أن تأذن لي في الارسال به فعلت فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبا لؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ما شاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر وما تحسن من الأعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الأعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم احدث عنك أنك تقول لو شئت ان اصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى أبو لؤلؤة فقال عمر أما العلج فقد توعدني آنفا فلما أزمع بالذي أوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله ابن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله أو غنمه لا راعي لها لمته وقلت له

يا كريم المحل في كل معنى * والكريم المحل ليس يعني
هذه الخمر تشتغيك فخذها * أو فدعها أو كيفما شئت كنا

وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله * حرام حرام زمان الفقير * اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ أين وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراي وذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ما ضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تهزني من شذاها * البكم الاريحيه
خذوا اسلامي اليكم * مع الرياح النديه
في كل سحرة يوم * تترى وكل عشيه
يارب طال اصطباري * ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرق أضحى * وحلت الغرب ميه

وقوله

سابقي المجد في شرق وغرب * فما ساد الفتى دون اغتراب
فان بلغت مأمولا فاني * جهدت ولم اقصر في الطلاب
وان انا لم افز بمراد سعي * فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدي أن يسوّد معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم امس
كذاك نجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت في مغاربها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضأ فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فانشد لنفسه ارتجالا

ولما رايت الشيب أيقنت أنه * نذير لجسمي بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له ان يتداوى بالخمر العتيق وبلغه ان عند بعض الغلمان منها شيئاً فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابن عبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عمن جاءه منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك خوفي عليكا
هبك أن الفرار من غير عذر * اتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هناء

فقد استخلف أبو بكر وان اتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة باربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات اخو عبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بابي شحمة من ام (وذكر عبد الله بن عباس) ان عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان من أهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم اره منك واعياني ذلك فما رأيك في العمل قال لن اعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيأ أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عملك هنالك فاني قلما رأيت اوظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس اني خشيت ان ياتي على الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلم الينا

اهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لو لاح لى طالعا
وادعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحصرى يستدعيه ان يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصرى يستعمله اليوم فلما اراده كتب اليه

هاقد داهبت بكم وكلكم هوى * واحقكم بالشكر منى السابق
كالشمس انت وقد اطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله فى رئيس مرسية ابى عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المجالسة كثير النادرة

قد رايناه منك الذى قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا منيرا * وارتقينا حيث النجوم الدرارى
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصبا عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل ابو الحسن على بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

ياليلة جادت الليالى * بها على رغم أنف دهرى
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لاحالة كحالى * ضجيع بدر صريع سكر
ياليلة القدر فى الليالى * لأنت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

ياويح من بالمغرب الاقصى ثوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لأتما * بينى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله لم يبق عندى للصبا لذة * الا الاحاديث على الخمر
وله فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى
وله ان ماء كان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له أبو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن أملى * ان الشقاء بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكانما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

وتركتكم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى ان تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولابد من عتاب فقد فرعت لك قال فما رأيك قال قلت اراني لا اعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك مافيها لم ابرح قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى ارى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة بن عبد الله المزنى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس واصبهان واذربيجان فقال له اصبهان الرأس وفارس واذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما اراني الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام

وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فارسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبي فيمن جمع بينه و بين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذي قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولا زلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يخلنى الاعلى الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولو لم أكن عبد الآل صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا فى أملاك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولى عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتى به ونبهنى اليه كل وقت فأقام نديما لولى العهد المذكور وله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم فى قدود البان تحت اللمم من أقرع واطى
بأغيل وبنان مثل العنم لم تنبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته ثم قال له أنشدنى ماقلت فى فقال له وحق من حصلنى فى يدك ماقلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم فى نومى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان مازعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى فخرجت الى بلادك هاربا فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ماقلته فى عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت فى الاساءة اليه فاختر هل أحسن اليك وأخلى سبيلك أم أجيرك منه فارتجل

خيرنى المعتصم * وهو بقصدى أعلم
وهو أن يجمع لى * امنا ومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الامن والامان فأقام فى احسانه باوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت فى راحتيه أناملا
لا عيش الا حيث كنت وانما * تمضى ليالى العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال

فقال ما ترون فقالوا اقعد له فى بهجة الملك فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط واسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فاخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم يخرقها لينظروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرنا لكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبى صلى الله عليه وسلم ببعثه وأخبرنا باشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلفى بتاركيها يصيبونها أو يموتوا فقالت لى نفسى لو جمعت جراميزى ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يلكزونى بارجلهم ويجذبونى بايديهم

أبو جعفر الخزاز البطرني نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها

وما زلت أجنى منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمار أياد دانيات قطوفها * لأغصانها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكرى فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتني هذا قال نعم قال والله كأنها ما مرت بسمعي الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيزك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لمطل واجبها وغمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نثر الورد بالخليج وقد درج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة في النارنج

كرات عقيق في غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا وطورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما ترى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال
ضربوا ببطن الواديين قبابهم * بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادى
يابانة الوادى كفى حزنا بنا * أن لا نطارح غير بانة وادى

وقال
نحن في مجلس به كمل الانس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤس الحميا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لهن الهلالا

وقال
وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء في أملودها
تشدو ووسواس الحلى يجيبها * مهما انثنت في وشيها وعقودها
أولبس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها في جيدها

وقال
لئن بكيت دما والعزم من شيمى * على الخليط فقد يبكى الحسام دما

وقال ابو تمام غالب بن رباح الحجام في دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدوما لها حلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمعة العين حين أجراها

وكان المذكور ربي في قلعة رباح غريبي طليطلة ولا يعلم له أب وتعلم الحجامة فأتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل في ثريا الجامع

تحكى الثريا الثريا في تألقها * وقد عراها نسيم فهي تتقد
كأنها لذوى الايمان افئدة * من التخشع جوف الليل ترتعد

فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم هكذا وان كنت فجرت واستخففت فلا تؤاخذوني فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فتسلسلوا كل خمسة وستة حتى لا تفروا فدنونا اليهم فصافقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال اني هاز لوائي ثلاث مرات فاما اول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان واني داع الى الله بدعوة وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز ثلاثا ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فاتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق

وقال

زرت الحبيب ولا شئ أحاذره * فى ليلة قد لوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

انظر الى سرج فى الليل مشرقة * من الزجاج تراها وهى تلتهب
كأنها ألسن الحيات قد برزت * عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال

ترى النسر والقتلى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كأنها * عجائز بالحناء خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبو نواس فاتح هذا الباب

وكاس ترى كسرى بها فى قرارة * غريقا ولكن فى خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به * ولكنهم جاؤا باخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له فى حياته * فتومى اليه بالسجود وما تدرى

وما أحلى قوله

الا فاعجب وان رمى عليك ظلامة * لما عنفت عليه بالمسواك
لا يحمل النور الانيق تمسه * كف بعود بشامة وأراك
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراه بسواك

وقوله

صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم تر فى سباع الطير سرا * تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان فى قوله

فما لك ليس يرى مكانى * وقد كحلت لواحظه بنورى
كذا المسواك مطرحا مهانا * وقد أبقى جلاء فى الثغور

ومن حسناته قوله

لى صاحب لا كان من صاحب * فانه فى كبدى جرحه
يحكى اذا أبصر لى زلة * ذبابة تضرب فى قرحه

ولقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوجى وكانا فى جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدنى قولك

ويحى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
لها فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لها سبقا يفوق عزائمى
وهمة نفسى نزهتها عن الوجى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

فلما أنشده اياها ردد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز لحجام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام فى يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

وقال

بطنه وفتح الله على المسلمين فأتيت الى مكان النعمان فصادفته وبه رمق فأتيته باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فأخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر ساله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم ساله عن السلاح فاخبره بما علم ثم ساله عن قومه فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيأ قال سلنى عن أيهم شئت قال أخبرنى عن مسلمة بن

وقال
ثقلت على الاعداء الا انها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * وبدت تمزق أوجه الايام

وقال
نظر الحسود فازدرى لى هيئة * والفضل منى لايزال مبينا
قبحت صفاتى من تغير وده * صدأ المراة يقبح التحسينا

وقال
تصبروان أبدى العدو مذمة * فهما رمى ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل الملم بلسعه * يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال
وبارد الشعر لم يؤلم به ولقد * أضر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لاتؤذيه ريقته * حتى اذا مجها فى غيره قتلا

وقال ابن الزقاق
دعاك خليل والاصيل كانه * عليل يقضى مدة الرمق الباقى
الى شط منساب كانك ماؤه * صفاء ضمير أوعذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفى الخوافى والقوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد حان منى للرياض التفاتة * حبست بها كاسى قليلا عن الساقى
على سطح خيرى ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطر المحاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله
حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغى التقاضيا
وغيرك نادينا زمانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب لاتدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعنى بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادى الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق
هل علم الطائر فى ايكه * بأن قلبى للعمى طائر
ذكرنى عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الهم بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن ازرق
أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ماتلج الشهب بالخفقان
وتغضى العيون عن سناك كانها * تقابل منك الشمس فى اللمعان
وتصفر ألوان العداة كانما * رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

خالد قال هم فرسان اعراضنا وشفاة امراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا وأسرعنا طلبا وأقللنا هربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا وأسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفخرة قال فاخبرنى عن بنى زبيد قال أنا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرنى عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول فى عبس قال هم عظيم وزبن أثير قال أخبرنى عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرنى عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرنى عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فاخبرنى عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال فأخبرنى عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرنى عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرنى عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرنى عن غسان قال أرباب فى الجاهلية نجوم فى الاسلام قال

ذاك الزمان الذي تقضى * ياليته عاد منه حين
بكل عمري الذي تبقى * وما أنا في الشرا غبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع في مجلس ندامى * تحسدني فيهم النجوم
فقال لي منهم نديم * مالك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظي بكم عظيم
وليس عندي اذن ندامى * بل عندي المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولي أخ أورده سلسلا * لكنه يوردني مالحا
ألقاه كي أبسطه ضاحكا * ويلتقيني أبدا كالحا
وليس ينفك عنائي به * مارمت من فاسده صالحا

قال الحجاري وكتب الى جدي ابراهيم في يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * مافعلت في مبسم الزهر
ولا تقل انك في شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف مافات سوى ساعة * تقتض فيها لذة الخمر

فأجابه

لبيك لبيك ولو أنني * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جواري وما * عندي من شغل ولا عذر
ولو غدا لي ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرني ناظر * يبيا بكم عظم من قدري
الا الذي يشرب بها دائما * ماحضرت في الصحو والقطر
وليس نقلي أبدا بعدها * الا الذي يعهد من شكري

قال وفيه يقول جدي يمدحه

ولو كان ثان في الندى لابن عائش * لما كان في شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * ونشر محياه ينوب عن الزهر
فيارب زد في عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادي الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق على حتى أخاصم عن نفسي فقال على لسانك قتلتك فقال له لا رفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبروتيته مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد * وقال أبو الحسن علي بن شعيب

انزعي الوشي فهو يستر حسنا * لم تحزه برقهن الثياب
ودعيني عسى اقبل ثغرا * لذ فيه اللمى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجريني ظالما * وشفيعي الى صباك الشباب

فأخبرني عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعزنا دارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرني عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأي العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومي فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدي من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر ابن وائل ثم لو جلت بفرسي على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقني حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة ابن الحرث بن شهاب التيمي وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هي والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد

الحرب أول ماتكون فتية * تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

ثم ساله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل

وقال

أمك قارعتك والله اني لاهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتني اليوم وخرج من عنده وهو يقول

وقال اخوه ابو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل في اسر العدو

وكنت اعد طرفي للرزايا * يخلصني اذا جعلت تحوم
فاصبح للعدا عونا لاني * اطلت عناءه فانا الظلوم
وكم دامت مسراتي عليه * وهل شيء على الدنيا يدوم

وقال ابو الحسن علي بن رجاء صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

يا سائلي عن حالتي انني * لا اشتكي حالي لمن يضعف
مع انني احذر من نقده * لا سيما ان كان لا ينصف

وانشد له الحميدي في الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدني شيأ سوى حسنات * لا ولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فنقل ميزا * ني بهذا فصار من خدامي

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح

ايام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منك فأين اين المهرب

وقال ابو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف مني سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم بدن خمر صار خلا * واهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد لحف الغيم بانسكابه * والتحف الجو في سحابه
وقام داعي السرور يدعو * حي على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم عما * يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام في الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذي النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابي عبيدة و بلغه انه يقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لي منك رحمى لعلني * أفارق قبرا في الحياة فانشر
وليس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلي في الحاحه الدهر يعذر

والف للمأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى سماها بالعشر كلمات وقال

يا فتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسي
شربهم الخمر في بكور * ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقي * في الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادي * يوم سرور و يوم انس

وأخبر عنه الحميدي في الجذوة انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير

أتوعدني كأنك ذو رعين
بأنعم عيشة أو ذو نواس
فكم قد كان قبلك من مليك
عظيم ظاهر الجبروت قاسي
فأصبح أهله بادوا وأمسى
ينقل من أناس في أناس
فلا يغررك ملكك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها في الجاهلية فقال له عمر يا عمرو هل انصرفت عن فارس قط في الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحله في الاسلام لاحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت في جريدة خيل لبني زبيد أريد الغارة فأتينا قوما سراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمرا ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فاهويت الى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الي والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكي على نفسي ولكني أبكي

ولهم أبيات كتبها في طريق الحج الى أحد القضاة

ياقاضيا عدلا كأن أمامه * ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك في بلادك علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل في البحر الاجاج فكن له * بحرا من المعروف غير أجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديواني

ألا أيها العائب المعتدى * ومن لم يزل مؤذيا أزدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كتابك أوسود

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك باللسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم البخاري جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فانني * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساير * وسر التلاقي مودع في فراقه

وقال

كن كما شئت انني لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لك والله في الفؤاد محل * ما اليه مدى الزمان وصول
ومرادي بأن تزور خفيا * ليت شعري متى يكون السبيل

وقال

قد توالت في حالتينا الظنون * فلنصدق ما كذبته العيون
ومرادي بأن تلوح بأفقي * بدر تم وذاك مالا يكون
أنا قد قلت مادعاني اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيي * فعلي من الرقيب مصون
وبه ما تشاء من كل معنى * كل من لم يجب له مجنون
والى كم تضل ليل الاماني * ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سألته عن أبيه * فقال خالي فلان
فانظر عجائب ماقد * أتت به الازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالي حران
فماله غير ذم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض في مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستحيت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبي * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام في سمط الجمان

الوادي فقلت لاصحابي لاتحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسي حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهدب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الى رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية فلما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوي وهو يقول

أقول لما منعتني فاها
والبستني بكرة رداها
اني سأحوي اليوم من حواها
فليت شعري اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عمرو على طول الردى دهاها
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها

فاذا هو أزوغ من هر فزاغ عني ثم حمل على فضربني بسيفه ضربة جرحني فلما أفقت من ضربتي حملت عليه فزاغ والله ثم حمل على ثم صرعني ثم استاق مافي أيدينا ثم استويت على فرسي فلما رآني أقبل وهو يقول

أنا عبيد الله محمود الشيم * وخير من يمشي بساق وقدم عدوه يفديه من كل السقم فحملت عليه وأنا أقول رعيا

رعيا لمنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدي سح ربابه
واها على ساداته لا أدعي * كلفا بزينبه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعيني * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخي هاتها وجنب سناها * عن مشيريها جفونا وسجفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف الـعين زادت في ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاقك الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن في كل عين منظره وطاب في كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذي بسط على الارض حللا لا ترى في أثنائها خللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه

فالارض في بردة من يانع الزهر * تزري اذا قستها بالوشي والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمي من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فأوجد لي سبيلا الى اعمال بصري فيها لأجلو بصيرتي بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه ويتصرم وقته وزمانه فلا تخلني من بعض التشفي منه لأصدر نفسي متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى في جلائها فهو الرشيد السديد ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * في وجه هذا المهرجان الرائق
وردا تقدم اذ تأخر واغتدى * في الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لأن حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * برودا سجاها من سحائبها غذى
ترى نوره يلتاح في ورقاته * كبلق جياد في جلال زمرد

وقال

اذا ما أدرت كؤس الهوى * ففي شربها لست بالمرتقل
مدام تعتق للناظرين * وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذي صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع في فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الادب موفور وتوفي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضي اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغي الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره في الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى * وقال الوزير الكاتب أبو الحسن علي بن حصن

من يلقني يودي كما أودى ارم
اتركه مجحا على ظهر وضم
فزاغ والله عني ثم حمل على
قضرم بني ضربة أخرى ثم
صرخ صرخة ورأيت الموت
والله يا أمير المؤمنين ليس
دونه شيء وخفته خوفا لم
أخف قط احدا مثله وقلت
له من أنت ثكلتك أمك
فوالله ما اجترأ على أحد
قط الا عامر بن الطفيل
لاعجابه بنفسه وعمرو بن
كلثوم لسنه وتجربته فمن
انت قال بلى من أنت خبرني
والا قتلتك قلت أنا عمرو
ابن معديكرب قال وأنا
ربيعة بن مكدم قلت
اختر مني احدى ثلاث خصال
ان شئت اجتلدنا بسيفينا
حتى يموت الاعجز منا وان
شئت اصطرعنا وان شئت
السلم وانت يا ابن أخي
حدث قد جرحتني جراحتين
ولا برا الان بي فوالله ما كف
عني حتى نزلت عن فرسي
فأخذ بعنانه ثم أخذ بيدي
في يده وانصرفنا الى الحي
وأنا أجر جلي حتى طلعت
علينا الخيل فلما رأوني
عمرو اخيولهم الى فناديتهم
الكم وأرادوا ربيعة فمضى
والله كأنه ليث حتى شغهم
ثم أقبل علي فقال يا عمرو
لعل أصحابك يريدون غير
الذي تريد فصمت والله
القوم ما فيهم أحد ينطق وأعظموا امار أوامنه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا

وزير المعتضد بن عباد

علي أن أتذلل * له وأن يتدلل
خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار
وابيض ذا واسود هذا * فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف في المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الاعطفة * فالدهر من بعدكم مظلم
من الذي يرجى لنيل العلا * ومن اليه يفد المعدم
ما أنكر الدهر سوى أنه * بجودكم في فعله يزعم

وله

من حلقت لحية جاره * فليسكب الماء على لحيته

وقد أجرينا في هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه في أماكن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتها * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج
أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هون عليك كلامه * واسمع له فيمن سمع
ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح
أوما علمت بلى جهلت بأنه غل طفح
وخفي حقد كامن * دأبوا له حتى اتضح
هذا بسن الوقا * ر فكيف لو دار القدح
فاشكر عوارف ذي الجلال * لما وقى وبما منح

وقال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكر أنسنا والليل داج * بخمر في زجاجتها منيره

وانما سميته ليعرفه القوم فقال لهم ما تريدون فقالوا وما نريد قد جرحت فارس العرب وأخذت سيفه وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا الا قليلا لا نضحك وما ينطق أحد من أصحابي فاقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم واخذ امرأة ربيعة ابن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب في الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو أما تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف القارة من راماها قف لي يا ابن اخي فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثور ووقاف الزلق
لست بأفون ولا في خرق
واسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الفرق * وجدتني بالسيف هتاك الخلق

اذا

اذا الملاح ضل رنا اليها * فابصر فى مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبى العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل فى الثناء

وهبها قينة تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء

لاجعلها محل جليس انسى * واغنى بالهديل عن الغناء

وحكى انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد

فصمت حينا ثم قلت كجلجل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب ابو بكر بن البناء يرثى احد بنى عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولى اشبيلية فمات بها

كانك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا

تجليت عن شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما فى المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أول من تثنى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير ابو مروان عبد الملك بن محمد فبلغ اشده حتى سد مسده ومال الى التفنن فى انواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فلأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن فى الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج اولى الالباب ونشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا ان الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى ان كان من غزاة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ماعلم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه املاكه فحن الى وطنه حنين الكئيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقر سلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عاد اللئيم فانت من اعدائه * ودع الحسود بغله وبدائه

لاكان الامن غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بهجائه

أأبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه

فخر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه

كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لاكان قلب لست فى سودائه

ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

أنا الغلام بن الكنانى لا ابذخ

كم من هزبر قد رآنى فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك ياعمرو ولولا انى اكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا احدنا فقف لى فحمل عليه حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح راسه ايضا وقال خذها اليك ياعمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امراته السنان لله درك فاخرج سنانا من مسبل ازاره كانه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد انترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يابنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به ومارأيت مثله قط

فانصرفوا عنه واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودى) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى

أجابه
ياصارما حسم العدا بعضائه * وتعبد الاحرار حسن وفائه
ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكافه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدر تم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نارا الى أن * أشغل الله خده بالعذار

وقال
عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها فى عمى
ولولم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وقال
يا راشقى بسهام مالها غرض * الا الفؤاد ومامنه له عوض
ومرضى بجفون لحظها غنج * صحت وفى طبعها التمريض والمرض
أمنن ولو بخيال منك يؤنسنى * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى فى غاية الحسن وكان بينه وبين الامام أبى بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

يا ملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء
لابد للزنديق أن يصلبا * شاء الذى يعضده أو أبى
قد مهد الجذع له نفسه * وسدد الرمح اليه الشبا

والذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

ومت كبدى أخت السماء فاقصدت * الا بأبى رام يصيب ولا يخطى
قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك ياواقفا * ولاحظ مكانا دفعنا اليه
تراب الضريح على صفحتى * كانى لم أمش يوما عليه
أداوى الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع وقال ابو الوليد بن حزم

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال
لله أيام على وادى القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان
اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان
والشمس تنظر من محاجر أرمد * والطل يركض فى النسيم الوانى
فلثمت فاه والتزمت عناقه * ويد الوصال على قفا الهجران

الاسلام واخبار وسياسات حسان وما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد اتينا على مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه)

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية ايام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى اثنتى عشرة سنة الا ثمانية ايام

(ونذكر نسبه ولمعا من اخباره وسيره)

هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بابى عبد الله وامه اروى بنت بكر بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر امهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما فقدك في الاحشاء اقلاق

وقال في المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندي وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندي الاصل

صارمته اذ رأت عارضه * عاد من بعد الشباب أشيبا
قلت ما ضرك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفعه * وشذاه أخضرا أو أشهبا

وقال

ووردة وردت في غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا
وانما الروض لما لم يفد ثمرا * يقر يكه انفتحت في خده خجلا

وله

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجني اذ كنت في وطني
لم ألق أهلي ولا الفي ولا ولدي * فليت شعري سروري واقع بمن

وقال

يقول لي العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لي والدين دين الهوى * فلا أرى أرجع من مذهبي
أليس باب التوب قد سده * طلوع شمس من المغرب

وله

امنع كرائك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر مهن مسخطة * نيل الرضا في ذلك السخط
أولسن مثل الدر في شبه * والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى * فذاك آسي وذا بهاري
فقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

وقال ابن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صدرت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فملكت الهوى جمحات قلبي * لأجرى في العفاف على طباعي
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعي

وقال

بأيهما أنا في الحسن بادي * بشكر الضيف أم طيف الرقاد
سرى لي فازدرى أملي ولكن * عففت فلم أنل منه مرادي

لجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان ابان ابرص احول قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن وولي لبني مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل ابوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من اهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنى داره في المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر واقتنى اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفي ايام عثمان) اقتنى جماعة من اصحابه الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

وماذكر من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف امة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة ابن عبيد الله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل اكثر من ذلك وبناحية سراة اكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله اربعة وثمانين ألفا (وابتنى سعد) بن ابى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على اميال من المدينة

وما لى النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادى

وقال الرصافى

وعشى أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن عبد ربه

براعة غرنى منها وميض سنى * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لومه بعصا موسى لما انبجسا
كانما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة فى فروة

أودت بذات يدى فرية أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
يتجشم الفراء من ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالى

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميزة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسمن حتى ما تروق المباسم

وقال فى الانتحال

وبلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فاسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعجزهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أيمن الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كانما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فاجابه

فأجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا شاب * منآدة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللحظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال ابو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآه يمثل النبل فى حدقه
فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى اخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنايا نعده * ببشر وترحيب و بسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ماسد خلة حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

وقال و بتنا نراعى الليل لم يطو برده * ولم يحل شيب الصبح فى فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال بعضهم فى لباس أهل الاندلس البياض فى الحزن مع ان أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا * فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال ابو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودعوها * باقيات لسوء ما اودعوها
يا حداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها اجسامها اودعوها

وقال القسطلى يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كأنها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بها فيها ثبير وثهلان
مواثل ترعى فى ذراها مواثلا * كما عبدت فى الجاهلية اوثان
مقاتل موج البحر والهم والدجا * يموج بها فيها عيون وآذان
الاهل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء اكفان

وقال الرمادى يهنى ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك مازادت الايام فى عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لاخلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة فى النار

خمسمائة الف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ماقيمته مائة الف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى ايامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر ابن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فانفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد شكا الناس اميرهم سعد بن ابى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسالهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله و بعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وامره ان يعلم الناس القرآن و يفقههم فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا واين هو ممن

وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن ابى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى امية ومروان هو طريد رسول

هات التى للايك اصل ولادها * ولها جبين الشمس فى الاشماس
يتقشع الياقوت فى لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس
انس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كانما * ضربت بعرق فى بنى العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * الديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

فحمة كان فى حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أو خده قد هو يت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منهما نفرت خجلة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لختلى بل عمدا لتعذيبى
لا تخنشى فابن عبد الحق أنحلنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنى المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى يا حبيبى قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو ما قال كلاما رددا
قال لى يلعب صدلى طائرا * فبرانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يمطل ذكرنى غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخجلت من عضة فى نهدها * ثم عضت حروجهى عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لا شفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

ابن ابى معيط على الكوفة وهو ممن اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وعبد الله بن ابى سرح على مصر ومعاوية بن ابى سفيان على الشام وعبد الله ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد ابن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ماروى ان الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم اربعا وقال تريدون ان ازيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد اطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ماتريد لا زادك الله مزيد الخير والله لا اعجب الا ممن بعثك الينا واليا وعلينا اميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح و يتمثل بابيات لتأبط شرا
ولست بعيدا عن مدام وقينة

ولا بصفا صلد عن الخير معزل * ولكننى اروى من الخمر هامتى * وامشى الملا بالساحب المسلسل

بنتم فلولا أن اغبر لمتى * ألقاكم يوماً على غضابا
لخضبت شيباً في مفارق لمتى * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لوأنني أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن زرين وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت * ولافؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتني عنكم خجلة خطرت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

وقال ابن الحداد

وانى لصب للتلاقى وانما * يصدركابى عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدني على بره الوفر

وقال ابن عبدربه

يامن عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوماً غير محجوب
ماأنت وحدك مكسوا ثياب ضنى * بل كلنا لك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يداً للضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

وقال النحلى

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فيمناها تقدبها فؤادى * ويسراها تعذبها ذنوبى

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لودنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وكان صوفى بشريش حافظ للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا وهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى انه ان شمته قطع انشاده بما لايشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا في البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبي محمد

ياعاطساً يرحمك الله اذ * أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك
وقل له ياسيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يارب الندى والنوى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ثملا ومايدرى ليزيدهم أخرى ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر حبسوا عنانك فى الصلاة ولو خلوا عنانك لم تزل تجرى وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب ابن عوف الازدى وابو جندب ابن زهير الازدى وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لايعقل فايقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايأ عليهم ماشرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا فاتوا عثمان الى المدينة فشهدوا عنده ابن عفان انه شرب الخمر على الوليد بان ومايدر يكما فقال عثمان وماذا انه شرب فقالا هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية واخرجا خاتمه فدفعاه اليه ورزاهما فقال ودفع فى صدرهما وقال تنحيا عنى فخرجا واتيا على ابن ابى طالب رضى الله عنه واخبراه بالقصة فاتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وابطلت الحدود فقال له عثمان فماترى قال ارى ان تبعث الى صاحبك فان

اقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة اقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة

الى الشريشى شارح المقامات يستدعى منه كتاب العقد

ايامن غدا لى كالجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فالتجد * بعقد على لبانه وسوالفه

ووعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جلة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله در أفاضـــل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادى
لما أشار وا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد
فى العيد عدتم وهو يوم عروبة * يافـــرحتى بثلاثة الاعياد

قال الشريشى فى شرح المقامات ولقد زرته فى مرضه الذى توفى فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألنى عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهـــم * ندى كريم لا أرى الله بينهـــم
تشابه خلق منهــــم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أين هم
وزينهم استاذهم اذ غدا لهم * معـــالم آيات فتمم دينهم
فان خفت من عين فبى الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشى حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبى عبد الله قعد مع صهره أبى الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له أبو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موّجته * بوارح فى مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبدربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثى لى فيك الريح والمطر
يابرده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبدربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم

عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه اخذ على السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال ياصاحب مكس فقال عقيل بن ابى طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبى معيط كانك لا تدرى من انت وانت علج من اهل صفورية وهى [illegible]ية بين عكا واللجون من [illegible]ى الاردن من بلاد [illegible]ن ذكر أن اباه كان [illegible] فاقبل الوليد [illegible] فاجتذبه فضرب [illegible]ل علاه بالسوط [illegible]رس لك ان [illegible]طار بلى وشر [illegible] منع حق [illegible]ذ منه [illegible] بعده سعيد [illegible] دخل سعيد [illegible]لى ان يصعد [illegible]سل وامر بغسله [illegible] كان بحسار جسا [illegible]نت ايام سعيد [illegible] ظهرت منه امور [illegible]رة واشتبه بالاموال وقال فى بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطير لقريش فقال له الاشتر

وهو مالك بن الحرث النخعى اتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج

السبت

السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقى

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس * جئت العراق فقامت بى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعقد والبرم

وقال الابيض فى الفقهاء المرائين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يدلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فمضت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشا متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يا من يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال عبدون البلنسى

يا من محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

رسخت أصول علاكم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجن من أطواقكم * ويفيض من بين البنان بحار
ذلت لكم نسم الخلائق مثل ما * ذلت لشعرى فيكم الاشعار
فمتى مدحت ولا مدحت سواكم * فمديحكم فى مدحه اضمار

وقال القاضى أبو جعفر برطال

أستودع الرحمن من لوداعهم * قلبى وروحى آذنا بوداع
بانوا وطرفى والفؤاد ومقولى * باك ومسلوب الفؤاد وداعى
فتقول يا مولاى حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

الى عثمان فى سبعين راكبا من اهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوا عزله عنهم فمكث الاشتر واصحابه اياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شئ وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان امراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة فاقاموا بالمدينة اياما لا يردهم الى امصارهم كراهة ان يرد سعيدا الى الكوفة وكره ان يعزله حتى كتب اليه من بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ما ترون فقال معاوية أما انا فراض بى جندى وقال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله اكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن ابى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون همّ احدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له تعال الينا فصار اليهما فقالا ما وراءك

وقال ابن خفاجة

وماهاجني الا تألق بارق * لبست به برد الدجنة معلما

وهي طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن الحضرمي البطليوسي في غلام للمتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدي المنايا * وكنّ في مقلتيه
وكان يسقي الندامى * بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال * جار الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي عالما في المذهب المالكي وقد تحاكم اليه وسيمان أشقر وأكحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين ألمّا بي على مقة * تنازعا الحسن في غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب في التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدي هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهي بدر يستضاء به * ولون شعري مقطوع من الغسق
وكحل عيني سحر للنهى وكذا * لك الحسن أحسن مايعزى الى الحدق
وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال في متفق
أنا على أفقي شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعري شقرة الشفق
وفضل ماعيب في العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للشقر احيث حكت * نورا كذا حبها يقضي على رمقي
فقام ذو اللمة السوداء يرشقني * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق
وقلت عفوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها
قرعت بها سن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد دسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخاري وأكثر ابن حجر من النقل عنه في فتح الباري وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوي المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسي صاحب التآليف التي بلغت نحو خمسين

ياحمص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه
مافيك موضع راحه * الا وما فيه راحه

وهو شيخ أبي الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجي * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسي

الملقب

قال الشر ماترك شيأ من المنبر الاتي به وامر به وجاء الاشتر فقال الا ان عاملكم الذي قمتم فيه خطباء قد
ردعليكم وامر بتجهيزكم
في البعوث وبكذا وكذا
فقال الاشتر والله قد كنا
نشكو سوء سيرته وما قمنا
به خطباء فكيف وقد قمنا
وايم الله على ذلك لولا أني
انفذت النفقة وانضيت
الظهر لسبقته الى الكوفة
حتى امنعه دخولها فقالا له
فعندنا حاجتك التي تقوتك
في سفرك قال فاسلفاني اذن
مائة ألف درهم قال فاسلفه
كل واحد منهما خمسين
ألف درهم فقسمها بين
اصحابه وخرج الى الكوفة
فسبق سعيدا وصعد المنبر
وسيفه في عنقه ماوضعه
بعد ثم قال اما بعد فان
عاملكم الذي أنكرتم تعديه
وسوء سيرته قد رد عليكم
وامر بتجهيزكم في البعوث
فبايعوني على أن لايدخلها
فبايعه عشرة آلاف من
اهل الكوفة وخرج راكبا
متخفيا يريد المدينة أو مكة
فلقي سعيد أبا واقصة فاخبره
بالخبر فانصرف الى المدينة
وكتب الاشتر الى عثمان
انا والله مامنعنا عاملك الا
ليفسد عليك عملك وول
من احببت فكتب اليهم
انظروا من كان عاملكم
ايام عمر بن الخطاب فولوه
فنظروا فاذا هو أبو موسى
الاشعري فولوه (وفي سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضي الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها

الملقب بالقلندر

جرت مني الخمر مجرى دمي * فخل حياتي من سكرها
ومهما دجت ظلم الهموم * فتمزيقها باسنى بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقي قاضيا في نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضي بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على وتركتني فقال القاضي والله لقد ذكرتني بفضل عظيم ودرأ عنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسي وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد أسقط البين ما في يدي
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندي
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجي المكمد

وقال في المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عائب دنس
حملت جودا و باسا فوق ه و نهى * و كيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي

لا تلوموني فاني عالم * بالذي تأتيه نفسي وتدع
بالحيا والحيا صبوتي * وسوى حبهما عندي بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامي بأفراحي جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فسبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحي بينها * ماء الحياة لو اغتدى مورودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان في السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فاحس به فقال له ما هذا يا خطارة فقال له يا مولاي هذا وقت تفريخ الخطارة الماء في الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ماء أحمر فرجع الى نومه ولم يعد في ذلك كله بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادي اشبيلية وأكثر ما يباكرون العمل في السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرني يوما من الدهر على وفق الاماني

ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بني مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل انواعا من الشعبذة والسحر يعرف بطروى فاحضر فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو ان اظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده وراسه ثم امر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من اهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدي فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم ان ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودي ضربة ادار راسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وان جندبا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة واخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودي وقال ان كنت صادقا فأحي نفسك

ثم دعني بعد هذا * كيفما شئت تراني

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أيا ساميا من جانبيه كليهما * سمو حباب الماء حالا على حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فرصاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يهذي وليس بفعال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في المغرب

سألت حروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسؤل أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى أن أبا عثمان سئل عنها فانشد

هويت السمان فشيبنني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له اجبنا فقال اجبتكم مرتين وروى انه قال سألتمونيها فاعطيتكم ثلاثة احو به هكذا حكاه بعض المحققين وهو ارق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه *ومنها اليوم تنساه الموت ينساه اسلمني وتاه هم يتساءلون التناهي سمو تمي وسائله اسلمى تهاون تهاوني أسلم التمس هواني ماسألت يهون مؤنس التياه لم يأتنا سهو يا اوس هل نمت نويت سؤالهم نويت مسائله سألتم هواني تاملها يونس اتاني وسهيل هوني مسألتها سألت مايهون وسلمان اتاه تسال من يهوى استملاني هو اسلمت وهناى هو استماني سايل وانت هم ياهول استنم اتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو وسليمان اتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين* ومنها الوسمى هتان اوليتم سناه واليتم أنسه امسيت وناله انالهتوسما املتنى سهوا اتوسل بهما سألتهن يوما سامت يومها سألت ما يوهن نهوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من اجل التقديم والتأخير كما مر نظيره الانس يومه ليتماسن ماؤه سله موتى انا انسته اليوم سألتم هوينا آوى من تسأله وهين ماسألت وهني ماسألت مسألتي نواه* ومنها مسألتي هاون سهوان يتالم أيلتم سهوان اوليتم ناسه مسألتي اهون اوميت تنساه سموتن اليها امليت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسال اتلوم سهيا

فانكر عليه الوليد ذلك واراد ان يقيده بقنعة الازد فحبسه واراد قتله غيلة ونظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بي قال ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله فلما اصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن ذلك) ما فعل بابي ذر وهو انه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان اترون بأسا ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما اجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع

اسلموا انتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأمل اسوه ايتأمل نسوه الهوى اتنسم وليت ماه آسن تولين اسهما اتلوا سهمين اول ساهمتني اسماؤه تنيل يتأمله سوا اولم يتسناه آمن ويتساهل امستن لهوا توسميه لنا ساء هو ما تسألين لايها نتوسم ايهما نتوسل اتاني لسموه سميتهن اولا اولاهن سميت سلمتني اهوا اسلمتني هوا اونستميلها استهلونا هنأت الموسى سليم انتهوا وانت سائلهم ساءلته يمو تهن الايسمو اسألي مؤنته سألتي موهنا التمسي هونا استملي اهون التناه موسى لهوا يتسنم نهوى ما تسأل مأوه ليتأسن تنسمي لهواء تلومي ان سها المتي سهوا ستولينا امه يتمهلون اسا امهلتي سوا التناسي وهم اهويت المأنس هويت سلمان اهويت الهوى سنت امانس تهوى هو يتام ناسل اوليس تم هنا استوهن املي استهون الى استملن وهيأ اتسلمونيها ايتسلمونها الايتسمونه اليس توهمنا الايتسمنوه فهذه مائة واربعة وثلاثون تركيبا منها ما هو متين ومنها ما هو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكي واحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال الطغمي جامها الهار بسبع مرات

آلمتي سهوا تلومي ان سها * اوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان انسب وقال ايضا

وليت ماسناه والتمسي هنا * ما تسألين هو الهنا يتوسم

انتهى

قلت وقد جمعت في المغرب زيادة على ما تقدم وكنت قدرت رسالة فيها اسميها اتحاف اهل السيادة بضوابط حروف الزيادة * وقال ابو محمد عبد الله بن الليث يستدعي الوزير ابا الحسن اليابري في يوم غيم

رقم الربيع بروضنا ازهاره * فجرى على صفحاته انهاره

فعسى تشرفنا بهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره

تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها ورده وبهاره

ياسيدا بهر البرية سوددا * أبدى اليناسره وجهاره

يوم أظل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا أظهاره

وقال أبو القاسم بن الابرش

أدر كاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح

وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح

ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كأن الجريح

وقال

حلفت ويشهد دمعي بما * أقاسيه من هجرك الزائد

فان كنت تجحد ما أدعي * وحاشاك تعرف بالجاحد

فان النبي عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة وشهرته تغني عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للأدب * رفيع العماد وربيع الحسب

حمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى اتوا به المدينة قد تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى انفى وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه في داره اياما ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان اني لارجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرني أن اموت وادع ما يزن قيراطا فقال له عثمان وارعني وجهك فقال اسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعني من بيت ربي اعبده

غير ماذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما اردت شيأ من البلدان فسيرني حيث شئت من البلاد قال فاني مسيرك الى الربذة قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرني بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرني باني أمنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى موارانى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر الى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وامر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه على ابن ابى طالب رضى الله عنه ومعه ابناه وعقيل اخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال يا على ان امير المؤمنين قد نها الناس ان يصحبوا اباذر في مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه على بن ابى طالب بالسوط بين اذنى راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار ومضى مع ابى ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما اراد على الانصراف بكى ابو ذر وقال رحمكم الله

أيلحن فيك الزمان الخؤن * و يعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هذا الادب

وقد ذكرناه في غير هذا المحل قوله

ألا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخرت وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن
فقلت اجمعا في الوصل رأيكما فما * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضي الله بين كماله * بخير فقالا لي اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعي * فقضيت أوطارى بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بيني و بينه * فكانت لنا ماء وكان رضيعي

وقال

أيا من حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الاقدار كنها
بجيد النيل منا عقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبوني

فديتك انى عن جنابك راحل * فهل لي يوما من لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كما شاء العداو بعاد

وقال خلف بن هرون القطيني

من أنبت الورد في خديك يا قمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر في الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسون وعزون ورحمون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوى وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفيني * وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسوني

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين انتهى والله أعلم

* وقال ابن خفاجة يداعب من بقل عذاره

أيها التائه مهلا * ساءني أن تهت جهلا
هل ترى فيما ترى الاشـ * ـبابا قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجرى * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى
أى باك كان لولا * عارض وافى لولى
وتخلى عنك الا * أسفا لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا * أجمل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لايجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما والعذار قد بقل والزمان قد انتقل والصب قد صحا فعقل فقدر كدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجني ومشية التثني وغض من عنانك وخذ في تراضي اخوانك وهش عند اللقاء هشة أريحية واقنع بالايماء رجع تحية فكاني بفنائك مهجورا وبزائرك مأجورا والسلام * وقال الرصافي لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت منى القيافة والزجر

فكان من السكين سكاك في الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذلك السراج بر يناغره سفرت * فباتت الشمس تستحيي وتستتر

أو خله فكفانا وجه سيدنا * لايطلب النجم من في بيته قمر

وقصد أحد الادباء بمرسية أحد السادة من بني عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدى

تكلم روح الله في المهد قبله * وهذا براء بدل اللام في المهد

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بحنات ما خبا نارها ولا هدأ أوارها فما حاد عنها ولا كف ولا صرف حرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

أحلى مواقعها اذا قربتها * و بخارها فوق الموائد سام

ان أحرقت لسا فان أوارها * في داخل الاحشاء برد سلام

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الابيض الاشبيلي يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من نصائحه اللطيفه

تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه

أفكر فيك مصلوبا فأبكي * وتضحكني امانيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألنا دهرنا * في أن يعود بمثله لم يقدر

خرق الزمان لنا به عاداته * فلو اقترحنا النجم لم يتعذر

في فتية علمت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها في مئزر

والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر

وكأن شكل الغيم منخل فضة * يلقي على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على أبي بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر في ذلك وأشار في البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

فشكا مروان الى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك اباذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي وأما أمرك فلم ارده قال عثمان أولم يبلغك اني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه فقال علي أوكل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة لله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لانفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين أذني راحلته قال علي أما راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمني لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندي بافضل منه فغضب علي بن أبي طالب وقال الي تقول هذا القول وبمروان تعدلني فانا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم

مر الغزال بشامر وعانافرا * كشبيهه في القفر ريع بصائده
لثم السلامي في السلام تسترا * ثم انثني حذر الرقيب الراصده
هلا تكلف وقفة لمحبه * ولو انها قصرا كجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحاج

كفى حزنا أن المشارع جمة * وعندي اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتوري

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالي وهن منى نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لاجدوى لدى وما * آليت جدا ولكن جدى الآلي

وقال أحمد بن أمية البلنسي

قال رئيسي حين فاوضته * ومادري أن مقامي عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضي * فقال سر قلت جناحي كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لا ترتضي الا السها منزلا
ومن خمول كل مارمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يا من حوى كل مجد * بجده وبجده
أتاك نجل خروف * فامنن عليه بجده

وكتب أيضا لبعضهم يستدعي فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

وبعد كتبي لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقي لا الاندلسي والله تعالى أعلم *
وركب محبوب الى بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب فقال أبو بكر في ذلك

وبغلة ما لها مثال * يركبها الدب والغزال
كأن هذا وذا عليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابي الحسن بن حريق يوما للنزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبي الحسن فقال في ذلك

يا ليلة جادت الاماني * بها على رغم أنف دهري
تسيل فيها على نعمي * يقصر عنها لسان شكري
أبات في منزلي حبيبي * وقام في أهله بعذر

فأقبل بذلك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا وقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له علي والله ما أردت تشييع أبا ذر الا الله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر ابن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان أفيكم أحد من غيركم وقد كان عمي قالوا لا قال يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ما قال ونمي هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار في المسجد فقال يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال اني

وبت لاحالة كحالي * صريع سكر صجيع بدر
ياليلة القدر في الليالي * لانت خير من الف شهر

وقال ابو الحسن بن الزقاق

عذيري من هضيم الكشح أحوى * رخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبي * وصير وعده فيها سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبد الله الجذامي كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على اثر سواك أبصره بمبسمها الذم فوقال ينادي على فول بيديه قال فكلفني أن أقول في ذلك شيأ فقلت

ولم انس يوم الانس حين سمعت لي * واهديت لي من فيك فول سواك
ومر بنا القوال للفول مادحا * وما قصده في المدح فول سواك

وشرب يوما ابو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه القيء فارتجل في العذر

لا تؤاخذ من اخل به * قهوة في الكاس كالقبس
كيف يلحى في المدام فتى * اخذته اخذ مفترس
دخلت في الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * انفت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن احمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة فخجل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يامن يؤثر حبره في ثوبنا * تأثير لحظك في فؤادي اكبر

وكان لابي الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى اباعامر وسافر ابو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقي فتى يشبه محبوبه وساله عن اسمه فأخبره بأنه يدعى اباعامر فقال ابو الحسن في ذلك

الى كم افر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفي كل واد ابو عامر

وحضر ابو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فاغمى على الناس ورآه محبوبه فقال ابو بكر في ذلك

توارى هلال الافق عن اعين الورى * ولاح لمن اهواه منه محياه
فقالت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عني حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فابصر دون الناس فيه محياه

وكتب ابو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرح حالي وتبيينا * فصحف على قلبي علومك تحيينا

العجب من قريش وأنت تطاولهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم أما وايم الله يا عبد الرحمن لو اجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالي اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد اتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان في اخبار الشورى والدار (ولما كان سنة) خمس وثلاثين سار مالك ابن الحرث النخعي من الكوفة في مائتي رجل وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السيرانه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وسودان بن احمد التجيبي ومنهم محمد بن ابي بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا في الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى علي بن ابي طالب فاحضره وساله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار

اذاهم بغلام على بعيروهو مقبل من المدينة فتاملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فاقروا واظهر كتابا الى ابن ابي سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا واحصى اكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عماله ورجعوا الى عثمان فحصروه في داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا احد يسقينا وقال بم تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس والله ما فعلت ذلك في جاهلية او اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فما وصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالي بني هاشم وبني امية وارتفع الصوت وكثر الضجيج واحدقوا وابداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان يخلى عنه وفي الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من اهلا

ارادني بحبك مولع * وكتب القاضي بن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو ان اعضاء جسمي ألسن نطقت * بشكر نعمالك عندي قل شكري لك
او كان ملكني الرحمن من اجلي * شيأ وصلت به ياسيدي اجلك
ومن تمكن في الورى آماله كثرت * فانما املي في أن ترى أملك

وقال الوزير ابن ابي الخصال

وكيف أؤدي شكر من ان شكرته * على بر يوم زادني مثله غدا
فان رمت اقضي اليوم بعض الذي مضى * رأيت له فضلا على مجددا

وقال الرصافي

قلدت جيدا لشكر من تلك الحلي * ماشاء المنثور والمنظوم
وأشرت قدامي كاني لاثم * وكأن كفي ذلك الملثوم

وقال

وبالك نعمة ربنا مداها * فاوصل اللسان ولا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحمون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح اباز كريا سلطان افريقية

تحلت بعلياك الليالي العواطل * ودانت لسقياك السحاب الهواطل
ومازينة الايام الامناقب * يفرعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال ايضا في سعيد بن حكم رئيس منرقة

سيد أيد رئيس بئيس * في اسارير صفات الصباح
قمر في افق المعالي تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سلم البحر في السماحة منه * لجواد سموه بحر السماح

وقال ابو العباس احمد الاشبيلي

يا افضل الناس اجماعا ومعرفتي * تغني وما الحسن في ريب ولا ريب
ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يامن يذكرني بعهد احبتي * طاب الحديث بذكرهم ويطيب
اعد الحديث على من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن احنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
مازال يخفق ضاربا بجناحه * ياليت شعري هل تطير قلوب

وقال في زهر الكتان

اهلا بزهر اللازورد ومرحبا * فى روضة الكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهل لخلتك لجة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشهورة التى أولها * صادنى ولم يدر ما صادا * قال ابو بكر بن الجد لو سئل عما صادا قال تيس بلحية حمراء ولما قال الموشحة التى اولها هات بنت العنب واشرب الى قوله وفده بأبى ثم بى سمعها ابوه فقال يفديه بالعجوز السوّاة واما انا فلا * وهنالك ابو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما ادرى بما اتوسل * اذ ليس لى ذات بها اتوصل
لكن جعلت مودتى مع خدمتى * لعلاك احظى شافع يتقبل
ان كنت من ادوات زهر عاطلا * فالزهر منهن السماك الاعزل

وهذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب * وقال الاديب ابو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

وما زالت الدنيا طريقا لهالك * تباين فى احوالها وتخالف
ففى جانب منها تقوم مآتم * وفى جانب منها تقوم معازف
فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب اخيل لما انتقل الى العدوة

لاتنكرن زمانا * رماك منه بسهم
وانت غاية مجد * فى كل علم وفهم
هذى دموعى حتى * يراك طرفى تهمى
ياليت ما كنت اخشى * عليك عدوان هم
وانما الدهر يبدى * مالايجوز بوهم
مازال شيهم مس * لكل يقظان شهم

ولما وفد اهل الاندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به اهل الاندلس فى ذلك الوقت وله فى عبد المؤمن

هم الالى وهبوا للعرب انفسهم * وانهبوا ما حوت ايديهم الصفدا
ما ان يغبون كحل الشمس من رهج * كانما عينها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسى فى ابى الحكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه

راى صاحبى عمرا فكلف وصفه * وحملنى من ذاك ماليس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن ذاك شب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

ياعمرو رد على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولا تحريق
وأدر علينا من خلالك اكؤسا * لم تأل تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول احدهما

احلافها وهذيل لانه كان منها وبنو مخزوم واحلافها اعمار وغفار واحلافها الاجل الى ذر وتيم بن مرة مع محمد بن ابى بكر وغير هؤلاء ممن لايحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم فى القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها وكان ممن وصل اليه محمد ابن أبى بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه فبكوا فابلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين

قل لعمرو بن مذحج * جاء ما كنت ارتجى
شارب من زبرجد * وملى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عنه الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أبا حسن أبلغ سلام فى يدى * أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس يمناك التى هى والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهنى فى مجارى صفاته * فلم أدر شعر ما به فهت أم سحر
أرى الدهر أعطاك التقدم فى ٣ * وان كان قدوا فى أخيرا بك الدهر
لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * فـفى أخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى فى الندى وتعيد
وحق العلا لولام اتباك العلا * لما اخضر فى أفق المكارم عود
فلو حوا بنى زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلاء سعود

وقوله لابى الوليد ابن عمه

أنى لا عجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر
لاغرو ان بعدت دار مصاقبة * بنا وجد بنا للعضرة السفر
فعبر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع فى الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حمص استخفت بقدره * على أنها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعى وأنت أسلته * ومن نار أحشائى وأنت لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولامن عليك حبيبها
اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داريت دونك مهجتى فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغيرو فائك المشكور

وقال

يقول وقد دلهته فى هوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لا والذى * أحلك فى الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

وله مما يكتب على قوس

انى اذا رفعت سماء عجاجتى * والحرب تقعد بالردى وتقوم

والانصار فاسترجع القوم وأتنساء على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بنى أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبى بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله فلما خاطبنى بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى والله ما كان لى فى قتله سبب ولقد قتل وأنا لا اعلم بقتله وكان مدة ما حوصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان ابن حمران المرادى ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله (وقد قيل) ان عمرو ابن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال

٣ قوله ارى الدهر الخ هكذا بالاصل ووزنه ومعناه غير مستقيمين ولعل اصله التقدم فى الورى وان الخ اه

وعمرو الابطال في جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منا الحتوف كانما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة في كلب صيد

نحمت بمن لو رمت تعبير وصفه * لقل ولو اني غرفت من البحر
باخطل وثاب طموح مؤدب * ثبوت يصيد النسر لو حل في النسر
كلون الشباب الغض في وجهه سنى * كأن ظلاما ليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازي أقول تعجبا * ألا ليت شعري يسبق الطير من يجري

ولا يلتفت الى قول أبي العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقي على مهجة * لا أسدا يبقي ولا نعثله
ولا شريفا لبني هاشم * ولا وضيعا لبني قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما يهجو الكلب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فحجب عني فكتبت على الباب

تحجب القندلي عني * فساء من فعله ضميري
ينفر من رؤيتي كأني * مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه * وقال أبو القاسم بن حسان

الا ليتني ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
أكاف في حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن في ورق نضر
فما عاش في الايام في رغد عيشة * سوى رجل ناء عن النهي والامر

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة في الندى لا ترتضي السأما
مودة في ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال
أنصفتني فعضتك الود الذي * يجزي بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثنا ما يعرف

وقال
باهلا لا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * يجري دمعه ويحج النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفاء الوداد غير مشوب * بتجن وودنا مشبوب
واذ الدهر دهرنا واذ الدا * ر قريب واذ يقول الرقيب

ومنها
أسأل الله عفوه فلئن سا * ء مقالي لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر طرفا * لا سواها وللذنوب ذنوب
وأخو الشعر لا جناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير ابن معطم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي * وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات خذلته الانصار اذ حضر الموت وكانت ولاية الانصار من عذيري من الزبير ومن طلحة اذ جاء أمر له مقدار فتولى محمد بن أبي بكر عيانا وخلفه عمار في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان

وقال يامعدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلى

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى الاشبيلى

ماطلبت العلوم الالانى * لم أزل من فنونها فى رياض
ماسواها له بقلبى حظ * غير ماكان للعيون المراض

وقال أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابريزمنهم * فبقوا بعد نحاسا
سامريين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فاعتض له هذا الامام وصقل صدأه كما يصقل الحسام وأبرزه فى أجمل منزع حتى قيل هذا مما أبدع واخترع وله كتاب فى النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق * وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلى وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أى يوم بعده يرفع الخمر * وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة افقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك مابسم الزهر

وقال بدا الهلال فاما * بدا نقصت وتما
كأن جسمى فعل * وسحر عينيه لما

وكان لايملك نفسه فى النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لايعلم مايقوله ولم يلتفت الى والده وقد افتضح فى طاعة هواه فقال له الرجل يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله هذا ما علمت بحضرى والله ان غاب معك عن بصرى لمحة لتفعلن به ما اشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلى وهو من رجال الذخيرة

زارنى خيفة الرقيب مريبا * يتشكى منه القضيب الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا * من جفون يسبين القلوبا
قال لى ماترى الرقيب مطلا * قلت دعه اتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا

عثمان حسانيا منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار فى قوله فى شعره
ياليت شعرى وليت الطير يخبرنى
ماكان شأن على وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم
الله اكبر ياثارات عثمانا
وكان عثمان رضى الله عنه كثيرا ماينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها مالا يعرف لغيرها منه وهى
تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها
لاخير فى لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن أبى معيط أخا عثمان لامه فسمع فى الليلة الثانية من مقتل عثمان يندبه وهو يقول
بنى هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كى ما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
وهى أبيات فاجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بنى هاشم ونسب اليهم الفضل ابن العباس بن عبد المطلب فقال
فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم * اضيع والقاه لدى الروع صاحبه
قال

قال لابدّ أن تدب عليـه * قلت ابغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت عمري لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وأنشد له ابن حزم

أوما رأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس اذبل في رياضك ايكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد ماتت له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم نجرى العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فاعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان

عذيري من الايام لا در درها * لقد حملتني فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا أما يهني النوى * ولا يستبيني الحادث المتغلب
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * على تراني تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
وأحسب من ألقى حبيبا مودعا * وان بلاد الله طرا محصب

وقد امتعض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الا فلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في فنون العربية ولكن شهر باقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه دعابة ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة تمسك رمقي فشكاه الى الشيخ وقال له يا سيدي قال لي هذا كذا فقال له الشيخ وأعطيته ما طلب فقال لا فقال له ما هذه الثقالة ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به ايضا وحسبك من جلالة قدره ان اهل اشبيلية رضوا به اماما في جامع العديس وله

لما تبدت وشمس الافق بادية * ابصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشي عين ناظرها * وهذه نورها يشفي من الرمد

وقال مالك بن وهب

أراميتي بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمي من دون اسهم

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من اهل صيفور مارح
فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فمالك في الاسلام سهم تطالبه

(قال المسعودي) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ترجمان قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان في ايامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله ذكر خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه

الا فاعلمي أن قد أصبت فواصلي * سهاما لك أو كف في فلست بمسلم
فانسان عين الدهر أصميت فاحذري * مطالبة بالقلب واليد والفم
اما هو في غيل غدا غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولو أن لي ركائبا يدا نجدة * او يت له من باس لحظك فارحمي

وهو اشبيلي كان من اهل الفلسفة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وانيسه وفيه يقول بعض اعدائه

دولة لابن تاشفين علي * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خبايا مالك بن وهيب

وامر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي انشأ دولة بني عبد المؤمن * وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض اخوانه

بعثا اليك وجدك * جد بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شئ لفقدك

وقال
وراغب في العلوم مجتهد * لكنه في القبول جلمود
فهو كذي عنة به شبق * ومشتهي الاكل وهو ممعود

وقال
لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان اندى * على كبدي واحلى في فؤادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تثير غماما في الندى من الند
ولم أر نارا كلما شب جمرها * رأيت الندامى منه في جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا ابوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال
تقريب ذي الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وما ضره * تقريب أهل اللهو في الندره
عطارد في جل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله
تفكر في نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
و يثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

وقوله
بالله لم تبن من القصر * كأنها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت * تدفع في صدرها يد السحر

وقال

اليوم الذي قتل فيه عثمان ابن عفان رضي الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه و بين معاوية على ما ذكرنا في خلافته وكان مولده في الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين و ثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع في موضع قبره فمنهم من قال انه دفن في مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل في تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادي طيئ وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف و يكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه علي

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا ثنى عنك بعد البشر صفحته * فهل اصاخ الى الواشي فغيره
فقلت لا بل درى وجدى بعارضه * فرد صفحته عمدا الابصره

وقال

حكت الزمان تلونا * لمحبها العاني الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعي

هو يوم كما تراه مطير * جلب القرفيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد نوبين علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
فمن الرأي ان تشب الكوانين باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب في مثل يومنا تغرير

وقال هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الانس وقرت قلوبنا في الصدور
فلو انا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال كم ضيعت منك المنى حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا
فالفظ بها عنك فمن حق ما * يخفى صواب الرأي أن يلفظا
فان تعللت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال يقولون لي صبرا واني لصابر * على نائبات الدهر وهي فواجع
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى * وان أنا لم أصبر فما أنا صانع

وقال بابي خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واختلفا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهدي بضوء النجم بدعه

وقال في فرس أشهب

واشهب كالشهاب أضحى * يلوح في مذهب الجلال
قال حسودي وقد رآه * يخب تحتي الى القتال
من ألجم الصبح بالثريا * واسرج البرق بالهلال

وقال ومتي صروف الدهر بين معاشر * اصحهم ودا عدو مقاتل
وماغربة الانسان في غير داره * ولكنها في قرب من لا يشاكل

وقال أصبحت صبا دنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكي دما
هذا وقد سلم اذ مر بي * فكيف لو مر وما سلما

وقال وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤون
يناجي بعضنا بالعظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون

وفيما يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة
أشاقتك هند أم نآك سؤالها * كذاك النوى أسبابها وانتقالها

وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بار بعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس في اسم أبي طالب أبيه وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان طالب وعقيل وجعفر وعلي وفاختة وجمانة لاب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم و بين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلي عشر سنين و بين جعفر وعقيل عشر سنين و بين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم

يارب اما خرجوا بطالب
في مقنب من تلكم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب
والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عائذ بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا وبنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا

وأرقني في رأس حصن ممرد ٢٨٤ * بنجران يسري بعد نوم خيالها فان تك قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها

فلا والله ما حفظت عهود * كما خنتوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لانصف من يفي ممن يخون
أمر بداركم وأغض طرفي * مخافة أن تظن بي الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمي الاشبيلي في النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثي صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
فيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلي

وكانما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
أو كالقيان لبسن موشي الحلى * فلهن في وشي اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلي

اما ترى النرجس الغض الذكي بدا * كانه عاشق شابت ذوائبه
أو المحب شكا لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

رب نيلوفر غدا مخجل الرا * ئي اليه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج في قبة بيضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كانما النرجس في منظر الحسن الذي امثاله تبتغي
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة في كتاب حديقة الارتياح

يوم كأن سحابه * لبست عمامي الصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنة * واطرب فان العمر فائت

وله

رب ليل طال لا صبح له * ذي نجوم اقسمت ان لا تغور
قد هتكنا جنحه من فلق * من خمور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبهها في كاسها * نار ابراهيم في برد ونور
صرعتنا أن علونا ظهرها * في ميادين التصابي والسرور
وكأنا حين قمنا معشر * نشروا بعد ممات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لا عن قلى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبي الله ونعم الوكيل

وهي طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل علي حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل

وأني من مخزوم ان كنت سائلا
ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي ينأى علي بخاله
وخالي علي ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت أبي طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهي أول هاشمية ولدت بهاشمي كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مسير علي الى البصرة في سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب علي خمسة آلاف وقد تنازع الناس في مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة في يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة علي الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة

وقال

وقال يقولون ان السحر في أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك محاجره
وما الغصن الا ما انثنى تحت برده * وما الدعص الا ما طوته مآزره
وما الدر الا ثغره وكلامه * وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافي أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومي الاندلس في حريري

وبنفسي من لا أسميه الا * بعض المامة وبعض اشاره
هو والظبي في المجال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره
اغيد يمسك الحرير بفيه * مثل ما يمسك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولابي جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجني ولا زرع يحصد
ثمار اياد دانيات قطوفها * لاوراقها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * واطيار شكري فوقهن تغرد

ولما نفي ابو جعفر بن البني من ميورقة واقلع في البحر ثلاثة اميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر احد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

احبتنا الالى عتبوا علينا * وأقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فما بالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف اعرت الشمس حلة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور

قالوا اتصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من اجفانه الحور
يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مونقة * كما تفتح في اوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضي ابو المطرف بن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك الاندلس ريان بن مردنيش مزين في يوم رفع فيه ابو المطرف شعرا فخرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسى * وراحة من أذاع المدح صفرا
فأنجح سعي ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعي ذا اذ قص شعرا

واسم أبي المطرف أحمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية وكان الكاتب الحسيب

للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري بارض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهي على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرناه وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة حلت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي من اصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله

أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويماشيه في غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لكيما يكون داع * لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع وكان صنوبرى الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغنى عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن اكثر من شئ عرف به وتوفي سنة ثلاث او خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

وربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره فقال

واغر ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا قمرا وذلك فرقدا
ما ان خبا لقاء نور جبينه * حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله

كتبت وقلبي في يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك ودمعي * بكل مكان روضة وغدير

وله

كنا بنا ولدينا البدر ندمان * وعندنا كؤس للراح شهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والارض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه اقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق ان دخلت عليه امه في تلك الحال فارتاعت فقال

ريعت عجوزي أن رأتني لابسا * حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هي همة * هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * انى لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور كلب النار
ما زال يأخذ سجدة في سجدة * بين الكؤس ونغمة الاوتار
فاذا اعتراه السهو سبح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر باحضاره فقرعه وقال ما دعاك الى هذا فقال انى لم أر احق بالهجو منك ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها الى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب في فرحة الانفس قوله في حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لو قابلت كوكبا في الجو لالتهبا
تانق القين في احكام صنعتها * حتى أفاض على اطرافها الذهبا

صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفي سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان ابن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفي وممن اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد في آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بني أمية وسواهم وانتزع على أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبي سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان ابن بشير الانصاري واتصلت بيعة على بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الاشعري حتى تكاثر الناس عليه كأنها

كأنها بيضة قد قد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافه

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من اماليه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجزع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
وأذكر منك مصلوبا فأبكي * وتضحكني أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبي وفيض مدمعي * هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم ألحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتآليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى في العربية وكان في لسانه لكنة ولما أراد المأمون بني عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم في مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه ثلمك الله ونثرك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ماذا لكم صوابا * عش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماك بن سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحك مدحة فانت زهير * أو تشبب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر * أو تبك الديار فابن خذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فابو الطيب البعيد المرامي

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لما له من الاصالة في وادي آش فحسده أهل بلده وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجه لهم عماله وأوصاهم أن يخرجوا هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا له أشعارا كان يسترجح بها على كاسه ويبثها بحضرة من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه

وكان عليا عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبي صبرا وضربتني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت عثمان في صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كف ما محاه عذر في كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو ابن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليه مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعني قال والله

انها أهل للتقديم مستحقة لطلب سلفه القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع في افق العلا قمرا * ويستهل بكفي واكف الدرر
وكيف أملأ صدر الدهر من رعب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمي الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكنني ربما بادرت منتهزا * لفرصة مرقت كاللمح بالبصر
في أم رأسي ما يعيا الزمان به * ثم حافسل بعدها الايام عن خبري

فعندما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادي آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعدما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له امكن الله منك يا فاجر فقال أنت أعزك الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن امكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به ان يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه اشعار في تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذي * حسبت فهل للتلاقي سبيل
فلو انني مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللني بالتداني المنى * وينشدني الدهر صبر جميل
فقل كيف ينة اذ أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفوني عن غيرها * وسمعي عن اللوم فيها ثقيل

ولم يزل على حاله من السجن الى ان تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي اولها

نازع البدر اللياح * بنت الدنان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

يا هل اقول للحسود * والعيس تحدى
يا لائمي على السراح * كانت اماني
أخرجها ذاك السماح * الى العيان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها واهداها الى ابن مردنيش بعد ما اوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به في اطرب ساعة واسرها غنته بهذه الموشحة وتلطفت في شأن رغبتها في سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل في ذلك سببا واتفق ان ظفرت بما اوصاها به واحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه واعجبه مقاصد قائلها فسألها لمن هي فقالت لمولاي عبدك ابن نزار فقال اعيدي على قوله يا لائمي على السراح فاعادته فداخلته عليه الرقة والاريحية بما اصابه فامر في الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه في ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وادناه وقال له يا ابا الحسن قد امرنا لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحا لك ان تطلب الملك بها او بغيرها ان قدرت فانت اهل لان تملك جميع الاندلس لا وادي آش فقال له والله يا سيدي

لا أعينك من ديني حتى أنال من دنياك قال سل قال مصر طعمة فأجابه الى ذلك وكتب له به كتابا وقال عمرو بن العاص في ذلك

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فأربح صفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع

وأتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعة لنصيحة وان الرأي اليوم تحوز به ما في غد وان التضارع اليوم تضيع به ما في غد أقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله وأقرر العمال على أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد اليه من الغد فقال اني أشرت عليك بالامس برأي وتعقبته وانما الرأي أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل أمرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى علي قال رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك قال جاءني امس بكيت وكيت وجاءني اليوم بذيت وذيت فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك قال فما الرأي قال كان الرأي ان تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت

بل

بل ألتزم طاعتك والاقرار بانك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاة ثم شربا حتى تمكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن اريد أن اسألك عن شئ قال وما هو ياسيدى قال عما فى ام راسك حين قلت

فى أم راسى ما يعيا الزمان به * شر حافل بعدها الايام عن خبرى

فقال له ياسيدى لاتسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بافكاره الامانى وغطت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب ما دونه قطع الرؤس ونهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض سحيرا وقد * بث به الطل علينا العيون
يرقب منا يقظة للمنى * فقل لها اهلا بداعى المجون
وحثها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله

تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن فى ضيقة فأدرلها * كؤس الطلى فالسكر يوسع ما ضاقا

وقوله

عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى
تركته أعطاف الغصون مظللا * ولنا عن النهج القويم مضللا
أمسى يغازلنا بمقلة أشهل * والطرف أحور ما تراه أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ما تم هذه المسرة الا بحضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما الا يأتيان الا بما يأتى به اجتماع النسيم والروض فخلا فى موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر
أنا حضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر
كل تخلى للذى يختاره * فى الامن من ناه له أو زاجر
ما ان لهم شغل بفن واحد * بل كل ما يجرى بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بنواظر
وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدى لازلت متقدما لكل مكرمة هل يحمل التخلف عن ناد قام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس عن فيه وانسدل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو وثار قتام الند وهطلت سحاب ماء الورد وجليت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المثقلة بالعاج والآبنوس وكأن قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح

نحابالله ٣ مضطرة فى اثرك لاتجد غيرك فاما اليوم فان بنى امية سيحثون الطالب بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكرانه قال واما انا فنصحته قبلها ولا انصحه بعدها (قال المسعودى) ووجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث ابن هشام فى فتية من قريش فقال على اما انهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم أنهم قتلة عثمان فقلت أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال أخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمان امرك عزلت من أحببت واقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى قال

حجة فى اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا استعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندى على ما أشار به ثم عاد فقال انى أشرت عليك بما أشرت به وابيت على فنظرت فى الامر واذا انت مضيت لا ينبغى ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دلسة قال ابن عباس فقلت له أما اول ما أشار عليك فقد نصحك واما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فما منة ان متها غير عاجز
بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال على بلى قال أما والله لئن أطعتنى لاصدرن بهم بعد ورود ولا تركنهم ينظرون فى آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شئ يسير مالك عندى الطاعة والله ولى التوفيق

فطورا تستحيى فيبدو خجلها وطورا تمتزج فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه فى حجرها كولد ترضعه بدرها وساقى الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤس التى لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشارة حلو الشمائل عذب العبارة ذو طرف سقيم وخد كانه من خفره لطيم ولدينا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم قلوب الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطر بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سوالك جوابها
فلا عين الا وهى ترنو بطرفها * اليك فيسرفى المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولى جواب ما نظم ونثر والفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا فى النعيم انغماس عرف الزهر فى النسيم ومر لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به فى الجنه * وشرب يوما مع أبى جعفر بن سعيد والكتندى الشاعر فى جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء يتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع فى انبوبة الماء صورة خباء فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدور بها كرها فتنضى صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يبهت
اذا هى دارت سرعة خلت أنها * الى كل وجه فى الرياض تلفت

وقال ابن نزار فى خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل ماءها * فما زعزعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العليا ءتبدى حياءها
اذا أرسلت جود ا أمام يمينه * أبى العدل الا ان يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضر الامير أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما الجأته الضرورة أن يرتجل فى مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمى أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندى

وصهريج تخال به لجينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فمنه * على ارجائه ظل ظليل
وتمنحه اكف الشمس عشقا * دنانيرا فمنه لها قبول
اذا رفع النسيم القضب عنها * فحينئذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جمر بليل

(ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره) ودخل طلحة والزبير مكة

وللعيون فيه دون سبك * جلاجل زخرفت نصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفوني * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادي * وقبل صفح جدولك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم * مع الاصباح ليس لها أفول
يهيم بهم نسيم الروض الفا * فمن وجد له جسم عليل

وروى ان الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها ضيقة بيضاء في يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكي بخفق قلب من عاديته * مهما يصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى برأي ظافر * فترقب الفأل المشير نجاحا

وكان هذا الوزير آية الله تعالى في الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فاعجبت المعتمد محاولته ووقع في قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذ معه في أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبي ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركي له في حين فوض الي أمره ووثق بي وحملني أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم علي فلما عاد الى صاحبه ساله عن جميع ما جرى له فقال له في أثناء ذلك وجرى لي معه ما ان أعلمتك به خفت ان تحسب فيه كالامتنان والاستظهار وتظن أن خاطري فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيري فيعطي ذلك من عينك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه في أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبي عامر

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تباري القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامي التليل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب أبي محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادي آش يخاطب يحيى الميورقي

أنعم بتسريح علي فعله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * أرست معالمه وانك مذهبي
فقالتي ما ان ملكت وانما * عمري أبي حمل النجاد بمنكبي
وعجزت عن أن أستثير كمينها * وأشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتب بها اليه وقد أسن وملّ من الجهد معه يرغب في سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه ويمنه وقال حاتم بن سعيد العنسي وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعلم

يا دانيا مني وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا يضرك اذ ظللت بظلمة * ان لا يطالع منك بدر زاهر

وقد كانا استأذنا عليا في العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما أنهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضي الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس حارثة ابن قدامة السعدي ومصير عثمان بن حنيف الانصاري اليها على خراجها من قبل علي رضي الله عنه وانصرف من اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير اربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمن مائتي دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لي بها صنائع وعدد فجهزهم بالف الف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب فانتهوا في الليل الى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بني كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق لجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك فقالت ردوني الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي في المسير فقال ابن الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما اخبرك به وكان طلحة في ساقة الناس فلحقها

وتوفى المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وقال التطيلى الاعمى فى اسد نحاس يقذف الماء

اسد ولو انى انا * قشه الحساب لقلت صخره
فكانه اسد السما * ء يمج من فيه المجره

قال ابن ظافر صرنا فى بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل فراينا فيها بئرا عليها دولابان متحاذيان قد كادت افلاكهما تنجوم القواديس ولدبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمفاليس وهما يئنان انين الاشواق و يفيضان ماء اغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى اجياد الغصون والسواقى قد اذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين فى لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملأ ابصارنا واسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين ازمراحين شجت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكر أنغما وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذيذ الهجوع ورجعا النوح وافاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر مافى تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ماوصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلى فى اسد نحاس يقذف الماء اسد ولو انى الخ فقال القاضى ابو الحسن على بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا فى الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائى والسامع فتأملت ماقاله بعين بصيرتى البصيرة واستمددت مادة غريزتى الغزيرة فظهر لى معنى ملأ نى اطرابا واوسعنى اعجابا واطرق كل منا ينظم ماجاش به متبحره وانبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ماردناه من غير ان يقف واحد منا على ماصنعه الآخر فكان الذى قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدى الى النفوس المسره
ادهم لايزال يعدو ولكن * ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس يبكى * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم يهدى لدينا المجره

وكان الذى قلت

ودولاب يئن أنين ثكلى * ولافقدا شكاه ولا مضره
ترى الازهار فى ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر فى سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعدما تجرى المجره

وعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابى محمد عبد الله

فى الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم على فلما كان فى بعض الليالى بيتوا عثمان ابن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من اخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وارادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء اول من قتلوا ظلما فى الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس ثم اتفقوا على ان يصلى بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ماوصفنا وسار على من المدينة بعد اربعة اشهر وقيل غير ذلك فى

ابن شعبة الوادى آشى ابن شاعر فعرض عليه شعر انظمه فاعجبه فقال

شعرك كالبستان فى شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لى طائعا * ما يصنع الفارس بالبند

ولشاعر الاندلس أبى عبد الله بن الحداد الوادى آشى وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتى وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير اشعارى سفاها * فعدت بها الفلسفتى سميرا

وله فى العروض تاليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية ورد فيه على السرقسطى المنبوز بالحمار وله فى المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادى المقدس شاطئ * فللمنبر الهندى ما أنا واطئ
وانى فى ريالك واجدر يحهم * بجمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوافئ
لذلك ما حنت ركابى وحمحمت * عرابى وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجنى ماهاجها ولعلها * الى الوجد من نيران قلبى لواجئ
رويدا فذا وادى لبينى وانه * لورد لباناتى وانى لظامئ
موارد تهيامى ومسرح ناظرى * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بانه همز فى هذه القصيدة مالا يهمز فقال

عجبت لغماز بن علمى بجهلهم * وان قناتى لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمى ومنطقى * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية أوحدية * وويل بها وويل لذى الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا ألم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق مجانبا لعقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
حجبوك الامن توهم خاطرى * وحموك الامن تصور بالى
والقارظان جميل صبرى والكرى * فمتى أرجى منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
فى كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فاعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فاخبر فتبسم وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت فى الصبا وهو معى ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما أشعره فسلوه فلما باحثوه فى ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية

الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق فى طلبهم ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ ستمائة راكب وكاتب على من الربذة اباموسى الاشعرى ليستنفر الناس فثبطهم ابوموسى وقال انما هى فتنة فنمى ذلك الى على فولى على الكوفة قرظة ابن كعب الانصارى وكتب الى ابى موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار على بمن معه حتى نزل بذى قار وبعث بابنه الحسن وعمار الى الكوفة يستنفر الناس فسارا عنها ومعهما من اهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة

عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف فأتى الزاوية

وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمنجح * ما لا يكون السعد من أعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضي بغير سنانه

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا باخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه ولحاقه به ولما قال في المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتركن * دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا أعطاك حبة خردل * ألقاك في قيد الاسير الطائح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه في النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامنح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض في خلق وفي خلق * ان مر جان أتى من بعده جاني

وله

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية في المطرب ان من المجيدين في الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لي انه كان وبرد شبابه قشيب وغصن اعتداله رطيب بقميص النسك متقمص وبعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثاني والمثالث عال فقال أطلعوا الي هذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقي بمناولته كاس الحميا فتقبض متأففا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكا عما هجم عليه ويد الساقي ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى بأعطافه برنحه * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسري عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن البراق

يا سرحة الحي يا مطول * شرح الذي بيننا يطول
ولي ديون عليك حلت * لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الى الوادي اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه
أتراه أطربه الهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله في غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أضحى على الحميا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبد الله في معذرة الى بعض أصحابه من الاسر في طليطلة

لو

فخرجت انظر اليه فورد موكب

نحو الف فارس يقدمهم فارس على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل ابو ايوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس اشقر في نحو الف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لي أبو قتادة ابن ربعي ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر في جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من

لو كنت حيث تجيبنى * لاذاب قلبك ما أقول
يكفيك منى أننى * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما الى رسول
هذا وكم بتنا وفى * أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدخا * ن العنبرى به يجول
حال الزمان ولم أزل * مذ كنت أعهده يحول

ولابى الحسن على بن مهلهل الجليانى فى ابى بكر بن سعيد صاحب اعمال غرناطة فى دولة الملثمين

لولا النهود لما عراك تنهد * وعلى الخدود القلب منك مخدد
يا نافذا قلبى بسهم جفونه * مالى على سهم رميت به يد

وقال ابو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب اطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * فى خده كيا ماخط بالقلم
لام العذول عليه حين ابصره * فقلت دعنى فزين البدر بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشحر او من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضى ونزل المطر على اثره وكان الناس فى جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى اجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسى مختصا بوزير عبد المؤمن ابى جعفر بن عطية فقال فيه

ابا جعفر نلت الذى نال جعفر * ولازلت بالعليا تسر وتحبر
عليك لنا فضل و بر وانعم * ونحن علينا كل مدح محبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد احس من عبد المؤمن التغير الذى افضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه ابى جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر امره الصلب فكأن هذا عم الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

ومالى عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم
بغيرك اجرى ذكر فضلك فى الندى * كما قد جرى بالروض هب نسيم
وان كان عندى للعديد لذاذة * فلست بناس حرمة لقديم

ولابى عبد الله محمد بن على اللوشى يخاطب صاحب المسهب

لى اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان يغير كم الفراق فودى * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله

لو أن لى قلبا كقلبك كنت اهجر هجركا

المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس اشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى الف من الناس الغالب على ثيابهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس او سعيد بن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى اوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا أخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على بن ابى طالب

يكفيك أنك قد نسيـــت ولست أنسى ذكركا
ومن العجائب أنني * أفني وأنكم سركا
كن كيفما تختاره * فالحب يبسط عذركا

وله
هل عنـدكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تأمنوها إنها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبي محمد عبد المولى وكان ما جنا المانعي إليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا
إنما دنياك أكل * وشراب وتحاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله
يا نديم اشرب على أفـــق صقيل وحديقه
واسقني ثم اسقني * ثم اسقني خمرا وريقه
من غزال تطلع الشمـــس بخديه أنيقـــه
لا تفوّت ساعة من * كاس خمر وعشيقه
واجتنب ما سخرت جهـلا له هـــذي الخليقـه
رغبوا في باطل زو * ر زهـــدا في الحقيقـه
ليس إلا ما تراه * أنا أدري بالطريقـه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قلنا له ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يصحبك به فقال هـذا قول لا فعـل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهـم في كل واد يهيمون وأنهـم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سـعيد ولولا أن حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها وهـذا منزع من قال من المجوس
خـذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها
فهي دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الأرذال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الأبيات
كتبته مولاي في طالع * ما طار فيه طائر اليمـن
وفكرة جائلة والحشا * يلهب بالهـم وبالحـزن
كلفنيـــه ساقط أخرق * مشتهر بالطعن والقرن
أكذب خلق الله أرداهـم * أخوفهم في الخوف والأمن
يكفر ما يسـدى إليه ولا * يعـذر خلقا سيئ الظن
فإن صـنعت الخير ألفيتـه * شرا وأضحى الحمـد ذا غبن
وانتقد الناس عليك الذي * تسـدى له في أي ما فن
فافعـل به ما هو أهـل له * وسمعه تفسيرا ولا كنى
أهنه واصـفعه ولا تترك الـ * ـبواب يكرمـه لدى الإذن
واقطع بفيه القول واحرمه من * رد جواب أنســه يدني
وكلما اسـتنبط رأيا فسـ * ـفهه ودعـه مسخن الجفن

وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما أظلت والأرضين وما أقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء وقال علام يقاتلونني فأبوا إلا الحرب فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو إلى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل إلى علي وقالت أمه

يا رب إن مسلما أتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم
وأمه قائمة تراهم

وأمر علي رضي الله عنه أن يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

فهو

فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتى فى مثله هذه * فلاسقاه هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وجه له الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وضحك ودفعه الى من يشاركه فى ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتنى لارذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أوتريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف فى أسوا حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فتزيا هذا الرجل بزى أهل البادية وزور كتابا على لسان زوجة لعبد المولى فى بلدة أخرى وقال فى الكتاب وقد بلغنى انك تزوجت غيرى وأردت أن أكتب الملك فى أن تطلقنى فوصلنى كتابك تعرفنى فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر فى طلاقها فردنى ذلك عما عزمت عليه فانظر فى تعجيل ما وعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما مر بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوى أتيت من عند فلانة زوجة أبى محمد عبد المولى فعند ما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غير شاكة فى صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذى فعل ذلك فقال له لاجزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادى أظلم فما كان ذنبى عندك حين كتبت فى حقى ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ماذنبى أنت كلك ذنوب

ألست بألأم الثقلين طرا * وأثقلهم وأفحشهم لسانا
فهما تبغ براعند شخص * تردمنه بما تبغى هوانا

فانصرف عنه على اللسان بلعنته وكان أحد بنى عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد فخطر له يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع فنظر اليه فى تلك الحال فقال له السيد ما تصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به الا ماء ظهرى فضحك السيد وامر له بجارية فقال

قل لعميرة طلقت بعد طول زواج
قد كان مائى ضياعا * يمر فى غير حاج
حتى حبانى بحسنا * مقابل للنتاج
فكان ناقل خمر * من حنتم لزجاج
كانت تمر ضياعا * فاصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبونى عن المدامة الا * عند وقت الصباح أو فى الاصيل
واشفعوها بكل وجه مليح * ودعونى من كل قال وقيل

فقال على اللهم اشهد واعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كشفتم عقائلكم الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل فى هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعينى قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا الممالئ فى قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل
ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمى واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام على رضى الله عنه فقال أيها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه فى عسكرهم من

سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ٢٩٨ ميراث لورثتهم على كتاب الله وخرج على بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا سلاح
عليه فنادى يا زبير اخرج
الى نخرج شاكا فى سلاحه
فقيل لعائشة فقالت
واحرباه باسماء فقيل لها
ان عليا حاسر فاطمأنت
واعتنق كل واحد منهما
صاحبه فقال له على ويحك
يا زبير ما الذى أخرجك
قال دم عثمان قال قتل الله
أولانا بدم عثمان اما تذكر
يوم لقيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى بنى بياضة
وهو راكب حماره فضحك
الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضحكت أنت
معه فقلت أنت يا رسول
الله ما يدع على زهوه فقال
لك ليس به زهو أتحبه
يا زبير فقلت انى والله لاحبه
فقال لك انك والله ستقاتله
وأنت له ظالم فقال الزبير
أستغفر الله لو ذكرتها
ما خرجت فقال يا زبير
ارجع فقال وكيف أرجع
الآن وقد التقت حلقتا
البطان هذا والله العار
الذى لا يغسل فقال يا زبير
ارجع بالعار قبل أن تجمع
العار والنار فرجع الزبير
وهو يقول
اخترت عارا على نار مؤججة
ما ان يقوم لها خلق من
الطين
نادى على بأمر لست أجهله * عار لعمرك فى الدنيا وفى الدين

واذا ما اردتم طيب عيشى * فاحجبونى عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

اتانى زائر فبسطت خدى * له و يقل بسط الخد عندى
فقلت له ايا مولاى ألفا * فقال وانت ألفا عبد عبدى
وعانقنى وقبلنى ونادى * بلطف منه كيف رايت وعدى

وقال فى استهداء مقص

الا قل نعم فى مطلب قد حكاه لا * يفصل اذ نبغى الوصال مفصلا
نشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما بامثال النجوم مكللا

وقال سارت كبدر وليل الخدر يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق
ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس فى الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما فى أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل وهما منتزهان من أشرف وأظرف منتزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا اما النا غنى عن أبى جعفر بن سعيد اكتبوا اليه فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله فى ملة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة فى غد * لنسعى الى الحوز المؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها * ثوت فى شجون هن شر من اللحد
ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العليا وأشهى من الحمد
على جدول ما بين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند
ومن كان ذا شرب يخلى بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وما ظرفه يأبى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد
تهز معانى الشعر أغصان ظرفه * ويمرح فى ثوب الصبابة والوجد
وما نغص العيش المهنأ غيران * يمازجه تكليف ما ليس بالود
نظمنا من الخلان عقد فرائد * ولما نجد الاك واسطة العقد
فماذا تراه لا عدمناك ساعة * فنحن بما تبديه فى جنة الخلد
ورشدك مطلوب وامرك نحوه ار * تقاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما او الدر فى العقد * هو الزهر نفاحا الصبا ام شذا الود
أتانى وفكرى فى عقال من الاسى * فحل بنفث السحر ما حل من عقد
ومن قبل على أين مبعث وجهه * علمت جناب الورد من نفس الورد
وأيقنت ان الدهر ليس براجع * لتقديم عصر او وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله * ترادف موج البحر ردا الى رد

فكم

فكم طيبها من فائت مترقم * يهز بما قد ضمرت معطف الصلد
فيا من بهم تزهى المعالى ومن لهم * قياد المعالى ماسوى قصد كم قصدى
فسمعا وطوعا للذى قد أشرتم * به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة * مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا * بها زهرا أذكى نسيما من الند
وعندى ما يحتاج كل مؤمل * من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ما شاءه لست ثانيا * عنانا له ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة * اذا ما شدت ضل الخلى عن الرشد
لها ولد فى حجرها لا تزيله * أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا ليتنى قد كنت منها مكانه * تقلبنى ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال انى زاهد * اذا حل عندى أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا * فعندى له فى عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فسرلهم أحسن يوم على ما اشتهوا وما زالوا بالرصافى الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكتندى

غلبناك عما رمته يا ابن غالب * براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل * به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغى أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أناله ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كر * تاع فأجفلت الغزاله
فكأننا من بعده * بعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحبارى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التوريتين فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلأبى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبئ أنه * تقدم سبقا والغزالة خلفه
ولم تر عينى مثله من متابع * لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أنار لعينى * شفق ألبس الصباح جماله
قبل أن تبصر الغزالة تستد * رج منه على السماء غلاله
وتأمل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى غزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لو لم يكن شدو الحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغصنا

فقالت حسبك من عذل أبا حسن * فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى فقال ابنه عبد الله أين تدعنا فقال يا بنى أذكرنى أبو حسن بأمر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبا لجبن تعيرنى لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على أفرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى أتى وادى السباع والاحنف ابن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فأتاه آت فقال له هذا الزبير مار فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فأمه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن جرموز به وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معدد يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

طرب ثني حتى الجماد ترنحا * وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله

في الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفي وقلبي المغرم
الغصن قد والازاهر حلية * والورد خد والاقاحي مبسم

وقوله

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى ان يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه

قصر الخلافة لا اخليت من كرم * وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والغيل يخلو وتبقى هيبة الاسد

وقوله من أبيات

سرح لحاظك حيث شئت فانه * في كل موقع لحظة متأمل

وقوله أيضا

ولقد قلت للذي قال حلوا * ههنا سر فانما اسعدنا
لا تعين لنا مكانا ولكن * حيثما مالت اللواحظ ملنا

وقال

ألا هاتها ان المسرة قربها * وما الحزن الا في توالي جفائها
مدام بكى الابريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال

عرج على الحوز وخيم به * حيث الاماني ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح
وكن مقيما منه حيث الصبا * تمتار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يثني القدود ارتياح
وشق جيب الصبر قصفا اذا * شقت جيوب الظل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا * واسترقصتني الراح عند الرواح

وقوله

ألا حبذا روض بكرنا له ضحى * وفي جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن اذا ما ظللت القضب ركعا * نظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابوني في مجلس أحد الفضلاء باشبيلية فقدم فيما قدم خيار فجعل أحد الادباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابوني السكين من يده فألح عليه في استرجاعها فقال له ابن الصابوني كف عني والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابوني وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابوني

بعثت بمرآة اليك بديعة * فأطلع بسامي أفقها قمر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرني فيما اكن من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهة * لتجني منه ما جناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد

وقوله في لابس أحمر

هل تملك أمك ان قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد ما ان رأيت ولا سمعت بمثله فيمن مضى ممن يروح ويغتدي وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يأت برأسه فقال علي سيف طال ما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الحين ومصارع السوء وقاتل ابن صفية في النار ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي

أتيت عليا برأس الزبير * وقد كنت أرجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيان * وبئس بشارة ذي التحفه
لسيان عندي قتل الزبير * وضرطة عنز بذي الجحفه

ثم نادى علي رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذي أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال علي قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل فمن نكث فانما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالي رميت ههنا أم ههنا فرماه

أقبل

أقبل فى حلة موردة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عوّل عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه بعض يديه على ماجرى عليه فخاب عندما بابه الى الاسكندرية كداولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد نفر الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فردفم

ومر فيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كانها الانجم والبعد قد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

ياعير حمص عيرتك الحمير * بأكلك البرمكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس احمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير الذكر والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله فى مطلع

استول سباقا على غاياتها * نجح الامور يبين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال وهو من شقورة اجتاز ببلده وهو صبى صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقودا أسود فقال القاضى * انظر اليه فى العصا * فقال ابن ابى الخصال * كرأس زنجى عصى * فعلم انه سيكون له شان فى البيان وحدث ابو عبد الله ابن زرقون ان ابا بكر بن المنخل وابا بكر الملاح الشلبيين كانا متواخين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المنخل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح ويقول له قد قطعت ما بينى وبين صديقى وصفيى أبى بكر فى اقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادى اظلم وانما يجب ان يلحى من بالشر تقدم فعذره ابوه فبينما هما على ذلك اذ اقبلا على واد تنق فيه الضفادع فقال ابو بكر لابنه اجز * تنق ضفادع الوادى * فقال ابنه بصوت غير معتاد * فقال الشيخ * كأن نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح فى النادى * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال ابو بكر * وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد * فقال الشيخ * فلا غوث لملهوف * فقال الابن * ولا غيث لمرتاد * ولا خفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف ممن هو فى سن الصبا ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس اعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سميع عجيب ماحكى ان ابن المرغوى النصرانى الاشبيلى اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى يمينه * وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة ما ندمت وضل حلمى * ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما * طلبت رضا بنى حزم بزعمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر ابن كعب بن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق ويكنى أبا محمد * وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر

لم ارملهى لذى اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد * اتلع فى صفرة القميص
كالقوس فى شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص
ان تحذت انفها دليلا * دل على الكامن العويص
لو أنها تستثير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها فى المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال

الله أكبر انت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم
والجود أفلاك وانت مديرها * وعدوك الغاوى وهن رجوم

وقال

نزلت فى آل مكحول وضيفهم * كنازل بين سمع الارض والبصر
لا تستضىء بضوء فى بيوتهم * مالم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلى

يا ليتنى كنت طيرا * أطير حتى أراكا
بمن تبدلت غيرا * ولم تحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجارى فى المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلى فى أصفر ارتجالا

كأن محياك له بهجة * حتى اذا جاءك ماحى الجمال
أصبحت كالشمعة لما خبى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفى حقه وكان أظهر الاسلام ماصورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

وألمى بقلبى منه جمر مؤجج * تراه على خديه يندى و يبرد
يسائلنى من أى دين مداعبا * وشمل اعتقادى فى هواه مبدد
فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حر المصيف فشبها لفحات
خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء فى الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافا فى اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى

وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بابى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بابى القاسم وفيه يقول قاتله

واشعث سجاد بآيات ربه
قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قيصه
فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شىء غير أن ليس تابعا
عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرنى حاميم والرمح شارع
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها فاتاه بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له ياعم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وانت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن أخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت اووقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من

أبو عبد الله بن مرزوق مانصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله للناس ماظهر ولله مااستتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والتوشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقى وموسى يشبها * تجدخير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلى * فأسقيتنى بالبعد فاتحة الرعد
فبالله بردما بقلبى من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعى رحمه الله تعالى سمعت شيخنا اباالحسن على بن سمعة الاندلسى رحمه الله تعالى يقول شيآن لايصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشرى من الاعتزال ثم قال الراعى قلت وهما من مروياتى اما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظنى صحته لعلمى بروايته واما الثانى وهو توبة الزمخشرى فقد ذكر بعضهم انه راى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمن توبة الزمخشرى من الاعتزال فقوى جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعى أيضا مانصه وقد نكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الاندلسى على الشيخ ابى القاسم في تغزله حيث قال

اموسى ايابعضى وكلى حقيقة * وليس مجازاقولى الكل والبعضا
خفضت مكانى اذجزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وفى هذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى اعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا في البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام فى آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل فى التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله واحسب رتبتى * بنيت على خفض فلن تتغيرا

ومنه
تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا

وقوله
اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله
وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله
ثبات بناء الحرف خامر طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما

وقوله
لك الثناء فان يذكر سواك به * يوما فكالرابع المعهود فى البدل

يعنى الغلط وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * اجابت ظنونى ربما وعساى

قال اقرب الناس قرابة وابغضهم اليك انا محمد اخوك يقول لك امير المؤمنين هل أصابك

فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فاتاه على فضربه بقائم سيفه وقال ادرك عرق من امك واخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وطافت بنو امية بالجمل واقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل
ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل
عثمان ردوه باطراف الاسل
والموت احلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة معهم كعب بن سور القاضى متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فاخذ الخطام وقال انا الغلام الضبى ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كانه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت اعضاؤه واخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على فخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن ابى بكر فادخل يده فقالت من انت شئ قالت ما اصابنى الاسهم

وقوله وقلت عساه ان اقت برق لى * وقد نسخت لا عنده ما اقتضت عسى

وقوله ينبى لى الحال ولكنه * يدخل لا فى كل مستقبل

وقوله خفضت مقامى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وقوله فى غلام شاعر

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل فى حسنه * طال على النابغة الجعدى

وحدث أبو حيان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الانصارى الاشبيلى بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلى كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان وقفت عليها وهى من أبدع ما نظم فى معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أدارى بها همى اذا الليل عسعسا
أتانى حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائرا * أصبت الامانى خذ قلوبا وأنفسا
كسانى موسى من سقام جفونه * رداء وسقانى من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوّان * والنوم عن عينى برى

وقد عارضه غير واحد فما شقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكن عند الاذفونش ملك طليطلة النصرانى وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدنى لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمرين شبهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوى فى الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت فى حال الفراغ تعوّد
وقد حال ما بينى وبينك شاغل * فلا تطلبنى بالذى كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الافات فى أبوابه كل مسلك * ولا تك خلا حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدنى لنفسه

ولما بدا ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر

تقرى فى بيتك والله ما انصفك الذين اخرجوك اذ صانوا عقائلهم وابرزوك وامر أخاها محمدا فانزلها فى دار صفية بنت الحرث بن ابى طلحة العبدى وهى ام طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهما يجولون وابن الزبير ينادى اقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى على فقال يا امير المؤمنين لا تنكس اليوم راس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال

اطعنهم طعن ابيك تحمد
لا خير فى حرب اذا لم توقد
بالمشرفى والقنا المشرد

ثم استسقى فاتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفى وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ماشغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بنى ما ملا بصدر عمك شئ قط من امر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالخريبة يوم الخميس وأصبح

وأصبح عذالى يقولون صاحب * فاخلو به جهرا ولا أتستر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفنش لابرحت * غادة ايامها عرس

فاخلع النعلين تكرمة * فى ثراها انها قدس

قال وأدخلونى الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته فى غاية الحسن كانه الجنة ورأيت على بابه بوّابا فى غاية القبح فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت رأيت الجنة الا انى سمعت ان الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك واخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انا قصدنا ذلك فلو كان رضوان عليها بوّابا لخشينا ان يرده عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هنالك مالك ادخله فيها وهو لا يدرى ماوراءه ويخيل انها جهنم قال فلما اعلمنى الوزير بذلك قلت له الله اعلم حيث يجعل رسالاته * وكان فى زمان الياس بن المدور اليهودى الطبيب الرندى طبيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لاتخدعن فما تكون مودة * مابين مشتركين امرا واحدا

انظر الى القمرين حين تشاركا * بسناهما كان التلاقى واحدا

يعنى انهما معا لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضه ما يوجب الكسوف * وكتب ايوب بن سليمان المروانى الى بسام بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى اخاءك وحفظك مطمح نفسى ومنتزع اختيارى من ابناء جنسى على جوانبك اميل وارتع فى رياض خلقك الجميل هزتنى خواطر الطرب والارتياح فى هذا اليوم المطير الداعى بكائه الى ابتسام الاقداح واستنطاق البم والزير فلم ار معينا على ذلك ومبلغا ما هنالك الا حسن نظرك وتحملك من المكارم ماجرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل فى تركها الخير والبركة فهل توصل مكرمتك اخاك الى التملى معك فى زاوية متكئا على دن مستندا الى خابية ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات الا هى ونجيل الالحاظ فيما تعوّدت عندك من المحاسن والاسماع فى أصناف الملاهى وانت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يبعد المرء يوما على راحته الا كريم الطباع وها أنا والسمع منى الى الباب وذو الشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أشجانى ونعم الوداع

وهذا المروانى من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودى وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزى

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحلت جرمها

من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت باهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم رقاق وأعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله ابن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مادخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الاوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت أبيت ماقلت وخالفت ماوصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعى فانعمت وأجابت الى الخروج وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد اخوته

وفكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها البدر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي ما ان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

ياظبية ترعى بروض دائما * اني حكيتك في التوحش والحور

أمسى كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى انس بقوله

سيدي عندي اترج ونارنج وراح

وجنى آس وزهر * وحمام لا يباح

ليس الا مطرب يسلي الندامى والملاح

ومكان لانتهاك * قد نأى عنه الالاح

لا يرى يطلع فيه * دون أكواس صباح

فيه فتيان لهم في * لذة العيش جماح

طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا

لا كقوم أوجعتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيب

فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيب

هون عليك فاني * من حبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما لمحني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أتراني اذا لزمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندي من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت

أتراني أكون للدهر عونا * فاذا مسني بضر ضجرت

غمرة ثم تنجلي فكأني * عند اقلاعها همها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي

بدا ألف التعريف في طرس خده * فيا هل تراه بعد ذلك ينكر

وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عند ما حياه مسك وعنبر

وفتيان أهله من بني هاشم وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من في هذا البيت وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما اني أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله ابن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية وأمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن علي على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضا وكان علي يكثر من قوله وما وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه

وماخير روض لا يرف نباته * وهل أفتن الاثواب الا المشهر

وقال

أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى

وأن يصغى اليه كل سمع * ويعلو ذكره فى كل ذكر

قال الحجارى أخبرنى انه احب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه ما يجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه وكتبت له

يامن له حسن يفوق به الورى * صلها فما قد ظل فيك محيرا

وامنن على بقبلة أو غيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام ما رأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلا أشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله ان يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رأيته بطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لاخرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لا أفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا أخبر به احدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه وجعلت ارغب اليه فى ان يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا اجسر ا كلمه لانى رأيت صيانتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وامثاله * وقال جابر بن خلف القفصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرأ مع ابى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه

اياقائدا قد سما فى العلا * وساد علينا بذات وجد

غدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

وكثر عليه الدين فكتب اليه ايضا

أفى أيامك الغر * أموت كذا من الضر

وأخبط فى دجاهمى * ووجهك طلعة الفجر

فضحك وادى دينه * ولما خلع اهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم ابا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ما علم ففر الى مدينة فاس وبقى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة ويعيش من النسخ فقال

امسيت بعد الملك فى غرفة * ضيقة الساحل والمدخل

تستوحش الارزاق من وجهها * فما تزال الدهر فى معزل

النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف اخ مفضل

وانشدها لبعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف اخ لا يعرفك ولا تعرفه وانت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض هذا شعرك

فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجىء على البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبننى
فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة
وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها
وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فساله عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا
فلم ننصرف الا ونحن رواء
أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا
وما تيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله أتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياى تأمر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بى ادن منى لقنى الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدنانى ثم التقم اذنى فذهب بها فجعلت ألعنه وادعو عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت من فعل هذا بك

وقد بعث معها على اخاها عبد الرحمن بن ابى بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان

ايام خلعك فهل قلت ايام امرك قال نعم لما قتل اهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن واكرهونى ان اتولى امرهم قلت

اری فتنا تكشف عن لظاها * رماد بالنفاق له انصداع
وآل بها النظام الى انتثار * وساد بها الاسافل والرعاع
سأحمل كل ما جشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

واصل بنى الرميمى من بنى امية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمه قرية من اعمال قرطبة وقال ابو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت اقطار الغير اجبة * ومدحت اقواما بغير صلات
اموال اشعارى غنت فتكاثرت * فجعلت مدحى للبخيل زكاتى

وهذا من غريب المعانى وفى بنى عبد الصمد يقول بعض اهل عصرهم لما راى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبى هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد
كلهم ذئب اذا أمنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلى ملك المرية بذ الناس فى وقته باربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال أبو حيان وكان قبل محنته صير هجيراه أوقات لعب الشطرنج أوما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عنى نيام * وهضمى على الدهر شئ حرام

وذاع هذا البيت فى الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لا ينام

وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوى المعرفة مشاركا فى الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حيون ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

لى نفس لا ترتضى الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا
لو ترقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغى هنالك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدى * فى مكانى ما بين قومى وليدا

وكان يتهم بداء أبى جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فماذا الذى * تصنع فيه يا سخيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما اشتهى * وحاسدى خارجه فى هوان

وكان الاعمى التطيلى شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كحلا يا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر كم تقع فى الناس فقال أنا أعمى وهم

وغيرهما البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة انكن نسوة كانكن رجال وكن اللاتى تلين خدمتها وحملها فلما اتت المدينة قيل لها كيف رايت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد اعطى على بن ابى طالب فاكثر ولكنه بعث معى رجالا فعرفها النسوة امرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن ابى طالب الا كرما وودت انى لم أخرج وان اصابتنى كيت وكيت من امور كرهتها وانما قيل لى تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ان الذى قتل من اصحاب على فى ذلك اليوم خمسة آلاف ومن اصحاب الجمل وغيرهم من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقيل غير ذلك ووقف على على عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد بن ابى العاص ابن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفى عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بنى عبد مناف شفيت نفسى وجدعت انفى فقال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لى انه قامت عنى وعنهم نسوة لم يقمن عنك واصيب

لا

لا يبرحون حفرا فاعذرى فى قومى فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط حفرة لك وجعل يواليه بره ورفده ومن شعره

وجوه تعزعلى معشر * ولكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

زنجيكم بالفسوق دارى * يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرا * فيولج الليل فى النهار

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الاستجى كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من ينالك اذا انتشى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ماحمدناك اذ وقفنا ببابك * للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى المسهب كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجى شاعر استجة الملقب بزحكون فقام الاستجى وأنشده قصيدة منها

اليك ابن حمدين انتخلت قصائدا * بها رقصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البيانى على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذى فيه ورق الحمائم فأعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق فقال له فى الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه * ولما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى

من ذا الذى يطعم أو يكسو * وقد غدا حلف الندى الرمس
لا اخضرت الارض ولا أورق العود ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودى الذى لن ترى * أكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعنى حتى بذنوبه ولقد نهانى ذلك الادب عن مضار جمة كنت اقع فيها على راسى افلا أرعى له ذلك والله ماضربنى الا وانا ظالم له افأبقى على ظلمى له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا اهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى احد بها * وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف

لا اشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست اعشق الا * ساجى الجفون رخيم

ومدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة اولها

عرج على ذلك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال

الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول ياصفراء غرى غيرى وادام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر الفا وقبض ماكان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين اصحابه واخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من اصحابه واهله خمسمائة درهم فاتاه رجل من اصحابه فقال ياامير المؤمنين انى لم آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وادلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له وقيل لابى لبيد الجهمى من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم ألفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا واشتغل أهل كل بيت بمن لهم وولى على على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن

فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شد كل رحال

فقال له القاضى ما هذا الوثوب على المدح من اول وهلة الا تدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بما لك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا ان اتركه عند اول بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض موال بره ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا انشده منه

وكانت عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام انت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغير عاشق فجعل هلال وكان على عينه نقطة *وحكى ابن حيان ان الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض اسفاره وتمطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

وما لا نرى مما يقى الله أكثر وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فانشد الامير * نرى الشمس مما يتقى فنهابه* فاعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس *بريدا السرى بالليل من خيل بربرا* ففهم الزجالى انه عرض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مدحا لما أراده ومعرضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ماجرى من الاول الى الآخر وأنشد

وما الحر الا من يدين بمثل ما * يدان ومن يخفى القبيح وينصف

هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا عليه وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فانشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين

أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود وتضاحكا *وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أولها

يا أحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا وأوراقا

من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا ووادا فآتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعثه وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله ان ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ما قدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وان يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا

وياحيا الارض لم تنبت عن سنى * وسقت نحوى ارعادا وابراقا
وياسنى الشمس لم اظلمت فى بصرى * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من أى باب سعت غير الزمان الى * رحب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى * أنى أخذت على الايام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك لى * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فاجابه بهذه القطعة

مازلت أوليك اخلاصا واشفاقا * واثنى عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملى ان أقتنيك أخا * فاخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت غرس من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا واوراقا
فكان لما زها ازهاره ودنا * اثمارها حنظل الامر لمن ذاقا
فلست اول اخوان سقيتهم * صفوى وا علقتهم بالقلب اعلاقا
فما جزونى باحسانى ولا عرفوا * قدرى ولا حفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمح انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق فى وده والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومخمد الفتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحول رسومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وامر ماشاء غير ممتثل للعواقب يتقضى عزائم تنتضى فان المت من الايام مظلمة اضا الى ان اودى وغار منه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه ابى بكر فناهيك من اى عرف ونكر فقدر بى على الدها وماصبا الى الظبية والمها واستقل بالهول يقتحمه والامر يسديه ويلحمه فاى ندى افاض واى اجنحة عدى داض فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من بهجتها ما كان نائما الى ان صار الامر الى المأمون بن ذى النون اسد الحروب ومسدد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غير وكل فما تعدى الوزارة الى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان ابو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآراء لم تكن آفلة ادرك بها ما احب وقطع غارب كل منافس وجب الى ان طلحه العمر وانضاه واغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعدما القوا اعندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير ابى الفرج ابن مكبود قد اعياه علاجه وتهيأ للافساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكم وكان وسيما للحسن قسيما فكتب اليه

ارسل بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابن عبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

يا امير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثنى لكنت خيرا من هذا الذى ارخى خناقه واقام حتى لم يدع بابا يرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا انك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينى جوابهم ولا ثقل على خطابهم ولحملت معاوية على خطة اعجله فيها عن الفكر ولو اطاعنى امير المؤمنين قبل لحبسك واشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه مانزل به وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان يقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وما هى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية

ماتغيبت عنك الالعذر * ودليلي في ذاك حرصي عليكا
هبك ان الفرار من غير ذنب * اتراه يكون الااليكا

وقال في المطمح في حق ابي الفرج من ثنية رياسة وعترة نفاسة مامنهم الامن تحلى بالامارة وتردى بالوزارة واضاء في آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو احد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تخاله وبلا الاانه بقي وذهبوا ولقي من الايام مارهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال في الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فاخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ماقاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرني الوزير الحكيم أبو محمد المصري وهو الذي آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه في أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لا يحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فاجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر مني السابق
فالشمس أنت وقد أظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة * في كل يوم تنقضي وتعاد

وقال الفتح في حقه ماصورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للخلفاء فانتجعتهم الادباء واتبعتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وابو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذي لايبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وارى قينات السرور مجلوة وآيات الحسن متلوة وله كتاب سماه حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه وصرعه في مداه فقد كان في المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه بالاوام في ذلك والالواح فاطمان اليه أبو عامر واغتر وأنس الى ما بسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته في اغتياله فرصة لم يعاقب بها حصة ولم يضق عليه الاانه زلت به قدمه فسقط في البحيرة وانكفا ولم يعلم به الابعدما طفا فاخرج وقد قضى وادرج منه في الكفن حسام الجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما ابدع فيه واحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل في اعين النظار منظره
كانه اكؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

يعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال اما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما واما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به ما دام على أبدا ولكني أدعوه الى ماعرفته فان اجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال

نصحت عليا في ابن هند مقالة
فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أرسل اليه بعهده
على الشام حتى يستقر معاويه
ويعلم اهل الشام أن قد ملكته
وام ابن هند عند ذلك هاويه
فلم يقبل النصح الذي جئته به
وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودي) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ماكان من المغيرة مع على وما اشار به وهذا احد الوجوه المروية في ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من اخبار يوم الجمل وماكان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد في ذلك والله ولي التوفيق

(ذكر جوامع مماكان بين اهل العراق واهل الشام بصفين)

الى ان قال واجتمع بجنة بخارج اشبيلية مع اخدان له علية فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجو صاح اذ بالافق قد غيم وارسل الديم بعدما كسا الجو مطارف الرذاذ واشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يبكيها بالانتحاب فقال

يوم كأن سحابه * لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال اجنحة الفواخت
والغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى ثلاث الخميلة والربيع قد نشر رداه ونثر على معاطف الغصون نداه فاقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان اديمها * بمفضض ومقسم ومشوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت في أكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب
وادرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبي وقلبك لا محالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذلك يغاظ

وقال

يا من حرمت لذاذتي بمسيره * هذي النوى قد صعرت لي خدها
زودجفوني من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال في المطمح في ابن برد المذكور انه غذي بالادب وعلا الى أسمى الرتب ومامن أهل بيته الا شاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل في الدولة العامرية يسبق بذكر وحق لا ينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان مليح الكتابة فصيح الخطابة وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرق بينهما وشعره متقف المباني مرهف كالحسام اليماني وقد أثبت منه مايلهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف البهار

تأمل فقد شق البهار كمائما * وأبرز عن نواره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا أهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا في ثوب لازورد

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فأجابني لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللماي

ألما فديتكما نستلم * منازل سلمى على ذي سلم

عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سير علي من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الانصاري فاجتاز في مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هنالك جسر افعبر الى جانب الشام وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب علي لما استقروا مما يلي الشام من أبيات كتب بها الى معاوية

أثبت معاوي قد أتاك الجحافل
تسعون ألفا كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع في مقدار من كان معه فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين وعسكر في موضع سهل أفيح اختاره قبل قدوم علي على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع

منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها ومطبوعها اذا كتب نثر الدر فى المهارق ونمت فيه أنفاسه كالمسك فى المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تظل لدوحه فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروّى فيأتى على البديه بما يفعله المروّى ويبديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بما ثلك مورق وقد قذف بحر الهند درره وبعث روض نجد زهره فاهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده

*وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض امواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمح من بيت جلالة وفخر أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حضر مبايعها وكثر مشايعها وجدوا فى الهدنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أولاها وأخراها فظهرت البيعة واتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السرى وهو به كاف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرده من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتسخا مصوّرا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرى فسر به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا حجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القوافى والمواضى كالحية النضناض ثم اشتهر بعد واقترله السعد وفى تلك المدة يقول يتشوق الى أهله

سقى بلدا أهلى به وأقاربى * غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشى وبالضحى * نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجانى هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتئد يكفيك أنى نازح * وأن الذى أهواه عنى نازح

بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لايموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا على له صولة
اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير
وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين
وما بالنا اليوم شاة النجف
وألقى فى فسطاط الاشعث ابن قيس رقعة فيها
لئن لم يجل الاشعث اليوم كربة
من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه
فهبنا أناسا قبل كانوا افخرت
فلما قرأها حمى وأتى عليا رضى الله عنه فقال له

اخرج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط عسكر معاوية فتشرب

ولي صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاض تافيها اطحتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سانح في الدهر لوعن سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض في ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور في كل وقت وتغافل في ترك الغرور بذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الامور دونه وينفرد مغيبا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان مني مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

وله

رأت طالع الشيب بين ذوائبي * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجاربي * انار على أعقاب ليل نوائبي

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أفي كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثي وقديمي
وكيف اهتدائي في الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناي ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية * كغرة مسود القميص بهيم
فان ركبت مني الليالي هضيمة * فقبلي ما كان اهتضام تميم
أباعبدة اناغدرناك عندما * رجعنا وغادرناك غير ذميم
أنخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه في اناء علوم
ويجلو العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا * عقائم افكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغناك غدوا ولم نزر * رواحا لفصل الحكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه ابو ايوب بن امية

أمسك دارين حياك النسيم به * ام عنبر الشحر ام هذي البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق ام تلك الرياحين

وحلاه في المطمح بقوله واحد الاندلس الذي طوقها فخارا وطبقها باوانه افتخارا ماشئت من وقار لا تخيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رايت المجد مجتمعا واذا فاه اضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتنتحل المعالي افعاله انتحال ذي كلف بهاو وجد لو تعرفت في الخلق سجاياه لحمدت الشيم واستسقيت بمحياه لما استمسكت الديم ودعي للقضاء فارضى واعفي عنه فكانه ما استقضى لديه تثبتت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع اللدد اللدد وله ادب اذا حاضر به فلا البحر اذا عصف ولا ابو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاء تستهوي تحبيره وانشاده وقد اثبت له بدعا يثني اليها الاحسان جيدا واخدعا فمن ذلك قوله في منزل حله متنزها

يامنزل الحسن اهواه وآلفه * حقا لقد جمعت في صحنك البدع
بعد ما طارت كلانا * طيرة مست لهانا فله المن علينا * وبه درات رحانا

الاشعث وهو يقول مرتجزا
لاوردن خيلي الفراتا
شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم دعا على الاشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يؤم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

يا أشتر الخيرات ياخير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع
ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع

ثم سار علي رضي الله عنه وراء الاشتر بباقي الجيش ومضى الاشعث فما رد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية في هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق

كشف الاشعث عنا
كربة الموت عيانا
وارتحل معاوية عن

لله ما اصطنعت نعماك عندي في * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير ابي مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس بنته فأقام بها اياما متأنسا وبجذوة السرور مقتبسا واولاه من التحف واهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وابن الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمي وينهمل
وجال طرفي في ارجائه مرحا * وقت اجتيازي يستعلي ويستفل
يرنو بلفتته حيث ارتمى زهر * عليه من منثني أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان وواتانا به الأمل

وحل بعد ذلك منتزها بها على عادته فاحتفل في موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يا دار أمنك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذي * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنـ * ـت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * ر وأذعنت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبي العلاء المعري في الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك وهززت بعقدها ساعدك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمع ولكن لما آنست من أنسك بانتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت في صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاثمها تلك الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فأسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها الشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة خرتموها واحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذي قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قدها به وفراها وقدح زند المعالي حتى أوراها مع صون يرتديه ولا يكاد يبديه وشبيبة الحقته بالكهول فأقفرت منه ربعها المأهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى أثره الكريم واقتداه وله شعر بديع السرد مفوق البرد وقد اثبت له منه ما الفيت وبالدلالة عليه اكتفيت فمن ذلك قوله

تركت التصابي للصواب واهله * وبيض الطلى للبيض والسمر للسمر
مدامي مدادي والكؤس محابري * وندماي اقلامي ومنقلتي سفري

وله

لا تنكروا انني في رحلة ابدا * نحث في نفنف طورا وفي هدف

الموضع وورد الاشتر وقد كشف الاشعث القوم عن الماء وازالهم عن مواضعهم ووروده على فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية في البر نائيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ما سأل وطلب منه ولما كان أول يوم من ذي الحجة بعد نزول علي على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقا على الموادعة الى آخر المحرم سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي ولم يتم بين علي ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة في المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية

فدهـرنا سدفة ونحن أنجمها * وليس ينكر مجرى النجم في السدف
لو أسعف الدهر لي أقصرت عن سفري * وملت عن كلفي بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني * أرى العيس حسرى والكواكب طلعا
كأن أديم الصبح قد قد أنجما * وغودر درع الليل فيه مرقعا
فاني وان كان الشباب مجيبا * الي وفي قلبي أجل وأوقعا
لأنف من حسن بشعري مفترى * وآنف من حسن بشعري قنعا انتهى

وقال الوزير أبو الوليد بن حزم

اليك أبا حفص وما عن ملالة * ثنيت عناني والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك في أفياء ظلي صولة * لها بين أحناء الضلوع دبيب
ولكن أبى الا اليك التفاتة * فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى * اذا العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم أحشاء روضة * بها لخفوق العاصفات وجيب
وللزهر في ظل الرياض تبسم * وللطير منها في الغصون نحيب

وقال في الزهد

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوي أوفما تزدجر
تمر لياليك مراحثيثا * وأنت على ما ترى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للمنون * وتعلم أن ليس منها مفر
فاما الى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

وقال ابن أبي زمنين

الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا
تبكي المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثي البر والمننا
حسب الحمام لو أبقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلومه حسنا

وقال في المطمح الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل هجرها هجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه وابداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم

فمادون المنايا غير سبع * بقين من المحرم أو ثمان ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل الشام اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا وأصبح علي يوم الأربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش وأخرج الأشتر أمام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب ابن مسلمة الفهري وكان بينهم قتال شديد وأسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثاني أخرج علي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد ابن أبي وقاص وانما سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة علي وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه وحسن بلائه في ذلك اليوم في الكتاب الأوسط في فتوح الشام فأخرج اليه معاوية أبا الأعور السلمي وهو سفيان ابن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير وأخرج

يوم الجمعة أبا اليقظان عمار بن ياسر فى عدة من البدريين وغيرهم من

يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وأشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال فمنها قوله الموت فى كل حين ينشر الكفنا *فذكر الابيات انتهى وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها
وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال فى المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ماتكلم تقليدا ولاعدا اختراعا وتوليدا ماتمت به الاندلس أن تكون كالعراق ولاحنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه ومابرح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الثمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذى وأزرى على من هنالك نعل وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أى اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها وألبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد فى اقتناء نخبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام وكتاب القصد فى الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك عما لم يعطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون *يخوض الى المجد والمكرمات* ولابن حزم فى الادب سبق لاينكر وبديهة لايعلم انه روّى فيها ولافكر وقد أثبت من شعره مايعلم انه أوحد وما مثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكنى
لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت فى ذا اليوم أمشى منى

وقال فى المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها وانتسق فى سلك مقتفيها وكانت له اشارات غامضة وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق وظهر له فيها أمر حل عن الرشد وزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع فى استباحتها الخرق وغدت مهجورة على التالين محجورة وكان له تنميق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها وترويق لاغراضها وتشييد لمبانيها انتهى وهو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم *(ومن حكايات أهل الاندلس) فى الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ماحكاه فى المطمح فى ترجمة الفقيه أبى عبد الله الحسنى اذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم ينكث له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر رجاءه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت

على فى اليوم الثالث وهو المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو ابن العاص فى تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق وأخرج على فى اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد ابن الحنيفة فى همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى حمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من على أن يقيده بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان فى أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لاأترك بالمدينة فارسيا ولا فى غيرها الاقتلته وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى على أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا فى ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر

السموات والارض عن حمل الامانة ابابة اشفاق لاابابة عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا أعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقة وكانت القلوب على حبه متفقة وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت داره وبلغ اقصى مناه مداره قال * كأن لم يكن بين ولم تك فرقة * الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها فى الباب الخامس فى ترجمة القاضى ابن أبى عيسى فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب فى نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهى قطعة عرفها ذاك (ومن دعابات اهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن ابى الحلى وهو على ابو الحلى الكنانى ابو الحسن قال لسان الدين كان شيخا مليح الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا باشكالاتها كثير الحكايات يحكى انه شاهد غرائب وملحا فينمقها عليه بعض الطلبة ويتعدون ذلك الى الافتعال والمداعبة حتى جمعوا من ذلك جزأ سموه السالك والحلى فى اخبار ابن أبى الحلى فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها فى الدقيق حتى علق بها ونصبتها بازاء كوة فأر ورفعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فزوت رأسها وجعلت أصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفى المذكور سنة ٤٠٦ قال فى الاحاطة (ومن اجوبة ملوك الاندلس) ان نزارا العبيدى صاحب مصر كتب الى المروانى صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المروانى أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب وحكى انه كتب الى العبيدى ملك مصر مفتخرا

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال اودارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

(ومن غريب ما يحكى من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد افسدت ملكك ولو كان الملك فى عشرة أمثال عددى لم ينزل لى بساحة ولا تمكن منها براحة فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه فى الاجتماع به فاسترهنه فى نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب الى ما ارتهن ولما ساروا الى المدينة البيضاء وهى قلعة رباح غربى طليطلة خرج حريز بسالأمة حربه يرمق الروم منه شخصا أوتى بسطة فى الجسم والبسالة يتحدثون بآلات حربه ويعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكترث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حريز أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لايبارز الا كفاه وان لى بينة على صدق قولى أن ليس لى فيهم كفؤ هذا رمحى قدر كزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة

وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الى وأنا فى كثيف من الناس

الوليد بن عقبة بن أبى معيط فاقتتلوا أكثر الوليد من سب بنى عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الى ياصفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا وأخرج على فى اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمدانى وهو سيد همدان يومئذ فاخرج اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج على فى اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر فى النخع وغيرهم فاخرج اليه معاوية حبيب ابن سلمة الفهرى فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح فى أهل الشام أعم وخرج فى اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء على رضى الله تعالى عنه بنفسه فى الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت فى هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء

فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرنى يا حريز كيف تقلعه فركب واشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك واكرمه انتهى وكان حريز هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير ابو المطرف بن المثنى كتب اليه

يا فريدا دون ثانى * ومحلا فى العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فجاوبه حريز وهو يومئذ امير قلعته

يا فريد الايجارى * بين ابناء الزمان
جاء من شعرك روض * جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا * كسجايالك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الى المأمون ابن ذى النون فى شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغنى ان الحصن الفلانى دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن بل هى الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله على هذه المصيبة التى هدت قواعد المسلمين وأبقت فى قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا لامورك نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك امر هذا الكاتب الابله الجلف واسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدرى من أى شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضى أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ام من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه ام من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو انه القسطنطينية العظمى مازاد على عظمه وهوله شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفى عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لاماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا فى بعض السنين باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمرى انه لم يغبن فى بيعه ولا ربح ارباب ابتياعه واراح من الشين بنسبته والنظر فى خداعه فليت شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل حتى خطب فى امره بما لم يخطب به فى حرب وائل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت بسواها وخدمة محمود اولاها واخراها ولسنا ممن اتسعت مملكته وعظمت حضرته فنحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ فى الخطاب وانما نحن احلاس ثغور وكتاب كتائب لا سطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم وله الوفاء الذى تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه فى اقصى البلاد الركبان وليس ذلك يقدح عندنا فيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة فى الاكرام والتنويه انتهى ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه

فقال يامعشر المسلمين عموا الاصوات وأكلوا اللامة واستشعروا الخشية ٣ واقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ونافحوا الصبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار فى الاحقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكب صعيده معترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وأخر للنكوص رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلى عن وجه الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم وتقدم على للعرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية فى عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج فى اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من المضرية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله ينميني عمر
خير قريش من مضى ومن غبر * غير نبى الله والشيخ الاغر قد ابطأت فى نصر عثمان مضر * والربعيون فلا أسقوا المطر فيه

فيه تنبه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح حويزا المذكور مطلعها

يذكرني بهم العنبر * وظلم ثناياهم سكر

الى ان قال

ولولا معاليك يا ذا الندى * لما كان فى الارض من يشعر
فلا تنكرن زحاما على * ذراك وفى كفك الكوثر

ومشى فى موكبه وهم فى سفر وكان فصل المطر والطين فحمل فرسه فى ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يدا فرسه طينا جاء فى عنق أميره ففطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تقدم فقال معاذ الله ان اسىء الادب بالتقدم على اميرى فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلى لا يزال على ركابك فى مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتنى بما ترمى يدا فرسك على من الطين فقال اعز الله الامير فوالله ما علمت ان يد فرسى تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن بطفت من بنى بفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان فى غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم ينكتم فكتب له

يا ظبى بالله قل لى * متى ترى فى حبالى
يمر عمرى وحالى * من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الهزبر تبغى اغتيالى
وليس يخطر يوما * حلول غيل ببالى

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجواب فى النظم وانا بعد قد جعلت رسنى بيد سيدى فعسى ان يقودنى الى ما احب لا ما اكره والذى احبه ان يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الاخلاص ونأمن فى مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التى ذكرها

ماذا ترى فى يوم أمن طرزت * حلل السحاب به البروق المذهبه
وانا وكاسى لا جليس غيره * ملآن لا يخلو الى ان تشربه
والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فاجابه

يا مالك الملوك بعلمه * وخلاله وعلوه فى المرتبه
وافى نداك فخرت عند جوابه * اذ ما تضمن ريبة مستغربه
انا اذا نخلو تقول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه
هبنى الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متناشبه
وهناك فانظرنى بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى ان قتل فى جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة

يا صارما أغمدته * عن ناظرى الصوارم

أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر على الاشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير
انى أنا الافعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيع أو مضر
لكننى من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله و يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذى وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على

 تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله

وزهرة غيبتها * من الطيور كمائم
يا كوكبا خرمن أنجمي وأنى راغم
بكت على وشقت * جيوبهن الغمائم
قل للعمائم انى * أصبحت أحكى الحمائم
وأثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم
تالله لالذعيش * لمعترف للعادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أجيناو رمحى ناصرى وحسامى * وعجزاو عزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله و يحامى
ألاغنيانى بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطا على الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من ابطال عصره وكان يدفع فى المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا

أكرّعلى الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزادفيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام و يتعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى

*(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طرباعلى ظهر يده قال الراوى فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يده *(ومن حكاياتهم فى البلاغة) ما ذكره فى المطمح أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر فقاوصه قليلا ثم قال له أنشدنى لمليح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فانشده

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ماأن رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة * مابال قلبك لا يكون رقيقا

المادية العاملى و أبو حوّاء السكسكى واختلفا فى سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجاعنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوبغت قريش بعمار مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه على عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقد تنوزع فى نسبه فن الناس من الحقه ببنى مخزوم ومنهم من رأى أنه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد أتينا على خبره فى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار عند ذكرنا الاشتراط الخمسين الذين بايعوا عليا على الموت وفى قتله يقول الحجاج بن عربة الانصارى أبياتا رثاه بها

يا للرجال لعين دمعها جارى
قد هاج حزنى أبو اليقظان عمار
أهوى اليه أبو حوّا فوارسه
يدعو السكون وللجيشين اعصار

فلما كمل انشادها استعاد هاشم صفق بيديه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبد ربه

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى لبست من العذار حمائلا انتهى

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدى وهذا من التوسع فى العبارة والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ماسمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب فى تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير فى كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزنى أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فاقول فى حقه أقل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحاب

وقد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق فى هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدى ملخصا وقال فى الوافى بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف وكان يسمى بحترى المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث ابو الربيع سليمان بن على الشلبى الشهير بكثير يهوى من يتجنى عليه ويقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كثير بقوله

ياحبيبا له كلام خلوب * قلبت فى لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب فى حشاه لهيب
أنت شمس وقلت انى ثلج * فلهذا اذا طلعت اذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على اربعة امثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد احكم والتوسط اجمل

وقال ابن السيد البطليوسى متغزلا

قال النبى له تقتلك شرذمة سيطت لحومهم بالبغى فجار فاليوم يعرف أهل الشام أنهم أصحاب تلك وفيها النار والعار ولما صرع عمار تقدم سعيد ابن قيس الهمدانى فى همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصارى فى الانصار وربيعة وعدى بن حاتم فى طيئ وسعيد بن قيس الهمدانى فى أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر على الاشتر أن يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فأكثر القتل فى أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شئ وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى قيده وعلى وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول

قد أكثر القوم وما أقلا
أعور يبغى أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد أن يفل أو يفلا
أسلهم بذى الكعوب سلا

ثم قصد هاشم بن عتبة

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده اضناني
في فيه سمطا جوهر يروي الظما * لو علني ببروده احياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينفد الدينار مني * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم انشده في وادي هيامي * به لو كان يعطفه النشيد
حبيبي انت تعلم ما أريد * ولكن لا ترق ولا تجود
وكم غنيت حين تنكبتني * مني شيطانها ابدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يا مشبه البدر المنير
لأسرحن نواظري * في ذلك الورد النضير
ولأكتمنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة اهل الاندلس في الجد والهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه * (ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) انه لما ثار ابو ب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الحبائل وكانت له همة وانفة عظيمة وخلع عن امارته وحصل في حبالته ادخل راسه تحته فانتظر من حضر معه ان يتكلم او يخرج راسه فلم يكن الا قليلا حتى وقع ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار الميورقي بافريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جملة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على أمير لسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذي لا يرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم ردء ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بخزية ولا يتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار في الظعن والاقامة فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامة اذ قد شهرنا بانا لا نقيد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان * (ومن حكايات أهل الاندلس في الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له

بخريطتين

المرقال لذي الكلاع وهو من حمير فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول

أثبت فاني لست من فرعي مضر
نحن اليمانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر
ينعى ابن عفان ويلحى من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور
سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه في وسط المعركة وكر في العجاج وهو يقول

يا هاشم بن عتبة بن مالك
أعزز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك
أبشر بحور العين في الارائك
والروح والريحان عند ذلك

ووقف علي رضي الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات

جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

بحر يطتين منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتني جملا جودا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأني فشأني كله عجب * رفهتني فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبي العرب المذكور

الا م اتباعي للاماني الكواذب * وهذا طريق المجد بادي المذاهب
أهم ولي عزمان عزم مشرق * وآخر يثني همتي للمغارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وذكر الحافظ الحجاري في المسهب انه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقي من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخي لم يقدر أن يقضى لي الاصطحاب بهم في شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم في المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو في سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ويبسم في موضع القطوب ويظهر الرضا في حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا في رحابهم * وان رموني بتثريب وابعاد
ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا ببعض ندى كف ابن عباد
ذي المكرمات التي ما زلت تسمعها * أنس المقيم وفي الاسفار كالزاد
يا ليت شعري ماذا يرتضيه لمن * ناداه يا موئلي في جحفل النادي

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر في هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأمر خادمه له فأعطاني ما أعيش في فائدته الى الآن فاني انصرفت به الى المرية وكان يعجبني سكناها والتجارة بها لكونها مينا المراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ماء وجهي على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر في القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه في هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى ان انتهى الى قولي

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا ببعض ندى كف ابن عباد

فقال لاي شيء بخلت عليهم أن يسقوا بكفه فقلت اذن كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة

وعروة لا ينفد ثناه وذكره * اذا سل بالبيض الخفاف الصوارم

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة ابن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أني قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذي أبقاني الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملاني وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعي أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن

لم يبق الا الصبر والتوكل
وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشي في الرعيل الاول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي وكان صاحب راية قومه في تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان في الكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوى بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسي وآثرت ملكك على ديني وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حرمنا

في قوله ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فتألقت غرته وبدت مسرته وقال انا لله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه باغمات وحملتني شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا التسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام في الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدرى من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجاني على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه امرلى باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عرا كم مسى
فني الذي أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسى

قال وفيه أقول من قصيدة

يا طالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد
فلو يكون العدل في طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللعجاري المذكور كتاب في البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * أمنني من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه * و يصرف الذنب الى الخمر

وله في فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم في الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم * تحجل باليسير من الصباح
اذا احتدم التسابق صار رجما * تقلب بين اجنحة الرياح

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألا ليت شعرى هل أعود الى الذى * عهدت من النعمى لديكم بلا جهد
فوالله مذ فارقتكم ما تخلصت * من الدهر عندى ساعة دون ما كد
فنوا باذن كى أطير اليكم * فلا عار في شوق الى المال والمجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره وكان ذلك في محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرني أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا موضع اللوم لا عليه ووالله لا وسعنه مالا ووجدا بقدر وسعى ثم أخذ في الاحسان اليه حتى بريئه رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالى * طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بني مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المرواني صاحب كتاب

وروضة من رياض الحزن حالفها * طل اطلت به في افقها الحلل
كأنما الورد فيما بينها ملك * موف ونوارها من حوله خول

وكان في مدة الناصر وأدخل عليه يوما ليذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويتخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهوني وقد يحقد لي بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضر وقالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفني * يا كوكبا فوق غصن
يا من تحجب حتى * عن كل فكر وأذن
وخامر الخوف فيه * فما يمر بذهن
فليس للطرف والقلب غير دمع وحزن
فاني ذو ذنوب * وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالي بارتجاء وصالكم * وما نلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت أدري ما التصبر قبلكم * فعلمتموني كيف أقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره * ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

*(ومن حكاياتهم في علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده أنه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبي عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للاصلاح فقال أي سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبي عبدة عنده كما كان هو عند ابن أبي عبدة أولا فحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن أبي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ما هذا اين هذا مما كان فقال ان كلمتك عملت في فكري ما أوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سر ان لي عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتميز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول على تقصيري وحافظ على أن لا أسقط من العيون بارباء غيري علي فقال لك ذلك وزيادة وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق في أول أمره كثيرا لاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق مما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثر التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي

أثمار الجنة وأنهارها وخرج الى قومه وصمد الى الحرب وكان عبيد الله بن عمر اذا خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ما خلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها اني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله اني لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت ما أبغض الا أن تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكاني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا الي جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعي هو الذي قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره وكلمت نساؤه معاوية في جيفته فامران يأتين ربيعة فيبذلن في جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته فقالوا النسوة عبيد الله ان شئتن شددناه

وحده وفقد خوله ومن كان يستريح معه ونظر الى ماسلبه من الملك ضجر فقال للثقة عسى أن يصلني غلماني وأصحابي أتانس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وأن تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية فعلم ان الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه انى قد توحشت فى هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهى فان كان ذلك عقابا بالذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاى ولم أعلمه فانى صابر على تأديبه ضارع اليه فى عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم ان الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد فى ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك فى ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما رأيناك تكثر الضجر والتشكى من القال والقيل فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وبينهم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف على من التوحد والتوحش والتخلى مما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهى فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كانك لم تسمع وترى كانك لم تر وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك أقرب الناس الى وأحبهم فى وبعد هذا فما يخلو صدرك فى وقت من الاوقات عن انكار على وسخط لما أفعله فى جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعنى الله تعالى عليه لساءنى لكن الحمد لله الذى حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها وانك لذو همة ومطمع ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوءه فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ولقد يخف على اليوم من قاسيت من فعله وقوله مالو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه منى ماشفيت منهم غيظى ولكن رأيت الاغضاء والاحتمال لاسيما عند الاقتدار أولى ونظرت الى جميع من حولى ممن يحسن ويسىء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسىء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له منى عقاب ولا أندم على من سبق له منى ثواب فالزم يابنى معالى الامور وان جماعها فى التغاضى ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب ولا ينال ما ترتقى اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجد معينا حين يحتاج اليه فقبل المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره فى ابن عم له

ومولى أبى الأذاى وانى * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
توددته فازداد بعدا او بغضة * وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله

خالف عدوك فيما * اتاك فيه لينصح
فانما يبتغى أن * تنام عنه فيربح

بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم فى جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا ابنة هانئ بن قبيصة وهذا زوجى القاطع الظالم قد حذرته ماصار اليه فهبوا لى جيفته ففعلوا والقت اليهم بمطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليها فشد رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرض على عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعى ورمحى فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أى يومى من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاويه
الاخزر العين العظيم الهاويه
تهوى به فى النار ام هاويه

وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله فى ذلك اليوم ثم نادى على

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة فى الغناء حسنة فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ماترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ماتساوى من الثمن وتدفع له بقدرها فقومت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ماعندك فيماندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا اللؤم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان نقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودى لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها واعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب ● ان لم تقابل لواحظى طرب
أبهت فى الكاس لست أشربها * والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشر جهلوا * ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أبوه يوما ان فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت أصله أن يعلو فقال له يابنى ان العيون تمج التياه والقلوب تنفر عنه فقال يا أبى لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان مايحمل عن ذلك وانى لم أر العيون الا مقبلة على ولا الاسماع الا مصغية الى وان لهذا السلطان رونقا يريقه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه ويشرفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الانذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصيروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق ومارأيت * وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمرى فى الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيى الليالى سهدا * فى نشوة ومراح
ولست أسمع ماذا * يقول داعى الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكى الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال انى قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم أنه يحفظ عنى وأنا أستغفر الله تعالى منه والذى يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخى فرقت صروف الليالى * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * نتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان

أحبك ياريحان ماعشت دائما * ولولامنى فى حبك الانس والجان
ولولاك لم أهو الظلام وسهده * ولاحببت لى فى ذرا الدار غربان
وماعشق الريحان الا لانه * شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
على انه لم يكمل الظرف مجلس * اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

يامعاوية علام يقتل الناس بينى وبينك هلم احاكمك الى الله فايناقتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ماأنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وماتجمل بك الا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحوّل على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن الشرقى بن القطامى أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ماهو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية ياعمرو الثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال مالم يكن

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم في ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومي * لهم في الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالي * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر فقال أحد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره رب الصنائع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ولا تكن كالاجرب يعدي غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشر به وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده ويديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادي وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان مادام العمر * وقال أخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس ابان وقد خلا معه على راحة هل لك امل نبلغك اياه فقال لم يبق لي امل الا ان يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مالت اليك نفسي من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفي ذلك يقول ابان

يا من يلوم ولا يدري بمن انا مفتون لو ابصرته ما كنت تلحاني
من مازجت روحه روحي وشاطرني * بأحسنه حين اهواه ويهواني

وكان للامير محمد ابن الامير عبد الرحمن ثلاثة اولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم اخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم في عثمان اخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعلة لم يقبلها القاسم

الماء في دار عثمان له ثمن * والخبز شئ له شان من الشان
فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهري * فلم افد غير كل خسر
اتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف ويعرف بابن غزلان وهي امه وكانت مغنية بديعة محسنة عوادة اديبة

هل أتكي مشرفا على نهر * ارمي بطرفي اليه من قصري
عند اخ لو دهته حادثة * اعطيته ما احب من عمري

وقال اخوهما مسلمة

ان شيبا وصبوة لمحال * اولم يأن أن يكون زوال
فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاءت حال

قبل ووجدت في بعض من أخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يعض على ثدييه حتى نبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فخشاه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية في خواص من أصحابه في الموضع الذى كان ميمنته فنظر الى عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة علي فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ما قدمنا آنفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لا تركنك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لا كلونا ولو أنا في جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وكان يقول انى لا افارق الامن اختار مفارقتى ومن خادعنى انخدعت له وار يته انى غير فطن بخداعه ليحيبه امره وادخل عليه مسرة بنفسه ورايه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد فى جار يته الارا كة

قل للارا كة قد زا * د بالدنو اشـتياقى
وهاج ما بى اليها * تمثـلى للعناق
وانى و بقلـبى * جمر جرى فى الماآقى
طو يت ما بى ليوم * يكون فيـه التلاقى
فان اعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق
لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد اهدى له سعيد بن فرج ياسمينا ابيض واصفر وكتب معه

مولاى قد اوسلت نحوك تحفة * بمرادما ابغيه منك تذكر
من ياسمين كاللجين تبرجت * بيضا وصفرا والسماح يعبر

فأجابه بما نصه

اتاك تفسيرى ولما يحل * منى على أضغاث احلام
فاجعله رسما دائما زائرا * منى ومنك غرة العام

وبعث اليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ما سمعنا جودا مدى العمر لازم
فـدعائى بأن تدوم دعاء * لى لازال طول ما عشت دائم
ما سمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك ان رجلا أهدى له فى قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر ان يملأ له دراهم فقالت له جارية من جواريه ان رأى الامير أن يلون ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم وكان المروانى المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء فرا بجميل فمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكننا لا نتغلغل فى نظرها ولا ندعى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التى وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لر وحك بما شئت فقال أو ما هى حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأراك شريكا لى فقال ولولا ذلك للتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدى الذى مر بى فمال له * لحظى ولكن ثنيته غصبا
ماذاك الا مخاف منتقد * فالله يعفو و يغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فانى أدعوه اليك حتى تملأه منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك فى الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكنى لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل

كليث هزبر كان يحمى ذماره * رمته المنايا قصدها فتقطرا ونظر على الى غسان فى مصافهم لا يزولون فخرج أصحابه عليهم وقال ان هؤلاء ان يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح الطعام وتسقط منه المعاصم والاكف وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد وتنتشر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيا رويدا حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمرى ففعل واتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا ألف فارس فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحرث الجعفى وقال لعلى مرنى بامرك فقال شد الله ركبك سر حتى تنتهى الى إخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم على كبروا ثم احملوا ونحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن فى عرضهم حتى انتهى

المرء أن لا يفني عمره فيما لا يفقه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولي العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يا مولاى خطا * مطه فى اللوح مطا
ابن سبع فى سنيه * لم يطق للوح ضبطا
دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارنى من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
اقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضاء والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نفحة * بشهاب بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدرا نيرا * لا حلت الدهر الابصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا فى صحة وجاه ونعمى * هى تدعو لهذه الالحان
وكذا الطير فى الحدائق تشدو * للذى سر نفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضدك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت اهله * كما حاز بسم الله فضل التقدم

واما اخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه انه لم يكن فى ولد الناصر ممن لم يل الملك اشعر منه ومن ابن اخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله فى الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز وباس
حفت مراجل ارها * ب من عداه تراس
كانما هو ضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الاندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا ان تلك نابتة وهذه محفورة وقال

اتانى وقد خط العذار بخده * كما خط فى ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ فى وجناته * فشقت عليه للشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كأنما * تفتح بين الورد والآس سوسان

اليوم فاخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشد نحو سبعمائة من أهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرهما من ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قلت قدمها حضين تقدما

فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على بكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر اذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول

نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قد اعلما
وذا الكلاع قبله * ومعبدا اذ قدما

وقال

وقال لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكأس فاني غير نزر المواهب
واني لطعان اذا اشتجر القنا * ومقتحم طرفي صدور الكتائب
واني اذا لم ترض نفسي بمنزل * وجاش بصدري الفكر جم المذاهب
جليد يود الصخر لو أن صبره * كصبري على ما نابني للنوائب
وأسري الى ان يحسب الليل انني * اطول مسيري فيه بعض الكواكب

وأما ابن اخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان في بني امية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز في غصن نقا * يجتني منه فؤادي حرقا
سال لام الصدغ في صفحته * سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا
ومنها أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه * تركت في الخد منه شفقا
ومنها وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى واكثر أخذا بجامع القلوب من قوله

ودعت من أهوى أصيلا ليتني * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذي ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذاه كراه
والزهر مدسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرني بمن أهواه

ولله قوله

وعشي كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
طلعت فيه ما بين شمسين هذي * في طلوع وهذه في غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت في قضيب
أي وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة لقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بني مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال

ان تقتلوا منا أبا اليقظان شيخا مسلما * فقد قتلنا منكم سبعين رأسا مجرما
أضحوا بصفين وقد * لاقوا نكالا مؤلما

وكان الاشتر في هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة علي وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله في الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبآتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر في الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفي ذلك يقول النجاشي بن الحرث

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا * عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد * أما تتقي أن تهلك الثقلان

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلي قد أعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم في ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال علي

اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لاعداك الطرب * شرب كريم في العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
في قدح لم يك يسقى به * غير أولي المجد وأهل الحسب
ما جار اذ أسقاك من كفه * في جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسك برابه * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبي عامر مدة الى أن رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر في ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلائق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام في العلم عودي
فتواه جدد ديني * جدواه أورق عودي

وله في أبي عامر بن المظفر بن أبي عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبي عامر وصلت حبالي * فزماني به زمان سعيد
فتى زدت فيه ودا وشكرا * فنداه وقد تناهى يزيد
كيف لي وصفه وفي كل يوم * منه في المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعدما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدي وهو من حسنات بني مروان ويعرف بالاقرع

أقول لآمالي ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعاني كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يفني التعلل
لئن كان مني كل حين ترحل * فاني ان أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال في بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعول

وقال هذه في الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا يراك الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تمكن بالدهر غرا واذا * كنت فانظر فعله في ملكنا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تصحب منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب الهتنا
أو أرحني بجواب يؤيس * فطال البر من شر العنا

فلم

ايها الناس انه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت واني كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعن بالله وتكلم رؤساء أصحاب علي بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندري ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال علي ويحكم ما رفعوها الا انكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا في قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدة غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال وشر رجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثمان

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله ما لبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوّج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتحوّل فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيا دار قولى اين ساكنك الذى * ابى لؤمه ان يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى ان يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فها هو قد ارضى عدوا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف فعله * نزيلك فى الحوض الممنع واردا
جزاه باحسان لذا واساءة * لذاك وساع ورث الجد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد *وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
وصل جديد فالتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجو طلق فالقه بطلاقة * واذا انقطب فالقه بقطوب
لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله
لى فى كفالات الرماح لوانها * وفت ضمان يبلغ الآمالا
وكلت دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضمنا به أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة ويحضر معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المضحك يا مولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطل عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد اوقف فذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان وبم لقبت هذا الثائر فقال يا مولاى بصفته القائم فقال ويحتاج الى خاتم فقال نعم ويكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة *وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * ترعينى بالله من هجركا
وكيف بالصبر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جو السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كانما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ان شئت فأتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما امر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا بما فى الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوّب الاشعث قوله وانصرف الى على فاخبره بذلك فقال اكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا واطعنا فاختار اهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى راى الخوارج رضينا نحن بابى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى اول الامر فلا تعصونى الآن انى لا ارى ان اولى ابا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بابى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر اشياء فعلها ابو موسى ثم انه هرب شهورا حتى امنته لكن هذا عبد الله بن عباس اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما اردتم وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الى ابى موسى وكتبوا له القضية

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المرواني يستعطف المنصور بن أبي عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * في عبدك المتوسل المتكرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * في كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستبح مني حمى ارعى له * يامن يرى في الله أحمى محتمي

وقال الاصم المرواني يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح معارضا بائية أبي تمام * السيف أصدق انباء من الكتب * بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأساحل ذروته * اصار كالعهن من خوف ومن رهب
منه يعاوده ذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا في سالف الحقب
و يلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنه لم تغب

وقال في نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى نبي الله اقتبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال في زلباني

لله سفاح بدا لي مسحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظي * وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال وقد نزل في فندق لا يليق بمثله

ياهذه لا تفندني * أن صرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس علوية ولكن * تغرب في حماة وطين

وقال احمد المرواني

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد اودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
فقيد وهو موجود بقلبي * فواعجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من اصحابه

ايامن به كان السرور مواصلا * واسلم قلبي للصبابة والفكر

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت فكان يخلع قميصه ويقول لا جعل الله لي اذا في السماء مصعدا ولا في الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحيي الحكمان ما احيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان في شيء من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما براء وقال علي للحكمين حين اكره على امرهما وورد الاشتر وكان قد اشرف في ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا في علي وانه لم يرد مسلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على علي

على ان تحكما في كتاب الله وكتاب الله كله لي فان لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل

ومنها لعمرك ما يجدى النعيم اذا نات * وجوههم عنى ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل اطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب
فقلت اجبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم ارغب بصمتى من مريح * اذا ما لم يفد فيه الخطاب

وقال ابو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله

اذا شئت ان يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذى يديه فى الهزل والجد
وان كنت من اخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد
الى ان يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى اهل الاندلس جملة فنقول ام ابو الحجاج المنصفى ان يكتب على قبره

قالت لى النفس اتاك الردى * وانت فى بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أو جلستا للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وانشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم ففرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حيوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللماى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحنى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدر بن فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر ثم خرج الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمى وهو أخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث و بين أناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله وقال عروة بن أدية أتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة ابن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى أبيات

عرو يا عرو كل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمى و يعظم الخطب فيها * فاحذرن غب ما أتيت عريه
أعلى الاشعث المعصب بالتاج * حملت السلاح يا ابن اديه
انها فتنة كفتنة ذى العجل * ياعروة العصا والعصيه

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجع تماما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

وقال أبو الحسن اللورقي

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندي ويحمدني عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قواد المأمون بن ذي النون

نفضت كفي من الدنيا وقلت لها * اليك عني فما في الحق أغتبن
من كسر بيتي لي روض ومن كتبي * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدري به ما جرى في الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابي سوى موتي ويدفنني * قوم وما لهم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمار

ولي صاحب أحنو عليه وانه * ليوجعني حينا فلا أتوجع
أقيم مكاني ما جفاني وربما * يسائلني الرجعى فلا أتمنع
كأني في كفيه غصن أراكة * تميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

نبا القلب عن الاحباب منصرف * يهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل المسجل فيه الشخص تبصره * حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم ففطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابدأ بحقه * فمن خنصري كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضي أبو موسى بن عمران

ما للتجارب من مدى * والمرء منها في ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا * من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما * ل كالحسام بلا اعتماد
شرف الفتى بنضاره * ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر * قد بيع في سوق الكساد

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي

اياك من زلل اللسان فانما * عقل الفتى في لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها في وردة ثم دفعها

الى

فانظر اليوم ما يقول علي واتبعه فذلك خير البريه وقد تنوزع في مقدار من قتل من اهل الشام والعراق بصفين فذكر احمد بن الدورقي عن يحيى بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة ايام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من اهل الشام تسعون الفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل في هذا الباب وهو خمسون ومائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك واهل العراق كانوا في عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم ابن عدي الطائي وغيره مثل الشرقي بن القطامي وابي مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من اهل الشام خمسة واربعون الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب

الى والى صاعد وقال قولا فأبهمت دوننا ابواب القول فدخل الزبير وكان اميا لا يذكر من الكلام الا ما علق بنفسه فى المجالس وينفذ مع هذا فى المطولات من الاشعار فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون روية

ما للاديبين قد اعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كمقلة تطرف فى وجنه

وقال ابو محمد بن حزم فى طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كانى وهى والكاس والخمر والدجا * حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا اغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام ابى عامر هذا لا يخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر
كشعذة من حجر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور تضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم وردنا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا
فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب مفتقدا
يبدو القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى
ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ماوصفنا وسمعت امراة بصفين وقد قتل لها ثلاثة اولاد وهى تقول

اعينى جودا بدمع سرب * على فتية من خيار العرب
وماضرهم غير حين النفوس * باى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر على بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش أهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده. ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا

وبعضهم في شكل يرمى الماء مجوفا مثل الحباء وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الا اناقح فكرطب حاذق

لعبت به أيدى الصبا فكأنها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة في ماء

ولم أر فيما تشتهي العين منظرا * كتفاحة في بركة بقرار

يفيض عليها ماؤها فكأنها * بقية خد في اخضرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح في دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم

بروقك منها ان تأملت نحوها * زئير أسود والتفاف أراقم

تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها في الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكأنه * دون السماء دخان عود أخضر

والطل مثل برادة من فضة * منثورة في تربة من عنبر

والشمس احيانا تلوح كأنها * أمة تعرض نفسها للمشترى

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

لله دولاب يفيض بسلسل * في روضة قد اينعت افنانا

قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا

فكأنه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسال فيه عمن بانا

ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفتحت اضلاعه اجفانا

وقال ابن ابى الخصال

ووردجنى طالعتنا خدوده * ببشر ونشر يبعثان على السكر

وحف ترنجان به فكأنه * خدود العذارى في مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كأنها كرة من احمر الذهب

اوجذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجي

ومياسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها حلى حمرا واردية خضرا

يذوب بها ريق الغمامة فضة * و يجمد في اعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة ايضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعيني في غيرها مذهبا

فطورا ارى ذهبا مضرما * وطورا ارى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح في السرو

اياسرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يدعن اعطافك الخضر النضر

وهب بن جابر بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا في وصف التنازع في ذلك وبعث على بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى في أربعمائة رجل فيهم ابو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن السمة في اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس أبوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة فقد

فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما * تلف على الخطى راياته الخضر

وقال ابو اسحق الخولانى

نيلوفر شكله كشكلى * يعوم فى ابحر الدموع
قد البست عطفه درعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذلونه كلونى * من فوق فضفاضة هموع
مثل مسامير مذهبات * فى حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات ارت من حسنها بدعا * ولم يزل عصرها ولا نرى بدعه
شبيهة بالثريا فى تألقها * وفى تألقها تلتاح ملتمعه
هامت بيمناه تبغى أن تقبلها * واستشرفت تجتلى مرآه مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا * على البدار فوافت وهى مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير أبى يحيى زكريا

وقال حازم

لانور يعدل نور اللوز فى أنق * وبهجة عند ذى عدل وانصاف
نظام زهر يظل الدر منتثرا * عليه من كل هامى القطر وكاف
بينا ترى وهى أصداف لدرحيا * بيض غدت دررا فى خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير فى رمانة

وساكنة فى ظلال الغصون * بروض يروقك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ * غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد * تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادى آشى

ورمانة قد فض عنها ختامها * حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب * وناولنى منها شبيه لثاته

وقال بعضهم فى القراسيا ويقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل اشطانه * رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق * وما اسود منه عيون المها

وقال بعضهم

وأين معاهد الحسن فيها * وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها * لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها * ومن بطحائها فى مطلعين
وأغيد يرتعى من تلعتيها * ومن ثمر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة يمينا * عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه * ومن زهراتها فى حلتين

حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال يا أبا عبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأخذ الحد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم انت يا عمرو فقال عمرو وما كنت لافعل واقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فحمد الله ابو موسى واثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام اولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا

وراح أصيله مابين نهر * ودولاب يدور بمستعين
بنهر كالسماء يجول فيه * سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت * عليه كل غصن كالرديني
ملاعب فى غرامى عند ذكرى * صباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ

ياحرقة البين كويت الحشا * حتى أذبت القلب فى أضلعه
اذ كيت فيه النار حتى غدا * ينساب ذاك الذوب من مدمعه
ياسؤل هذا القلب حتى متى * تؤسى برشف الريق من منبعه
فان فى الشهد شفاء الورى * لاسيما ان مص من مكرعه
والله يدنى منكم عاجلا * و يبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو على ابن موسى بن على بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصارى الجيانى نزيل فاس وولى خطابتها ولم ينظم أحد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفى عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتى أيضا زيادة على الجميع فنقول قال فى بدائع البدائه ماصورته روى عبد الجبار بن حمديس الصقلى قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر لنا نزهة بوادى اشبيلية فأقمنا فيه يوما فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا * حاكت الريح من الماء زرد * فأجازه كل منهم بما تيسر له فقال لى أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت ياأبا محمد فأعدت القسيم له فقال * أى درع لقتال لو جمد * انتهى وقد ذكرنا فى هذا الكتاب مايخالف هذا فليراجع فى محله ثم قال صاحب بدائع البدائه بعد ماسبق ماصورته وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أى در لنحور لو جمد

فتناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ماجمد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد دام جموده فيصح و ينعقد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجيا فذابت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلودام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على التونسى الايادى من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى

عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به اولا دون ابى موسى لما اراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع راينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدا بعمرو فقال له عمرو لا أم لك اتقدمنى قبله كانك جاهل بحقه فبدا باسم عبد الله ابن قيس و كتب تقاضيا على انهما يشهدان أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذى عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان عثمان ولى هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعرى ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما

لوانه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال على بن ظافر وأخبرنى من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية فى جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ فى المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت و برزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت فى يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز * كأنها فوق العصا * فقال * هامة زنجى عصى * فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال على بن ظافر وأخبرنى أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا ان الوزير ابا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستقره عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن جامع هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته والنيل قد جر على يديه ذيلا وأعادنهارهما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين زند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستعجاله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه وبلغنى أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال * لحم سباط الخرفان مهزول * فقال

* يقول للمفلسين مه زولوا * انتهى ولما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم * الشعر خطة خسف * أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال

لكل طالب عرف للشيخ * وللفتى طرف ظرف وذكر ابن بسام فى الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا ما فى هذا الكتاب وقال ابن الغليظ المالقى قلت يوما للاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز

شمر بنا على ماء كأن خريره * فقال بديها * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا بكثيب بالفه * فانى مشغوف به وكئيب

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتى بالمرية فنظر الى وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذى لاح لك * فقال ابن القابلة * فى وسط اللجة تحت الحلك *

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلى الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر ابن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن برد و أبو بكر المروانى وابن الخياط والطبنى فحضروا اليه فسألهم عنى وقال وجهوا اليه فوافانى رسوله مع دابة بسرج حلى ثقيل فسرت اليه ودخلت

عمرو فهل تعلم لعثمان وليا اولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو افليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره ابو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا أمر قد حدث فى الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به امة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابدا وان اهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمرو وكان عبد الله بن عمر على بيت ابى موسى قال عمرو ايفعل ذلك عبد الله بن عمر قال ابو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل ما مال اليه ابو موسى فصوبه وقال له هل لك فى سعد قال له ابو موسى لا فعدد له عمرو جماعة وابو موسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا وقال عمرو ارايت ان رضى اهل العراق بعبد الله ابن عمر وابى اهل الشام ايقاتل اهل الشام قال ابو موسى لا قال عمرو فان رضى اهل الشام وابى

المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولي وقاموا جميعا الي حتى طلع ابو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا اسحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن في أنفه نعرة لاتخرج الا بسعوط الكلام ولاتراض الا بمستحصد النظام ورأيت أصحابي يصيخون الى ترنمه فقال لي ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالبا في المحافل ما يسوء الي ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت اني المراد فاستنشدته فأنشد * مرض الجفون ولثغة في المنطق * فقلت لمن حضر لاتجهدوا أنفسكم فالمراد غيري ثم أخذت الدواة فكتبت * سبحان جراعشق من لم يعشق *

من لي بألثغ لايزال حديثه * يذكي على الاحشاء جمرة محرق
ينبي فينبو في الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقي
لاينعش الالفاظ من عثراتها * ولو انها كتبت له في مهرق

ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا علي وأخبروني أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألوني أن أحمل مكاوي الهجاء على حتاره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الخط حلو الخطابه
تمنى لأثغما وتحاوما * يليق تمنيه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياة * ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جرى لين * فأحدث في العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الداني في كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع قسيما في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي * ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما في حسنه متناهي *

ومن اغتدى سكنا لمثل محمد * قد [illegible] عن الاشباه
لازال يبلغ فيهما ما شاءه * ود[illegible] من [illegible] الخطوب دواهي

وخرج القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن القاسم بن [illegible] احد رؤساء المغرب الاوسط في جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضي أبو الحسن معاتباله * وشاعر أثقل من جسمه * ثم استجاز ابن سوار فقال * تأتي معانيه على حكمه *

يهجو ولا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدي على ظلمه
لسانه في هجوه حية * منية الحية في سمه
يصيب سم المرء في رميه * كأنما العالم في علمه
أما أبو موسى ففي كفه * عصا ابنه والسحر في نظمه

وفي المقتبس في تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقه خيال جارية طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظايا عنده وأرفعهن لديه لايزال كلفا بها

فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلف فقال ابو موسى بل أنت قم فاخطب فانت أحق بذلك قال عمرو ما احب ان أتقدمك وما قولي وقولك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس انا قد نظرنا في امرنا فراينا اقرب ما يحضرنا من الامن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان أباموسى عبد الله ابن قيس خلع عليا وأخرجه من هذا الامر الذي يطلب وهو أعلم به الا واني خلعت عليا معه وأثبت معاوية علي وعليكم وان أباموسى قد كتب في الصحيفة أن عثمان

هاءً عاجها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة الساري * في الليل لم يدر به الداري

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خيالي ظلام الدجا * أحبب به من زائر ساري

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيما وهو * نرى الشئ مما يتقى فنهابه * ثم ارتج عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالي وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال

وما لا نرى مما يقي الله اكثر * فاستحسنه وأجازه وحمله استحسانه على أن استوزره وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزل الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم بن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذاك كنى أبوته فؤادي * وذا حلى أقلده المعالي

شغلت بذا الظلاخلدي ونفسي * ولكني بذاك رخي بال

دفعت الى يديه زمام ملكي * محلى بالصوارم والعوالي

فقام يقر رعيني في مضاء * ويسلك مسلكي في كل حال

فدم منا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفي قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها

بل تعاليت وتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام في الذخيرة انه غني يوما بين يدي العالي بالله الادريسي بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يحتال * أن غدت للحي أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي باجازته فقال بديها

انما العالي امام هدى * حليت في عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوي الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راجتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابي العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالي رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبي فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطالب بدم عثمان فقال أبو موسى كذب عمرو لم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودي رحمه الله) ووجدت في وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع علي ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو أبا موسى فقال ابو موسى اني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية فقال أبو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكز أبا

موسى فألقاه لجنبه فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول أبو موسى فاستوى على

عبيد الله بن قرناس بديهيا

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها شائلا
وزنالها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها اجيزه

وقالت خذى جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد فى بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا باذانه فقال ابن عمار يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلى أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بى حتى قنطت لخيبتى مع فرط تعبى وهممت بالنكوص على عقبى فانى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبة فنك وقال لى افتح الطاق التى تليك ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقدة تفتحهما تارة وتسدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى أجز

أنظرهما فى الظلام قد نجما فقلت كما رنا فى الدجنة الاسد
فقال يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ فى جفونه رمد
فقال فابتزه الدهر نور واحدة فقلت وهل نجا من صروفه احد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية والزمنى خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب ولكن ما هنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه وذكر صاحب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس ان أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس فى جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعنى أحد وزرائه فقال لا أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال اهجوه أنا وأنت ثم صنع

لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة فى طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله فى عصرنا * لى لحية أزرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذى * مأكله القرضيل والفول

على ما بقى ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفى فعل الحكمين يقول ابن ابن خريم بن فاتك الاسدى

لو كان للقوم رأى يعظمون به
عند الخطوب رموكم بابن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوى يمن
لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفى اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالله ربا والنبى وبالذكر
وبالاصلع الهادى على امامنا
رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه
امام الهدى فى موقف النهى والامر

ولابى موسى يقول ابن عباس

أبا موسى بليت وكنت شيخا
قريب العفو مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس
فيا لله من شيخ يمانى
فامسيت العشية ذا اعتذار
ضعيف الركن منكوب المنان
تعض الكف من ندم وماذا * يرد عليك عضك للبنان

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة لولا

لولاحيائي من امام الهدى * نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعني تمام البيت كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابها قله على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال اب يامولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولوا اسم للاست بها فكأنه قال لولا حيائي من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذ كراسته *وقال ابن ظافر اخبرني من اثق به قال اجتمع الوزير ابو بكر ابن القبطرنة والاستاذ ابو العباس بن صارة في يوم جلا الذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتر افدا في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوّار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجوّ فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

فمن اجل عزة ذا وذلة هذه * تبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال ابو بكر محمد بن الزبيدي النحوي صاحب الشرطة يخاطب الوزير ابا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح

قل للوزير السني محتده * لي ذمة منك انت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاولين باهظها
يقر لي عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة * لو كان يثني النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لاتدعن حاجتي مطرحة * فان نفسي قد فاظ فائظها

فاجابه المصحفي

خفض فواقا فانت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد * ابناؤها كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة * مالم يعوّل عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * اقر بالعجز عنك جاحظها
علم ثني العالمين عنك كما * ثني عن الشمس من يلاحظها
وقد اتتني فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها

يخطبا وذلك ان عمرا قال لابي موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو قد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمي لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبي سفيان قال لا والله ماهو لذلك باهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو بن العاص قال فلما قالها علم ابو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيئك اذ كانت لي اليك حاجة فاما اذ كانت الحاجة الينا فانت أحق أن تأتينا فعلم معاوية ماقد وقع اليه فدبر الرأى وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله فقال اني سأغدو الى هذا فاذا دعوته فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا ان يدخل أحد منهم الا أن آمركم فغدا اليه معاوية وعمرو جالس

فأوضحها تفز بنادرة * قد بهظ الاولين باهظها

فاجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك

اتاني كتاب من كريم مكرم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الاولياء وروده * وسيء رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذي قد اضاعه * لدى سواه والكريم حفيظ
وباحثت عن فاظت وقبلي قالها * رجال لديهم في العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبي الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوا ولكن الصديق يغيظ
فلا رحم الرحمن روحك حية * ولاهي في الارواح حين تفيظ

قلت وفي خطاب الوزير بهذا البيت وان حكي عن قائله مالا يخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت في خلال الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدي المذكور الى أبي مسلم بن فهد

أبا مسلم ان الفتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليست ثياب المرء تغني قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسي

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

ويحك ياسلم لاتراعي * لابد للبين من زماع
لاتحسبيني صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ماخلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
مابينها والحمام فرق * لولا المناحات والنواعي
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت بسبتة قتب النوى * والقلب يرجو أن تحول حاله
والجو مصقول الاديم كأنما * يبدي الخفي من الامور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة مكنسا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل في المرآة تبصره وقد * قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسي صداق املاك وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد

كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد يضعها فيمن يرى و يندب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذي بيني و بينه عليه خاتمي وخاتمه وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوما فأخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجال لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطاني أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال أما والله شيء يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجيء بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم ثم قال له عمرو وادع أنت أصحابك قال نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذي وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اي والله بيني و بينك امران اختر ايهما شئت البيعة لي أو اقتلك ليس والله غيرهما

بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يجد سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب فى ورقة أبو أمية بالباب ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نوّن تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل فى غير العلم * (ومن حكايات أهل الاندلس فى العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلى البطليوسى ثم ان النحلى سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أباد ابن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسى ما قاله حتى حل بالمرية فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال النحلى يا مولاى ما عندكم فى المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك فى قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلى وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل منك فى حق من هو فى نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلى ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضنى بعده العالم

وكانت مرية جنة * فخنت كما خانه آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد دياره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال فى بلنسية أبو عبد الله الرصافى وقد خرج منها صغيرا

بلادى التى ريشت قويدمتى بها * فريخا وآوتنى قرارتها وكرا

مهادى ولين العيش فى ريق الصبا * أبى الله أن أنسى اعتيادى بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشى

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه

سيفنى كل ذى شبح ونفس * وتلحق النهاية بالبدايه

وينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه

كأن مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه

فقل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسى وهو من رجال الذخيرة

أمطيت عزمك منه متن سابحة * خلت الحباب على لباتها لببا

تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجيلى النحوى

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس

قال عمرو فاذن لغلامى وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه قال لا تراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ما قلت لك قال فأولنى اذا مصر قال هى لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن أبايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه أهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبى موسى وعمرو قال انى كنت تقدمت اليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها فأبيتم الا عصيانى فكيف رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله انى لاعرف من حملكم على خلافى والترك لامرى ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بنى خثعم

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه الا ان هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا

اذا سلمت نفسي وديني منهم * فحسبي أن العرض مني لم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قدنويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدى الغمام عقودها
وسقت بماء الورد والـ * ـمسك الفتيت صعيدها
والطير تشدو فى الغصو * ن المائدات قصيدها
وتعير سمع المستعـ * ـير نظيمها ونشيدها

وكان فى دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدى وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لى الورد وقد لا * حظته فى روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاى الذى قد * كنت تهديني اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فاحمدها * بالبين قلبي وقبل البين قد ذهبا
ان كان لى أرب فى العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن تليد الكاتب

لم ارض بالذل وان قلا * والحر لا يحتمل الذلا
يارب خل كان لى خامل * صار الى العزة ماخلا
حرمت المسامى على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من يهواه تفاحة

بجمال العين فى ورد الخدود * يذكر طيب جنات الخلود
وأرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها نفحت المسك طيبا * فقالت لى بطيب أبى الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغرى

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * ينفك مرتحلا مادمت مرتحلا
وللفراق جوى لو لم أرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطى يهجو مراكش المحروسة

يا حضرة الملك ما اشهاك لى وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكلة من بذنجان ابن معيوب

فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير وأصبحوا فى عساكرهم ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا فى الحكمين وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ماذهبوا اليه فى ذلك فى كتاب المقالات وماقاله كل فريق منهم ومن ايد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة فى كتابنا فى المقالات فى اصول الديانات وذكرنا فى كتاب اخبار الزمان قول على فى مواقفه وخطبه وما قاله فى ذلك وما اكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين ألحوا فى تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمرو حيث قال الان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم اقرب الناس مما تكرهون انما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ فى مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام أبى موسى فى تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن امير المؤمنين على فى حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ماقاله فى بعض

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر يزعم الناس انه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده وصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيأ فافكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها حلول الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا لذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابن بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتى فنظرا الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذى لاح لك فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
مفضض الثغر له شامة * مسكية فى خده المذهب
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع فى بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا * تحمل نارية الحميا
درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب ريا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخلتها أرسلت رجوما
كانما الافق غار لما * بدت فاغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تريك لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدى وأنا أسير بقيجاطة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والظرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين ابن الضحاك

فى خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت أيديهم وهل فيهم أشد مراسا لها منى لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين وها أنا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودى واذ قد تقدم ذكرنا الجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا فى هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا والله أعلم

(ذكر حروبه رضى الله عنه مع أهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك)

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين ألفا وأتاه من البصرة من

ما كان أحوجني يوما الى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رجعت ولم أظفر بمهجته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بيني وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل في باق من الغلس
في كفه قهوة يسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بتكته * وقد ورويت من الصهباء كالقبس
فلاهنئت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا ألذ وأشهى من منى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن نيق فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يردد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة منسوبة القبس
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حمدت اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا أسلت لقبر المصطفى مقلا * تبكي عليه بهامي الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك الي وحل قيودي واخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينهي في خمسة الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوله لي تأنيسا وتسلية * هذا الاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جئت ولم أقبل مقالته * وأمتطي الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس المجد من عنقي * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أماني التي طمعت * نفسي اليها واحسان الكل مسي

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أوداته في يوم عيد فطر

أ كل ذا الاجمال في ذا الجمال * لله أستحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالبر رقي أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والده خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل ما بي * أفديك من ممرض طبيب
أصميت لما رميت قلبي * بسهم الحاظك المصيب

قيل ابن عباس وكان عامله في سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتأمت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قد طالما سعوا في اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الآن رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا فابوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدي رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى علي ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بايعناك وان ابيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما فانا منك برآء فبعث اليهم على أن ابعثوا الي بقتلة اخواني فأقتلهم ثم أتارككم الى ان افرغ من قتال اهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون وجيشي

وجنتــي منكر السقمى * وتلك من عادة الحبيب
ياساعــة قـد غفرت فيهـا * ماكان للدهر من ذنوب
ما كان في فضــلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبوزيد بن أبي العافية أباعبدالله بن العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت

وكيف يفيق ذوصبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحوله ولصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبدالله المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بجربه وكان أبوزيد أصابه جرب كثير

أجل يانافث السحر الحلال * أتاني منك نظم كاللآلي
يروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدغ آخرا لدغ الصلال
تعرّض فيه أنك ذومطال * حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا * ولم تعــرف بتجربة الليالي
أأنسيت التجارب اذ تجاري * بهن الجرب يا أمع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيــه جراب مال
وجرب جار بيتك واختبره * وجربه له ان كان قالي
وجار بنيك لا تستحي منه * ومن تجار بابك لا تبالي
وأجرب الك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجري بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبو البس الجوارب والنعال
تجارا باعــة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغــير مال
اذا سمعوا بتمر في جريب * جروا بسطالة التمر البوالي
اذا جربت هذا الخلق أبدى * لك التجريب أجربة خوالي
ترى بالنجع دهرا جرّ بؤسا * عليك وجار بالنوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام مسجد قرية فاخطأ في قراءته وسها في صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

يا جاحدي الصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثاني كتب تحته

أغض عنها حياء * من المهيمن طرفي

فلما خرج الثالث كتب تحته

وليس تقبل منا * لو أنهـا ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف في أحدب أخذ مع صبي في خلوة فضرب باوطيف بهما والاحدب على عنق الصبي

رأيت اليوم محمـولا * وأعجب منه من حمله
جمال الناس تحملهم * وهــذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسي

طبرستان في هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال علي والله ماعبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار علي فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف حتى أتي برجل قتيل متشحط بدمه فقال علي الله أكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب علي فخرج فيهم وجعل يغشي كل ناحية ويقول

أضر بهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابى العباس بن نصال يذكره بحاله

ياغارسا لى ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك
أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها ببالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبى مستنجزا وعدا

أباعبد الاله وعدت وعدا * فانجز تربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يعدو * من الاحسان رونقة الصقيلا
اذا كان الجميل يجئ طبعا * فانى أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هذيل الفزارى للغنى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يامولاى لى من جابر * اذ غدا قلبى من البلوى جذاذا
غير صلك أحمر تكتب لى * فيه يمناك اعتناء صح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجالس معه و ينادمه يوم سبت

وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

وقال أبو حيان

و يعجبنى رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك * وورد الرياض وكاس المدام

وكتب أحد الادباء بمرسية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه بأبيات فى غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ماللمحب لدى غير صبابة * تقضى عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واسترح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شرداء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجا ليلتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرنى اسمه الآن

اذا مال ذوود بود صديقه * فيا أيها الخل المصاحب لى صل بى
فانى مثل الماء لينا لصاحبى * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبى

يا أيهذا المبتغى عليا
وحمل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول
أضربهم ولو أرى أبا حسن
ألبسته بصارمى ثوب غبن
فخرج اليه على وهو يقول
يا أيهذا المبتغى أبا حسن
اليك فانظر أينا يلقى الغبن
وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف على وهو يقول
لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره
وحمل أبو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله ابن وهب الذى قتل هانئ ابن حاطب الازدى وزياد ابن حفصة وقتل حرقوص ابن زهير السعدى وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى على على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وأمر على بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا افرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال على رضى الله عنه الله أكبر
ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات

وخائط رائع جمالا * وصاله غاية اقتراحى
تنعم منه الخيوط فتلا * بين اقاح و بين راح
تراه فى السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته اشبهت فؤادى * لكثرة الوخز فى النواحى
تقطع الثوب راحتاه * كصنع الحائط الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * ممزقا بردة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولى البلنسى

غصبت الثريا فى البعاد مكانها * وأودعت فى عينى صادق نوئها
وفى كل حال لم تزالى بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابى جعفر البتى اليعمرى وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفى المسمى بهداية المعتسف فى المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولى المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى وقال أبو العباس القيجاطى فيما أنشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

وقال ابو محمد بن الخباز المعافرى البلنسى

اقول وقد خوفونى القران * وماهو من شره كائن
ذنوبى اخاف واما القران * فانى من شره آمن

وابوه ابو احمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه فى غير هذا الموضع وقال ابو العباس

وبين ضلوعى للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضى على ولا أقضى
جنى ناظرى منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل ابو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه ابو عبد الله الشاطبى وابو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار فى مآخذ النظار فقال ابن قوشترة

عابوه بالزرق الذى بجفونه * والماء ازرق والسنان كذالكا

فقال الشاطبى

والماء يهدى للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال ابو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذاك فى اجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسروانى رحمهم الله تعالى وسامحهم وكتب الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسى النحوى عند قول الحريرى يرى أمثالى أن يعز زابثالث مانصه قد جيء لهما بثالث ورابع فى قافيتهما

سودا اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وأنفس السوء فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذى نفسى بيده انهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء لاتخرج خارجة الاخرجت بعدها امثالها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاسمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع على ما كان فى عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهاليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذى كله بهذا الاشعث بن قيس

فعسكر على بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الانفر يسير ومضى الحرث بن

وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة اللكعاء بين الورى * كسلم حراني ملامه
فمه اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملا منها فمه

ثم قال و بخامس وسادس

انقد مهوى أزره فانثني * مه يا عذولي في الذي انقدمه
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللفظ تأمن دمه

انتهى

قلت رأيت في المغرب في هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتي الحريري رحمه الله تعالى وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر في أبي بكر والد الوزير أبي الوليد بن زيدون

أي ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى * كي يوافوا به ثراه الاريضا
مثل حمل السحاب ماء طبيبا * لتداوي به مكانا مريضا

وكان المذكور توفي في ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن في الربض سنة ٤٠٥ وولد سنة ٣٠٤ وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدي بالشباب وحسن قدي * حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأني * أفتش في التراب على شبابي

وقال

يارب يوم زارني فيه من * أطلع من غرته كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة * ينشع من خديه ماء الصبا
قلت له هب لي بها قبلة * فقال لي مبتسما مرحبا
فذقت شيأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدني الله باسعاده * يا شقوتي يا شقوتي لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام مليح النثر مبرزا في نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه و بلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا حجره الله عمن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح في حقه مبرز في البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس و كساه ملابس فامتطى أسمى الرتب وتبوأها ونال أسنى الخطط وما تملأها وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره و يعرف كيف أساء له الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالي السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الا على الاكتاف

والماذي العسل والنطاف جمع النطفة وهي الماء الصافي قل أو كثر وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب الافعال في اللغة والغريب في زمن الربيع

ضحك الثرى و بدا لك استبشاره * فاخضر شاربه وطر عذاره

راشد الناجي في ثلثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤي عند أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤي ما أعقب وقد حكي عن علي فيهم ما قد ذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن علي من ذلك ما ظهر عن علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره واخباره في الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام انه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياي عليا فسرح عليهم علي معقل ابن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبي عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبي القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى من المال مائتي ألف وهرب الى معاوية فقال علي قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشيء وانفذ العتق وفي ذلك

ودنت

ودنت حدائقه وزر زربته * وتعطرت أنواره وثماره

واهتز ذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره

وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال في المطمح في حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وثنية كلها شرف وهو أحد المجتهدين في الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمنتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى وقال القاضي الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحسه اذ قيل جد نحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم

فعادوا قميصا في فراش فلم يجد * ولا لمسواشيا يدل على جسم

طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال في المطمح فيه انه قاضي الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز في النساك والزهاد دائم الارق في التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحيز الى فئة الورع وأهله وله تآليف في التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين وأشعار في هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمي لنفسي * وأوحشني العباد وأنت أنسي

قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتي في قعر رمسي

وللعظمى من الحاجات عندي * قصدت وأنت تعلم سر نفسي

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبي محمد والده بالكون في صحبته ومسايرته في غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجده فقال له الحكم ان ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفي المستنصر اذ ذاك انتهى وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

قال في المطمح الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن سيده امام في اللغة والعربية وهمام في الفئة الادبية وله في ذلك أوضاع لافهام اخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا واعاد طرف الذكاء بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانية وبها ادرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغة ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب واحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب لحيات مساورة ففر الى بعض الاعمال المجاورة وكتب اليه منها مستعطفا

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

فتنضي هموم طلحته خطوبها * ولا غاربا يبقين منه ولا متنا

يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات ترکت نساء الحي بكر بن وائل * واعتقت سبيا من لؤي بن غالب

وفارقت خير الناس بعد محمد * لمال قليل لا محالة ذاهب

وفي ذلك يقول الآخر

ومصقلة الذي قد باع بيعا * ربيحا يوم ناجية بن سام

ولمصقلة أفعال أتاها وحيل عملها قد ذكرناها وما قال في ذلك من الشعر في الكتاب الاوسط وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى الى سامة بن لؤي بن غالب بن محمد

أسامة منا فاما بنوه * فامرهم عندنا مظلم

اناس أتونا بانسابهم * خرافة مضطجع يحلم

وقلنا لهم مثل قول الوصي * وكل أقاويله محكم

اذا ما سئلت فلم تدر ما * تقول فقل ربنا أعلم

وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر في أربعة آلاف ومعه معاوية بن حديج وابو الاعور السلمي واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر وكان عامل علي عليها بالموضع المعروف بالمسناة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فأحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه

غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك انى محلا * عن الورد لا عنه اذادولا أدنى
تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمرى أما أذون لعبدك أن يعنى
وان تتأكد فى دمى لك نية * فأنى بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا * فقدما غدا من بردنعماكم سخنا
وهل هى الا ساعة ثم بعدها * ستقرع ما عمرت من ندم سنا
ومالى من دهرى حياة الذها * فتجعلها نعمى على وتمتنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا مارضيت به عنا

وقال الفقيه ابو محمد غانم بن الوليد الاندلسى المخزومى المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر اولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال فى المطمح فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ مجرد وامام لاهل الاندلس مجود وأما الادب فكان حل شرعته وهو رأس بغيته مع فضل وحسن طريقه وجد فى جميع الامور وحقيقه انتهى وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله فى كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك مالا حظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
الم تر أن العمر يمضى موليا * فجدته تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة * وننشر اعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها ولست بآيس * وربى أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربى غافرا ذنب من يشا * فانى لا ادرى أأكرم أم أخزى

وقال فى المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذى التاحت به معالمها صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد فى تصحيح السقيم وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم مع معلنات العلل وارها فى ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتثقيف وشرح المقفل

من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه فى جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شئ من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان اى الطعام والشراب احب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من امره وشانه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض أصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة

واستدرك المغفل وله فنون هي للشريعة رتاج وفي مفرق الملة تاج اشتهرت للحديث طلبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمالا وصبا وشفت منه وصبا وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقة وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم تجد منه الا ما نفث به أنفة وأقصى فيه عن معرفة فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها تهلل أسرة فاقام بها حتى أخلقه مقامه واطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعاقا بعدما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا لاءمته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمري مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبي الدودس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ما غدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال في المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يحط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر في بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمد به يدا أخبرني من دخل عليه بالمرية فرآه في غاية الاملاق وهو في ثياب أخلاق وقد توارى في منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه في ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بغيض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فأتى ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى

*وقال الفقيه القاضي الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أهله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمر له ربع ادكا * رك في العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول ايام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين الترائب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فضعوه في اكفانه * ودعوه يجنى ما جناه
وتمتعوا بمتاعه * المخزون واحووا ما حواه

أرزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من أصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رابع فوالله ما أنا لكم بخازن وكان في عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية في بقية أعمال علي يبعث سرايا تغير وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودي رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء في الحوادج وغيرهم من فعل علي يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا أجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون

يامنظراً مستبشراً * بلغ الكتاب به مداه
القيت فيه بشارة * تشفي فؤادي من جواه
ولقيت بعدك خيرمن * تساهر بي واجتباه
في دار خفض ما اشتهت * نفس المقيم بها اتاه

وقال في المطمع انه كهل الطريقة وفتى الحقيقة تدرع الصيانة وبرع في الورع والديانة وتماسك عن الدنيا عفافا وما تماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهى وتنقل في مراتبها حتى استقر فيها في السها وعطل ايام الشباب ومطل فيها سعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى عن ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف في شتى من الفنون وتقدم في معرفة المفروض والمسنون وأما الادب فلم يجاره في ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولاحد وجده أبو الحجاج الاعلم هو خلده منه ما خلد ومنه تقلد ما تقلد وقد أثبت لابي الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فمن ذلك ما كتب به الي وقد مررت على شنت مرية بعد ما رحل عنها وانتقل واعتقل من نوانا و بيننا ما اعتقل وشنت مرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطينا ذكر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامني على الاقامة وسامني على ذلك بكل كرامة فأبيت الا النوى وانثنيت عن الثوى فودعني ودفع الى تلك القطعة حين شيعني

بشراي أطلعت السعود على * آفاق أنسي بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنى * فكست بسائطها به حللا
ايه أبا نصر وكم زمن * قصرادكارك عندي الأملا
هل تذكرن والعهد يجعلني * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعثر في أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنفا * ونحل شمس مرادنا الحملا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا لنا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ماتم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت * الا لتمحق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستشرفا متطلعا يرتاد موضعا يقيم به لثغور الانس مرتشفا ولثديه مرتضعا فحين مقلني تقلدني اليه واعتقلني وملنا الى روضة قد سندس الربيع في بساطها ودبج الزهر دانك أوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس أخبار ونتهادى أحاديث جهابذة واحبار الى أن نزع نزان العشي وأذهب الانس خوف العالم الوحشي فقمت وقام وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام وقال

الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسني لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ماليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وماذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

(ذكر قتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه)

وفي سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وماهم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لاينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عداده في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وزادويه مولى بني العنبر فقال ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية

وعشية كالسيف الاحذه * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض الجود نجوما
وتساقطت فكأنّ مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمي الرياح لها نثير أزاهر * فتمده في شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعة وبرع في صفته أعظم براعة

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره أن كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهري

وله عندما شارف الكهولة واستأنف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بناني
فأطعت نصاحي ورب نصيحة * جاؤا بها فلججت في العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتي * مرحا وأعثر في فضول عناني
وأجل كاسي أن ترى موضوعة * فعلى يدي أو في يدي ندماني
أيام أحيا بالغواني والغنا * وأموت بين الراح والريحان
في فتية فرضوا اتصال هواهم * فناهم دن من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهي النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يبل * في غيه بصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سليم الاديم كريم القديم كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا وهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال * وله يصف سرجا برقة جياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب مابين القادمة والآخر كأنما قد من الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه * وله في وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثريا السماء فكله نكال وسائره جمال * وله في وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ ينوب كلما استنيبت ويصيب * وله في وصف قميص كافوري الاديم بابلي الرسوم تباشر منه الجسوم اما باشر الروض من النسيم * وله في وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعتماله أو ركب استقل به أخواله * وله في وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار * وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندي المعروف بالرمادي

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدي في التراب خضوعا

وقال زادويه أنا أقتل عمرو بن العاص واتعدوا ان يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي الى علي فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجمل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمي لي قال لا تسأليني شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل علي فقال ماسألت هو لك مهرا الا قتل علي فلا أراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان أصبته شفيت نفسي ونفعك العيش معي وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بي الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد أعطيتك ماسألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من علي وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة فقال وماذا قال تساعدني على قتل علي قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ ادا قد عرفت غناءه في

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن على برده مصدوعا
العبد قد يعصي وأحلف انني * ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاي يحيي في حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما * يحل من جسمي يكون دموعا

والرمادي المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحدا آبائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب وهو قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي و يوسف بن هرون على ان في كون المتنبي من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان توفي الرمادي سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعد في المغرب ان الرمادي اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لا تلمني على الوقوف بدار * اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادي عن أبي علي كتاب النوادر ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا اليه في غير هذا الموضع وقال في المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفي كلتاهما بالبديع يعل و ينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين وابداعه في الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده ومامنهما الا من اقتدح في الاحسان زنده وتمادي بأبي عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه ونديمه وهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته و بعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يجب لك سرده ولا يمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس في هوادجهم * لولا تلألؤها في ليلهن عشوا
شكت محاسنها عيني وقد غدرت * لانها بضمير القلب تنخمش
شعر ووجه تبارى في اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت في سقمي منها الى فرشي * منها تنكست الا الطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصراني استسهل لباس زناره والخلود معه في ناره وخلع بروده لمسوحه وتشرع من صبيحه و راح في بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما واخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد وكان علي يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو في المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدي فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به

أدرها

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمى وكاسى
فيقضى ما أمرت به اجتلابا * لسرورى وزاد خضوع راسى

وله فى مثله

ورأيت فوق النحر در * عافاقعا من زعفران
فزجرته لوناسقا * مى بالنوى والزجشانى
يامن نأى عنى كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقدين ولا أراه ولا يرانى
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دا لا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس بانصير وهات * ان هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها * فى صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يا نصير انا اجتمعنا * بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو * نشرب الراح ثم انت مواتى
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهو واعتمد نا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه ذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سددا اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فحبسه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألغى موجدته عليه وله فى السجن اشعار صرح فيها ببثه وأفصح فيها عن جل الخطب لمقد صبره ونكثه فمن ذلك قوله

لك الامن من شجو يزيد تشوقى ومنها

فواقوا بنا الزهراء فى حال خالع الأئمة لاستيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب أتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو ان فى عينى الحمام كروضها * وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندى بمخنق
أعينى ان كانت لدمعى فضلة * تثبت صبرى ساعة فتدفقى
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعى أم من البحر تستقى

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بمقلتى * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار فى مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت ستلتقى
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمى السحاب وتذرف * ومن جزعى تبكى الحمام وتهتف

عليه عبد الله بن بحره وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبد الله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من فى الدار فقال على ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضى الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه فى آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسالونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا انهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذ كما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ابن

الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن على برده مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف انني * ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاي يحيى في حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما * يحل من جسمي يكون دموعا

والرمادي المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحدا بائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب وهو قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي و يوسف بن هرون على ان في كون المتنبي من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان توفي الرمادي سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعيد في المغرب ان الرمادي اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لا تلمني على الوقوف بدار * اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادي عن أبي علي كتاب النوادر ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا اليه في غير هذا الموضع وقال في المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق و ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفي كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين وابداعه في الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده وما منهما الا من اقتدح في الاحسان زنده وتمادى بأبي عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه ونديمه وهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته و بعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ولا يمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس في هوادجهم * لولا تلألؤها في ليلهن عشوا
شككت محاسنها عيني وقد غدرت * لانها بضمير القلب تختمش
شعر ووجه تبارى في اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت في سقمي منها الى فرشي * منها تشكت الالطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصراني استسهل لباس زناره والخلود معه في ناره وخلع بروده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح في بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلتها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد وكان علي يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو في المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدي فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كما دتهم على وهمي وكاسي
فيقضي ما أمرت به اجتلابا * لسروري وزاد خضوع راسي

وله في مثله

ورأيت فوق النحر در * عافاقعا من زعفران
فزجرته لوناسقا * مى بالنوى والزجرشاني
يامن نأى عني كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعيني الفرقديـن ولا أراه ولا يراني
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤوب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دا لا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يانصير وهات * ان هذا النهار من حسناتي
بأبي غرة ترى الشخص فيها * في صفاء أصفى من المرآت
تتزحم الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج في عرفات
هاتها يانصير انا اجتمعنا * بقلوب في الدين مختلفات
انما نحن في مجالس لهو * نشرب الراح ثم انت مواتي
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهو واعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه من السيئات

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة وأهلها سدد اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فمحنه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألغى موجدته عليه وله في السجن اشعار صرح فيها ببثه وأفصح فيها عن جل الخطب لمقصد بره ونكثه فمن ذلك قوله

هل الا من من شجو يزيد تشوقي * ومنها

فوا أدوا بنا الزهراء في حال خالع الأعنة لا ستيفائهم في التوثق
وحولي من أهل التأدب مأتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو أن في عيني الحمام كروضها * وان كان في ألوانه غير مشفق
ونادى حمامي مهجتي لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندي بمخنق
أعيني ان كانت لدمعي فضلة * تثبت صبري ساعة فتدفقي
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعي أم من البحر تستقي

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لي بظن محقق
ولكنني فيما زجرت بمقلتي * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار في مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت ستلتقي
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقي

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمي السحاب وتذرف * ومن جزعي تبكي الحمام وتهتف

الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبدالله بن بحره وهو أحد بني أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبدالله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من في الدار فقال علي ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضي الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم انتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

كأن السحاب الواكفات غواسلي * وتلك على فقدي نوائح هتف
الاظعنت ليلى وبان قطينها * ولكنني باق فلوموا وعنفوا
وآنست في وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلي مدنف
واقرب عهد رشفة بلت الحشا * فعاد شتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها * من الردف في قيد الخلاخل ترسف

وله

قبلته قدام قسيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبي عند ذكري له * من فرط شوقي قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدي فيه مجال وفي نفس متأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها

جليسك عمن أتلف الحب قلبه * ويلذع قلبي حرقة دونها الجمر
هلال وفي غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرني السكر * ولا شك في أن العيون هي الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينتثر الدر
أنا عبده وهو المليك كما اسمه * فلي منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار وقال محمد بن هانئ

قد مررنا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجوادل سربا * عند اجراعها فلم نسل عنك
لا برع للهايذ كرك سرب * أشبهتك في الوصف ان لم تكنك
كن عذيري لقد رأيت معاجي * يوم تبكي بالجزع ولهى وأبكي
بحنين مرجع وتشك * وأنين مرجع كتشكي

وقال صاحب المطمح في حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ ذخر خطير وروض ادب مطير غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت ببدائعه الاشمس وباهت فحسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت به أكنافها وشمخت عليه آنافها وبرئت منه وزويت الخيرات فيها عنه لانه سلك مسلك المعري وتجرد من التدين وعري وأبدى الغلو وتعدى الحق المجلو فمقته الانفس وأزعجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر بن الاندلسيه مأوى تلك الجنسيه فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه وانتجع وبله ورب[ا]به وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فافرط في مدحه فيه في الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولا انثناه ذوورع وله بدائع يتحير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها اسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع في أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وما شاء منها اقتاد وقد أثبت له

أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فأكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما ذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتني فيهم ما شئت ان تبقيني ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقي على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار تنازع الناس في موضع قبره وما قيل في ذلك وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس في مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه فكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة

ما

ماتحن له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فن ذلك قوله

اليلتنا اذ أرسلت وارداوحفا * وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قدّه * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا * ولم يبق اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فن كبد توحى الى كبد هوى * ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا

ومنها

كأن السماكين اللذين تراهما * على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قدعض أعلله لهفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق ألف لم يجد بعده ألفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
كأن أخاه حين حوم طائر * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشرب هاصرفا
كأن عمود الصبح خاقان معشر * من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدّكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من علق الحديد الاحمر
أبنى العوالى السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير
جيش تعد له الليوث وفوقها * كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسارفى * جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
فى فتية صدأ الحديد لباسهم * فى عبقرى البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقلة من محجر

ومنها

نعماؤه من رحمة وباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة فى جعفر بن على

ألا أيها الوادى المقدّس بالندى * واهل الندى قلبى اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يسد اليك طريق

درهم بقيت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعونى حتى أشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذى خلق الانسان انك لتكحل عمك بملمول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشى يمدحه فى ضربته من شعر له طويل

يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

فاجابه القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى

انى لأبرأ مما أنت قائله * عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم للاسلام أركانا
انى لاذكره يوما فالعنه * دنيا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به * نص الشريعة برهانا وتبيانا

وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت لجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الامير اذا غدا * يروع غدوى ملكه ويروق
فللعود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما * جرت في سجاياه العذاب رحيق
أما وأبي تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصير النفس عنه ودونه * من الارض مغبرا الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما * فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة * فما نلتها الا وأنت حقيق

وله من أخرى

خليلي أين الزاب مني وجعفر * وجنات عدن نبت عنها وكوثر
فقبلي نأى عن جنة الخلد آدم * فراقه من جانب الارض منظر
لقد سرني أني أمر ببابه * فيخبره عني بذلك مخبر
وقد ساءني أني أراه ببلدة * بها منسك منه عظيم ومشعر
وقد كان لي منه شفيع مشفع * به يمحص الله الذنوب ويغفر
أتى الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت أو من الزاب محشر
فأنت لمن قد مزق الله شمله * ومعشره والاهل أهل ومعشر

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفي الحي أيقاظ ونحن هجود
وقد أعجل الفجر الملمع خطوها * وفي أخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبى على الدهر وحده * ولم يدر نحر ما دهاه وجيد
فما برحت الا ومن سلك أدمعي * قلائد في لباتها وعقود
ويا حسنها في يوم نضت سوالفا * تريع الى أترابها وتحيد
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا * وأنا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالي ما لهن مواثق * ولا كالغواني ما لهن عهود
ولا كالمعز ابن النبي خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن زمان

قفا بي فلا مسرى سرينا ولا سرى * ولا ترى مشي القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتي الريح طيبة النشر
لعل ثرى الوادي الذي كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فما وادي يسيل بعنبر * والا فما تدري الركاب ولا ندري
أكل كناس بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أني أسائل عنهم * وهم بين أحناء الجوانح والصدر
وهل علموا أني أهيم بأرضهم * ومالي بها غير التعسف من خبر

ولي

معارضة لابيات اللعين بن حطان لعنه الله في ابن ملجم اخزاه الله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم * واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولانا وناصره * اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا * ليثا اذا ما لقي الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب الناس سبحانا
اني لاحسبه ما كان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا
عليكما لعنة الجبار ما طلعت * شمس وما أوقدوا في الكون نيرانا

ولي سكن تأتي الحوادث دونه * فيبعد عن عيني و يقرب من فكري
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقي بجام من الخمر
فلا تسألاني عن زماني الذي خلا * فوالعصر اني بعد يحيي لفي خسر
وآليت لا أعطي الزمان مقادتي * على مثل يحيي ثم اغضي على الوتر
حنيني اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك ام سيوف ابيك * وكؤس خمرك ام مراشف فيك
اجلاد مرهفة وفيك محاجر * لا انت راحمة ولا اهلوك
يا بنت ذي السيف الطويل نجاده * اكذا يجوز الحكم في ناديك
عيناي ام مغناك موعدنا على * وادي الكرى القاك ام واديك

وله ايضا

احبب بها تلك القباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بايدي البيض ام عنابا
والله لولا ان يعنفني الهوى * و يقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا ان اغير لمتي * عبثا والقاكم علي غضابا
لخططت شيبا في مفارق لمتي * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو انني اجد البياض خضابا
واذا اردت على المشيب وفادة * فاحث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طيب الاقطار طيب ثنائه * من اجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدنني ارض اليك وانما * جئت السماء ففتحت ابوابا
ورايت حولي وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
ارض وطئت الدر من رضراضها * والمسك تربا والرياض جنابا
ورايت اجبل ارضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا
سد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبي بقومك الاحزابا انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما نبهت أيدي الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء سوقا لبرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل ساترة ظلام الدياجي منه سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها * قبل المنية أزمانا فأزمانا فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطانا

لقوله في شقي ظل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها
الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى
مخلدا قد اتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولابيه حطان اخبار كثيرة قد اتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان في باب اخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفرية والمهربة وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرموناء وقد كان خرج في ايامه ايضا المعروف بابي شعيب وقد رثى الناس امير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه في ذلك الوقت ابو الاسود الدؤلي من ابيات

الا ابلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
افي شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا اجمعينا

فلـكت النهـى بحجـاج شوقى * لا أجرى بالعفاف على طباعى
و بت بهـا مبيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام من الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى * سـوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وقال
للروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أما ترى نرجسا نضـيرا * يرنو اليـــــه بمقلتيه
نشر حبيـــبى على رباه * وصـفرتى فوق وجنتيه

وقال
بمهلكة يستهلك الجد عفوها * ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كأنها * من الاين تمشى ظالع أو مقيد

وقال فى المطمح محرز الخصـل مبرز فى كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئـة البيان ذكى الخاطر مع قوة العارضه والمنـة الناهضه حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط مشهر المن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهـله لا يتـكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايمـاء فلا تسمع لهم ركزا فتكلم فيه خصماله كلاما استطار به عليه لفضل بيانه وطلاقة لسانه ففـارق عادة المجلس فى رفض الانفه وخفض الحجة المؤتنفـه وهز عطفـه وحسر عن ساعده وأشار بيده ماد ابها لوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فهـم الاعوان بتقويـمه وتثقيفه ووزعهم رهبـة منه وخشـية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهـلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعـد حقـك واقصر عن ادلالك فقـال له مهـلا يا قاضى أمن المخـدرات أنا فاخفض صوتى وأسـتر يدى واغطى معاصمى لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عنـدك وذلك لم يجعله الله تعـالى الا لرسوله عليـه الصـلاة والسـلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتـكم فوق صوت النـبى الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقـد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامـة فى موقف الهول الذى لا يعـدله مقام ولا يشـبه انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولابد فى الخصام من افصاح الـكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من اعيانها وناسق درر تبيانها نفق فى سوقها وصـنف وقرط محاسـنهـا وشنف وله الـكتاب الرائق المسمى بالحدائق وادركه فى الدولة سعى وفض له فيها رمى واعتقـله الخليفـة واوثقه فى مكان اخيـه فلم يومض له عفو ولم يشب كدر حاله صـفو حتى قضى معتقلا ونعى للنائبـات نعيا مشكلا وله فى السجن اشـعار كثيره واقوال مبدعات منيره فمن ذلك ما انشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعد ما اسهره الوجد وارقه

يا أيها النافى الشـكر بادى * بشـكر الطيف ام شـكر الرقاد
سرى وازداد فى املى ولـكن * عففت فلم اجـدمنـه مرادى

قتلتم خير من ركب المطايا ٣٦٨ * وذللها ومن ركب السفينا ومن لبس النعال ومـن حذاها * ومن قرأ المثانى والمثينا
اذا استقبلت وجـه ابى حسين * رايت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بانك خيرهم حسبا ودينا
وانطلق البرك الصريمى الى معـاوية فطعنه بخنجر فى أليته وهو يصلى فاخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما انت وما خبرك قال لا تقتلنى واخـبره قال انا تبايعنا فى هـذه الليـلة عليك وعلى على وعلى عمرو فان أردت فاحبسنى عندك فان كانا قتـلا والا خليت سبيلى فطلبت قتـل على ولك على أن أقتـله وأن آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل على فاطلقه وانطلق زادويه عمـرو بن بكر التميمى الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضى مصر جالسا عـلى السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالنـاس الغـداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعـارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال يا خارجـة والله ما أراد غـيرك فقال عمرو ولـكن الله أراد خارجة وأوقف الرجل بين يدى عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره

وما في النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادي انتهى

وقال الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحداد

يا غائبا خطرات القلب محضره * الصبر بعدك شئ لست اقدره
تركت قلبي وأشواقي تفطره * ودمع عيني وأحداقي تحدره
لو كنت تبصر في تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تحلو بلذتها * والدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفي اشتياقي وما أطوي به من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال في المطمح هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صمادح فلم يرم مثواهما ولم ينتجع سواهما واقتصر على المريه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها ينثر درره في ذلك المنتدى ويرشف ابدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف وذهابه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعي بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبي
وذكراي في الآفاق طيبا كأنها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففي أي علم لم تبرز سوابقي * وفي أي فن لم تبرز كتائبي

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من عرا الاحسان ما لم ينفصم واستمر فيها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أوله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * في سلك غيري درى المكنون
واليكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لا يدا * فلسان من سرق القريض يمين

وله
ان المدامع والزفير * قد أعلنا ما في الضمير
فعلام أخفي ظاهرا * سقمي على به ظهير
هب لي الرضا من ساخط * قلبي بساحته الاسير

وله أيضا
ايها الواصل هجري * أنا في هجران صبري
ليت شعري اي نفع * لك في ادمان ضري

وله ايضا
يا مشبه الملك الجعدي تسمية * ومخجل القمر البدري انوارا

وله
تطالبني نفسي بما فيه صونها * فاعصي ويدعو شوقها فأطيعها
ووالله ما يخفى علي ضلالها * ولكنها تهوى فلا استطيعها

وقال
بخافقة القرطين قلبك خافق * وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفي مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر رحلات وللعين سارق
وبين حصا الياقوت ماء وسامة * مخلاة عنه الظباء السوابق

ان عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة فقال ان قتلا أو لم يقتلا فلابد من قتلك فبكى فقيل له أجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما أن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز انا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان علي رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل

تلكم قريش تمناني لتقتلني * فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس أناسا الى الكوفة يشيعون موته وأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا فقال في مجلسه قد أكثرتم من نعي معاوية والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي وانما أراد ابن أكلة الاكباد ان يعلم ذلك مني فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي

وحشو قباب الرقم احوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار * وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارني بعد ماشطا * تقنصته بالحلم في الشط فاشتطا
رعى من افانين الهوى ثمر الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمسرقوم غرير برامة * تأوبني بالرقتين لدى الارطى
فأكسبني من خدها روضة الجنى * وألدغني من صدغها حية رقطا
وبانت ذراعاها نجادا لعاتقي * اذا التقتا بالحلي غنى لها الغطا
وسل اهتصاري غصنها من مخصر * طواه الضنى طي الطوامير فامتطا
وقد غاب كحل الليل في دمع فجره * الى ان تبدى الصبح في الليلة الشمطا

ومنها في وصف الديك

وقام لها ينعى الدجا ذو شقيقة * بديرانا من عين اجفانه نقطا
اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
كأن أنوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومن غزلها

غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها فص غالية خطا
فقلت احاجيها بما في جفونها * وما في الشفاء اللعس من حسنها المعطى
مخمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
ارى نكهة المسواك في خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبلته فأحاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

وقال في المطمح في تحلية الاسعد انه سرد البدائع احسن السرد وافترس المعاني كالاسد الورد وابرز درر المحاسن من صدفها وحاز من فخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد وزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقلص له من الحظوة ظل وارف وقد اثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية امسنا * والمزن يبكينا بعيني مذنب
والشمس قد مدت اديم شعاعها * في الارض تجنح غير أن لم تغرب

وقوله
وتلذ تعذيبي كانك خلتني * عودا فليس يطيب مالم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنونني كالعود حقا وانما * تطيب لكم انفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما في المطمح من فحول الشعراء وأئمتهم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة اطالت همه وأكثرت كده وغمه

يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت أمورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال علي والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقال لاتبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدي طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا في أمورهم واتخذوا عنده الايادي فوالله ما مضت الأيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبي سفيان والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه)

لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الا شيأ كان له بينبع مما تصدق به وحبسه والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة

يؤرقني الليــــل الذى أنانائمــــه * فتجهــل ما ألقى وطـــرفك عالمــه
وفى الهودج المرقوم وجــه طوى الغشا * عن الحسن فيــه الحسن قد حار واقـه
اذا شاء وقفا أرسـل الحسن فرعــه * يضلهــم عن منهج القصــد فاحمــه
أظلمار أو انقليـــــده الدر أم زروا * بتـــلك اللآلى انهن تمائمــــه

وقال الاديب أبو عبد الله بن عائشـة فى فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خـده وهو روضة * به الورد غـض والاقاح مفـلج
فـزد كلفـا فيــه وفـرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحـلاه فى المطمح بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم بعقيلة حضره زفافا فأثر انقباضا وسكونا واعتمد النهار كونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه فى الحال انزواء فى تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين التى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بلله الندى ونظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا انه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه ما يدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله فى ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ونفحت له هبة وصل أبدت جواه

لله ليـل بات عنـدى به * طوع يدى من مهجتى فى يديه
وبت أسقيه كؤس الطلا * ولم أزل اســهر شوقا اليــه
عاطيتــه حمراء ممزوجـة * كأنهــا تعصر من وجنتيــه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير الاجـل ابى بكر بن عبـد العزيز وهى من ابدع منازل الدنيا وقد مدت عليها ادواحها الافيا واهدت اليهــا ازهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد خص بمثل انجـم سمائه وكانت لبنى عبـد العزيز فيها اطراب تهيأ لهـم فيها من الايام آراب فلبسوا فيهــا الانس حتى ابلوه ونشروا فيهــا الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم النوب ضلوعا فقعد ابو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحـة من ادواحها فهبت ريح انس من ارواحها سطت باعصارهـا واسقطت لؤلؤها على باسم ازهارها فقال

ودوحة قد علت سمـاء * تطلع ازهـارها نجوما
هفا نســيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنمــا الجو غار لمــا * بدت فأغرى بها النسيما

وكان فى زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش انكده ومن التخوف اجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول فى اجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد احاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على

ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل) له من خيار العباد قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا احاديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى ام بمصارع امهاتك من الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تسعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك احباؤك ولا تسمع فى مدح الدنيا احسن من

صفيحه والروض قد عطر جوانبه بريحه وابو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه نفح له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسراته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد فى خطام فلما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا اقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بأدنى تحيه وما يستشعره فى وصف تلك المعاهد من اريحيه فقال

الا خليانى والاسى والقوافيا * أردّدها شجوى واجهش باكيا
أآمن شخص للمسرة باديا * واندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة * قدحت بها زندا وما زلت واريا
وقد بان حلو العيش الا تعلة * تحدثنى عنها الامانى خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة * فها انا استسقى غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى واهلها * ليال وايام تحاكى اللياليا
فقل فى كبير عاده صائد الظبا * اليهن مشتاقا وقد كان ساليا
فيارا كبا يستعمل الخطو قاصدا * ألا عج بشقر رائحا ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب ارقما * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هناك واجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة اشهر من أن يسال فى أمره وليس الخبر كالعيان * وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمى الاشبيلى الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم * ذخرت عظائمه لخير معظم
تبع المذخور الفتوح فانه * جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت * رفعت الى اليرموك صوت المنتمى
وتوسطت فى النهروان بنسبة * كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار فى تحفة القادم هو صدر فى نبهائها وأدبائها يعنى اشبيلية وممن له قدر فى نجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبى خالد وتوفى بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

ويا للعوارى المنشآت وحسنها * طوائر بين الماء والجو عوما
اذا انشرت فى الجو اجنحة لها * رأيت به روضا ونوراه كمما
وان لم تهبه الريح جاء مصافحا * فمد له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض و بسط يسبق العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد فى هذا الوصف وان نظر الى قول أبى عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه ابناء ولهذه أبناء فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا الدنيا اتقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة أما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن

هام صرف الردى بهام الاعادى * ان سمت نحوهم لها اجياد
وتراءت بشرعها كعيون * دأبها مثل خائفيها اسهاد
ذات هدب من المجاذيف حالك * هدب باك لدمعه اسعاد
جسم فوقها من البيض نار * كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل در * ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبى الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيد أنشدنيه

وكانما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان على بن محمد الايادى التونسى فى قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت * شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة * تختال فى عدد السلاح المذهب
وكانما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة فى ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره * فى كل لج زاخر مغلولب
يسمو بآخر ذى الهواء منصب * عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة * لو رام يركبها القطا لم يركب
وكانما رام استراقة مقعد * للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجر واجواهم بينهم فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كانه * صبح يكر على ظلام غيهب

ومن أولها

اعجب بأسطول الامام محمد * وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت * اشراف صدر الاجدل المتنصب

ومنها

جوفاء تحمل موكبا فى جوفها * يوم الرهان وتستقل بموكب

وهى طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره * وقال أبو عمر القسطلى

وحال الموج بين بنى سبيل * يطير بهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح * يرفرف فوق جنح من سماء

وأخذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما * يطير من الصباح بها جناح

عمن شئت تكن نظيره وسل من شئت تكن حقيره واعط من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنتظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فاى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافدا فقال له صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذا كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا يبسم عن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم فى المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس

اذا الماء اطمأن ورق خصرا * علامن موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه * وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها * وقال ابن الابار وقد قلت أنا في ذلك

يا حبذا من بنات الماء سابحة * تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة الـ * حمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلفى به جرب * فالراكب به بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعته * وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما اتيح له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبي موسى شبه فقال أبو الحسن فأبو فضة وهو شبه فقال ابن أبي خالد

لم دعاه اذ رآه عرة * وأباه اذ دعاه يا أبه انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهية لو جرى في الخيل أكبرها * لغابت الريح في الاحجال والغرر
تجري فللماء ساقا عائم درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوم شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت أيكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت * وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذف تحكي أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير مترق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فاترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلي وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره هو فكتب على بابه

يا من يزار على بعد المحل ولا * يزور نامرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتي

ومن

السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري لي تعرضت أم الي تشوفت هيهات هيهات لاحان حينك قد ابنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان أجهده الجوع اقعده الضعف وان أفرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدني كل ما وعيته من كلامه قال هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله واحذر من ليس له ناصر الا الله

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الأماني * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلم لي على طول التجني * وأمكنني على فرط التعاطي
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كفران في سم الخياط
وغناني بصوت من حشاه * فأطربني وبالغ في نشاطي
فأنقر المثالث والمثاني * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشئ * على عدم اهتبالي واحتياطي
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن علي بن محمد الزجال

كيف أصبحت أيهذا الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجافى على منك القلوب
ان تلح حومت عليك هياما * أو تغب حنها عليك الوجيب
غير أني من بينهم مستريب * حين تبدو وليس لي ما يريب
كل ما قد ألقاه منك ومني * دون هذا له تشق الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد في موسى الذي كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

ما لموسى قد خرّ لله لما * فاض نور اغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله دره في رثاء موسى المذكور اذ قال

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق في مأتم * بعضهم يبكي الى بعض

وقوله فيه هتف الناعي بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد

ما عليهم ويحهم لو دفنوا * في فؤادي قطعة من كبدي

ولقب بالكساد لقوله * و بيع الشعر في سوق الكساد * وقال أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي

صاغت يمين الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثماني وهو من بيت امارة

لا تسلني عن حالتي فهي هذي * مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملني الاهل والاخلاء لما * أن جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في أمان

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الاركشي

لاحبذا المال والافضال يتلفه * والبخل يحميه والاقدار تعطيه

سلبتهم محاسن أنفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة وسكوته فكره وكلامه حكمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام لا يبعث بعلي في وجهة من الوجوه الا يقول رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين وحمل علي يوم أحد على كردرس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عليا مني قال جبريل وأنا منكم كذلك ذكره اسحق بن ابراهيم وغيره ووقف على علي سائل فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال علي لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلها فما برح علي رضي الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما وأنسأ أجله ثمانية أيام فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتي درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع علي منه مائة

وقال لا تبكين لاخوان تفارقهم * فانى قبلك استخبرت اخوانى
فما حمدتهم فى حال قربهم * فكيف فى حال ابعاد وهجران

وقال ابو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صورة مدينة فأعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسوّره * تحار فيها السحره
لم تبنها الايدا * عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
ومالها مفاتح * الا البنان العشره

وقال ابو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * ويثنى نحو العدا مستريب
هذا وكم أقرأنى بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن على بن ليال فى محبرة عناب محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمة * بالنسر مجدولة من الشفق
كانما حبرها تميع فى * فرضتها سائلا من الغسق
فأنت مهما تردتشبهها * فى كل حال فانظر الى الافق

وقال فى محبرة آبنوس

وخديعة للعلم فى أحشائها * كلف بجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال ابو العباس أحمد بن شكيل الشريشى

تفاحة بت بها ليلتى * أبثها سرى والشكوى
أضمها معتنقا لاثما * اذا ذكرت خدمن أهوى

وقال تفاحة حامضة عضها * فى ثمل من قطب الوجها
ولم أخل من قبلها محسنا * يجرى عليه العض والنجها

وقال أبو جعفر أحمد الشريشى

على حسن نور الباقلاء أدرهما * على الصب كاسى خمرة وجفون
يذكرنى بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

هى فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأمر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه فقال لقائده أدننى منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب على بن أبى طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبنى فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبنى فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال
نظروا اليك بأعين مزورة
نظر التيوس الى شفار الجازر
فقال زدنى فداك أبى وأمى فقال
خزر العيون منكسى أذقانهم
نظر الذليل الى العزيز القاهر
قال زدنى فداك أبى وأمى قال ما عندى مزيد ولكن عندى

أحياؤهم تخزى على أمواتهم * والميتون فضيحة للغابر وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبى عبد الله

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذا فارقت موضعه
ضاعت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عن حين فارقني * ذاك الجلال فاعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبي وأقعدني * ما كان أودعني عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * واطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن أبي بكر بن عبد العزيز

نديمي لا عدمتك من نديم * ادرها في دجى الليل البهيم
فخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه او الحليم

وقال الثائر ابو عبد الله الجزيري

في أم رأسي سر * يبدو لكم بعد حين
لا بلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فأكتب ممن * ـــــــى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يتستر وقال هذه الابيات وشاع عنه في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه ففر ولم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ما تتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لا تحتمل شيأ من ذلك فصاح بقية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان * ولما عتب المنصور ابن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لا بد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله * وقال على لسان بهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون تمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بي اذا شبهته * درتفنطق سلكه دينار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه

الليلة التي ضرب فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أتحينها عن مكنون هذا الامر فابى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتي فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيع سنته اقيموا هذين العمودين جل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا في اعصار وذوي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فحطها من الارض حيا وبقي من بعدي خبرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئي وخفوت اطرافي انه اوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان افق فانا ولي دمي وان امت فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى الا تحبون

 أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته

بشابه الشعر الاحم أعاره القمر المنير الطالق نور شعاعه
ولربما جد النجيع من الطلى * فى صارم المنصور يوم قراعه
فكأنه غير مخالف فى لونه * لافى روائحه وطيب طباعه

وقال فى القمر حين جعل يختفى بالسحاب و يبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال الجبارى فى المسهب سألت أبا الحسن على بن حفص الجز يرى أن ينشدنى شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

فالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلقى غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر فى وجهه كآثار الكلف فى القمر فصافحه ثم قال

بأبى الذى صافحته فتوردت * وجناته وأنا بحوى قده
قر بدا كلف السرى فى خده * لما توالى فى الترحل جهده
لكن معالم حسنه تمت كما * قدتم فى صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار
وانتظر و بحك نقد الليل فيه والنهار
أنا جربت فلم ألف صديقا باختيارى

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتنى موقف العشاق
يا حسنها والريح يلحف بعضها * بعضا كاعناق الى اعناق
والورد خدوالاقاحى مبسم * وغدا البهار ينوب عن احداق
لم انفصل عنها بكاس مدامة * حتى جلت محاسن الاخلاق

ولما كتب ابو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد ابى العباس احمد بن بلال يستدعيه ليوم انس بقوله

اباالعباس لوابصرت حولى * ندامى بادروا العيش الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد * وقارهم و يزدادون غيا
وهم مع ما بداك من عفاف * يحبون الصبية والصبيا
و يهوون المثالث والمثانى * وشرب الراح صبحا وعشيا
على الروض الذى يهدى لطرف * وانف منظرا بهجا وريا
فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طربا بجانبه سريا
وبادر نحو نادماخلامن * نداك فقدعهدتك لوذعيا

اجابه بقوله

ابيت سوى المعالى يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

غداً لا انكم فى ايام امل وراء ه اجل فمن اخلص فى ايام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يجزيه الضلال وقد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل * وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتى عليه كتابنا هذا اوغيره من الكتب او يبلغه اسهاب مسهب او اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره وأنواع من كلامه وخطبه فى كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان فى أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودى) والاشياء التى استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هى السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للمكارم مشرفيا
وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتقتض الصبية والصبيا
وتهوى الروض قلده نداه * والبسه مع الحلل الحليا
وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فنيت حيا
تذكرنى الشباب فلست ادرى * اصباحا حين تذكر ام عشيا
فلو ادركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا
ولم اترك وحقك قدر لحظ * وقد ناديتنى ذاك النديا

وقال بعض اهل الاندلس

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسى غير أنى رأيت فى كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلى

وفوق الدوحة الغناء غدير * تلألأ صفحة وسجا قرارا
اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدور فى البحيرة فاستدارا
يجرده فم الانبوب صلتا * حساما ثم يفلته سوارا

ولابى كثير الطريفى يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لها يهتز شرق ومغرب * كما اطردت فى السمهرية أكعب
تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق فى ليل الكآبة غيهب
أقام بها الاسلام شد ومغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب
فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا فى مناها يقلب

وقال أبو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها بأوتار تعللنى * أحلى من المن أو امنية الغزل
أحبب الى بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلى كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبى حفص

مد الى الكاس من لحظه * لا يحوج الشرب الى الكاس
ومذ حيانى بآس فلم * أيأس ولكن كان لى آسى
وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى
علقت غصنا على أحوى فأجسدنى * جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد

غرته الشمس والحيا يده * بينهما اللجين قوس قزح

ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت أخى وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم أدخل الى احب خلقك اليك يا كل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره واهل كل فضائل من تقدم وأخر وقبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت أمور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من أمورهم ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد

واما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل أول أمره بالزهد وكتب التصوف فقال له أبوه يا بني هذا الامر ينبغي أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغي أن تعاشر الادباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فلما عاشرهم زينوا له الراح فتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامرأة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

يا محنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمتذ كري وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجي اليا
فاليوم أبكيك ملء عيني * ان كان يغني البكاء شيا

فاجاب أباه بقوله

يالائم الصب في التصابي * ما عنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فاربح من الدهر ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب عما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلي يستدعي

فديتك بادر نحو قبة روضة * تسيح بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة * صدودك عمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي ابن السيد

يارب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مشرب
والليل منحفز يطير غرابه * والصبح يطرده ببازأشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه وينادمه بقصيدته التي أولها

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها * فمالي لا يسري الي سرورها

اشار الامير الى مضحك له كان حاضر أن يحبق له القول أنا شاعر الدنيا فقال له ابن الروح على

فيهم ما تقدم والله أعلم بما حدث والله ولي التوفيق *(ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه)*

ثم بويع الحسن بن علي ابن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة علي ابيه بيومين في شهر رمضان من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي لخمس بقين من شهر ربيع في سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه)

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا أخي من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذي أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بي بريء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى

من

من خبقت يعني انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أنا شاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المنخل الشلبي

كم ليلة دارت على كواكب * للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
قبلتها في كف من يسعى بها * وخلعت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة في خده

وقال

غزا القلوب غزال * جنت اليه العيون
قد خط في الخد نونا * وآخر الحسن نون

قال الحجاري واكثار ابن عمار في المعذرين واحسانه فيهم يدلك على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء من غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجل الناس وأذكاهم في علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحي فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * ما زال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول في ضحضاح
ما خده جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراحي
لله زاي زبرجد في عسجد * في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سبجية ذي غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البري ولحظه * أبدا شريك الموت في الارواح

وقال الرمادي

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * برادة تغربل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وحدها في الحسن من حده
تغرب في فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع في خده

ومن نظم أبي الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الا حده * بسط الربيع بها لنعلي خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ما ضره أن كان جمعا وحده

وهو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وسمط الجمان وكان قاضي شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه أبو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد

يا من تملكني بالقول والعمل * ومبلغي في الذي أملته أملي

توفي رضي الله عنه (وذكر) ان امرأته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي سقته السم وقد كان معاوية دس اليها انك ان احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذي بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفي فعل جعدة يقول النجاشي الشاعر وكان من شيعة علي في شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمي
بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله
في الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره
يرفعها بالسند الغاتل
كيما يراها بائس مرمل
وفرد قوم ليس بالآهل
يغلي بنيء اللحم حتى اذا
أنضجه لم يغل كل آكل
أعني الذي أسلمنا هلكه
للزمن المستخرج الماحل

وفي ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي الله عنه

تأس فكم لك من سلوة
تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي
وقتل الحسين وسم الحسن

(قال المسعودي رحمه الله) ووجدت في كتاب الاخبار لابي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي

كيف الثناء وقد أعجزتني نعما * مالي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للعود أعلاما مشهرة * فبابك الدهر منها عامر السبل

وقال أبو علي ادريس بن اليمان العبدري

قبلة كانت على دهش * اذهبت ما بي من العطش
ولها في القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم في كف مرتعش

وساله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن جهور فقال له اشعاري مشهورة وبنات صدري كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبي عمرو بن طيفور والحافظ ابي الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافي * والمعاني والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهم

وقال أبو عمران بن سعيد اخبرني والدي انه زار ابن حمدين بقرطبة في مدة يحيى بن غانية فوجدته في هالة من العلماء والادباء فقام وتلقاني ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأني أخشى التثقيل وأعلم أن سيدي مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا * ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هي جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدي عندي أحب الي وان ترتبت على فيه الملامة من منازعته منتصر الحق فاستحسن جوابي وقال لي كرمه فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لي وما تكتب فيهما فقلت لاحد دما أخبر به والدي اذا أبت اليه فأملاهما علي فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت أنهما له وقنعت بذلك * وقال الحجاري صاحب المسهب في أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يشهر ملة * حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل علي بن أبي طالب فلما رآه اسفر في وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال يا عم رسول الله والله لله أشد حبا له مني ولم يكن نبي الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتي بعدي من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضي الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدي الايمان وربيت في حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) في وجه آخر

يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك ابقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى ادب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ما تعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز ووقفت على ما تضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى احفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا أنى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرىء جبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا أكثر واصاب قال ابو عبيدة اسهب الرجل فهو مسهب اذا اكثر من خرف وتلف ذهن وقال ابو عبيد عن الاصمعى اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهتر فان اكثر من الخطا قيل افند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى مملوكك أيدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألا ترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال

*خير عى الرجال عى السكوت * والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر ألا تراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

فلا تمارون ان ماروا باكثار فهذا ما عندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المجتبى المنتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعزز به * سؤال مبرع لى من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعلل
لما اختلفا فى بناءيهما * وحكمهما واحد فى فعل

حياتك لقد فجع مماتك وكيف لا تكون كذلك وانت خامس أهل الكساء وابن محمد المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء وابن شجرة طوبى ثم انشأ يقول رضى الله عنه

أأدهن رأسى ام تطيب مجالسى
وخدك معفور وانت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه
وقد ضمن الاحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة ايكة
وما اخضر فى دوح الحجاز قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه
الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى اخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لان ابا بكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية أيام وعمر رضى الله عنه عشر سنين واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله

أنى ذا على مفعل لم يعل * وذاك على مفعل قد أعل
فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل
بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل
واسهب ذاك مستأفزل * دليلا ثنى متنه فانخذل
وأحسن ذا الفرى وصفه * على سنن المحسن المستقل
فهذا مقالى مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل
تقلدت فى رايه مذهبا * يخصك بين الظبا والاسل
سموك فى الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل
كانك فيها هلال السما * يزيدبها ءاذا ما أهل
بل أنت مطل كبدر السما * يضى الظلام اذا ما أطل

انتهى

قلت رأيت فى بعض الحواشى الاندلسية أن ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ما جعله بعض العرب فاعلا و بعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائى أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهى ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائى والفراء وعن كتابه الجارى بين الناس هو هل أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائى أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها فاجاب سيبويه بعد أن اطرق شيأ فاذا هو اياها فى بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هى ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هى فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه فى جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا فى المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا عتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أى مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير لزمك ان تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا الاوجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى فى المسئلة أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه بعد أن اجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس كيف تقول يا بصرى خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائى أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب فى الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائى والفراء فى اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر فى النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما

عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك فسررت به قال موت الحسن بن على فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله ما علمت انه كان كذلك اهلا ان يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس أن الحسن توفى قال الذلك كبرت قال نعم قال والله ما موته بالذى يؤخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن اصبنا به فقد اصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا

فيجرى

فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما اى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لا يتم الكلام فى الاسم الاول دونها الا ترى أنك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجأة للضمير الآخر فلا بد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما ان اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو وعلمنا أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام ونظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الا مرفوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال فجرى قولك ظننت ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد اغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى اجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت وجوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى فلجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكأنه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكأنه قال فاذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم

(وفى نسخة) انه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية فى الخضراء وكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك قال اتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من اهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو ولكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بانه يتكلم فى امور لا يدرى ما هى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هدا كم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان أدرى اقريب ام بعيد ما توعدون

برفع لانه غير الاسم الاوّل فلو أضمرت شرب الابل لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو اياها محمولا على المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أوّلا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجاة على الفعل الواقع بعدها الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج اليه فيكون فى حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجئ بعده من الخبر الذى هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب النظائر وهى أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تثبت شيأ أودع الشك وقولهم لمن أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا ورعا قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدا أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا العلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا اللسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا اللسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما

انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم قال فى كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسى عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابى وسلبكم ثقلى وطعنكم فى بطنى وانى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر فى جوفه فلما تيقن ما نزل به انقاد الى الصلح وقد كان على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فوالذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين * ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته انه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون وأهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعوّل عليه فى

نسب

نسب سيبويه ففارسي مولى لبني الحرث بن كعب بن علة بن خالدة بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذي شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقيل معنى سي ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة وأما سبب تعويله على الخليل في طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعف في الصلاة بضم العين فقال له حماد أخطأت انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها ليكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل وبرع في العلم * وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائي والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه لظهور دمع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيى ابن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ماذهب اليه من مناظرة الكسائي فسعوا له في ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائي والفراء ما ذكروا واشتهر وكان آخر أمره ان الكسائي وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما لقنوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائي للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت فامر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة وأقام هنالك مدة الى ان مات كمدا ويروى انه ذربت معدته فمات فيرون انه مات غما ويروى ان الكسائي لما بلغه موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين فاني أخاف ان أكون شاركت في دمه ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كنا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى * وأما كتابه الجاري بين الناس فلم يصح انه أنشأه بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاء يوم الثلاثاء عشي النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى وقال الالبيري رحمه الله تعالى

لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدي سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لاخير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه اي سؤال

وكان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم في علم النحو والادب وأقرأ

والرسول وأولي الامر مقرونة فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والله أعلم

(ذكر خلافة معاوية ابن أبي سفيان)

بويع معاوية في شوال سنة احدى واربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي في رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس

(ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي

النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بوجهه مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سبجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كانهن كواكب * والناعمات كانهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لوانها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لأعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم انى اذن لخؤن
لاالجو جو مشرق وان اكتسى * زهوا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذا العبير له ثرى * والبان روح والشموس قطين
الظل لامتنقل والحوض لا * متكدر والأمن لا ممنون

وقال القسطلى فى اسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا * يروع بها أمواجه ويهول
بكل مسالات الشراع كانها * وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت * خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وفت * أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء سمام مالهن مفاحص * وورق حمام مالهن هديل
سواكن فى أوطانهن كأن سما * بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى * غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها * بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب * وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وراق بتونس وهناك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تحريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى * أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا * ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى ان أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة * صفراء صيغت من وجنتى عبده

الكندى وهو أول من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير
لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على بابى دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الخبايا بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عليا
وشيخا فى دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أماترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يارأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى

لم

لم ترعيني من قبله غصنا * سوسنه نابت ازا ورده
أعملت زجري فقلت ربتما * قرب خد المشوق من خده

فحدثني المذكور انه اجتمع مع أبي بكر بن مجير رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بي في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثني وسأله ان يقول في تلك الحال فقال بديها

بي رشأ وسنان مهما انثني * حار قضيب البان في قده
مذ ولي الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع في وجنته زهرة * كأنها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أني أرى خدي على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الاخير قال أبو بحر ثم قلت في تلك الحال

أبرز من وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم في الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه غير الماء في كل بستان
تطلع في أقماعه فكأنه * قلوب نعاج في مخاليب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها في وصف دمشق

اذا رحلت عروبة عن حماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت أراقمها عليها * تذكرنا اليل السليم
وشاهدنا بها في كل حين * حبالا ألقيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا في وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف في * بردي جمال طرزا بالتيه
سومته أمله تناول وردة * فغدا يمزقها أقاحي فيه
فكأنني شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام الاسياف ناظره قر
تعمد كلب عض وجنته التي * هي الورد اينا عا وأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف سماتكم * وقد أثر العواء في صفحة القمر

وقال آخر يصف شجة في خد وسيم

عذيري من ذي صفحة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب التحسن وصفها * فقلت هلال لاح في شفق الشمس

وقال القاضي أبو الوليد الوقشي فيمن طر شاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره

لابي تراب وقتل أصحابك الان ترجعوا عن كفركم وتلعنوا اصحابكم وتبرؤن منه فقال حجر وجماعة ممن كان معه ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من علي فلما قدم حجر ليقتل قال دعوني أصل ركعتين فجعل يطول في صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع واني لارى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر والحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان في سنة خمسين وذكر أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعني اولاده قال قتلوا مع علي قال ما أنصفك علي قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدي ما أنصفت علي اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدي والله ان قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز

عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمر ناحلا اذا زرقة * ومداوظنوا أن ذلك يشينه

جهلوا بأن السمهرى شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبى اذرأوا طرفه * ذا حمرة يشقى بها المغرم

لا تنكروا ما احمر من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى

ياشادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا اليته لم يبرز

الآن أعلم حين جد بى الهوى * كم بين مختصر وبين مطرز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة

خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بنمنمة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لاهو

ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه

جسمه فى الصفاء والرقة الما * فلا غرو أن حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار

هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا انوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد

من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهادى

خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النفرى

بدا بوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن

كأن بأعلاه قمرية * تغرد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم

سافر فان لم تجد كريما * فمن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا

سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثاله كأنه ما خاطبه بشئ (وذكر) أن معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لاسامة كأنك تنكرنى فقال أسامة ما يسرنى نسبك بولائى فقام مروان ابن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله ابن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تعجلوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعونى فوالله ماذكرت

عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافى التى يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

يامالكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل
قد أفحمتنى منة مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت فى وصفها * فحسنها عن وصفها شاغلى

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما نأت ناى الكرى عن ناظرى * ورددته لما انصرفت عليه
طلب الدشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبى واعتذرت اليه

وقال فى جارية له كان يحبها وبينماهى تسقيه اذلمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
ياليت شعرى وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن توارد الخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

وان ترى أعجب من آنس من * من مثل مايمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * ففنى بذاك رقيبه لم يشعر
اسراره بتستر واواره * بتصبر وخباله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لى بعد والافلم * لم أرفى عنوانها جوهره
درت بأنى عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لاأبصره

وقال فى هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص * والعيش لاصاف ولاخالص
والسعد ان طالعنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة * مثلك لايدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبنى * منك تمادى الغضب
فزفرتى فى صعد * وعبرتى فى صبب
ياكوكب الحسن الذى * زرى بزهر الشهب
مسكنك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال فى جارية اسمها وداد

اشرب الكاس من ودادوداد ك * وتانس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآ * هوسكناه فى سواد فؤادك

فتية
تدنو بزينتها لكل جهول
ثم قال مافى القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل
قد يلحق الصغير بالجليل
وانما القرم من الافيل
وتسحق النخل من الفسيل
(قال المسعودى) ولما هم معاوية بالحاق زياد بابى سفيان ابيه وذلك فى سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك ابن ربيعة السلولى والمنذر ابن الزبير بن العوام أن اباسفيان اخبر انه ابنه وان اباسفيان قال لعلى عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب

اما والله لولا خوف شخص * يرانى يا على من الاعادى
لبين امره صخر بن حرب * ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكنى اخاف صروف كف * لها نقم ونفيى عن بلادى
فقد طالت محاولتى ثقيفا * وتركى فيهم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة ابى مريم السلولى وكان اخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين ابى سفيان وسمية ام زياد فى الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات

بالطائف تؤدى الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر فى محلة

وقال
لك الله كم أودعت قلبي من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم
لحاظك طول الدهر حرب لمهجتي * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمي

وقال
قلت متى ترحمني * قال ولا طول الابد
قلت فقد أيأستني * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها
يامن تزينت الريا * سة حين ألبس ثوبها
جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة
مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح
وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضي له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه فورد الخبر باخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا القصره بالدوام وللملك بتراخي الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى
يادارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد
فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى
ان شئت أن لاترى صبر المصطبر * فانظر على أي حال أصبح الطلل
فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت
بالهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ماليست املك من احدى المصيبات
قال فتلافيت الحال بأن قلت
محل مكرمة لاهد مبناه * وشمل مأثرة لاشتت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه و يسراه
باس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه
فلعمري لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض انسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل لقولي البيت كالبيت وأمر اثر ذلك ابا بكر بالغناء فغنى
ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب
فأيقنا ان هذا التطير يعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت ايامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدأ به فالا وكان المغني السوسي فأول شعر قاله
نطوي المنازل علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فمات

يقال لها جارة البغايا وكان أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم بعضا حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لايمد اليه أحد يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذ لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر علي قال أرى أن تنقل أصلك الى اصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة وارسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت انت اخي اخبرني بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام

فمات بعد خمسة ايام وكان الغناء من هذا الشعر فى خمسة ابيات * وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

قبح الدهر فماذا صنعا * كلما اعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادى كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخنا صم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع فى نائله * قد ازال الياس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وازمعت السفر صرف حيله واستنفد ماقبله وبعث الى مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه احسن الناس سمتا واكثرهم صمتا تخجله اللفظه وتجرحه اللحظه حريص على طلب الادب مسارع فى اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها ابياتا منها

اليك النزر من كف الأسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه واجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق دينى * لئن شقت برودى عن غدورى
ولا كنت الطليق من الرزايا * اذا اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة انت والزباء خانت * وما انا من يقصر عن قصير
تصرف فى الندى حيل المعالى * فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك أنك فى ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

واتبعتها ابياتا منها

حاش لله ان اجيح كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا * كيف ألقى دراوأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الأرض قطرا

ورأى ابن اللبانة احد ابناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب ايام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة فقال

شكاتنا لك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

فى الجاهلية فقال ابغنى بغيا فأتيته وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتمونى لكان احب الى وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد اخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشان فلم ألبث أن خرج على يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال ايها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست ادرى حق ذلك من باطله وانما كان عبيدا مبرورا أو وليا مشكورا والشهود اعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن اسد بن علاج الثقفى وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى

 الله عليه وسلم بشهادة ابى مريم على زنا ابى سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة

وعاد طوقك فى دكان قارعة * من بعد ما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ انملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط عن شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فربتما أحمدت عاقبة * من يلزم الصبر يحمد غب ما لزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثك حتى الدر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * ويا سراج الليالى المدلهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قبرك فى هضب يميزه * فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فانت سلطان أحياء وأموات
ما رىء مثلك فى ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر فى حال وفى آتى

انتهى

وقد زرت انا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو واخبار المعتمد كثيرة وقال وزيره ابو الوليد بن زيدون

متى اخف الغرام يصفه جسمى * بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو ان الثياب نزعن عنى * خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة امرك فرض ارا * ه من كل مفترض اوكدا
هى الشرع اصبح دين الضمير * فلو قد عصاك لقد الحدا

وقال فيه

ياندى عينى ابى القاسم عم * ياسنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر اشنب * تحسب من عجاج العس

وقال

مهما امتدحت سواك قبل فانما * مدحى الى مدحى لك استطراد

هل الا الى الله ثم اقع قال نعم واستغفر الله فقال عبد الرحمن بن ام الحكم

بطيئا وقوعها فقال يونس فى ذلك ويقال انه ليزيد ابن مفرغ الحميرى

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى ان يقال ابوك زانى
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وفى زياد واخوته يقول خالد النجارى

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندى من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم انثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا * مولى وذا ابن عمه عربى

ولما قتل على كرم الله وجهه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن ابى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل فى منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذي يقول أبوه يوم صفين

تغشى الميادين الفوارس حقبة * كيما يعامها النزال طراد

وقال
يحييني بريحان التجنى * ويصحبنى معتقة السماح
فها انا قد ثملت من الايادى * اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى ابى عامر يستدعيه
ابا المعالى نحن فى روضة * فانقل الينا القدم العاليه
انت الذى لو تشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن
لله ايام مضت مأنوسة * ما كان احسنها وانضرها معا
لو ساعة منها تباع شريتها * ولو انها بيعت بعمرى اجمعا

(رجع) وقال ابو القاسم اسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح
وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره * الى أن تبدى الليل كاللمة الشمطا
كأن الدجا جيش من الزنج نافذ * وقد ارسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها
اذا سار سار الجود تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا حطا

وقال ابن خلصة المكفوف النحوى من قصيدة
ملك تملك حر المجد لا يده * نالت بظلم ولا مالت الى البخل
مهذب الجد ماضى الحد مضطلع * لما تحمله العلياء من ثقل
اغر لا وعده يخشى له ابدا * خلف ولا رايه يوتى من الزلل
قد جاوزت نطق الجوزاء همته * به وما رحلت عن مرتقى زحل
يأبى له ان يحل الذم ساحته * ما صد من خلل اوسد من خلل

ومنها
ان لم تكن بكم حالى مبدلة * فما انتفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح
عج بالحمى حيث الغياض العين * فعسى تعن لنا المهاة العين
واستقبلن ارج النسيم فدارهم * نـدية الارجاء لادارين
افق اذا مارمت لحظ شموسه * صدتك للنقع المثار دجون
انى اراعى لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
انى يصاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكانما بيض الصفاح جداول * وكانما سمر الرماح غصون
ذرنى اسر بين الاسرة والظبا * فالقلب فى تلك القباب رهين
يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبى أما لحراكه تسكين
نور بخدك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رمقت فوحى حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها فى وصف قصر
راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون

* اعوز يبغى اهله محلا
قد عاج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل او يفلا
اسلمهم بذى الكعوب سلا
لاخير عندى فى كريم ولى
فقال عمرو متمثلا
وقد بنيت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
دونك يا امير المؤمنين الضب الضب فاشخب
اوداجه على اسباجه ولا ترده الى اهل العراق فانه
لا يصبر على النفاق وهم اهل غدر وشقاق وحزب
ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورايا سيطغيه
وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال
عبد الله يا عمرو ان اقتل رجل اسلمه قومه وادركه
يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن
ندعوك الى النزال وانت تلوذ بشمال النطاف
وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء
لا تدفع يد لامس فقال عمرو اما والله لقد وقعت فى
لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولا احسبك منفلتا من
مخاليب امير المؤمنين فقال عبد الله اما والله
يا ابن العاص انك لبطر
فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول

هوجنة الدنيا تبوأ نزلها * ملك تملكه التقى والدين
فكأنما الرحمن عجلها له * ليرى بما قد كان ما سيكون
وكأن بانيه سنمار فما * يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتحيين

ومنها في المديح

لا تلقع الاحكام حيفا عنده * فكأنما الافعال والتنوين

ومنها

وبدا هلال الافق أحنى ناسخا * عهد الصيام كأنه العرجون
فكأن بين الصوم خط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * في صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يا رب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الاندلسي

قالوا اتد انيت من وداعهم * ولم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم أنني بعد * أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغي الوداع فدعني * عنك في حومة القتال أحامي
خذ جناني عن جنة ولساني * عن سنان وخاطري عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتي الكرى * كما قد نفى عن يدي العدم
فقد قر حبك في خاطري * كما قر في راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتي * كما فر عن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فأبقى لي الحب خال وجد * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه * واني على ريب الزمان لقاسي
وأذعر منه هيبة وهو المنى * كما يذعر المخمور أول كاس

وقال

من لي بطرف كأنني أبدا * منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا * عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع * فقد صار ينبت شوك القتاد

لهم أيد شداد والسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كأنما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمرو انا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يسأمونك ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذي * أعان عليا يوم حز الغلاصم
فلم ينثني حتى جرت من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه * ويوشك أن تقرع به سن نادم

فقال عبد الله يجيبه

معاوي ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم

فهل

فهل كنت من عبد شمس فأختشي * عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ماعجبي من بائع دينه * بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر * يبيع أخراه بدنيا سواه

وقال من مخمسة يرثي فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لي بمعسول على ظلم البشر * صحف في أحكامه جاء الحور
مر بنا يسحب أذيال الخفر * ما أحسد الظبي له اذا نفر
وأشبه الغصن به اذا خطر

كافورة قد طرزت بمسك * جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعي ونسكي * بعد لجاجي في التقى ومحكي
فاليوم قد صح رجوعي واشتهر

نهيت قدما ناظري عن نظر * علما بما يجني ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر * فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر

سقى الحما عهدنا بالطاق * معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والاشواق * أيأس فيه الدهر عن تلاقي
ورب ساءك دهر ثم سر

أحسن به مطلعا أغربا * قابل من دجلة مرأى معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا * حسبته ينشر بردا مذهبا
بمنظر فيه جلاء للبصر

يارب أرض قد خلت قصورها * وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها * لا يامل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن * كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثني * أثني بنعماه ولا أثني
والروض لا ينكر معروف المطر

عهدي به والملك في ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمن العفة في ازوراره
ويحضر السودد أيان حضر

قل للنوى جد بنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدا نحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذي برد من الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح

على انهم لا يقتلون أسيرهم
اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نقرة
عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة
وان ترقتلي تستحل محارمي
فقال معاوية
أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
الى الله في يوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بادراك ثاري في لؤي وعامر
بل العفو عنه بعدما بان جرمه
وزلت به احدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة
علينا فاردته رماح شهابر
وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية فقال معاوية من يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال واما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند

مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح المرج زور
يقتحم الهول بها اغترارا * في فتية تحسبها سكارى
قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا أشارفت المنارا
هب كما بل العليل المحتضر
يوم عدل الملك الرضى * الهاشمي الطاهر النقي
والمجتبي من ضئضئ النبي * من ولد السفاح والمهدي
فخر معد ونزار ومضر
حيث ترى العباس يستقي به * والشرف الاعظم في نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصديق تمضي وعمر

وقال ابن خفاجة في صفة قوس

عرجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنما هي حية تنساب
واذا انحنت والسهم منها خارج * فهي الهلال انقض منه شهاب

وقال وعسى الليالي أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبي سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة في ذراكا

وقال اقض على خلانك أو ساعد * عشت بجد في العلا صاعد
فقد بكى جفني دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدي

وقال وأسود يسبح في بركة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال حبابها ونسيمها كنسيمه * فشربته من كفه في وده
منساغة فكأنها من ريقه * محمرة فكأنها من خده

وقال لعمري لو أوضعت في منهج التقى * لكان لنا في كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثي صديقا من أبيات

تيقن أن الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا
فان أقفرت منه العيون فانه * تعوض منها بالقلوب بديلا
ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال تفاوت نجلا أبي جعفر * فمن متعال ومن متسفل

رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر ووجه مكانه محمد ابن أبي بكر فلما وصل اليها كتب الى معاوية كتابا فيه من محمد ابن أبي بكر الى الغاوي معاوية بن صخر أما بعد فان الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان اول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وانت انت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم أخوه الشاري بنفسه يوم مؤتة وعمه سيد الشهداء يوم

فهذا

فهذا يمين بها أكله * وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفي الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أن الغرب بحر أخوضه * وأن الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب

لا تكثرن تأملا * وامسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كل ما اشتهاه * وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجني * فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض في أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى

ومن قوله

خنتم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كل تحت * وأنتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال

يا مشفقا من خمول قوم * ليس لهم عندنا خلاق
ذلوا وياطالما أذلوا * دعهم يذوقوا الذي أذاقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذ وليتم * ولا صنتم عمن يصونكم عرضا
وكنتم سماء لا ينال منالها * فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا
سنسترجع الايام ما أقرضتكم * ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطي

قد كنت لا أدري لأية علة * صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبي لفقد شبابي
فبذا تبين لي اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصري

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي * لاني قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتي لراعك منظري * ورأيت بي ما يصنع التفريق
ولحال من دمعي وحر تنفسي * بيني وبينك لجة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بارح * له أربع منها الصبا والشمائل
من الفتح خوان العنان كأنه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

اللعين ابن اللعين لم تزل انت وابوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان في اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات ابوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدني ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم انصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم واثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف بالك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وابو ولده اول الناس له اتباعا واقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على امره وانت عدوه وابن عدوه فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص في غوايتك فكأن اجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذي آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وانت منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزاري

وقال ابن عبد الحميد البرجى

أرحمتن المهند والجواد * فقد تعبا بجدك فى الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالى * فقض براحة حق الهوادى

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع * لاح من أزراره فى فلك
خده شمس وليل شعره * من رأى الشمس بدت فى حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب فى أثناء فكرته * كأن أفكاره بالغيب كهان
لاطرفة منه الا تحتها عمل * كالدهر لادورة الاها شان

وقال أبو الحسن بن اليسع

راموا ملامى وكان اغرا * وذموحبى وكان اطرا
لو علم العاذلون مابى * لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندى * شطر من الشوق وافى
قدمت قلبى قبلى * فصنه حتى أوافى

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ماحال عينيك ياعين الزمان فقد * أورثتنى حزنا من أجل عينيكا
وليس لى حيلة غير الدعاء فيا * رب براوى الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومى خدمة عن الحافظ أبى بكر بن سيد الناس

مولاى حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حاليكا
ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب أبو العباس الرصافى وهو من أصحاب أبى حيان

هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بحلى محاسنه شغف
لما رأى طل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف
فكأن ذاك الخد أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها أرواحنا * والخمر قد أخذت هنالك حقها
وكأنما ابريقنا لما جثا * ألقى حديثا للكؤس وتهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فما أعمله
غازل من كأسى حبيباله * فكلما قبله أخجله

وقال أبو القاسم بن الابرش

رأيت ثلاثة تحكى ثلاثا * اذا ما كنت فى التشبيه تنصف
فتحبو النيل منفعة وحسنا * وشنتر ين مصر وأنت يوسف

وقال فى غريق وقيل انه مما تمثل به

به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولا بيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن ابى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده واتم له ما وعده واظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان ابوك وفاروقه اول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لايشركانه فى امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته أنت وصاحبك حتى

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال
أطفأه ما كان محياله * قد يطفئ الزيت ضياء الزبال

وهو القائل لو لم يكن لى آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لى شرفا
ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان فى سيبويه الفخر لى وكفى
فكيف علم ومجد قد جمعتهما * وكل مختلق فى مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق

أصبحت تدمير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى فى بعض الموزنيين وقد غرق فى نهر طلبيرة عند فتحها

ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرامهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم الحد الحسام المثلم
فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص

وقائلة والضنا شاملى * علام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا * ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائما * ورائى المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبى تمام ومر فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول

تراه فى غداة الغيم شمسا * وفى الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهما * ولو ناموا الروعهم خيالا

وقال أبو اسحق الالبيرى

تمر لداتى واحدا بعد واحد * وأعلم انى بعدهم غير خالد
وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم * كانى بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا فى علمى لهم وجهالتى * كمستيقظ يرنو بمقلة راقد

قيل ولو قال فى البيت الثانى كأنى عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع فى الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى * وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة

اذا خانك الرزق فى بلدة * ووافاك من همها ما كثر
ففتاح رزقك فى بلدة * سواها فبادر لها نقل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا * ب مفتاحها أبدا فى الطرر

وقال أبو الطاهر اسمعيل الخشنى الجيانى المعروف بابن أبى راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وأنشد أبو المعالى الاشبيلى الواعظ بمسجد رحبة القاضى من بلنسية أبياتا منها

أنا فى الغربة أبكى * ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجى * من بلادى بمصيب

الجبال بحلمه لايلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال اناته مهد مهاده وبنى لملكه وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبى طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب اباك بما بدا لك أودع ذلك والسلام على من اناب (ومما كتب به معاوية الى على) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشأم على ان لا تلزمنى لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام (فكتب اليه على كرم الله وجهه) من على بن ابى طالب

 الى معاوية بن ابى سفيان اما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت

عجبا لي ولتركي * وطنا فيه حبيبي

وقال أبو القاسم بن الانقر السرقسطي

احفظ لسانك والجوارح كلها * فلكل جارحة عليك لسان
واخزن لسانك ما استطعت فانه * ليث هصور والكلام سنان

وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابي وهب الزاهد

قد تخيرت أن أكون مخفا * ليس لي من مطيهم غير رجلي
فاذا كنت بين ركب فقالوا * قدموا للرحيل قدمت نعلي
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآني فقد رآني ورحلي

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصاري الثغري

كم من قوي قوي في تقلبه * مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف
ومن ضعيف ضعيف الرأي مختبل * كأنه من خليج البحر يغترف

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا * فلم تظفر بذي ثقة يدان
وجربنا الزمان فلم يفدنا * سوى التخويف من أهل الزمان

وحكي عن الفقيه الاديب النحوي ابي عبد الله محمد بن ميمون الحسيني قال كانت لي في صبوتي جارية وكنت مغرى بها وكان أبي رحمه الله تعالى يعذلني فيها ويعرض لي ببيعها لانها كانت تشغلني عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدني اغراء بها فرأيت ليلة في المنام كان رجلا يأتيني في زي أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى في نفسي انه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما وكان ينشدني

تصبو الى مي ومي لا تني * تزهو بسلوك التي لا تنقضي
وخيار القوم الالى مامنهم * الا امام أو وصي أو نبي
فاثن عنانك للهدى عن ذي الهوى * وخف الاله عليك ويحك وارعوي

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذي أعرفه فقالت لا ثم عاودتها حتى ذكرت انها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظني الله به عز وجل وبشرى * وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادي أنيسي * وكتابي محدثي وجليسي
صاحب قد أمنت منه ملالا * واختلالا وكل خلي بئيس
ليس في نوعه بحي ولكن * يلتقي الحي منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

ألحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما في غير هذا الموضع * وقال المعتمد بن عباد

اقنع

لم يحبها بعضنا على بعض وانا واياك تلتمس منها غاية لم نبلغها بعد فاما طلبك منى الشام فانى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك امس واما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك مني على اليقين وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق على الآخرة واما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابي طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفي ايدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام

(وحدث) أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري عن محمد ابن حميد الرازي عن أبي مجاهد عن محمد بن اسحق ابن ابي نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية في علي وشرع في سبه فزحف سعد ثم قال أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لي من الولد ما لعلي احب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس

اقنع بحظك فى دنياك ما كانا * وعز نفسك ان فارقت أوطانا
فى الله من كل مفقود مضى عوض * فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سنحت ذكرى طربت لها * مجت دموعك فى خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد * بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا * واستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البريانى فى الصنم الذى بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة * أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم * تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه * حقا لقد برد الايام والامما
كأنه واعظ طال الوقوف به * مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا * أسمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن * وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوالكا * فلا تحرجاها على بالكا
وكن كالطريق لمجتازها * يمروا نت على حالكا

وقال

هن اذا ما نلت حظا * فأخو العقل يهون
فمتى حطك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعى أنشدنى أبو محمد الشلبى أنشدنى أبو بكر بن منخل لنفسه

مضت لى ست بعد سبعين حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى أين أو كيف أومتى * يكون الذى لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلى

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا فى التماس الحق تأييدا
عمى القلوب عروا عن كل فائدة * لأنهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنوا الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك فى الحياة ولا تكن * تبقى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائى القرطبى على القاضى أبى الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لا تلمنى لأن سبقت لحظ * فات ادراكه ذوى الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث فى العد * وو يعلو النخال فوق اللباب

ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه احب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قال له فى غزوة تبوك الا ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى احب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) فى وجه آخر من الروايات وذلك فى كتاب على بن محمد بن سليمان النوفلى فى الاخبار عن ابن عائشة وغيره أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندى قط الأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فانى لو سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مثل الذى سمعت فيه لكنت خادما لعلى ما عشت فقال سعد والله انى لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذرة قال النوفلى وفى ذلك يقول

وقال أبو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية

عاشر الناس بالجميل * وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى ويرعى * ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشريـ * ـف الكريم المناصب
من له خير شاهد * وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغـ * ـد دنيء المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب * ترقيشه سامي الحباب
يصف السماء صفاوة * فحصاه ليس بذي احتجاب
وكأنما هو رقة * من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبـ * ـكار المنى عصر الشباب
والطل يبدو فوقه * كالخال في خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو * ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيـ * ـها ذيله جون السحاب

وقال

شتى محاسنه فمن زهر على * نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لاتني * احراق صفحته فهيأ مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه * بردا ابزن في الاصيل مسلسلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه * قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت * للدين والدنيا وللأمم
في نعمتين جسيمتين هما * برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار واخبرني بعض اصحابنا يعني ابا عمرو بن عبد الغني انه انشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثاني فقلت له على البديهة

فخر لشعري على الاشعار يحفظه * خليفة الله كان الله حافظه

واشار بقوله بيعة الحرم الى ما ذكره ابن خلدون وغير واحد من المؤرخين ان اهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة في ترجمة المستنصر فليراجعها من أرادها * وقال ابن الابار

من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا عنها وان بخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها حلما وأصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف ومن عدي لحق الله جحادا
أو من بني عامر أو من بني أسد رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم لولا خمول بني زهر لما سادا
وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلي أعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا

الا

الا اسمع فى الامير مقال صدق * وخذه عن امرئ خدم الاميرا
متى يكتب تردوشـلا اجاجا * وان يركب تردعذبانميرا

وقال يحييا التجانى

أيها الصاحب الصفى مباح * لك عنى فيما نصصت الروايه
ان عنانى اسعاف قصدك فيها * فلكم لم تزل بها ذا عنايه
ولها شرطها الحافظ عليه * ثم كافئ وصيتى بالكفايه
وتحام الاخلال جهدك لاقيت من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجانى

ان رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام * كلهم فى السماح والفضل آيه
أن أرى عنه بالاجازة أروى * كل ما فيه لى تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه
فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام فى رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه
ما تولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح فى الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه فى كتابه الحلى التيجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال فى موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك عيلة * يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال حاز دنياه كلها * محرزا أكبر المنن
من حوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال أعن أخاك فى الذى * يأمله ويرتجيه
فالله فى عون الفتى * ما كان فى عون أخيه

وقال أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلفته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القميحى أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس فى ابداعها * ألسكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تنثنى * ويقول أرباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على انهما فى وصف الثمار فقال وطىء أنت لهما فقلت

معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخبار يين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكنانى فقال له كيف وجدك على خليلك أبى الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكنى فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعنى ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال أوما ترى طلبى بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدى

لا ألفينك بعد الموت تندبنى
وفى حياتى ما زودتنى زادا

ودخل على معاوية ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبى الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية أما بعد فانك يهودى ابن يهودى وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك

يا من أتى متنزهاً في روضة * أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار في دوحاتها * والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها * وترى الطيور على الغصون تغرد

قال ابن رشيد غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابي زيد الفازازي من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد * فالله يشكر في النوال ويحمد
مدت اليه أكفنا محتاجة * فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان في أثنائها غير أن أولهما في ديوانه هكذا تاهت عقول الناس في حركاتها انتهى
ورأيت في روضة التعريف للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل * في شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أن حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجي الحجاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه في قلعته فلما وقف ببابه وهو بزي بداوة ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا لي على القائد فضحكوا به وقالوا له ما كان وجد القائد من يدخل عليه في هذه الساعة الا أنت فمد يده الى دواة في حزامه وسحاءة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلا بأهل الفضيلة رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها عليك أحالني الذكر الجميل فان رأى سيدي أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتي ويذر ولا عتب على القدر ورغب الى احدهم أن يوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع قصيدته ما لهذا الاشأن ولعله الوزير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له فدخل وبقي واقفا لم يسلم ولا كلم احدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه للجهل وسوء الادب فقال له احدهم ما لك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء والشعراء فقال حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال وأعلم ايضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه ان قدر لي خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع وانما هي أسباب تقصدها التحاور بها مثلك أعزك الله تعالى ويتمكن التأنيس وينحل قيد الهيبة ثم انشد من رأسه ولا ورقة في يده

عليك أحالني الذكر الجميل * فصح العزم واقتصر الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر * ولم اسمع لما قال العذول
واسبلت الظلام على سترا * ونجم الافق ناظره كليل
ولم اشك المعير وقد دعاني * الى ارجائك الظل الظليل

وهي طويلة فأكرمه وقربه رحم الله تعالى الجميع * واهديت للمعتمد بن عباد شمعة فقال في وصفها ابو القاسم بن مرزقان الاشبيلي وهو ممن قتل في فتنة المعتمد

مدينة في شمعة صورت * قامت حماة فوق اسوارها

نكل بك وقتلك وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فأكثر الجد وأخطأ القصد فخذله قومه وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد أما بعد فانما أنت وثني ابن وثني دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبي أوتر قوسه ورمى غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذي منه خرجت واعداء الدين الذي فيه دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة علي ووقوع الصلح في جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يا معشر الانصار بم تطلبون ما قبلي فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا علي ولفللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يأبى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله لا بما متت به اليك الاحزاب وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما معاداتنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه وأما استقامة الامر

وما

وماراينا قبلها روضة * تتقد النار بنوارها
تصير الليل نهارا اذا * ماقبلت ترفل فى نارها
كانها بعض الايادى التى * تحت الدجى تسرى بأنوارها
من ملك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبغ بن رشيد الاشبيلى لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث يا غافلا * كلون العقيق أو العندم
اظن الغمائم فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها ايضا

لاتكن دائم الكآبة مما * قد غدا فى الثرى غير الجميعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

وله فى دولاب

ومجنون اذا دارت سمعت لها * صوتا اجش وطل الماء ينهمل
كان أقداسها ركب اذا سمعوا * منها حداء بكوا للبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالى الجفون شقيق بدر * تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك أى مسك * له نفثات سحر أى سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك يا سمى سوف تدرى
تعلمت القساوة من سمى * وأحرقت القلوب بنار هجرى

وقال ابو بكر بن حجاج الغافقى فى موسى وسيم اشبيلية الذى كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة * بعثت له من كافرى عشاقه
ماكان خلق واغباعن دينه * لولم يكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلى فتى شاعر * قد اعجب العالم من نظمه
وانت يا موسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال

على معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ماقال اوقد لى على الطين
قالت له عرسه اذجاء ينكحها * ماذا هيت به من كل عنين
هلا استعنت بميمون فقال لها * انى استعنت على نفسى بميمون

وقال ابو وهب عبد الرؤف النحوى وكان له حظ فى قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * باس اذا حصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه فى طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به * وماست الريح به ميسا

وقال ابو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

ياغزالا عن لى فابتز قلبى ثم ولى

الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يا بى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية فقال معاوية يموّها رفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان أعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامى

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التميمى

انت مني بفؤادي * يا مني نفسي اولى

وقال احمد بن المبارك الحبيبي في الناصر قبل ان يلي عهد جده

ياعابد الرحمن فقت الورى * بهذه العلياء وهذا الكرم
ماجعل الله الندى في امرئ * الا وقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبابكر أحمد بن عثمان المرواني ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ما يحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا ندامى صفاء يستحث لنا * في جامد الفضة التبر الذي سبكا
كل مصيخ الى ماقال صاحبه * ولا يبالي أصدقا قال أم افكا
موقرون خفاف عند شربهم * ولا يخافون فيما أحد نوادركا
لا تعدمن اذا أبصرتهم فرحا * اماترى الصبح من بشربهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المرواني في الخيري

عجبت من الخيري يكتم عرفه * نهارا ويسري بالظلام فيعرب
فتحتي عروس الطيب منه يد الدجا * ويبدو له وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوي

للبين في تعذيب نفسي مذهب * ولنائبات الدهر عندي مطلب
أمادون الحادثات فانها * تأتي لوقت صادق لا يكذب

وخرج الاديب النحوي هذيل الاشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد* ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير والتهكم يمزج ذلك بانحراف ويضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقدله هذه الفتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته له فقال فاني ابن عباد فقال مصفوع ألف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التي كانت البارحة* وكان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازي الاشهب وكان له في السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك واذا ببدوي على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه ياسيدي انظر في أي حالة أنا ولي عندك حاجة فيها فائدة لي ولك قال وما هي قال انظر الى تلك البئر لما أرهقني الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال في اخراجها وهذه زوجتي وبناتي يمسكن بغلك خلال ما تخرجها فعمد البدوي الى حبل

قال بينما انا واقف بصفين اذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها وهو على فرس صعب فبينما هو يعثبه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام يا عباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه في حجزته ثم دفع فرسه الى غلام له أسود كاني والله انظر فلافل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان اعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما ملياً نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا في درع الشامي فاهوى اليه بيده وهتكه الى تندوته ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له فتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامي لوجهه فكبر الناس ودلى

ودلى نفسه في البئر بعدما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها فلما حصل في أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقي حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك في شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غبن عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته وبناته بثيابي وأسبابي ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازي الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك في قبضة الهلكة فقال له يا سيدي لو علمت قدر لذتي في السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك واحسنت اليك وأجريت عليك رزقا يقوم بك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يا مولاي كيف لا أقبل التوبة وهي التي تخلصني من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة * ويحكى ان منصور بني عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر احضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذي يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر ان ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال يا سيدي البنيان اغماه ومثل ذكر ايس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا * وكان احمد المقريني المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال في موسى الذي تغزل فيه ابن سهل

مال موسى قد خر لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال في رثائه

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق في مأتم * بعضهم يبكي على بعض

وقال فيه

هتف الناعي بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم وحدهم لو دفنوا * في فؤادي قطعة من كبدي

ولابن سهل الاسرائيلي في موسى هذا ما هو مثبت في ديوانه * وكان محمد بن أحمد بن ابي بكر القرموطي المرسي من أعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله في المعرفة بالاندلس يقرئ الامم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد ادنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندي كذا وكنت كذا فأجابه بما أقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه انا عمري كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالي لو كنت اعبد ثلاثة كما طلب الملك مني انتهى * وقال ابو عبد الله محمد بن سالم القيسي الغرناطي يخاطب السلطان على ألسنة اصحابه الاطباء الذين ببابه موريا باسمائهم

قد جمعنا ببابكم سطر علم * لبلوغ المنى ونيل الارادة
ومن اسمائنا لكم حسن فال * سالم ثم غالب وسعاده

تكبيرة ارتجت لها الارض من تحتهم وانساب العباس في الناس فاذا قائل يقول من ورائي قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلي رضي الله عنه فقال يا ابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن اخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال يا عباس ألم أنهك وعبد الله ابن عباس ان تحلا بمركزكما أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فاعدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا اجيب قال طاعة امامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتاسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف فحل بمثله ايطل دمه لاها الله الا رجل يشري نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من اهل الباس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فاتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداعي فقال ان لي سيدا أريد ان أوامره فاتى عليا وهو

وقال ابو عبد الله بن عمر الاشبيلى الخطيب

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال الكاتب ابو زيد عبد الرحمن العثمانى لما تغير حاله باشبيلية

لاتسلنى عن حالتى فهى هذى * مثل حالى لا كنت يامن يرانى
ملنى الاهل والاخلاء لما * ان جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة فى امان

ودخل الاديب النحوى ابو عمران موسى الطبرانى الى بعض الاكابر يوم نيروز وعادتهم ان يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة اعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوّره * تحار فيها السحره
لم تبن ها الايدا * عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
وما لها مفاتح * الا البنان العشره

ورفع الى القائد أبى السمر ورصاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها براد وقد عزم على سفر فأنعم عليه بذلك ثم أتبعه بتحف مما يكون فى الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا سابقا بالذى لم يجل * بفكرى ولم يبد لى فى خطاب
ويا غائصا فى بحار الندى * ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الاكرمين * تفاجى بنيل المنى والطلاب
ولم أرا عظم من نعمة * أتتنى ولم تك لى فى حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى * وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن أبى عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فأحرجت المنصور وأقامته وأقعدته فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرنى فكتب عنه

شتمت مواليها عبيد نزار * شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه * ومن شعر المذكور فى المنصور

انهض على اسمك انه منصور * وارم العدو فانه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم * فبذكر بأسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم * ويكون يوم فى العدا مشهور

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له يصبر مولاى فلا بد من السآمة فهى على حالتين اما من يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله

في بطنه اطفاء انور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال يا عباس ناقلنى سلاحك بسلاحى فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس فى جسمه وركوبه بعلى فبرزله احدهما فأخطاه ثم برزله الآخر فألحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى فان عادلك احد فعدلى ونما الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الاخذلت فقال عمرو ابن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا أنت المخذول قال اسكت ايها الرجل فليس

الذى رفعه عن الحالة الاولى وقال بعض الهجائين فى رندة

قبحا لرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بلد عليه وحشة * ما ان يفارقه القطوب
ما داخلها أحد فينـــوى بعـــد بين أن يؤب
لم آتها عند الضحى * الا وخيل لى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال حبلاص الشاعر الرندى

لا تفرحن بولاية سوّغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة * لما كنت غرا بالسحاب ملثما
وما ذاك الا للنوال علامة * كذا القطر مهما اثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحد من طلعت عليه الشمس فمال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بتركى دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أنى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى ويغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها وظن انه أبهمها واعتقدها وعدّدها وانتقدها فقال

لا تلزمنى ما جنته براعة * طمست بريقتها عيون ثناء
حقدت على لزامها فتحولت * أفعى تمج سمامها بسحاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براعة واباء

وشرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى بحضرته ممن ذكره فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه ارتجالا

لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فانى أعلم أن على بن أبى طالب على الحق وانا على ضده فقال معاوية مصر والله أعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو اما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك من نفسك فاضحك أودع (وذكر أبو مخنف) لوط ابن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين أمام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لامته وجواده وخرج بلامة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول يا لهف نفسى فاتنى معاويه * فوق طمر كالعقاب الضاريه

دعوا الملوك وابناء الملوك فمن * أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
مافى البسيطة كالمأمون ذو كرم * فانظر لتصديق ما اسمعت من خبر
يا واحدا ماعلى عليائه مختلف * من جاد كفك لم تحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فانظرت * عين الى كوكب يهدى ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم * فلم تعرج على شذر ولا درر

فداخل ابن ذى النون من الارتياح ماليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد وقال ابو احمد عبد المؤمن الطليطلى

رأيت حياتى قادحا فى معيشتى * ويصعب تركى للعياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم * وقد طال تأنيبى لمن ليس يصلح

وله

ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم * طفقت أنادى لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة * ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد ابو محمد عبد الله بن الغسال

أعندكم علم بأنى متيم * والا فما بال المدامع تسجم
ومابال عينى لا تغمض ساعة * كانى فى رعى الدرارى منجم

وكان الوزير ابو جعفر الوقشى تياها معجبا بنفسه ومن شعره فى غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسى واننى * عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور اذا لم يبرنى * ولا يكبر الانسان شئ سوى الكبر

وله

يرومون بى غير المكان الذى له * خلقت وبعض منكر ذاك من بعض
فقولوا البدر الافق يترك سماءه * ويحتل من اجل التواضع فى الارض

وقال

تكبر وان كنت الصغير تظاهرا * وباعد اخا صدق متى ما اشتهى قربا
وكن تابعا للدهر فى حفظ أمره * الست تراه عند ما يصغر الكلبا

وقال له بعض ندماء ملكه يوما صاحب حيان بن همشك يا ابا جعفر انت جملة محاسن وفيك الادوات العلية التى هى اهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا اشمئز من شئ اشترك معك فى الوطء عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل فى ان لا تلوح لناظرى * وتبعد عنى ما بقيت مدى الدهر
فوجهك فى لحظى كما صور الردى * ولفظك فى سمعى حديث عن الفقر
ومن حاز ما قد حزته من ركاكة * وغاب فلا يحتج الى كلفة العذر

وله

لك يومان لم تلح لعيانى * ولك الفضل فى زيارة شهر
ولك الفضل فى زيارة عام * ولك الفضل فى زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عنى * ذلك الوجه ما تطاول عمرى

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الأسد الذى يرمى بالماء فنفخ فيه رجل الخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له * صيغ من الماء له سلسله

تخطاك المنايا الا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت مادمت حيا
واست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كانه يغرسهم فى الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله اما تنظر الى ابن أبى طالب وماهو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية فى سنة اربعين بعث بشر ابن ارطاة فى ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الانصارى فتنحى وجاء بشر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة ابن قدامة السعدى فى الفين ووهب ابن مسعود فى الفين ومضى بشر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلى واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحرثى وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جويرية بنت قارط الكنانية

يقذف بالماء على حينه * كأنه عاف الذى قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشى

برح بى أن علوم الورى * اثنان ماان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * و باطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره * مر بنا فى يده صعده
سنانها مشتمل لحظه * وقدها منتحل قده
يزحف للنساك فى جحفل * من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسى حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعى فيه كما الشمس لا * يطمع فى تدنيسه حده

وقال

عجبا للدام ماذا استعارت * من سجايا معذبى وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا * ه وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه وتوريد خديـ * ـه ولطف الديباج من بشراته
والتداوى منها بها ك التداوى * برضا من هويت من سطواته
وهى من بعد ذا على حرام * مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذى النون فقدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضى فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضى أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب * وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آية الله فى الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافى

ومطارح مما تجس بنانه * لحنا أفاض عليه ماء وقاره
يثنى الحمام فلا يروح لو كره * طربا ورزق بنيه فى منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا واخرق للاتصال حجابا حجابا حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فحينئذ حرضه حسبه على الاكرام وتلقى بما اوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدى انى كنت اود الناس فى لقائه واحبهم فى اخائه والحمد لله الذى جعلنى انشد

وليس الذى يستتبع الوبل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الوبل

ثم قام الى خزانة فأخرج منها عودا غناء يطرب دون ان تجس اوتاره وتلحن اشعاره واندفع يغنى دون ان اسأله ذلك ولا اتجشم تكليفه الدخول فى تلك المسالك

فقتلهما بشر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بشر بن ارطاة العامرى عام

بن لؤى بن غالب قتل بالمدينة و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همذان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن أحد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله وبلغ اليه خبر جارية بن قدامة السعدى فهرب وظفر جارية بابن اخى بشر مع اربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابنى عبد الله بن العباس اللذين قتلهما بشر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهى من أجمل الناس وهى تقول ترثيهما

ها من أحس من ابنى اللذين هما
كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس من ابنى اللذين هما
سمعى وقلبى فعقلى اليوم مختطف
ها من أحس من ابنى اللذين هما
مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا
من قولهم ومن الافك الذى وصفوا

أنحى على ودجى ابنى مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدى) قال دخل عمرو بن العاص يوما على

وما زلت ارجو فى الزمان لقاء كم * فقد يسر الرحمن ما كنت ارتجى
فذكركم ما زلت اتلوه دائبا * اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت راسه وقلت له لا ادرى علام اشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تدعنى اسالك فى شأنه ام على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من الحجيج قال وانشدنى لنفسه

حننت الى صوت النواعير سحرة * فاضحى فؤادى لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعى مثل فيض دموعها * اطارحها تلك الصبابة والوجدا
وزاد غرامى حين أكثر عاذلى * فقلت له اقصر ولا تقدح الزندا
اهيم بهم فى كل واد صبابة * وازداد مع طول البعاد لهم ودا

وانشدنى لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم * ابكى واسأل عنهم وانوح
واقول ان سألوا بحالى فى النوى * ما حال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الى

يا حسرة ما قضت من لذة وطرا * اين الزمان الذى يرجى به الخلف
ابكيك ملء جفونى ثم يرجعنى * الى التصبر انى سوف انصرف

قال ابو عمران وكنت فى ايام الفتنة اذا ركنت الى الآمال هولت على نفسى ما القى من اهوالها بقولى مع خاطرى * اين الزمان الذى يرجى به الخلف * انتهى * وكان ابو الحسين على بن الحمارة ممن برع فى الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتى طائر الكرى * راى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء فى حقه انه آخر فلاسفة الاندلس قال واعجب ما وقع له فى الشعر انه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده فى ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين وانشدهما بعدهم

يا واحد الناس قد شيدت واحدة * تحل فيها محل الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا الذى امل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين * وكان اهل الاندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسدى أملى علينا ابن المناصف النحوى بدانية على قول سيبويه هذا باب ما الكلم العربية عشرين كراسا بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبحر أهل الاندلس فى العلوم بما سئل العالم منهم عن المسئلة التى يحتاج فى جوابها الى مطالعة ونظر فلم يحتج الى ذلك وذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة * (ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور بماذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى

المؤمنين ما بقى مما تستلذه فقال اما النساء فلا ارب لى فيهن وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدى فما ادرى أيها الين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدرى ايه الذ واطيب واما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ما أدرى ايه اطيب فاشئ الذ عندى من شراب بارد فى يوم صائف ومن أن أنظر الى بنى وبنى بنى يدورون حولى فما بقى منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال ما بقى منك يا وردان قال صنيعة كريمة سنية أعقلها فى اعناق قوم ذوى فضل واخطار لا يكافؤننى بها حتى القى الله تعالى وتكون لعقبى فى اعقابهم بعدى فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبنى وغلبك وفى سنة ثلاث واربعين مات عمرو بن العاص بن وائل ابن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين واربعة أشهر

بما نصه استعمل المخمس ماذا فى البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما مخبرا وبه بقوله أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لايحتاج الى شاهد وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لايحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولى ولا تشكك فى جلى

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر * من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام

وفى السير فى رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى ووقع فى الاغانى للوليد بن يزيد يرثى نديماله يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت * فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى * فيه من الرأى الاصيل

والخبر طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لاتفيد رتبه ولا تتضمن نسبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو فى الصحاح ووقع فى الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل مافيها

ماذا أجال وثيرة بن سماك * من دمع باكية عليه وباك

وفى الحماسة أيضا واظنها لابى دهبل

ماذا رزئنا غداة الخل من زمع * عند التفرق من خيم ومن كرم

ووقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار

هوت أمه مايبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا

ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابه * من الجود فى بؤسى الحوادث والدهر

ويجر يروه فى الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى الحماسة ايضا * ماذا من البعد بين البخل والجود * ووقع فى الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما

ارادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرم ومما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبي

عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان ابو من المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لابيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة الف دينار وخمسة وعشرين الف دينار ومن الورق الفى الف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من ابيات

الم تران الدهر اخنت صروفه
على عمرو السهمى تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله
ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وضللت
مكايده عنه واموالة الدثر

وفى سنة خمس واربعين ولى معاوية زيادا ابن ابيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الارب مسرور بما لايسره
وآخر محزون بما لايضره

وقدكان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن عوف العامرى وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن

يزيد ابنه لما بلغه خبرهم ٦٤ وهو على شرابه مع نديم له قال أهون على بما لاقت جموعهم * يوم الطوانة من حمى ومن شوم

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور في المطمع وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم * ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور بل هو ابنته * وأين منزلة الانثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن * قياس قولهم هذا الذى ابتدعوا

ان قلت قافية بكرا يكون لها * معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا

قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب * وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وضربوا بين عبدالله واجتهدوا * وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ووالله الذى لا اله غيره ما طالعت عليه كتابا ولا فتحت فيه بابا وانما هو غالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الافكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلو الذرع وعقدت عليه الحبى في عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فتسمح وصحح ما وقع اليه من الاعتلال وأصلح ما وضح لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله وادكر عن وهله وانما المؤمنون اخوة وتحابهم في الله رغبة وحظوة ولهم في السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة كريمة وقدوة انتهى قال ابن الشراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الادباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعانى ووصفه تلك المغانى وقد كان حامل لواء الادب وفائق أبناء جنسه في مراقب الطالب وهذه الكلمة أعنى ماذا جرت بسببها مناظرة بين الاستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور وبين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمى بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغى لعاقل أن يذكرها ولا للذى طى في البيان أن ينشرها وفى ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا ليتها عدم * جنبوها قربها ندم

ليتنى يامال لم أرها * انها كالنار تضطرم انتهى

وقوله يامال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازى انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبى الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه في النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية

اذا اتكأت على الانماط مرتفقا

بدير مروان عندى أم كلثوم

فخالف عليه ليغزون وأردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصارى ودفن هنالك على باب القسطنطينية واسم أبى أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات في سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أنبأنا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها في الكتاب الاوسط وفى سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان والياً عليها ثم عاد اليها فطعن فمات فمر أعرابى عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف عليها دوانى الانس والجن تعزف

فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهى في ديرها في الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها

غاب

عاب قوم كان ماذا * ليت شعرى كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا

انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحيا هنيا * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عملن الى لقياكم قدمى * ولو تجشمت بين الطين والماء
لأن يبل ثيابى الغيث أهون لى * من أن تحرق نار الشوق أحشائى

و أبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوى الاديب أبو زكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرنى ولد سنة ٦٤١ و برع فى العربية وكان يلقب فى المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى و يتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول فى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذى ناب من السباع أى مأكول كل ذى ناب و تبقى هى على الاباحة و يدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول فى قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انها أى نجوانا هذان لساحران أى قولنا هذان لساحران تنبيها للناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن فى المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفى اليفرنى المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يا رحمة لفؤادى من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
و يا رعى الله دهرا ظل يجمعنا * فى ظل عيش صفا من طيبه وضفا
مودة بيننا فى الحب كاملة * ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

(رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى فى سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالى * من شبيه فى المرهفات الرقاق
فكانى فى الحسن يوم وصال * وكانى فى القطع يوم فراق

وقال فى المقص

ومصطحبين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ * سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا * فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا * نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو اردتنى لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكنى أخبرك الذى أردت ذلك له قال وما هو قالت اردت انك تتزوجنى حتى تقوم فى الموسم فى العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك اردت ولكن اخبرينى ما كان ابوك يقول فى هذا الحى من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بنى سالم والآخر من بنى يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال ابى ما الحى معد على اياد فضل بفخر جاوابى يقول

ان ثقيفا لم تكن هوازنا
ولم تناسب عامرا ومازنا

الا حديثا وانبتوا المحاسنا فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وابوك اعلم قال فاخبرينى اى العرب كان احب الى ابيك قالت اطوعهم له قال ومن اولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استعقبهم

فى طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف اطاع

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فأنشده أحد جلسائه وغالب ظني انه اندلسي

عداوة لا لكفك من قديم * فلا تعجب لمقراض لئيم
لئن أدماك فهو للاشبيه * وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيري وله عليه المنهج المعرب في الرد على المغرب وفيه تخاليط كثيرة وتعسف

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * و يأمل أن يأتي لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي وسماه شد الزيار على جحفلة الحمار وابن مؤمن القابسي وبهاء الدين بن النحاس * ومن شعر حازم الاندلسي المذكور قوله

لم تدر اذ سألتك ما أسلاكها * أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجاني بقوله

يا ساحر الالحاظ يا فتاكها * فتنا جواز الصد من أفتاكها

*(ومن حكاياتهم في المجون وما يجري مجراه أن الوزير أبا بكر بن الملبح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى باشياء لا تليق بمثله فكتب اليه أبوه

يا سخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمت صيتي وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجي ءاليا
فاليوم أبكيك مل عيني * لو كان يغني البكا شيا

فأجابه ابنه بقوله

يا لائم الصب في التصابي * ما عنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت عمر الهنا قصير * فاربح من العيش ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مقبلا * فقال سل نحوي كي تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقي له * وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا * وهو لافعال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى * عطفا غدا يطلب مني بدلا
وان أرم محض اضافة له * أعمل في قطعي عنه الحيلا

زياد فكان اول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفي سنة ثمان وار بعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج في سنة خمسين وامر بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشأم فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراقي وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد ابن ابيه بالكوفة في شهر رمضان وكان يكنى ابا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية انه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت اكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالثوية

فى ألف الوصـــل ظللت باحثا * وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلسـت موصولا وليس عائدا * وليس حالى عن أسى منتقلا
فيامـــنى نفسى ومن افهمه * دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجـدى موقوف عليك لا أرى * عنـك مدى الدهر له منتقلا
فـالذى يمنـع من تسكينه * والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليـك مفرد * فلم ترى لضمـــتى مستثقلا
فالضم للرفع غــداعـلامة * فى مفرد مثلى فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عـــنى رافعا * للوصـل ناصبا القولى معملا
للشـوق مســكنا الهجرى صارفا * بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجـزم أمرافى الامانى ماضيـا * وتبتدى بما تشا مستقبـلا

وقال محمد بن ادريس القضاعى الاصطبونى

عـلاه رياض أورقت بمحـامد * تنور بالجـدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمـامـة * تروى ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نفسا ورفعة * فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البـــرية كلها * فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلى الهذلى من أعيان غرناطة

جارت عـلى لواحظ الآرام * لما رمـت أجفانها بسهـام
حكمت على بحكمها فتسمت * الضنى منها لدى أحكـام
ياقاتلى عمــدا بسيف لحاظه * أغمـد ظباه قبل وقع حمام
كم رمت وصلك والصدود يصدنى * ويفـل عزمى امره ومرامى
انى عدمت النفس يوم فراقكم * والبين اسلمها الى الاعـدام
كيف المقام وأصل جسمى ناحل * ان النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العـام
قد كنت أفرح بالسلو فها أنا * قـد زم قلـبى فى الهوى بزمام
مالت به نحـو الفتون بدائع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصـــله * وجميع أعيننا عليـه سوام
قد أبرزت خداه روض محاسن * عظمت على الأفكار والاوهام
تنـــدى بماء شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر فى الاكمام
فكأنما وجناتها فى لونهـا * ورد الرياض ربا بصوب غمام
وكأنما درع الدجا من شعره * قـد حاكه منها يد الاظـلام
وكأنما ريق حواه ثغره * مسك أذيف بعنـــبر ومدام
وكأنما سيف نضت الحاظه * سيف الامير محمد الاسـلام
ذاك الامير محمـــد بن محمد * ناهيـك من ملك أغر همام

من أرض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن على فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حضرت فصرت الى الرحبة ومعى جماعة من الانصار فرأيت شيأ فى منامى وأنا جالس فى الجماعة وقد خفقت وهو انى رايت شيأ طويلا قد اقبل فقلت ما هذا فقال انا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد اصابه ماذكرنا من البلاء وفى ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات

ماكان منتهيا عما اراد بنا * حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت * لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعنى بصاحب الرحبة على بن ابى طالب رضى الله عنه وقد ذهب جماعة الى ان عليا دفن فى القصر بالكوفة ويقال ان زياد اطعن فى يده وانه شاور شريحا فى قطعها فقال له لك رزق مقسوم واجل معلوم وانى اكره ان كان لك مدة ان تعيش اجذم وان حم اجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا

ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يعقل السها لا"تاه في * شكل الفتاة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرة أجردا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للاماني قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولا ما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه و بيأسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتفي يجني جزيل هباته * والمعتدي يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيغم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل قد هدها * في معرك بمهند صمصام
المقتني الجرد المذاكي عدة * للكر في الاعداء والاقدام
من كل مبيض كائن أديمه * لون الصباح أتى عقيب ظلام
ومنها يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعمدة الاقوام
لا زلتم والسعد يخدم أمركم * في غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الامن في أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلي مجدكم * ماسح اثر العجاج وماء غمام

وكان يحيى السرقسطي أديبا فرجع الى الجزارة فأمر الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداي أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى التجارة والقصابه

فاجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدري بها كلفي ووجدي * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لو طلعت على يوما * وحولي من بني كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر * بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكنا في بني العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثوري حتى * مزجنا بالدم القاني لعابه
ومن يغترهم بامتناع * فان الى صوار منا ايابه
و يبرز واحد منا لالف * فيغلبهم وذلك من الغرابه
ومنها أبا الفضل الوزير اجب ندائي * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه

معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد من أهل العراق الاحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك بن قيس اني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع الى بيعته فاني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن السلمي ان يصدقوك في كلامك وان يجيبوك الى الذي دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك ابن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما اردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية أين الاحنف بن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد امسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتنف و يزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن او مرض مضن

وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلي * فأبدى لي التجيل والكآبه
وظن زيارتي اطلاب شئ * فنافرني وغلظ لي حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهي آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدي على * كبدي وهمت بانصداع
لا تعجبي مما رأيـ * ـت فنحن في زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالي غير مرضي

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ في أجفاننا الغمض
لولم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضي أبو البركات بن الحاج البلفيقي رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقني عن أن أسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهري من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام أن لا أحله * رويدا فما أغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم في الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا * وشجون تعم بعضا وكلا
ليس الاصبابة أضرمتها * حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابي جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكتابها

عزاء على هذا المصاب الذي دهى * وشتت شمل الانس من بعد ما انتهى
بفرع علاء في منابت سؤدد * تسامى رقيا في المعالي الى السها
أصيب به من بعد ما تم مجده * وقد شمخت منه الشماريخ وازدهى
فأية شمس فيه للمجد كورت * وأي بناء للمكارم قد وهى
فصبرا عليه لا رزئت بمثله * فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي المالقي

طلعت طلائع للربيع فأطلعت * في الروض وردا قبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين مبشرا * ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائبه عليه بمائه * فأتاه يستسقيه ماء بنانه

وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توليه الامر من بعدك واعص رأي من يأمرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد رايهم في نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فأشار الى معاوية وقال انت امير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن ابى هذا فهذا واخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من اخطب الناس فكان معاوية اول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفي ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولي

فان تاتوا برملة او بهند * نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى * نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفا لو ان لنا الوفا * ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتم حتى تعودوا * بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا * دماء بني امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم * تصيدون الارانب غافلينا

وانفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة

دامت لنا أيامه موصولة * بالعز والتمكين في سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر

يا هل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مطربة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤس الشقيق

وقال أبو جعفر الغساني من أهل وادي آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على حمالة قراب لموطا الامام مالك بعد ما استنجد قرائح أدباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه وأداء مفترضه فقال هو

يا طالبا لكمال * حفظي أتم كمالك
فما تقلدت مثلي * اذ لم تقلد كمالك

وقال أبو بكر يحيى بن بقي

خذها على وجه الربيع المخصب * لم يقتض حق الروض من لم يشرب
همي سماء علا وهمي مارد * فارجمه من تلك الكؤس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زحزحته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافي الطبع حيث قال زحزحته ولو قال باعدته عنه أضلعا تشتاقه لكان أحسن * وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعي

انهض أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * ما لم تكن حاضرا لدينا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم

نحن في مجلس أنس * ما به غير محبك
فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابي * مثل خوفي عند عتبك

*(رجع) وقال أبو عبد الله بن خلصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا
ولا عيب في انعامه غير أنه * اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله أيضا

يا مالكا حسدت عليه زمانه * امم خلت من قبله وقرون
مالي ارى الآمال بيضا واضحا * ووجوه آمالي حوالك جون
انا آمن فرق وراج آيس * وروض صد ومسرح مسجون
لا تعدني انواء سيبك لا عدا * لك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر حكاك ولا حيا * وفت فلا عجم شآك ولا عرب

له على من قبله فلما قرا مروان ذلك ٤٢٢ خرج مغضبا في اهل بيته واخواله من بني كنانة حتى اتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به معاوية منه اقم الامور يا ابن ابي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير امير المؤمنين وعدته في كل شديدة وعضده والثاني بعد ولي عهده وجعله ولي عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد ابن عتبة بن ابي سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ابن معاوية

(ذكر جمل من أخلاقه وسياسته وطرائف من عيون اخباره)

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من أخلاقه وسياساته واخباره وغير ذلك مما يلحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه

واوليتني

وأوليتني منك الجميل فواله * عسى السحب من نعمائك يتبعه السكب

وقال ابو علي اليماني

ابنات الهديل اسعدن أو عد * ن قليل العزاء بالاسعاد
بيد أني لا أرتضي ما فعلتن * فأطواقكن في الاجياد

وقال ابو جعفر احمد بن الدود من كلمة

فغدت غوادي الحي عنك غرائبا * واسلن الحاظ الرباب ربابا

وقال ابن ابي الخصال في مليحة لها اربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنة * بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة * كسيئات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام

صغار الناس اكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض
الم تر في سباع الطير نسرا * يسالمنا ويؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخلتها ارسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت اربع * وزكت ثلاث منه للتأمل
وكأنما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكأن راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

وقال ابو محمد بن سفيان وهو من أبدع التخلص

فقلت وجفني قد تداعت شؤنه * وحرضلوعي مقعد ومقيم
لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أبا عيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ما تحت الوشاح خميصه
لبس الفؤاد ومزقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال

سلام على أيامكم ما بكى الحيا * وسقيا لذاك العهد ما ابتسم الزهر
كأن لم نبت في ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر

اوفرخ اومايشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول يا غلام اخرج الكرسي فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدي علي فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا الولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند

راسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بأمر

ولم تغتبق ثلاث الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به خمر
ألا في ضمان الله في كل ساعة * يجدد لي فيها بشوقي له ذكر
يذكرنيه البرق جذلان باسما * ويذكرني اسفار غرته الفجر
ومارق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عيني منه آدابه الزهر

وقال يحيى السرقسطي

هاتها عسجدية كوثريه * بنت كرم وحيقة عطريه
كلما شفها النحول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت اليها * والدجا في ثيابه الزنجيه

ومنها

كم عقار بذلته بعقار * وثياب صبغتها خمريه
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسيه

وله

تسدتم الظلم لعمالكم * وغبتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ما خطر العدل على بالكم

وقال الرصافي في الدولاب

وذي حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال لها المحل لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكي * بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صارله عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه علي فقال

أباحسن أباحسن * بعادك قد نفى وسني
وما أنسى تذكره * فهل أنسى فيذكرني

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبي ركب

يقول الناس في مثل * تذكر غائبا تره
فمالي لا أرى سكني * وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسي بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل * سؤال مدل على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد * ويا خير من عن امام نقل
أيحرم ان نالني قبلة * غزال ترشف فيه الغزل
وعانقني والدجا خاضب * فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا * فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ما قلته صادقا * وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوي الحشا * أعار المهاة احورار المقل
قريب الرضا وله غنة * تميت الهموم وتحيي الجذل

فيقال يا عبد الله أعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال للناس اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكنانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان في آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادي بالمغرب ولا ينادي له باصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء وينادي بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي

ففي

ففي أخذ أشهب عن مالك * عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم * على أن ذلك حل وبل

ونظر الرصافي يوما الى صبي يبكي ويأخذ من ريقه ويبل عينيه كي يحكي أثر البكاء فارتجل الرصافي

عذيري من جذلان يبدي كآبة * وأضلاعه مما يحاوله صفر
أميلد مياس اذا قاده الصبا * الى ملح الادلال أيده السحر
يبل مآقي مقلتيه بريقه * ليحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
أيوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور رأى الرصافي يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة واجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للسير الى الوادي فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافي من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربي الغرب اذ رآني * مجتمع الشمل بالحبيب
فأرسل الماء عن فراق * وأرسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك * وحكي ان أبا بكر بن مجبر قال في ابن لابي الحسن بن القطان بحضر والده

جاء وفي يساره * قوس وفي اليمنى قدح
كأنه شمس بدت * وحولها قوس قزح
يالائمي في حبه * ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسي استوطن المشرق في تركي فأقسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جذ بقلبي ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر * وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشني والقاضي أبو حفص بن عمر وهو اذ ذاك وسيم فأثرت الشمس في وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس يا قمر * سمة في القلب تنتشر

فقال الآخر

علمت قدر الذي صنعت * فأتت صفراء تعتذر

وقال أبو الحسن بن البلنسي الصوفي كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحمد لما جاء من سفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
فانظر لما أثرته الشمس في قمر * والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما حفظا وتقدما فتعارفا وتسالما ثم بادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن ما بي بالحصا فعل الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغي أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق

 الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي

والحاشية فيؤامره الوزراء فيما ارادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها الرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك ابن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من اهل

الحاصل السكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن ما به يحرك ما شأنه السكون و يسكن ما شأنه الحركة فقال أبو مروان ما يريد الشاعر بقوله

وراكعة في ظل غصن منوطة * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما في مسجد فأقيمت الصلاة اثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي ألغز الشاعر باسم أحمد فالراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤ الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغي أن تعيد الصلاة لاشتغال خاطرك بهذا اللغز فقال له الوقشي بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فككته والبيت لعبد الله بن الدمينة و بعده

ولو أنني أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندي بخير الورى عندي * واولاهم بالشكر مني و بالحمد
وصلت فلما لم اقم بجزائه * لففت له رأسي حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحد الوزراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه بره وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه في الفتح وقال بعد ذلك ما صورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه اعف الناس بواطن واشرفهم في التقى مواطن ما علمت له صبوه ولا حلت له الى مستنكر حبوه مع عدل لاشيء يعدله وتحجب عما يتقى مما يرسل عليه حجابه و يسدله وكان لصاحب البلد الذي يتولى القضاء به ابن من احسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف قال الفتح وحللنا لاحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر احسن من شاذ مهر تشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من اعيانها فأحضر لنا من انواع الطعام وارانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد و يقصر عن بعضه العد وفي اثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما انكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام احقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم ار منه ما عهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعني بهذه القطعة

أتتني أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف في الخطرات
فأعربت عن وجدي كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات
غزال احم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن او عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذي فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنساك في كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

أخذت مني بصفين فارتفع امرهما الى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي أصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا اني اقاتله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار ابن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودي) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال أراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمني منه وانه اخبره صديق له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي

يعـز علينا ان تهـيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفـرات
فلو قبلت للناس فى الحب فـدية * فديناك بالامـوال والبشرات

ومن ايثاره ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه جرى المتشرعين ان احد اعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا فى عينه وفؤاده لا يسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولا توردهمن تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السـيد المجتبى * ويا أيها الالمعى العـلم
أتتنى ابياتك المحكمات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم ار من قبلها مثلها * وقد نفثت سحرها فى الكلام
ولكنه الدين لا يشترى * بنثر ولا بنظام نظـم
وكيف ابيح حمى مانعا * وكيف احلل ما قد حرم
الست اخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطـرم
أأصرفها طالقا بتـة * على أنوك قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغوى الذوى * تثبـت فى أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا ولا خفاء أن هذه الحكاية مما يدخل فى حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

ياساكن القلب وفقا لم تقطعه * الله فى منزل قد طال مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ما حبى لفاحشـة * أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله فى مثل ذلك

روحى اليك فرديه الى جسدى * من لى على فقده بالصبر والجلد
بالله زورى كئيبا لا عـزاء له * وشرفيه ومثواه غداة غـد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى * بايعتنى الود تصفيه يدا بيد
عليك منى سلام الله ما بقيت * آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتى لهن اليد الطولى فى البلاغة كى يعلم أن البراعة فى أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم * (فمن النساء المشهورات بالاندلس أم السعد بنت عصام الحميرى من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار فى ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألثم التمثال اذ لم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشئ ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجع من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لى أها هنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جار له انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجىء قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شئ احسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم

ماصورته
لعلـــنى أحظى بتقبيـله * فى جنـة الفردوس أسنى مقيل
فى ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به عـله * يسكن ماجاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهـل الحب فى كل جيل

وأنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحدث أبى محمد بن هرون القرطبى لجدته سعدونة وأظنها هذه
آخ الرجال مـن الابا * عد والاقارب لاتقارب
ان الاقارب كالعـقا * رب أو أشد من العقارب

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله أعلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبى الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم وهى اذذاك بكر لم تتزوج

انى اليـك أبا العاصى موجعـة * أبا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع فى نعماه عاكفـة * فاليوم آوى الى نعماك يا حكم
انت الامام الذى انقاد الانام له * وملكته مقاليـد النهى الامم
لاشئ أخشى اذا ما كنت لى كنفا * آوى اليـه ولا يعرولى العـدم
لازلت بالعـزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاك لها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو فى حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى * على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خـير جابر * ويمنعنى من ذى الظلامة جابر
فانى وأيتامى بقبضة كفه * كذى ريش أضحى فى مخالب كاسر
جدير لمثلى أن يقال مروعة * لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * على زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذى خطته يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأى الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفى يا حسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشامين خير الناس مأثرة * وخـير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجداد

لحية كم تطنبون فى على ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول أنت فى ذلك قال من تريد قلت على فما تقول فيه قال أليس هو ابو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر ونزل عبد الله بن على الشام ووجه الى أبى العباس السفاح اشياخا من اهل الشام من أرباب النعم والرياسة فحلفوا لابى العباس السفاح انهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى امية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلى

أيها الناس اسمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس انهم * فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا * دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله مانعلمه * يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان ببغداد رجل فى أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنى تنقاد اليه العامة فكان

جودت

جوّدت طبعي ولم ترض الظلامة لي * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففي نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زودتني زادي

*(ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحجارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل مايصدر منكم حسن * وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره * فهو في نيل الاماني يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لايخدع فيه الصبي * بحيلة فاسمع الى نصحي
فلاتكن أجهل من في الورى * يبيت في الجهل كما يضحي

ولها أيضا

أفهم مطارح أحوالي وما حكمت * به الشواهد واعذرني ولاتلم
ولاتكلني الى عذر ابينه * شر المعاذير مايحتاج للكلم
وكل ماجئته من زلة فبما * أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

والحجارية بالراء المهملة نسبة الى وادي الحجارة *(ومنهن امة العزيز قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية في كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتني اخت جدي الشريفة الفاضلة امة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي اوجب جرح الصدود   انتهى

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلدينا القاضي الامام الفاضل ابي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

اوجبه مني ياسيدي * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ماقلت وأين الشهود   انتهى

(ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية) قال ابن سعيد في المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يامعشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجا * من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو انه * فارقني تابعه قلبي

*(ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية) بالنون نسبة الى بجانة وهي كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهي من أهل المائة الرابعة فمن نظمها من ابيات

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم * انيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالي سعد لايخاف على الهوى * عتاب ولايخشى على الوصل هجران

يجتمع اليه في كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لاضار ولانافع الا الله فلاي شئ تسألوني عن مضاركم ومنافعكم الجؤوا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اي والله قد صدق فنافكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرضك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم في معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولامعرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ماذكرنا ونظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولي التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة في احتشادها وجموعها فلاتراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ متمس مخرف أو

(ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب تسكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى *(ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحي في تاريخه وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي ارتجالا بين يديه

يا سيد الناس يا من * يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس * يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشئ بالشئ يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الاوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهي عنده
فلا نعمة الا تؤدي حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع *وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراك المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت في امراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمي كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن علي

فأمر له بألفي دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع أرضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه و بين من كان امامه لكثرتها انتهى *(رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب في المطرب قولها

ثنائي على تلك الثنايا لانني * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا اكذب الله انني * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد ابو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه ان قتله وطلب ابو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهر بن فكتب لها

مستمعين الى قاص كذاب لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم او متعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم في احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملئهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحي وعظموه بهذه الكلمة واضافوها اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه وما نشؤا فيه فالغرو وقت التحصيل والبلوغ

يامن اجانب ذكر اسمه وحبي علامه
مالي أرى الوعد يقضى * والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لا ان * يكون لي في القيامه
لوقد بصرت بحالي * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلي أريحي * فاليأس يثني زمامه

فاجابته

يامدعي في هوى الحسن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
امدعي الحب يثني * ياس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تحسب مذ كنت في السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت بافتضاح السآمه
بالله في كل وقت * يبدي السحاب انسجامه
والزهر في كل حين * يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل ابياته بعدما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما في جميعكما خير ولا لي برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخزي ولما أطل على ابي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له ماوراءك ياعصام قال ما يكون وراء من وجهه خلف الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أسخف عقلك واجهلك انها وعدتني للقبة التي في جنتي المعروفة بالكمامة سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأرادت عتبها فانشدت

دعي عد الذنوب اذا التقينا * تعالي لا نعد ولا تعدي

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكتندي الشاعر لابي جعفر وفيها

اباجعفر يا ابن الكرام الاماجد * خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خل قنوع مهذب * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت اسميه الحائل لانه يحول بيني وبينك ان وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته

يامن اذا ما أتاني * جعلته نصب عيني
ترالئ ترضى جلوسا * بين الحبيب وبيني

لا تنهى بعد اذ أكرمتني
فشديد عادة منتزعة

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس اثقل محملا
من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالارب وقالت حكماء العجم العادة هي الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عقال الكاتب كتابا في اخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهي ولولا انى اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه في هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة واخلاقها وطرائف افعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس في اخلاقهم وتصرفهم في احوالهم (فلنرجع) الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من ذلك أنه وفد عليه عقيل بن ابي طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له ياأبا يزيد كيف تركت عليا فقال

ان كان ذلك فاذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لى * بعد المطال بديني
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
اوليس تبغي وحاشا * لك ان ترى طير بين
وفى مبيتك بالخمس كل قبح وشين
فليس حقك الا الخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمالك من اهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول اعلمهما بحالي فرجع الرسول واخبرهما بذلك فكادان يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذى خلصنا * من الوقوع فى الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا اسقط الناس وبا * انذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قى لو أتيت فى الكرا
يا لحية تشغف فى السخر وتشنا العنبرا
لاقرب الله اجتما * عابك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح فى زهره الكمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى فى الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسا كم * فذلك والله مالا يكون

وقولها من أبيات

ولولم يكن نجم الما كان ناظرى * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * اظل بأحبابى يذكرنى وهنا
لعمرى لقد اهدى لقلبى خفقه * وأمطرنى منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين

أغار عليك من عينى رقيبى * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو انى خبأتك فى عيونى * الى يوم القيامة ما كفانى

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبى جعفر

راست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامى يقولون لم راس

لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه ثم أحب معاوية ان يقطع كلامه مخافة ان يأتى بشئ يحفظه فوثب عن مجلسه وأمر له ان ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وارسل اليه فاتاه فقال له يا ابا يزيد كيف تركت عليا اخاك قال تركته خيرا لنفسه منك وانت خير لى منه فقال له معاوية انت والله كما قال الشاعر

واذا عددت فخار آل محرق
فالمجد منهم فى بنى عتاب
فعل المجد من بنى هاشم
منوط فيك يا ابا يزيد ما تغيرك الايام والليالى فقال عقيل
اصبر لحرب انت جانيها
لابدان تصلى بحاميها
وانت والله يا ابن ابى سفيان كما قال الآخر
واذا هوازن اقبلت بفخارها
يوما فخرتهم بآل مجاشع
بالحاملين على الموالى
عزمهم والضاربين الهام
يوم القارع * ولكن انت يا معاوية اذا افتخرت بنو امية فيمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك ابا يزيد لما امسكت فانى لم اجلس لهذا وانما اردت ان اسألك عن اصحاب على فانك

وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

يا ذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ما قد تصرم وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه انها سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم * غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعمة * لا تحفلي برديء الخط والكلم

واتفق ان بات أبو جعفر بن سعيد معها في بستان بحوز مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق لتجيبه على عادتها في مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرد القمري الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد في الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

ازورك ام تزور فان قلبي * الى ما تشتهي أبدا يميل
فثغري مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجاني تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبي الحسين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهي

عيون مها الصريم فداء عيني * وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري * لأزين للعقود من العقود
ولا أشكو من الاوصاب ثقلا * وتشكو قامتي ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفي أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا

الكلام قال اما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي
اسود تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون وانتم مفاتيح الدنيا والآخرة أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته أن يفيء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم فما كان من فضل او احسان فبكم وصل الينا فأجل الله اقداركم وحمى اخطاركم وكتب آثاركم فان اقداركم مرضية واخطاركم محمية وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه ايد عليه ووجوه جليه

مايلون أجزل منها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا اله هى أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى *(رجع الى حفصة) وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم مارأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى وبرقسمى أنى كنت يوما فى منزلى مع من يجب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمعت بها غفلات الايام فلم نشعر الابالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ماتريدين فقالت ادفعى لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالى
يفضح الورد ماحوى منه خد * وكذا الثغر فاضح للآلى
ماترى فى دخوله بعد اذن * أوتراه لعارض فى انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب فى وقت الرغبة فى الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبى جعفر بن سعيد سابق الحلبة فانلم ببعض أحواله فنقول هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى قال قريبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد فى المغرب سمعت أبى يقول لا أعلم فى بنى سعيد أشعر منه بل لا أعلم فى بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه فى أموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أنى فى مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاى فى أى وقت * أنال فى العيش راحه
ان لم أنلها وعمرى * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكاس راحى مالان * تميل منى راحه
والخطب عنى أعمى * لم يقترب لى ساحه
وأنت دونى سور * من العلا والرجاحه
فأعفنى وأقلنى * عما رأيت صلاحه
مافى الوزارة حظ * لمن يريد ارتياحه
كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه
أنسى أتى مستغيثا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر رقعته قد تركناسراحك انسك وألحقنا يومك بامسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبى جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه

وتغرس الافى منابتها النخل (وحدث) أبو الهيثم عن أبى سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائى ثم احد بنى عفان قال لما انصرف على من الجمل قال لآذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمى والاحنف بن قيس وصعصعة ابن صوحان العبدى رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم انتم وجوه العرب عندى ورؤساء اصحابى فأشيروا على فى امر هذا الغلام المترف يعنى معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأى ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الراى أن ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجاب واناب كان له مالك وعليه ماعليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال على عزمت عليك ياصعصعة الاكتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية

فطلب أن يعفيه فأبى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج ثانى يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور ووجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما في نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرى بينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صبحا وليلا وبعضنا * اصيلا وكل ان شدا لجلجل رقص
وشهب بزاة قد رجنا بشهبها * طيورا يساغ اللهو ان شكت الغصص
وعن شفق تغزى الصباح او الدجا * اذا اوثقت ماقد تحرك اوقص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * جحيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مشعله ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص ان يرانى مقيدا * بخدمته لا يجعل البازفى القفص
وما كنت الا طوع نفسى فهل ارى * مطيع المن عن شأو فخرى قد نقص

فكان من اصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما للسيد فعزله اسوأ عزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين فى ذلك الاسود وأنا اقدر أن اشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فاسرها فى نفسه الى ان فر عبد الرحمن بن عبد الملك ابن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بمالقة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه ابا جعفر لعبد المؤمن وينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده فى مجلسه فأمره بحضوره فعندما دخل عليه قبل يده وانشد قصيدة منها قوله

عليك احالنى داعى النجاح * ونحوك حثنى حادى الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذى جهل تغلغل فى قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر * ويذكر للرياض شذا الرياح

وله فى غلام اسود ساق ارتجالا

ادار علينا الكاس ظبى مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحرى
وزاد لنا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس ابيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بعاج كليل علاه فلق
يحاكى لنا الكاس فى كفه * صباح بجنح علاه شفق

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبى * عن سابغ الانعام
فقلت در ودر * من زاخر وغمام

واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على امير المؤمنين الى معاوية سلام عليك اما بعد ثم اكتب ما اشرت به على واجعل عنوان الكتاب الا الى الله تصير الامور قال اعفنى من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وبالباب أردفة من بنى أمية فأخذته الايدى والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشف واثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من على فقال والله لقد بلغنى أمره هذا أحد سهام على وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن له يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبى سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل فى جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية فى الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنابها * أبدى الينا كل حمام
أفق له قطر حميم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يخرق سحبا للدخان الذى * لاح كغيم العارض الهامى
وقيم يجذبنى جذبة * وتارة يكسر ابهامى
و يجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الانذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
و جملة الامر دخلنا بنى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ما عشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدين معتنما * تنعم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الا حسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذ بتموه فراسة * وعقلا ولولا كم للازمه الجهل
وما هو أهل للثناء وانما * علا كم لتقليد الايادى له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * ومالى من خير فأنتم له أصل

وقال

ولما رأيت السعد فى صفح وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يبدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الجديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله

لا تكثرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * يطول والود باقى

وله

ما خدمنا كم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب فى هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما خذلتموهم بشكوى * وبخلتم عنهم بردا لجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا جمال العتاب
واذا أرض مجدب لفظته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لوقته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * يدلنى لرشاد
أنى وكفك سحب * يبدو بها اذا تقاد

وله فى قوادة

قوادة تفخر بالعار * أقود من ليل على سار

لقى افترس واذا انصرف احترس قال فمن أى أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد و يعول العباد ويضرب بيقاع الارض العماد قال فمن أى اولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان فى الحرب سيفا قاطعا وفى المكرمات غيثا نافعا وفى اللقاء لهبا ساطعا قال فمن أى أولاده انت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حضر يا خصيبا أبيض وهابا الضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحى من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبى سفيان تركت لهم مالا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وانى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله فى الارض ونجومه فى السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد ولا

ولاجـة فى كل دار وما * يدرى بها من حذقها دارى
ظريفة مقبولة الملتقى * خفيفة الوطء على الجار
تحالفها الا ينطوى دائما * أقلق من راية بيكار
قدر بيت مذعرفت نفعها * ما بين فتاك وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد * عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برها * ذات فكاهات وأخبار
علم الرياضات حوته وسا * سته بتقويم واسحار
مبتاعة للنعل من كيسها * موسرة فى حال اعسار
تكاد من لطف أحاديثها * تجمع بين الماء والنار

وما سمعنا فى هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب * صدا كميل الشمس عند الغروب
لا تروعنا وجهك المجتلى * فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا * فاننا عما قليل نتوب
ما نشتكى الدهر ولا خطبه * لولاك ما دارت علينا خطوب

وله

أيا لائمى فى حمل صحبة جاهل * قطوب المحيا سيئ اللفظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبته * وان كان ذا طبع يخالفه طبعى
كما احتمل الانسان شرب مرارة الدواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ما شاء

تركتكم لا كارها فى جنابكم * ولكن أبى ردى الى بابكم دهرى
وطاحت بى الاطماع فى كل وجهة * تنقلنى من كل سهل الى وعر
وما باختيار فارق الخلد آدم * وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة * على ما اشتهاه مشتهٍ أمد العمر
وانك ان فكرت فيما أتيته * تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لجاج فى النفوس اذا انقضى * رجعت كما قد عاد طير الى وكر
وانى لمنسوب اليكم وان نأت * بى الدار عنكم والغدير الى القطر
وانى لمثن بالذى نلت منكم * مقيم على ما تعلمون من البر
وان خنتكم يوما فخاننى المنى * وساء لديكم بعد احماده ذكرى
على أننى أقررت أنى مذنب * وذو المجد من يغنى المقر عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجا * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدى الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد

صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبنى هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ ما سوّده قومه وددت والله أنى من صلبه ثم التفت الى بنى أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور ابن وحشى عن أبى الغياض عبد الله بن محمد الهاشمى عن الوليد بن البخترى العبسى عن الحرث بن مسمار البهرانى قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبد الله ابن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أى الخلفاء رأيتمونى فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله فى قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله

والأذن لا يملك الصبر قلبه * يقوم به غيظ هناك ويقعد
لها ألسن تشكو بها ما أصابها * وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاي هذي بردتي أخلقت * وليس شيء دونها أملك
وصرت من باس ومن فاقة * أبكي اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعي أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تداركنا فانا في سرور * وما بسواك يكتمل السرور
أهلة انسنا بك في تمام * أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاي لم تقصد تعذيب من * يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا بيعدوني * تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زارجني ضجرة * وجمنه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما العيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن علو قدر فسأله عن بلده فقال اشبيلية ففكر ثم قال

ياسيدا لم أكن من قبل أعرفه * حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادني أن غدا في حمص منشؤه * لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له في انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

ياسيدا قد ضمه مجلس * حل به للمزح اخوان
لم يلق من جفانه خجلة * ولا نفاه عنه كتمان
كانه من جمعنا واحد * لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا * في وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقي أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب ان قال

ان لحت لم تلمع سواك الاعين * أوغبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذي ما ان يمل حضوره * ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آياته

اني لأحمد طيفها وألومها * والفرق بينهما الذي كبير
هي ان بدت لي شيبة في جفوة * والطيف في حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها * وافى على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل عماله فنكب في سفره وعاد فقيرا بأسوأ احواله

فان كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ما ذكرت أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لا حلي ولا سيري) ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا أني أرجع الى قول أبي طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال أخبرنا الوليد بن البختري عن أبيه عن أبي مزروع الكلبي قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال

اغدو لا يغني عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال
قالوا فلان رماه الله في سفر * رآه رأيا عباحات به الحال
فآب منه سليبا مثل مولده * عليه ذل وتفجيع واقلال
فقلت لا خفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال
فقل له دام في ذل ومسغبة * ولا أعيدت له في المال آمال
قد كان جملك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن وده حائل
لئن مال دهري بي عنكم * فقلبي نحوكم مائل
فاني شاهدت منكم علا * من العجز قس بها باقل
لئن طال بي البعد عن لحظكم * فما في حياتي اذن طائل

وله وهو من حسناته

شقت جيوب فرحا عندما * آبت وفي البعد تشق القلوب
فقلت هذا موقف ما يشق السجيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد اجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ في ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحو ما تختار لا تسمعن * ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد ما رمته * مهما يساعد رأيك الدهر
عجبت ممن رام صدر العلا * يروم أن يصفو له دهر

فقالوا له اتهمتنا في الود فقال لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلي والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنوني عن زيارة خليفة لوالدي عنده مكان وله علينا احسان ولي شافع عنده مقرب لمجلسه عقلي ولساني ولكني أنا المخطئ الذي عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله في شعاع الشمس والقمر على النهر

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد شن عليه درعا

أيا قائد الابطال في كل وجهة * تطير قلوب الاسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا * أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة * أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناء * عمن غدا لك حاسد

قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرني عن اهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوي الاعلام الا ان بها اجلافا تمنع ذوي الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك اخلاق ذوي الهيئة والقناعة قال فاخبرني عن اهل الحجاز قال اسرع الناس الى فتنة واضعفهم عنها واقلهم غناء فيها غير ان لهم ثباتا في الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع على وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر قال أسد مضر بسلاء بين غيلين اذا ارسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنالك يا ابن صوحان العز الراسي فهل في قومك مثل هذا قال هذا لاهله دونك يا ابن ابي سفيان

فكان منك انخداع * به فرايك فاسد
بصدره منك نار * لهيبها غير خامد
وغله لك مازد * ت في السعادة زائد
وانما ذاك منه * كالحب في فخ صائد

وله

أبصره من يلوم فيه * فقال ذا في الجمال فائق
أما ترى ما دهيت منه * كان عذولا فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاي ان يحبسك خير خليفة * فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة * والمرهفات تصان في الاجفان
فابشر فنزع الدر من أصدافه * يعليه للاسلاك والتيجان
والئن غدا من ظل دونك مطلقا * ان القذى ملقى عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها * وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة * ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه * سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادي بعده * بذرى الخلافة في ذرى كيوان

مولاي غيرك يعزى بما لم يزل يجري على الكرام ويذكر تأنيساله في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزي * وخوض الموت في الحرب السجال

وقد كان مولاي أنشدني لعلي بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما ناله من السجن بمثله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائري * سجني وأي مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبخاطرك لا يزال غرو به وطلوعه وانما هي عادة تبعناها أدبا وقضينا بها في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئه ويعقب بالنعمة هذه المرزئه قال فاسر الملك بتسريحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزك طماح ووجهك مشرق
فغفر الذنب الدهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ما هو أليق
فلح في سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لما غدوت مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملأ الدلو الى عقد الكرب * وله يعتذر وقد دعي الى مجلس أنس سيدي ساعدك سؤلك لما وصل الى أخيك المعتد بك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول

ومن ذا الذي يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

قال فاخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك ومن أحب قوما حشر معهم قال والله ما أنا عنهم براض ولكني أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل واذناب في الدين والميل ان تغلب رايتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه زلج قال فاخبرني عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وما ذاك يا ابن صوحان قال اهل الشام قال فاخبرني عنهم قال اطوع الناس لمخلوق واعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مديتك منذ ازمان الا ان حلم ابن أبي سفيان يرد عنك فقال صعصعة بل امر الله وقدرته ان امر الله كان قدرا مقدورا (حدث) ابو الهيثم قال حدثني ابو البشر محمد بن بشر الفزاري عن ابراهيم بن عقيل البصري قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس الارض لله وانا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة

ولكن الاضطرار لا يكون معه اختيار وانى لأشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم واحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف الغمائم ولكن شغلنى عارض قاطع وبرغمى أنى لدعوتك عاص وله طائع وانى بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة فى الغفران مستجير بالخلاص الذى أعهده من خرق فلان ومكر فلان فانى متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه ومستجمعا اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكننى أدرى بأنى نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

وانى لاقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامى والمثابة السنيه

لئن غبت عمن نوره نور ناظرى * فحسبى لديه أن أغيب عقابا

وسوف أوافيه مقر ابزلتى * وفى حلمه أن لا يطيل حسابا

وله فى قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله

لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله

طار النهار به كما * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فخرج ليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو فى الزورق متكئ وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه فى المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد مثل ذلك فى بلده وقال يا سفلة أتقدم على بهذا قبل معرفتى فثنى عليه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال يا وزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا للعيتك فاذا عرفناك ذهبناه لك فغلبه الضحك على الحرج وجعل أصحابه يقولون له ما سمعت ان من دخل هذا الوادى يعول على هذا وامثاله فمال عن ذلك المنزه قليلا واطرق ساعة وقال

نهر حمص لاعدمنا * ك فما مثلك نهر

فيك يلتذ ارتياح * ابد الدهر وسكر

كل عمر قد خلا منـ * ـك فما ذلك عمر

خصه الله بمعنى * فيه للالباب سر

يلعن الانسان فيه * وهو يصغى ويسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه فسمى له واعلم ان ابن سعيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه املى على السفلة ما قال وصنع فكتب له ابو جعفر

يا سمى وان افاد اشتراك * غير ما يرتضيه فضل وود

أكذا يزدرى الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك رد

تمنيك نفسك مالا يكون * جهلا معاوى لا تأثم فقال معاوية يا صعصعة تعلمت الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما احوجك الى ان اذيقك وبال امرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذى لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بينى وبينك قال الذى يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودى) ولصعصعة ابن صوحان اخبار حسان وكلام فى نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعانى على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائنى عن زيد ابن طالع الذهلى الشيبانى قال اخبرنى ابى عن مصقلة ابن هبيرة الشيبانى قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد ساله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وان يكون الناس عندك شرعا قال فما المروءة قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما جليل تحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ فى ذلك شعرا قال نعم اما سمعت قول مرة بن ذهل

لا أرى من سلطت وغدا ولكن * ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجل ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتنبيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كنسيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يفاتحنى بالسلام ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده ما نسب الى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زوّر السيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملم اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقاط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلقى وما تادبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا * ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لأتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكننى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو ان تعفو وأنت ابن من غدا * تعود عفوا عن كبار الجرائم

لكم آل عمار بيوت رفيعة * تشيد من كسب الثنا بدعائم

اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم * ولم تقتنع بالعفو دون المكارم

وانك فرع من أصول كريمة * ولا تلد الازهار غير الكمائم

وانى مظلوم لزور سمعته * وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه سيدى الذى أكبر قدره وأجل ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذم لك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمداعبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم لانشدت

منذ غدا طرفك لى ظالما * آليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك وأعلم حتى كأنى حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على ان تصل الى أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستى

يوم له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكى مثل جفن هام

فاختر لنفسك أربعا هن المنى * وبهن تصفو لذة الايام

وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا * ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك همم الامانى فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة سنتبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

ابن شيبان حيث يقول
واذا تقابل مجريان لغاية
عثر الهجين وأسلمته الارجل
ويجىء الصريح مع العتاق
معودا
قرب الجياد فلم يخنه الافكل

فى ابيات فقال له ابن عباس لوان رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا لفائدة هذه الابيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من اخبار العرب فمن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون فأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يأبه الى احدهم اذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعد ان يدرك زعمه ويقضى بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه أما سمعت الى قول ريان بن عمرو بن ريان وذلك ان عمرا أباه قتله مالك بن كومة فاقام

ريان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه فى مائتى فارس صباحا وهو فى اربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قم

قم فاسقنى والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب القضب
كأنها والرياح تعطفها * صف قنا سندسية العذب
والجو فى حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدى فى مثل هذا المكان جرينا اليه جرى الحلبة لخصل الرهان وان كان فى كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأ فان الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تترى وان كان لا يجدى هذا الكلام فما نقنع من العقوبة المؤلمة بالملام وعلى المودة المرعية الدعية أكمل ما يكون من السلام فعندما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات فى طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر بالبحر فالقنا * بما يتلقى جوده كل قادم
بفيض ولكن من مدام وهزة * ولكن الى بذل الندى والمكارم
وكنا نسمى قبل كونك حاتما * ومذ لحت فينا لم نعد ذكر حاتم
بآل سعيد يفخر السعد والعلا * فأيديهم تلغى أيادى الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك ووعده بغير ذلك فأطرق لينظم شيأ فى شكره فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سعيد فى ذلك الحين متستراً بشرب الراح وكان عند أبى جعفر خديم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سعيد هات دواة وقرطاسا فأعطاه ذلك فكتب

ياسيدى قد علمت انى * بهذه الحال لا أظاهر
أخشى أناسا لهم عيون * نواظر رمى المعاير
احذرهم طاقتى وانى * وثقت بالله فهو غافر
ولا تقس حالتى بحال * منك اعتذار فالفرق ظاهر
فأنت ان كنت ذا جهار * غير مبال فالجاه ساتر
لا تخش من قول ذى اعتراض * ولا حسود عليك قادر
وانى قد رأيت ممن * يكثر القول وهو ساخر
ماقد أراب العفيف منه * ضحك وظن به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم * قال بحال تسر ناظر
واللص ما بيننا صريعا * بكل كاس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى * لصولة الدف والمزامر
فأغتدى سيدى مشارا * الى مهما مررت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى * نوالهم قيل أى شاعر
يذكر فى شعره خلافا * وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك * فماله بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظى * وافى لربح فآب خاسر

فلو امى ثقفت بحيث كانوا
لبل ثيابها علق صبيب
ولو كانت أمية أخت عمرو
بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الادنين منى
ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حدلى حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضغم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للاقتتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ماورثت هذا عن كلالة زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبى يرثى ابن أخيه عمرا حيث يقول

فارس تسكلأ الصحابة منه * بحسام يبرم الحريق لا تراه لدى الوغى فى مجال * يغفل الضرب لا ولا فى مضيق

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المضحك على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كوني أحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين ويهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزي بزي خطيب في نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن في امن ماشربت معي فاني والله لا اسمع احدا من أصحابنا تكلم في شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب في ذلك راجع الي فسكن ابن سيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومد لها في النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألصقت على الارض خدا

فقال ابن سيد

هي المراة لكن * من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عند مالاح بردا

فقال ابن سيد

أهدت لطرفك منه * ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه * سيف من التبر مدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئا * وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع على النهر ثوب السكر فذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه * كالزهر ذات الذوائب

وحين صفق للافق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ما تركت بعد هذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

سقني والافق برد * بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

وبساط النهر منها * وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

ورواق الليل مرخى * والشذا بالروض قد نم

فقال ابن سيد

من يراه يخله في الحرب يوما * انه أخرق مضل الطريق

في أبيات فقال له ابن عباس فأين أخواتك منك يا ابن صوحان صفهما لا عرف ورثكم قال أما زيد فكما قال أخو غني

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه * اذا نال خلان الكرام شحوب

اذا ما ترا آه الرجال تحفظوا * فلم ينطقوا العورا وهو قريب

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * اليه ويدعوه الندى فيجيب

يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه * اذا لم يكن في المنقيات حلوب

كأن بيوت الحي ما لم يكن بها * بسابس ما يلفى بهن عريب

في أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كميش العروة أليف البدو سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكر الله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بعقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم

والندى

والندى في الزهر منثو * ر على عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على ميت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما * نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر

وكان الكاس والقهوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناغي العود والمزمار هيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا * كل ما كان مكتم

فقال ابن سيد

أي عيش يهتك المستور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعني * من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لا نحمر سوى ما * بكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ما تعديت ما جال الساعة في خاطري فاني ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل في صادمة ومقارعة ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدوامها ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده * ونضا الليل بروده

فقال ابن سيد

وبدا الصبح بوجه * مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما * فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد

فهلم اشرب وقبل * من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الشكر على ما * نلته منه جحوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله

وشكر أيادي الغانيات جحودها   قال فلم لقبت باللص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك

الله زيدا فأين كان عبد الله منه قال كان عبد الله سيدا شجاعا * ألفا مطاعا خيره وساع وشره دفاع قلبي النحيزة أحوذي الغريزة لا ينهنهه مهنهه عما أراده ولا يركب من الامر الا عتاده سمام عدى وبازل قرى صعب المقادة جزل الرفادة أخو اخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمي عامر ابن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى
وبالسيف والرمح الرديني مشغب
مهيب مفيد للنوال معوّد
بفعل الندى والمكرمات مجرب

في أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال وقف رجل من بني فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لاكونن لك اصادقا فلا تنطق الا حددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوى ولسان على ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا منك لرميت بل أرى شيئا ولا أخاله شيئا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا أما لو كنت كفؤا

والالص المذكور اسمه أحمد بن سيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل * وانظر الى الجبل الراسي على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم اللص قوله

سلبت قلبي بلحظ * أبا الحسين خلوب
فلم أسمى بلص * وأنت لص القلوب

ولما اجتمع ابو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله في حل من نفسك يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابي جعفر أبو الحكم بن هرون في يوم بارد بغرناطة

يا سميي في علم مجدك ما يحتاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج فيه قطنا علينا * ففررنا بعدلكم نستجير
والذي أبتغيه في اللحظ منه * ورضاب الذي هويت نظير
يوم قر يود من حل فيه * لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير * الذي قدره معلى خطير
قد بعثنا بما أشرت اليه * دمت للانس والسرور تشير
كان لغزا فكنته دون فكر * ان فهمي بما تريد خبير

ومن نظم أبي الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها * وسر في الارض واختبر العبادا
ولا تمسك رحالك في بلاد * غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أولها

ما الفخر الا فخر عبد المؤمن * أثنى عليه كل عبد مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال شاد الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أما ابن سعد فهو أول مارق * يا ليته بأبيه سعد يكتني
ما قدر مرسية وحكمك نافذ * ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لي أمير المؤمنين بموقفي * هذا وقولك لي أجدت ولم تني
فلقد مدحتك خائفا أن لا يفي * لسني بما يعيي جميع الالسن

لرميت حداثا لك باذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزاري وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من أمم * ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشي عن ربيعة بن عبد الله النميري قال أخبرني رجل من الازد قال نظرت الى أبي ايوب الانصاري في يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤ بها الى النار يا مارق فقال عبد الله ستعلم اينا اولى بها صليا قال وابيك اني لاعلم اذ اقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال اولى بها والله صليا من ضل في الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا ابعدك الله وانزحك اما والله لقد انذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يا مارق وبال امرك وشرك ابا ايوب في قتله ضربه ضربة

ولابن

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى * لم أبت راعيا محياك ودا
انا لو بات من حكيت بجنبى * لم يكن عنه ناظرى يتعدى

وله

شتان ما بينى و بينك فى الهوى * أنا أبتغيك وأنت عنى تصدف
واذا عتبتك وارعويت يبين لى * فى الحين منك بأن ذاك تكلف
ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا * والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال ما يكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال

كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى * ولا بأس أن نزيد من اخبار اللص الذى جرى ذكرناله مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوى ابى القاسم بن الرماك واجتمع به ابو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم * ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

نداك الغيث ان محل توالى * وأنت الليث ان شاؤا القتالا
سلبت الليث شدة ساعديه * نعم وسلبت عينيه الغزالا
وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كانها بيضة وخز الرماح بها * بادو قونسها بالسيف قد قطعا

وقال

فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما اشكو من القصر

* (رجع الى أخبار أبى جعفر بن سعيد) * قال فى الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة مانصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استوذن السيد ابو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلى تبكى بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج ومنتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت افلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى * رجع الى أخبار النساء) * ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضرة

واتى به عليا فقال هذا راس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكى ثم قال قد كان اخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما اطلبا لى ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما أصبنا شيأ فقال والله لقد قتل فى يومه هذا وما كذب بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا فى القتلى فأصابوه فى دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فاخرجوه بحربرجله ثم اتى به على فقال اشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذى الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلى فى ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه و يرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا انصاره واعوانه والركن المنيع من أركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما

مشكورة المذاكرة كتبت بالذهب على الطراز الايمن

انا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى مابيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بانى بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطى وما بون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لوأبصر الايرعلى نخلة * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولاذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كاننى جئت لاخصى على

وقالت ولادة تهجو الاصبحى

يا أصبحى اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذى العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك مالم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك مالو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على ان لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

ربيعة أعنى انهم اهل نجدة وبأس اذا لاقوا اخيسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبى وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى أمكننى منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة فى امر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

قد قلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معاوية وأى نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق

وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبى وهى

تمر الليالي لا أرى البين ينقضي * ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

لحى الله يوما لست فيه بملتقي * محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأي سرور للكئيب المؤرق

وكتبت في أثناء الكلام بعد الشعر وكنت ربما حثثتني على ان أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا واني انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي انتهى

وبسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات والتندرات ما لا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال في الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى *وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما المعنا به في غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشيء مما هنالك من الاقذار وقد نشر أبو عامر كميه ونظر في عطفيه وحشر أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا * وقال في المغرب بعد ذكره أنها بالغرب كعلية بالشرق الا ان هذه تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها

أثرت هزبر الشرى اذ ربض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

 ولما أزف أمره وحان فراقه واشتكت علته

الا ليعرف فضلها
ويخاف شدة نكالها
(وذكر) لوط بن يحيى وابن داب والهيثم بن عدي وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل
هو الموت لا منجى من الموت والذي
نحاذر بعد الموت ادهى وافظع
ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة مهرب
فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله واني لأرجو أن لا يعذبه الله
(وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام في بدء علته التي كانت وفاته فيها فرأى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا
أرى الليالي أسرعت في نقضي
أخذن بعضي وتركن بعضي
حنين طولي وحنين عرضي
أقعدنني من بعد طول نهضي
وايس من برئه أنشأ يقول

وما زلت تبسط مسترسلا * إليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فإن الكريم * إذا سيم خسفا أبى فامتعض
وإن سكون الشجاع النهو * س ليس بمانعه أن يعض
عمدت لشعري ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض
أضاقت أساليب هذا القريـ * ـض أم قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال * وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

*(ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد إن ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الأدب والظرف وتتميم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والألباب وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووورده وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق إلى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب إليها يصف فرط قلقه وضيق أمده إليها وطلقه ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على إغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رق لي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقي * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين إشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * إليك لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الأيام أخلاقا
لا سكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
يا علقي الأخطر الأسنى الحبيب إلى * نفسي إذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا   انتهى

وقال أيضا إن ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويبيح دمه دونها ويهدر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة * من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودي) ولمعاوية أخبار كثيرة مع علي وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان في أيامه في كتابنا أخبار الزمان والأوسط وغيرهما من كتبنا وما أفردنا للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يحتمله الإكثار وإنما ذكرنا في كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والأخبار وما انتخبناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا وإذ قد تقدم ما ذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام إذ كانوا حجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد

(ذكر الصحابة ومدحهم وعلي والعباس وفضلهما) دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية إني أريد أن أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال

اسوء أثره في ملك قرطبة وواليها وقبائح كان ينسبها اليه وبواليها أحقدت بني جهور عليه وسددت أسهمهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه والامتحان الذي خشيه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم وطالعت في كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية *(ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكيه وفي المسهب والمغرب انه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار اجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أي درع لقتال لو جمد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له اولاده الملوك النجباء رحمهم الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السلفي بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرني الآن انه هو الذي قال للمعتمد (اي درع لقتال لو جمد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا في الانشاد فجعلني ثانيا واجازني بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت اصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر   قد اذكت الشمس على الماء لهبا
قال القاضي الاعز   فكسا الفضة منه ذهبا

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له يا سيدي لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا * قلت لها الى هنا * صيرنا الى هنا

*وحكي انها قالت له وقد مرض يا سيدي مالنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين ففلق رأسه وترك الطبرزين في رأسه فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حي بالغرب حيا حلالا * أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين ام القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أولية بني عباد وفي هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ما تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عما وخالا
قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا
اعانق منك القضيب الرطيب * وارشف من فيك ماء زلالا

رحم الله ابا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق اصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول في عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول في عثمان قال رحم الله ابا عمرو كان والله أكرم الحفدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين قال فما تقول في علي قال رضي الله عن أبي الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجى وبحر الندى وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا الى المحجة

وأقنع منك بدون الحرام * فقسم جهدك ان لاحلالا
سأهتك عرضك شيأ فشيأ * واكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة ان المعتمد ندد به وذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله

كيف التفلت بالخديعة من يدي * رجل الحقيقة من بني عمار

ويخبره في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تتقد وضلوعها تحنو وتعقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد وأوهنوا القوى والجلد خرج والموت يتسعر في ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه يعد بعضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالي عليهم الكر المعاد حتى أوردهم النهر ومابهم جواد وأودعهم حشاه كانهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أفظع أمر وقال بيدي لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ساطن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورجاه قال يخاطبه

اليك فلو كانت قنونك أسعرت * تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة أو جهنم

واما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله واعياه نقله قال

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقي عض الاسود

ثم جمع هو واهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم جوانحها كانهم أموات بعدماضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي وبكوا بدموع كالغوادي فساروا والنوح يحدوهم والبرح بالوعة لا يعدوهم وفي ذلك يقول ابن اللبانة

تبكي السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

واسعا وافصح من تنفس وقرأوا كثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبي المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفي الحروب ختال لم ترعيني مثله وان ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال أيها يا ابن عباس لقد اكثرت في ابن عمك قال فما تقول في أبيك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفي الله سيد الاعمام له أخلاق آبائه الاجواد واحلام أجداده الامجاد تباعدت الاسباب في فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوة ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلماني أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه

ياضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويامؤمل واديهم ليسكنه * جف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يافارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم وأعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ بميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن أغلال لاجياد
نسيت الاعداة النهر كونهم * فى المنشآت كاموات بألحاد
والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كانها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ماقصدجلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى اخبار الدولة العبادية ان طائفة من اصحاب المعتمد ثارت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها واغرى بسفك دمها فابى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وماخصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى ان امكنتهم الغرة فانتصروا ببغاث مستنسر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا الامر عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كان السيف راق وراع حتى * كان عليه شيمة منتضيه
كان الموت أودع فيه سرا * ليرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا سريعا فرأيت القائمين عندما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعاديه باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامية على الموت بنفسه مالامزيد عليه ولاانتهى خلق اليه فشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولالبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وماهم بسكارى وزحل

ونامحوا الاجتهاد للسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله واستقردينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحادعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله اولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصفياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حديثا فى غيره هذا

(ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان)

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمانى ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته فى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى تلقفها يزيد عن أبيه

تخذها يامعاوى عن يزيدا
فقد علقت بكم فتلقفوها
ولا ترموا بها الغرض البعيد

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين وهو ابن ثلاث

بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولا بغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم تقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب لغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولوانى * كنت أسطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بينى و بينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح انتهى ثم قال ولما خاع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * أطالوا بها فى حشاك استعارا
أما يخجل المجد أن زودوك * ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعوا المجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا
يقل لعينيك أن يجعلوا * سواد العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى مأسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فاخذ عاقه رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور لياً لا فاخر جوا قائدها ولم يضروه و بينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فاخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروعه سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاور الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن ابى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد
جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوارين ليس يريمها
سقته الغوادى من ثوى ومن قبر
فى أبيات

(ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته)

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن على انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين البيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لاذعرت السوام فى فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم اعطى مخافة الموت ضيما
والمنايا ترصدننى ان احيدا

ولحق بمكة فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى اهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى الحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصارى فنزل على

وشره

وشره قد تشمر وصرده قد تنمر وجره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما اعدّ لات نضاله وانحشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ في مسالكه كل قطر فبقي محصورا لا يشد اليه الاسهم ولا ينفذ عنه الانفس أو وهم وامتنك شهورا حتى عرضه أحد الرماة بسهم فرماه فاصماه فهوى في مطاعه وخر قتيلا في موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقي اهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتدع عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بقي ورغب في التنعم من شقي فوصلوا الى قبضة الملمات وحصلوا في غصة الممات فوسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زار الشبل خيفت سورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال واثنائها وأحل ساحة الخطوب وفنائها وحين اركبوه أساودا وأوردوه حزنا بات له معاودا قال

غنتك اغماتية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان قيدك في الورى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحذاك كل تمدد * متعطفا لا رحمة للعاني
قلبي الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن
ياسائلا عن شأنه ومكانه * ما كن أغنى شانه عن شان
هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أي مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تساله حوبه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتها * كذا صحبت قبل الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض افلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
اني غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب أذلتني طوارقها * وكان عزي الى الاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوي الاخطار أرماقا

وقال لي من أثق لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار في أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بي للمعن ورضي لي أن امتحن ووالله ما أبكي الا انكشاف من

عشر الف رجل وقيل ثمانية عشر ألفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق أتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغني انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن فانها في عزلة ولك فيها انصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا اميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما انا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا اقمت بمكانك الى ان يأتي الله بأمره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم اني لأعلم انك لي ناصح وعلى شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الى باجتماع اهل المصر على بيعتي ونصرتي وقد اجمعت على المسير قال انهم من جربت وجربت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خبرك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان عصيتني وابيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن

أتخافه بعدي ويخيفه بعدي ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرّته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوّف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الاعقدار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف في جفنه * الى هز كفي طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يميني
كذا يمنع الطرف علك الشكيم مرتقبا غرة في كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعي فرائسها في عرين
ألا شرف يرحم المشرفي * مما به من سمات الوتين
ألا كرم ينعش السمهري * ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدر رهاضمة * تبوّئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا السوء نفوسهم الامارة حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ما شاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هناك وكانت فيهم طائفة شعريه مدنية أو بريه فرغبوا الى سجانهم أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم في ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد اثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم اغلاقهم وبقي المعتمد يشتكي من ضيق الكبل ويبكي بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بثه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فاساود * تلوّى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنيتم النعمى ودامت لكم * سعادته ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله في أمري وأمركم الحمد

ومرّ عليه في موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا أعوزها البشام ولا الاراك وهي تمرح في الجو وتسرح في مواقع النو فتنكد مما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر في بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

نساءك وولدك معك فوالله اني لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذي رد عليه لأن اقتل والله بمكان كذا احب لي من ان استحل بمكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة وهو اثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فاتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله في جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو أن لي مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبي يزيد (ودخل) أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظائرني عليك

بكيت

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلى لها شكل
فأسرح لا شملى صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناى يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذ لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذ لم تبت مثلى تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
وماذاك مما يعتريه وانما * وصفت التى فى جبلة الخلق من قبل
لنفسى أن ألقى الحمام تشوف * سواى يحب العيش فى ساقه كبل
الا عصم الله القطا فى فراخها * فان فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو احد شعراء دولته المرتضعين درها المنتجعين دررها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعدما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الانديه وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من اوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه نديه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثى أربد أو بكاء ذى الرمة بالمربد سلك فيها للاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلى قد كتمت * سريرة العالم العلوى اغمات
طوت مظلتها الا بل مظلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس انصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الا التوات القيود به * وكيف تنكر فى الروضات حيات
غلطت بينهما بين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذ بها لثقاف الجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجىء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفى على آل عباد فانهم * أهلة مالها فى الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن بالادهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات

ولا أدرى كيف أنا فى النصيحة لك فقال يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش فقال أبو بكر كان أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله فى نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص ابن هشام المخزومى والى مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى
وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وماذاك فأخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى

كان واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات
وربما كنت أسمو للخليج به * وفي الخليج لأهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وأفردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة في عصره وصاب أندى عبرة في مصره وبعد أيام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أسامع فأنادي * أم قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهي قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه واحتفلوا وبكوا لبكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤونهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لا تدع حيا ولا تألو اكل نشر وطيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق مناياها كل جمع وتصمي كل ذي أمر ونهي وترمي كل مشيد بوهي ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازه في تلك الحقيقة انتهى ما قصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل في أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة ما مر وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم في كتبه بنثره سامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالمغرب مخلدات وكان من النادر الغريب قولهم في الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وانحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا في تدريسها نحو ندبتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير بن الخطيب الى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره ابياته الشهيرة التي ذكرتها في جملة نظمه الذي هو أرق من النسيم وابهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة وألف وعمي علي أمر القبر المذكور وسألت عنه من تظن معرفته له حتى هداني اليه شيخ طعن في السن وقال لي هذا قبر ملك من ملوك الاندلس وقبر حظيته التي كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته في ربوة

عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان ابن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالي ولك وما حملك على قصد بلادي من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال نومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانه وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ ابن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد ابن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندي بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك في خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه مني فأدنوه منه فضرب وجهه

حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى الابيات وحصلت لى من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بى الافكار فى ضروب الآيات فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ﴿ وما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رائيته الشهيرة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ﴿ فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يا نائم الليل فى فكر الشباب أفق ﴿ فصبح شيبك فى أفق النهى بادى
غضت عنانك أيدى الدهر ناسخة ﴿ علما بجهل واصلاحا بافساد
وأسلمت للمنايا آل مسلمة ﴿ وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها ﴿ بكوكب فى سماء المجد وقاد

ومنها

وما ذاك كان يحيى شول قرطبة ﴿ أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطافا والعلا زهرا ﴿ فبين ما بين رواد وورّاد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها ﴿ اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر ﴿ بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى ﴿ وضياؤها باق على الآفاق

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها فى لخم ومرتماها الى مفخر ضخم وجدهم المنذر بن ماء السماء ومطلعهم فى جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عرينه وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وهد كل طود وأنجل كل ذى زى وشاره وختل بوحى واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل

لقد حننت الى ما اعتدت من كرم ﴿ حنين أرض الى مستأخر المطر
فهات ما خلعا أرضى السماح بها ﴿ محفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد دحن فى طريقه الى غريقه

ادار النوى كم طال فيك تلذذى ﴿ وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه ﴿ كماة الاعادى فى النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضى ﴿ مرادى وعزما مثل حد المهند

على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطى من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح اصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وامر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضى فشهد عندهم انه حى لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما مافعل ابن زياد بهانئ امر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره فى القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كندة فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقى حائر الايدرى أين يذهب ولا يجد أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سالته عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته فجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى

والقاضى أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم وهو الذى اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه اخذ الرياسة من ايدى جابر واضحى من ظلالها اعيان اكابر عندما اناخت بها اطماعهم واصاخت اليها اسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد واتلعوا اجيادا زانها الجيد وفغر عليها فاه حتى هجا بيت العبدى وتصدى اليها من تحضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وابعد عنها عجمها واعاربها وفاز من الملك باوفر حصه وغدت سمته به صفة مختصه فلم يع رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمى حوزته و يجلو عزته حتى حوته الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه فى روض نمق له ونضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتمى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش فى اقتضا النفوس كدر ذلك المنهل وتنكر أثناء ذلك صغو العل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يختطف اعداءه اختطاف الطائر من الوكر و ينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحمد مجده وتقلد منه أى باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام فى الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من اوطانه فنقل الى حيث اعتقل وأقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضى جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين و ينفثه أعطر من الرياحين فمن ذلك قوله يصف النيلوفر

ياناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره فى الفوح والارج
كأنه جام درفى تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعنى الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح و يهدم معاقلها اذا هجا وقدح * ومن أغراضه قوله فى المطمح فى حق الاديب أبى جعفر بن البتى رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لايبالى كيف ذهب ولا بم تمذهب وكانت له أهاج جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له مايرشف ريقا و يشرب تحقيقا فمن ذلك قوله يتغزل

من لى بغرة فاتن يختال فى * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لوشمت فى وضح النهار شعاعها * ماعاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلى الحسن حتى خلصت * ذهبية فى الخدمن فضيه
فى صفحتيه من الجمال ازاهر * غذيت بوسمى الحيا ووليه
سالت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله فيه

ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه فقال انطلق فأتنى به ووجه معه عبدالله بن العباس السلمى فى سبعين رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ماأرى من الاجلاب لقتل مسلم بن عقيل يانفس اخرجى الى الموت الذى ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمرى ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع فى السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة فى رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز و يقول

أقسم لاأقتل الاحرا
وان رأيت الموت شيأ مرا
كل امرئ يوما ملاق شرا
أخاف ان اكذب أواغرا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فانك لاتكذب ولا تغر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفى ذلك يقول بعض الشعراء

كيف

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علي * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتدالا
اشرق البدر كمالا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست اسلو عن هواه * كان رشدا او ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسى او اطالا
دون أن تدرك هذا * تسلب الرفق الهلالا

وكنت عيورقة وقد حلها منتسبا بالعباده وهو أسرى الى الفجور من خيال أبي عباده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأفعالا سجوده بجوده واقراره بالله بجحوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا فى صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الا جواه ولا يشوقه الا هواه فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا ورى به عنى وعماه فقال

تنفس بالحمى مطلول أرض * فاودع نشره نشرا شمالا
فصحت العيون الى كحلى * تجرر فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا او شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من امره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر اخرجه من بلده ونفاه وطمس رسم فسقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقده بهيئته فلما لحق بميورقة اراد ناصر الدولة اماحته واخذ ثار الدين منه واراحته ثم آثر صفعه واخذ ذلك الجرو افعه واقام اياما ينتظر ريحا علها تزجيه ويستهديها لتخلصه وتنجيه وفى اثناء بلوته لم يتجاسر احد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

احبتنا الا الى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل
بني العرب الصميم الا رعيتم * مآثركم بآثار السماح
رفعتم ناركم فعشا اليها * بوهن فارس الحي الوقاح
فهل فى القعب فضل تنحوه * به من محض البان اللقاح
لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله ايضا
وكانما رشا الحمى لما بدا * لث فى مضاعفة الحديد المعلم

في كلمة يهجو فيها ابن الاشعث وتركت عمك ان تقاتل دونه * فشلا ولولا انت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمد
وسلبت أسيافاله ودروعا
فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلى وهو ابو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب امر به فأصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضربه مسلم فقال كن انت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى اعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقه فأهوى رأسه الى الارض ثم أتبعوا رأسه جسده ثم امر بهانئ بن عروة فأخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثي هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما

غصب الغمام قسيه فاراكها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله ايضا

نظرت اليه فاتقاني بمقلة * تردالى نحرى صدور رماح
حميت الجفون يارشا الحمى * واظلمت ايامى وانت صباحى

وقال

قالوا تصيب طيور الجو اسهمه * اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من الحاظه الحور
يروح فى بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
ورعاراق فى خضراء مورقة * كما تفتح فى اوراقه الزهر

انتهى

وقال فى ترجمة ابن اللبانة أبو الحسن شاعر سمح متقلد بالاحسان متشح أم الملوك والرؤساء ويمم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وتمادت أيامه الى هذا الاوان فخالت به فى ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وأدركته وقد خبته سنونه وانتظرته منونه ومحاسنه كعهدها فى الاتقاد وبعدها من الانتقاد وقد أثبت منها مايعذب جنى وقطافا ويستعذب باستنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل أبا اسحق ابن أمير المسلمين

قل للامير ابن الامير بل الذى * أبدى به فى المكرمات وفى الندى
والمجتنى بالزرق وهى بنفسج * وردالجراح مضعفا ومنضدا
جاءتك آمال العفاة ظواميا * فاجعل لها من ماء جودك موردا
وانثر على المداح سيبك انهم * نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا
فالناس ان ظلموا فأنت هو الحمى * والناس ان ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرنى وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فأنجز لهم الموعود وأورق لهم ذلك العود وكثر اللغط فى تعظيمها واستجادة نظيمها وحصل له بهاذكر وانصقل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه * كاتقاد الشهاب فى الظلماء
فهو ماء مركب فوق نار * أو كنار قد ركبت فوق ماء

وكتب الى معز باعن والدته

على مثله من مصاب وجب * على من أصيب به المنتحب
وقلب فروق واب خفوق * ونفس تشب وهم نصب
فقد خشعت للتقى هضبة * ذوائبها فى صميم العرب
من الجاعلات محاريبها * هوادجها أبدا والقتب
من القائمات بظل الدجا * ولا من تسام الا الشهب
فكم ركعت اثرها فى الدجا * تناجى بها ربها من كثب
وكم سكبت فى أوانى السجود * مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا * فصيحا اذا ماقرا او خطب

اذا كنت لاتدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوى فى طمار قتيل
أصابهما أمر الامير فاصبحا
أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه
ونضح دم قد سال كل مسيل
أيتركك أسماء المهايج آمنا
وقد طلبته مذحج بذحول
فتى هو أحيا من فتاة حيية
وأقطع من ذى شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى أقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيأ فقال لى أومايكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك ايها العبد قال ابن زياد أوفخرا عند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين ثم امر ابن زياد

يقل

يفل السيوف باقلامه * ويكسر صم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال فى خلد واستطال على جلد رشا يحيى باحتشامه و يسترد البدر بلثامه ويزرى بالغصن تثنيه و بمر الحسن لو دنت قطوفه لمجتنيه مع لوذعية تخال الماء جريالا وسجية يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بحمص وانتضى من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسده ولم ينفرج لنا من الانس بعده ما يستمده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل وقام لنا بما شئنا فيها وتكفل فبينا نحن نفض ختامها ونفض عنا غبار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا و ينشدنا امداحا و يفدى بنفسه و يستهدى الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسره واعم مبره وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشبت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره ويجتهد فى تجديد ذكره

ماشام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو فى مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * متمم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبة تزهى من نضارتها * كما ساقط طل فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان
نبثت عنه بأنباء اذا نعتت * تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها * كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح * مازادت الشمس نور الفجر للرائى
بالله بلغه تسليمى اذا بلغت * تلك الركاب وعجل غير ليان
وليت أنى لو شاهدت أنسكما * على كؤس وطاسات وكيزان
فألفظ الكلم المنثور بينكما * كأنما هو من در ومرجان
لله درك يا ذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر فى جود وفى كرم * أو الغمامة تسقى كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * فانت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا ناصر المعمور منزله * بالرفد ماشئت من مثنى ووحدان
قصائد الأنجى ودوان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى *وقال فى ترجمة الاديب أبى بكر عبد المعطى بيت شعر ونباهه وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أى انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له جالا يبلغ

بنى هاشم وأول راس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحرث بن يزيد التميمى فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فانى لم أدع خلفى خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار حتى لقى خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا و بين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذى تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وابا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو بردة الاسلمى فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكث

آمالا فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضرب لها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدي قد شب عن طوق الانس في الندى وماقال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته واقعدته عن ذلك وما أنهضته

امام النثر والمنظوم فتح * جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لايجارى * يقر بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ماسحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان مرتسما في عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ماينبغي تطلبه خيفة من لسانه ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يسابر من شيعه فلما حصلوا بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للمفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه وأنشده في تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامرلهم عنا * فياأحدمنهم على أحدحنا
ومارحلوا حتى استقادوا نفوسنا * كأنهم كانوا احق بها منا
فياليت شعري بعد لتبعد داركم * ظننابكم ظنا فاخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وماجرنا
واقسمتم أن لاتخونون في الهوى * فقد وذمام الحب خنتم وماخنا
ترى تجمع الايام بيني وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمرض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الى أبي الحسين بن سراج

أما والهدايا مارحلنا ولاحلنا * وان عزمن دون الترحل ماعنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية بربض الرحال بقرطبة ومعنا لمة من الاخوان وهو في جملتهم مناهض لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة نسبه فجعل يرتجل ويروى وينشر محاسن الآداب ويطوى ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الا كارم * لقد بخلت يمناك صوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذي عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الازاهر بالربا * ترف بشؤبوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلى * تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبي ملة من أهل الادب وذوى المنازل والرتب في عشية غيم أعقب مطرا وخط فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كدر من نظام ويتراآى كثنايا غادة ذات ابتسام وهو غلام مانضا بردشبابه ولاانتضى مرهف آدابه فقال معرضا بهم ومتعرضا التحقق أدبهم

كان الهواء غدير جمد * بحيث البرود تذيب البرد

خيوط

قضيبك فطال والله مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز يقول

انا على بن الحسين بن على
نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لايحكم فينا ابن الدعى

وقتل من ولد أخيه الحسن ابن على عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وابو بكر ابن الحسن ومن اخوته العباس بن على وعبد الله ابن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن ابى طالب محمد ابن عبد الله بن جعفر وعون ابن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن ابى طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله ابن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة

خيوط وقد عقدت في الهواء * وراحة ريح تحل العقد

وشرب في دار ابن الاعلم في يوم لم ير للدهر فيه اساءه وليل نسخ نور أنسه مساءه ومعهم جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان في ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا من ذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال وقال في المطمح في حق أبي بكر يحيى ابن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وفياه ظلاله وبوأه أثر النعمة يجوس خلاله فصرف به اقواله وشرف بعواقبه فعاله وأفرده منها بأنفس در وقصده منها بقصائد غر انتهى المقصود من ترجمته في المطمح * وقال في حقه في القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه فما صفا له زمانه انتهى * وابن بقي المذكور هو القائل

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق

الابيات المذكورة في غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعي يكف
أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل السبع
بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشي
أهيف القد بخد أرقش
ساحر الطرف وكم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع
أي ريم رمته فاجتنبا
وانثنى يهتز من سكر الصبا
كقضيب هزه ريح الصبا
قلت هب لي يا حبيبي وصلكا * واطرح أسباب هجري ودع

وفي ذلك يقول الشاعر

وأي رزية عدلت حسينا
غداة تبيره كفا سنان

وقتل معه من الانصار أربعة وباقي من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم

عين جودي بعبرة وعويل
واندبي ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبي غوثا أخاهم
ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمي النبي غودر فيهم
قد علوه بصارم مصقول
واندبي كهلهم فليس اذا ما
عد في الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا
وابنه والعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحق بن حياة الحضرمي في نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

(ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى

قال خدي زهره مذ فوقا
جردت عيناي سيفا مرهفا
حذرا منه بأن لا يقطفا
ان من رام جناه هالكا * فأزل عنك علال الطمع
ذاب قلبي في هوى ظبي غرير
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادي بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانتصاري بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسي * وعن الدمع الذي همعا
ماترى شوقي قد اتقدا
وهمى بالدمع واطردا
واغتدى قلبي عليك سدى
آه من ماء ومن قبس * بين طرفي والحشا جمعا
بأبي ريم اذا سفرا
أطلعت أزراره قمرا
فاحذروه كلما نظرا
فبألحاظ الجفون قسي * انا منها بعض من صرعا
أرتضيه جارا أو عدلا
قد خلعت العذر والعذلا
انما شوقي اليه جلا
كم وكم أشكو الى اللعس * ظمئي لو انه نفعا
صال عبد الله بالحور
وبطرف فاتر النظر
حكمه في انفس البشر
مثل حكم الصبح في الغلس * ان تجلى نوره صدعا
شبهته بالرشا الاحم
فلعمري انهم ظلموا
فتغني من به السقم
أي ظبي القفر والكنس * من غزال في الحشا رتعا

انتهى وله ايضا

ماردني لابس * ثوب الضنا الدارس * الاقمر
في غصن مائس * شعاعه عاكس * ضوء البصر

اسير

وزينب الكبرى أمهم
الحنفية وقيل ابنة جعفر
ابن قيس بن مسلمة الحنفي
وعبد الله وأبو بكر أمهما
ليلى بنت مسعود النهشلي
وعمر ورقية أمهما
تغلبية ويحيى وأمه أسماء
بنت عميس الخثعمية وقد
قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب أن جعفرا الطيار
استشهد وخلف عليها عونا
ومحمدا وعبد الله وأن عقب
جعفر منها من عبد الله
ابن جعفر ان أبا بكر
الصديق تزوجها بعده
وخلف عليها محمدا ثم
تزوجها علي فخلف عليها
يحيى وانها ابنة العجوز
الحرسية التي كانت أكرم
الناس أصهارا وقد تقدم
فيما سلف من هذا الكتاب
تسمية أصهار العجوز
الحرسية وان أولهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وجعفر والعباس وعبد الله
أمهم أم البنين بنت حرام
الوحيدية ورملة وأم الحسن
أمهما أم سعد بنت عروة
ابن مسعود الثقفي وأم كلثوم
الصغرى وزينب وجمانة
وميمونة وخديجة وفاطمة
أم الكرام ونفيسة وأم سلمة
وأم أبيها وقد أتينا على
أنساب آل أبي طالب
ومن أعقب منهم ومصارعهم
وغيره للشمن أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان (والعقب) الى من خمسة الحسن والحسين ومحمد

أسير كالسيل * اليه لاباع * الا وداد
والطيف فى خيل * لهن اسراع * مع الرقاد
يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحسود

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولاجمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المشتهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
ردنى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
يدرعليه من الوقار سكينة * فيها القيظة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت مرتادا لجودك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته بسنا وسناء
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ماء

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد ما نصه عباد أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين اوعدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع باسهم وجودهم وكل ملك آدمى ففقود وما نؤخره الالاجل

وأنساب غيرهم من قريش بنى هاشم وغيرهم الزبير ابن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب فى انساب آل أبى طالب الكتاب الذى سمع من طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد صنف فى انساب آل ابى طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل الطف يقول سليمان ابن قبة يرثيه على ماذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات

فان قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائذ البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم تر أن الارض أضحت مريضة
بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت منهم برغمى تخلت

(ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله)

معدود فأول ناشئة ملكهم ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزينهم الذى يعد فى الفضائل بالوسطى والمختصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسمعيل ومن شعره قوله

يا حبذا الياسمين اذ يزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للعمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كأنه والعيون ترمقه * زمرد فى خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره فى حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه فى أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت فى باب داره حديقة لا تثمر الارؤسا ولا تنبت الا رئيسا ومرؤسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفى التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكى عنه من أوصاف التجبر ما ينبغى أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا الماع ومن نظمه عفا الله عنه

أنت لك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمد فى ألحانها * من الغناء المدنى
تقود منى ساكنا * كأنتى فى رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت فى فنن

وقوله

شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فضخم وأما جسمها فرقيق

وقوله

قد وجدنا الحبيب يصفى وداده * وجدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة فى ملكه

لقد حصنت يا رنده * فصرت لملكنا عده
افادتناك أرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بأنك جاهل * مالم تقل بالاصطباح
فالدهر شئ بارد * مالم تسخنه براح

انتهى ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال انى شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

انى قصدت اليك يا عباد * قصد القليب بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما بعد ان يدخل مع الشعراء و يندرج فى سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقى معهم وكان لهم فى ثلاث الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال

ولما أفضى الامر الى يزيد بن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان فى اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء أن يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبى صيفى فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واحمده على أفضل العطية فقال يزيد ادن منى يا ابن أبى صيفى فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير

بعض

ببعض هذه شنعة بنا ان يكون مثل هذا البادي يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على ان يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان في مجلسه ونصب الكرسي لهم رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسي وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادي * وحرمت عن عيني لذيذ رقادي
وتركتني أرعى النجوم مسهدا * والنار تضرم في صميم فؤادي
ذكر أغار لي الظلام أليه * لا ينجلي الا الى ميعاد
لي بين بين أين تقتاد النوى * ابلي الذين تحملوا بسعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليل يرفل في ثياب حداد
بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادي
والنجم يحدوها وقد ناديتها * يا ناقتي عوجي على عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغى * وتلاقت الاجناد بالاجناد
فترى الجسوم بلا رؤس تنثني * وترى الرؤس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمل والذي * قد ماسما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد في أرضنا * وله هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعري اليك قوافيا * يفني الزمان وذكرها متمادي
من شاعر لم يضطلع أدباولا * خطت يداه صحيفة بمداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسن اليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى أخبار بقية بني عباد) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد ابي عمرو عباد ابن القاضي ابي القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد واديب على الحقيقة مجيد وهمام تحلى به للملك لبة وللنظم جيد افنى الطغاة بسيفه وأباد وأنسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فاطلع أيامه في الزمان حجولا وغررا ونظم معاليه في اجيادها جواهر ودررا وشيد في كل معلوة فناءه وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستظرفة اوقاته وآناءه فنفقت به للعامد سوق وبسقت ثمرات احسانه اي بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من ابنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته واخذ البؤس في فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الثبات والمقام في ذلك المقام الى أن بدل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه بشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره وفاء وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام

أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وانت ترعاهم والله يرعاكا وذو معاوية الباقي لنا خلف * إما نعيت ولا نسمع بمنعاكا

وأعانك على الرعية فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها مسرورة بما أحسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم انشأ يقول

الله اعطاك التي لا فوقها
وقد اراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها
اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن مني يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وصبرك على المصيبة وبارك لك في العطية ومنحك محبة الرعية مضى معاوية لسبيله غفر الله له واورده موارد السرور ووفقك لصالح السياسة أصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل الرغائب فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية وأحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك ويحفظ لك وعليك وأنشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة
واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
أصبحت لارزء في الاقوام نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

تسترجع منه ما وهبته فمثل ذلك العرش واعتدت الليالي حين أمنت من الارش فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع ما لديها زائل وكل من عليها فان فما أغنت تلك المملكة وما دفعت وليتها ما ضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى معجله ومؤجله ويبلغ الكتاب أجله * وقال الفقيه القاضي أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالي النظم فائقه كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقي الفرع الكريم * فكأن الميت حي * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا بباب من ابواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودي والله لا اخذت هذا العيار ولا آخذه منه الا مصحرا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا أجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ائتوني باليهودي وأصحابه واقطعوا احبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودي الملعون فقال اليهودي لا تفعل وأنا أفتدي منك بزنتي مالا فقال والله لو اعطيتني العدوة والاندلس ما قبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على ان يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلمح البصر واذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع في قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ما جرت به العادة من حب الجديد لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا يخفى أمره فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد مخنق المعتمد وجه الى من النصارى فاعترضهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته

وقد

فقال له يزيد ادن مني يا ابن همام فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة فلما ارتفع من مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه وزاد في اعطائهم ورفع مراتبهم وقد اتينا في كتابنا اخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة ابيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة ووروده على ثنية العقاب من ارض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر في هذا الكتاب وذكر عدة من الاخباريين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال ارضة لك الى جانب ارض لي ولي فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اخدع عن صغير فأخبرني عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فاقبل على ساقيه فقال

وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه في البلد فأفاق من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه في يده وليس عليه الا ثوب واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين فغر الناس أمامه وتراموا من السور ووقف حتى بان الباب وفي ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتي ان يسلب القوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترحم له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فأمن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصري الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصري ارفع ذلك البساط نخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل أغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح في ترجمته ما نصه ملك قع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغوره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان تحجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقي أثرها باديا ولقي مقتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومقذفا لكل كمي وموقفا لكل ذي أنف حمي لم تخل من وفد ولم يصح جوّها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع في سمائه كل نجم متقد وكل ذي فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان ومضمارا لاحراز الخصل في كل معنى وفصل فلم يلتحق بزمامه الا كل بطل نجد ولم ينسق في نظامه الا ذكاء ومجد فأصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرضا في وصفه أيام ذي سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسي وان نفروا أفحم عرابة الاوسي ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه وأذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فأصبح خائضا تحدوه الرياح وناهضا بزجيه البكاء والصياح قد ضحت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت بهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت حقوقه ولا ابقت شروقه فكم احياها ابنيها وابداها رائقة لمجتنيها وهي الايام لا يتقي من تجنيها ولا تبقي على مواليها ومدانيها ادثرت آثار جلق واخمدت نار المحلق وذللت عزة ابن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعمت ببؤس النعمان وا كنت غدر بها له في طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها في هذا الكتاب * وقال في ترجمة ابنه الراضي بالله أبي خالد

ثم أم المغنين فغنوا وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفي ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والاصفر مشهور وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من الوان فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم

تمسك أبا قيس بفضل عنانها
فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذي سبقت به
جياد أمير المؤمنين أتان

وفي يزيد وتملكه وتجبره

يزيد بن المعتمد ما نصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها في السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة أسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى فرس سائل الغره ميمون الاسره يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق في السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل أعوج أو ولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها أمناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق في أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق واستحالت بهجتها وأحالت عليها من الحال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب وأقام فيها رهين حصار وهو بين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدي مسيها فخواه رمسه وطواه عن غداه أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذي أشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون ابن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك ما نصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس الممتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرد منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لا انصباب لها دوي كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تتكون واديا يلتوي بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها في التوعر والامتناع وقد تجوفت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها لباناتها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتصور فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضي لم يحفل باناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى في أمر اشبيلية ما انقضى وأفضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برا بأبيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل في يديهم مالوا به عن الحصن وجرعوه الردى وأقطعوه الثرى حين اودى وفي ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قمرية نائحة بشجنها نائحة بفننها على سكنها وامامها وكر فيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترغما

بكت أن رأت الفين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يباح به سر
فما لي لا أبكي أم القلب صخرة * وكم صخرة في الارض يجري بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وأبكي لآلاف عديدهم كثر
بني صغير أو خليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
نجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفني بقطرة * وان لؤمت نفسي فصاحبها الصبر

تجيء اذا بلغ ودجلة كلها * وله الفرات وما سقى والنيل وقيل ان الاحوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر لما قد ورد عليهن من قتل السادات وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي

وفي فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الاسود الدؤلي من قصيدة

أقول وذاك من جزع ووجد * أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا * كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان فقل

فقل للنجوم الزهر تبكيه ساجعي * لمثله فلا تحزن الانجم الزهر

انتهى * وقال في ترجمة الراضي ماصورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا مايرميه بملامه ويصميه بسهامه فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستعارة عذله وملامه ماتستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ماقاله وقد انهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * و يطلع غيرنا ولنا افول

حنانك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل

ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجي الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن في ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوامنه بيعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة والمواهب امام قريش بدار الندوة فقال

مروابنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد

واذكروني ايامالهوت بهم * فيها ففازوا بايناري واحمادي

لاغروأن زادفي وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة اعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ونهد نحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر جرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التمرض والتشكي وأضمر التقاعس والتلكي فرارا من المصادمة واحجاما عن المساومة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أرجع من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد مانواه وتحقق مالواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنتشر بنوده ولانصرت جنوده فعندما لاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعطاء الغرة بدلا من القرار وتفرقوا في تلك الافاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فتحيف العدو من بقي مع المعتمد واهتضمه وخضم مافي العسكر وهضمه وغدت مضاربه مجر عواليه ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع السدانه ومضيع الامانه فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضي

لايكرثنك خطب الحادث الجاري * فماعليك بذاك الخطب من عار

ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب واظفار

لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري

عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وماعليك لهم اسعاد أقدار

الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لماذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذلم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فحثوا السير نحو الشام وغير فعل أهل المدينة ببني امية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المرى الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من اخاف المدينة أخافه الله فسمى مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله و يقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه انشا يقول

أبلغ أبا بكر اذا الامر انبرى * واشرف القوم على وادي القرى

أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله ابن الزبير وكان عبد الله يكنى بابي بكر وكان يسمى يزيد السكران

الخمير وكتب الى ابن الزبير ادعو الهك في السماء فانني * أدعو عليك رجال عك وأشعرا

لو يعلم الناس فيما أن تدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عارى
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

الملك فى طى الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقامر
واطعن باطراف اليرا * ع نصرت فى ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضى الحد باتر
أولست اسطاليس ان * ذكرا لفلاسفة الاكابر
وأبو حنيفة ساقط * فى الرأى حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليـ * ـل فأنت نحوى وشاعر
من هرمس من سيبويـ * ـه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويـ * ـت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
حجبت وجه رضاى عنـ * ـك وكنت قد تلقاه سافر
اولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر
قد كان ابصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوال باقـ * ـوال ضعيفات مناكر
قد كنت أحسب من سفا * هتها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان عاذر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعسال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجحدت أنهم أكابر
لو كنت تهوى منيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ضحك الموالى بالعبيـ * ـد اذا تومل غير ضائر

كيف النجاة أبا خبيب منهم * الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه أهلها عليهم عبد الله ابن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل أبى طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابى طالب ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن ابى لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على ابن ابى طالب السجاد وعلى ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن اسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم * فنحن على الاسلام أول من قتل ونحن تركنا كم ببدر أذلة * وابنا باسياف انا منكم نفل ان

ان كان لى فضل فمنـك وهل لذاك النور ساتر
أو كان بى نقص ففى غير أن الفضل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
باليته قد غيبته عندها احدى المقابر
أتريد منى أن أكو * ن كمن غدا فى الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيى الاوائل والاواخر
لاتنس يامولاى قو * لة ضارع لاقول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بعقوتها العساكر
أيام طلت بها فر * يدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
و يصم اسماعى بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة * لكن ثبت بها مخاطر
هبنى اسأت كما اسأ * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتى لبنوتى * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا لغير طيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما اوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالاندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد فى اخبار بنى عباد ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله

مما يزهدنى فى أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك فى حقهم لا يقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتمد وغيرهم وقد سردنا خبر بعضهم وكان الدانى المذكور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة التى هى أذكى من زهر الحديقة فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعه الذين عمروا من المجد أربعه وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمامون والمؤتمن وكانوا أنجم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد فى ذلك كل الاجاده وأطال لمجدهم نجاده

يغيثك فى محل يعينك فى ردى * يروعك فى درع يروقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

ونظر الناس الى على بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو فأتى به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلنى حوائجك فلم يسأله فى أحد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلى رأيناك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك فى نحره أسئلك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأى منى لقد ملئ قلبى منه رعبا وأما على بن عبد الله فان أخواله من كندة منعوه منه وأناس من ربيعة كانوا فى جيشه فقال على فى ذلك

أبا العباس قوم من لؤى
وأخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت
كتائب مسرف وبنى اللكيعه
أرادنى التى لاعز فيها
فحالت دونه أيدى ربيعه

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل

بهجته شاد العلا ثم زادها * بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمأمون بن المعتمد قتله لمتونة بقرطبة والراضي يزيد قتلوه برندة كما سبق خبره آنفا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حمديس الصقلي

ولما رحلتم بالندى في أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير

وفي قضية المعتمد يقول الداني المذكور

لكل شيء من الاشياء ميقات * وللمنى في مناياهن غايات
والدهر في صفة الحرباء منغمس * ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وطالما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره وللداني أيضا قصيدة عملها في المعتمد وهو باغمات سنة ٤٨٦

تنشق بريحان السلام فانما * أفض به مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى فقد كنت منعما
أفكر في عصر مضى بك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لئن عظمت فيك الرزية انما * وجدناك منها في الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقسمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل عباد ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب وقومه * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الادم تمشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي احكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كأنما * خلقت وإياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لي الاسى * دموعا بها أبكي عليك ولا دما

مكة بأمر يزيد وذلك في سنة أربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء في اشعارها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قبة

فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلا في جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيا ولا يعصي له أمرا فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمي مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فاحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما

واني

وانى مــلى رسمى مقـــيم فان امت * ساجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو مأتما
وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغار أخوك البحر غيضا فاطمى
وماحل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * بشم وأن أمطوك اشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فأشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لأن لان الحديد وأن قسوا * لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سينجيك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على ايامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل فى جميعها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة اوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم أمره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصه ولقضية المعتمد فى صدورهم غصه منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره ابو بحر عبد الصمد وكان به مختصا وكم ألبسه من بره حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ما شا وجلب بها الى انفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك اسامع فأنادى * ام قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم عيد فسبحان المبدئ المعيد

* ويحكى ان رجلا راى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وانشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد اناخوا عيسهم * فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم * ثم ابكاهم دما حين نطق

وعاش ابو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك يروعك فى حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه

واين هذا من امداحه فى المعتمد * وتذكرت هنا من احوال الدانى انه دخل على ابن عمار

واشتد الامر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف ففى ذلك يقول ابو حرة المدينى

ابن نمير بئس ماتولى
قد احرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره اخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصى وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

(ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم)

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه فكانت أيامه أربعين يوما الى أن مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بابى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها
والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ماذقت حلاوة

في مجلس فأراد ان يندر به وقال له اجلس ياداني بغير الف فقال له نعم ياابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والاخذ بالثار في المزاح * ونظيره وان كان من باب آخر ان المعتمد مع وزيره ابن عمار ببعض ارجاء اشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال في الحال يامولاي والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الا غالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الجيارين بقوله الجيارين اشارة الى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناثين أي هي وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها وهذا أولى بالحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء في وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضي البزاة وكلما أمضيتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنهما وأسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه جمل وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلئ فقال له أبو العرب معرضا ما يحمل هذين الكيسين الا الجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجديتني جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قدت صرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأني فشأني كله عجب * رفهتني فحملت الحمل والجملا

وذكر الحجاري هذه القصة فقال قعد المعتمد في مجلس احتفل في تنضيده واحضار الطرائف الملوكية وكان في الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلي بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الا الجمل فقال خذ هذا الجمل فانه حمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتني فحملت الحمل والجملا * وذكر أن ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقال ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ما وقفنا على شئ فقال الليل لا يطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلي والصبح جزئي فتعجب الحاضرون وأثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدي قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبي الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لي فهذا محب يزور أحبابه في سواد الليل خوفا ممن يشي به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح

خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتتحلون أنتم حلاوتها واتحمل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها اللهم اني لا أجد نفرا كأهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتني يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا اني لبرىء منها (وقد تنوزع) في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان فقالوا نبايعك قال على ان لا أحارب ولا أباشر قتالا فأبوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجى أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي فقال المختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزبير اني لأعرف قوما لو أن لهم

أول ما يغري به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويمتلئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكي ومن خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال في بدائع البدائه جلس المعتمد للشرب وذلك في وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جار به تسقيه وهي تقابل وجهها بنجم الكاس في راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسي وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندي أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجري من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعيني كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا كأنما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * في جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا وأنبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى لكؤوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها في الماء لمع الحباحب

وقال أيضا كأن سراجي سربهم في التظائها * وأنبوب ماء الفيل في سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما * لئيمان في انفاقه يعذلانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار في مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر حسبة * فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر

رجلا ارفق وعلم بما يأتي لأستخرج لك منهم جندا تغلب بهم أهل الشام فقال من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فأخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد بيعته وكتب المختار كتابا الى علي بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وأنفذ اليه مالا كثيرا فأبى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤوس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك

حذارك من أن يعقب الرزء فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الشكل اللبيب فشفه * رأى أفدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذى يأسى بموت ثوابه * هو البرح لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها
اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه * وجر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا اعترت جردا العناجيج فى القنا * بليل عجاج ليس يصدعه فجر

ومنها
أعباديا أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من سجيته الغدر
الى أن قال بعد أبيات كثيرة
الا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن يتلو الصلة الهجر
يغاديك داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذاوعن ذلك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر

ومنها
وكيف بنسيان وقد ملأت يدى * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المنن التى * تمليتها تترى فلا بقى الشكر
فهل علم الشلو المقدس أننى * مسوغ حال حار فى كنهها الدهر
وان مناقى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضى وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذى * له فى الذى وفاه من صنعه سر
له فى اختصاصى ما رأيت وزادنى * مزية زلفى من نتائجها الفخر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلى الصدر
وفى نفسه العلياء لى متبوأ * يساجلنى فيه السماك والنسر

ومنها
لك الخيران الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسخنها البكا * وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

ومنها
ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت مثنى نوافل * يلاقى بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذى غض طرفه * بعيد التسامى أن غدا غيره القصر
وأجمل عن التاوى العزاء فان توى * فانك لا الوانى ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولى الحجا * من اللب ما أعطاك عشروك والعمر
ألست الذى ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فنك لمن هاضت نوائبها جبر

الناس بهم وتقربه اليهم بمحبتهم و باطنه مخالف لظاهره فى الميل اليهم والتولى لهم والبراءة من أعدائهم بل هو من أعدائهم لامن أوليائهم والواجب عليه ان يشهر أمره و يظهر كذبه على حسب مافعل هو وأظهر من القول فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لاتفعل فانك لاتدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له وأظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بطنى شبر فما عسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب

ولا

ولازلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدود ابها ذلك الازر
فانك شمس في سماء رياسة * تطلع منها حولنا أنجم زهر
شككنا فلم نثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر
وما ان تغشتها مغازلة الكرى * وما ان تمشت في معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا مملك * يصدق في علياتها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تضحك الدنيا فانت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هناك الايادي الشفع والسودد الوتر
هناك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المنا جز رده * واقبا له خطر واد باره حصر
محاسن ما للروض سامره الندى * رواه اذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره الشحر
عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطي الحميا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتنجز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذي * صدقالك في السمة العلية فالا
يا أيها الملك الذي لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا نسبة * وافادة وانافة وجمالا
قد شاقها الاغباب حتى انها * لو تستطيع سرت اليك خيالا
رفد ورود كها النغم راحة * وأطل مزارك ها لتنعم بالا
وتأمل القصر المبارك وجنة * قد وسطت فيها الثريا خالا
وأدر هناك من المدام كؤسها * و أتمها وأشفها جريالا
قصر يقر العين منه مصنع * بهج الجوانب لو مشى لاختالا
لازلت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا واعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح جامده * وفدت خير وافده
وجدت سوق ذوبها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجمو * د وجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

يا أيها الظافر نلت المنى * ولا أتانا فيك محذور
ان الخلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للمجد الذي شدته * ربع بتعميرك معمور

ان الموالي أمست وهي عاتبة
على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا
أي الملوك على ما حولنا غلبا
وفيه يقول بعد مفارقته اياه
ما زال في سورة الاعراف يقرؤها
حتى فؤادي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد
أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
ان امرأ كنت مولاه فضيعني
يرجو الفلاح لعمري حق مغبون
وفيه يقول أيضا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن
كبير بني العوام ان قيل من تعني
تخبر من لاقيت أنك عائذ
وتكثر قتلا بين زمزم والركن
وفيه يقول الضحاك بن فيروز الديلمي
تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة
وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت اذا ما نلت شيأ قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب السدر

 فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا الردتك العطوف على عمرو وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد

وافاك نظم لي في طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مرامه يصعب مالم يبح * بالسر قمري وشحرور

وذكر أبياتا نافيها أسماء طيور عمى بها عن بيت طيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تعز ظافر * فليطع من ينافر

ففكه المعتمد وجاوبه

ياخير من يلحظه ناظري * شهادة ماشانها زور
ومن اذا خطب دجا ليله * لاح به من رأيه نور
جاءتني الطير التي سرها * نظم به قلبي مسرور
شعر هو السحر فلا تنكروا * أني به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتي * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لي بيت فؤادي له * دأبا على ودك مقصور
حظك من شكري ياسيدي * حظ عالي منك موفور
قصرت في نظمي فاعذر فمن * ضاهاك في التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثر فقد * أعوز منظوم ومنثور
لابعدكم روض من الحظ في الاكرام والترفيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظي من نعماك موفور * وذنب دهري بك مغفور
وجاءني ان رامه أزمة * جبر لدى ظلك مجبور
يا ابن الذي سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه مخفور
وآمر الدهر الذي لم يزل * يصغي اليه منه مأمور
ألبس منك الدهر أسنى الحلى * بظافر منعماه منصور
قام وفي المأثور يامن له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * في صحف الانفس مسطور
نظم زهاني به اذ جاءني * علق عظيم القدر مذخور
لاغرو أن أفتن اذ لاحظت * فكري منه أعين حور
تنم عن معناه ألفاظه * كما وشى بالراح بلور
جهلت اذ عارضته غير أن * لابد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذلك من الاعمال مبرور
ان الذي يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور

ابن عتبة بن أبي سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات وحبس عبد الله ابن الزبير الحسن بن محمد ابن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع أهل البناء عظيما لو وقعت له وأنظرة من نار لم يسلم من في الدنيا والعه في القوم محمد على الخلافة حدث النوفلي علي بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب السكوني عن أبي عمران الرازي عن

لازلتم فى غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور

ولا تزل يجرى بما شئتم * أعماركم الله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه

فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبى الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بنى عباد) قال ابن حمديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعانى وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لى أجز

انظرهما فى الظلام قد نجما * فقلت * كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال * يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال * فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لى بجائزة وألزمنى الخدمة * وتلى ذكر ابن حمديس فما أحسن قوله

أرى أركبت فى الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه

تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه

وأصعب من ركوب البحر عندى * أمور الجأتك الى ركوبه

ولغيره

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه

لولا الذى فيه يتلى * ما جاز عندى ركوبه

وقال ابن حمديس فى هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى * علىّ منه المعاطب

طين أنا وهو ماء * والطين فى الماء ذائب

(رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرنى الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلى قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ما ضر أن قيل اسحق وموصله * ها أنت أنت وذى حمص واسحق

أنت الرشيد فدع من قد سمعت به * وان تشابه أخلاق وأعراق

لله درك دار كها مشعشعة * واحضر بساقيك ما قامت بنا ساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا وله أخبار فى الكرم يقضى الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألمعنا فى هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هى التى ترجمناها فى هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بنى عباد فلنعد الى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد فى بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة

قطان بن خليفة عن الذيال بن حرملة قال كنت فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلى من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه فى أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بنى هاشم فيأتى عليهم فانتدبوا معى فانتدبنا معه فى ثمانمائة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على رأسه قال فجئنا الى بنى هاشم فاذاهم فى الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير نمرنا له واقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله (وحدث) النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد ابن سلمة قال كان عروة بن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره اياهم فى الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما أراد بذلك ارهابهم ليدخلوا فى طاعته كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذهم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره فى كتابنا فى مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعنى الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم

الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها فى كل ذلك نوادر محكية وكانت فى عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهى أبدع منها محاوأحسن افتنانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة و يلقب بالمستكفى بالله وأخبار أبى الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة فى قولها ولا يوم الطين وذلك انها رأت الناس يمشون فى الطين فاشتهت المشى فى الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت فى ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدى حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها فى بعض الايام فاقسمت انها لم تر منه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم فى حق النساء لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد أشار فى أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال فى بناته

يطأن فى الطين والاقدام حافية * كانها لم تطأ مسكا وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب فى قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة فى التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعنى المعتمد باغمات وهو سارح وما غير الشجون له مبارح ولازى الاحالة الخمول واستحالة الخمول فدخل اليه من يسليه ويسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل و يبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافية وآثار نعيمهن عافية فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى اغمات مأسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية * كانها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الا تشكى الجدب ظاهرة * وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت فى العيد لا عادت مساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحمل فى السفين واحل فى العدوة محل الدفين تندبه منابره واعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقى أسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك فى اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد

داره عليه نارا فدخل على حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر فى كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلى فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر ابن حبة التميمى عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهرانى البصرى بمصر وأبو اسحق الجوهرى بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حى فى جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبى عبيد الثقفى وكان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية

بكت ثرياه لا غمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادي
ماء السماء على أفيائه درر * يا لجة البحر دومي ذات ازباد

وفي ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجني النعيم وفي عليائها فلكا
في أمره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان في بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهي من أجل المواضع لديه وأبهاها وأحبها اليه وأشهاها لاطلاله على النهر وإشرافه على القصر وجماله في العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزري بحلاوة الضرب ما لم يكن بحلب لبني حمدان ولا لسيف بن ذي يزن في رأس غمدان وكان كثيرا ما يدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بأرض المغربين أسير * سيبكي عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأي من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بني ماء السماء زمانهم * وذل بني ماء السماء كبير
فياليت شعري هل أبيتن ليلة * أمامي وخلفي روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * تغني حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامي الذي جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا لا يسيرا مناله * ألا كل ما شاء الاله يسير

انتهى * وقال الحجاري في المسهب ان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أهدى الى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الاندلس وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بأن سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر في ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكرها أن غنت عندما انتشى هذه الابيات

حلوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية * أمضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة * أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع في قلبه أنها عرضت بسادتها فلم يملك غضبه ورمى بها في النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للجارية في قولها

دخل الى شعب رضوى في جماعة من أصحابه فلم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار في كتابه انساب قريش في انساب آل أبي طالب وأخبارهم منه قال أخبرني عمي قال قال كثير أبياتا له يذكر ابن الحنفية رضي الله عنه وأولها

هو المهدي خبرناه كعب * أخو الاحبار في الحقب الخوالي
أقر الله عيني اذ دعاني * أمين الله يلطف في السؤال
وأثنى في هواي علي خيرا * وساءل عن بني وكيف حالي

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى * يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميري وكان كيسانيا

ألا قل للوصي فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا * وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك أهل الارض طرا * مغيبك عنهم سبعين عاما

*ان خوفوك لقيت كل كريهة * وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى امير المسلمين والقصة مشهورة * وقال الفتح فى شأن حصار المعتمد ماصورته ولما تم فى الملك أمده واراد الله تعالى أن تخرعمده وتنقرض ايامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعدما نثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه واخذت عليه الفروج والمضايق وانثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وامطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهوساه بروض ونسيم لا براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لا يصيخ الى نبا سمعه ولا ينيخ الا على لهو يفرق جموعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجز عن المدافعة أنصاره وداس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفع شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التقلب جمره تاجج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعندما سقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جائحا كالمهر قبل رياضته فلحق اوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من اكثر جهاته وسيفه فى يده يتلمظ للطلى والهام ويعد بانفراج ذلك الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه واغربت شمسه ولقى ثانيا فضربه وقسمه وخاض جيش ذلك الداء وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبنى منه ماهد ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وابعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفى ذلك يقول عندما خلع واودع من المكروه ما اودع

ان يسلب القوم العدا * ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشاشة دفوع
أجلى تأخر لم يكن * بهواه ذلى والخضوع
ماسرت قط الى القتا * ل وكان من املى الرجوع
شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما من نحو ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس انسه أيام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر فى سلكه ماحكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه فى دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجالسه والدر يحكى اتساق تأنسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيى بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثنى القضيب ويحمل الكاس فى راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا

وفيه يقول السيد أيضا
ياشعب رضوى مالمن بك لا يرى
وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
ياابن الرسول وأنت حى ترزق
وللسيد فيه اشعار كثيرة لا يأتى عليها كتابنا هذا (وذكر) على بن محمد بن سليمان النوفلى فى كتابه الاخبار مما سمعناه من ابى العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلى قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميرى قال مامات السيد الاعلى قوله بالكيسانية وأنكر قوله فى القصيدة التى أولها
تجعفرت باسم الله والله أكبر
قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فصاحته وجزالة قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميرى عن مساور بن السائب أن ابن الزبير يخطب أربعين يوما لا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعنى أن أصلى عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها

وشاحه وانار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكاس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

لله ساق مهفهف غنج * قدقام يسقي فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلة ثلث في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للامن الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خالف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكففت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس اخالها لا يحول قلبها ولا اخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * لجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفقتني بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكرر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه قال الفتح وأخبرني ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلات يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار قد أترعا بصرف العقار ومعهما

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذاك أذابها * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دراري

وقال الفتح أيضا وأخبرني ذخر الدولة انه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رداه وأوقد فيها أضواءه وهو على الحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى حديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره

يقول ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير اني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفي هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميري عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهراني بمصر والكلابي بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومي قال خطب ابن الزبير فنال من علي فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسي قدامه فعلاه وقال يا معاشر قريش شاهت الوجوه أينتقص علي وأنتم حضور ان عليا كان سهما صادقا أحد مرامي الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم ما كلهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة ننثر عظامهم ونحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال بني الحنفية فقال تؤنبني وتخاصني قال ابن عباس نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرامه وتجمجم عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغرب به وأنشده

أيا نفس لا تجزعي واصبري * والافان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى * وقال الفتح أيضا أخبرني ذخر الدولة بن المعتضد انه دخل عليه في ليلة قد امتطى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الامانى سوادها وغازل نسيم الروض زوّارها وعوّادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نيالها والمجلس مكتس بالمعالى وصوت المثاني والمثالث عالي والبدر قد كمل والتحف بضوئه القمر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مدّ الظلام رداء
حتى تبدى البدر في جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فاستكمل اللألاء
لما أراد تنزها في غربة * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته في الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

وأخبرني ابن اقبال الدولة انه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبي محمد المصرى

أيها الصاحب الذى فارقت عيني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذى يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التى تنسي من الرقة واللذة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعدالك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه وقد تلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور طرادها وأعطته الامانى انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادبرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس في ثبير وعندما تناولها قام المصرى ينشد أبياتا يمثلها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * بشاذمهر ودع غمدان لليمن

محمد يا ابن أم رومان ومالي لا أتكلم أليست فاطمة بنت محمد حليلة أبي وأم اخوتي أوليست فاطمة بنت أسد ابن هاشم جدتي أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبي أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد عظما الا هشمته وان نالتني فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابن عائشة والعتبي جميعا عن ابويهما والفاظهما متقاربة قال اخطب ابن الزبير فقال ما بال أقوام يفتون في المتعة وينتقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال يا غلام اصمدني صمدة فقال يا ابن الزبير قد أنصف القارة من راماها انا اذا ما فئة نلقاها نرد أولاها على أخراها أما قولك في المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه أسماء فأخبرها فقالت صدق

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف فى تأنسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ له بالمواهب يدا * وله فى غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلى الابطال قارعا وفى الدماء والغا واستشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبى قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفى انه فلك
أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وما ذلك الا لما علمنا أن نفوس الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار فى الحلة السيراء رقة فى القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها الاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء) *(ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامرى من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن عليم فى شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهى خشبة بين جمالين يحمل كل واحد منهما طرفها على عنقه ما صورته وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التى تظهر فى أذقان بعض الاحداث وتعترى بعضهم فى الخدين عند الضحك فاما التى فى الذقن فهى النونة ومنه قول عثمان رضى الله تعالى عنه وسموا نونته لتدفع العين وأما التى فى الخدين عند الضحك فهى الفحصة فما كان فى ذلك الوقت فى اشبيلية من عرف منهما واحدة * وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهى نائمة فقال

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها *(ومنهن) بثينة بنت المعتمد بن عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحوا من أمها فى الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بابيها ووقع النهب فى قصره كانت فى جملة من سبى ولم يزل المعتمد والرميكية عليها فى وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار أشبيلية اشتراها على انها جارية تسرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضى أبى بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه فكان الذى كتبته بخطها من نظمها ما صورته

فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وماذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وماذكر فى حديث الربيع ابن سيرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا ومار وى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستنصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بالكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وما قال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدى وغير ذلك وقد حدث النوفلى عن أبى عاصم عن ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية بنت أبى عبيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن

 معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابى وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

اسمع كلامي واستمع لمقالتي * فهي السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا أني سبيت وأنني * بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * واذاقنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ * لم يأت في اعجاله بسداد
اذ باعني بيع العبيد فضمني * من صانني الامن الانكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بني الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك في الرضا * ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به * ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات واقع في شراك الكروب والازمات سره وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما سبيل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء كتابه مايدل على حسن صبره المشكور

بنيتي كوني به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول *(ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادي الحجارة ذكرها في المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا ويعشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لي حبيب لا ينثني لعتاب * واذا ماتركته زاد تيها
قال لي هل رأيت لي من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لي شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب اني من عبيدي على * جمر الغضا مافيهم من نجيب
اما جهول ابله متعب * أوفطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

ياوحشتي لأحبتي * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعتهم * ياليلة هي ماهيه

*(ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهي القائلة

وقال قومي عني فقلت ما الحديث عن أبي عاصم غير النوفلي وقد تنازع الناس في ذلك فمنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا في الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولي معاوية بن يزيد نمى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه في الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقي الحصين عبد الله في المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمني علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا استعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا من ذلك

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبيك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

*(ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسئلوا غاية المنى فقالت من كسا جسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى أنا هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

سل هوى غاية المنى * من كسا جسمي الضنا

فقالت تجيزه

وأراني متيما * سيقول الهوى أنا

فحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى *(ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الا افراقنا * وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

أباح الدمع أسراري بوادي * له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس * سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر * وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر في أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف أباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذي توعدونا انا والله ما دعوناكم الى كتاب المبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بالقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعونا كم الى هذا الحي من قريش يعني بني أمية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلنا كم فاياناتوعدون أما والله انا لابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فما شئتم ومضى القوم الى الشام وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها ابرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش والسندروس وانواع الالوان من الاصباغ فمن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من اساس ابراهيم الخليل الذي اسسه هو واسمعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وممن جزم بذلك الرعيني وقال ان مؤرخي بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازى الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوى الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما أبى الواشون الى آخره لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الابعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفحة الرمضاء واد * الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهى أبيات لم يحلها م غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهى الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسى الغرناطى نزيل حلب وحكى ابن العديم فى تاريخ حلب ما نصه وبلغنى أن المنازى عمل هذه الابيات ليعرضها على أبى العلاء المعرى فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازى كلما أنشده المصراع الاوّل من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله
نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنوّ الوالدات على الفطيم * فقال المنازى انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنوّ الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهنّ على المعانى العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادى آشى وأختها حمدة وحمدة هذه هى القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن فى الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسرارى بوادى * الابيات انتهى (ومنهنّ) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان فى المقتبس لم يكن فى زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال فى المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوّقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا فى سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

زاده ابن الزبير فى البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الامنبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوى ففى ذلك يقول فضالة الاسدى وكان بايع لابن الزبير ثم نكث
دعا ابن مطيع للبياع فجئته الى بيعة قلبى لها غير آلف
فناولنى خشناء لما لمستها بكفى ليست من اكف الخلائف
وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم فى بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وليد كم

وليـد كم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا البوة لكنني لا أرتضى * نفسى مناخا طول دهرى من أحد
ولو أننى أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعى عن أسد

*(ومنهن) مريم بنت أبى يعقوب الانصارى سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية فى المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الاربعمائة وذكرها الحميدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى اليها بدنانير وكتب اليها

مالى بشكر الذى أوليت من قبل * لو أننى حزت نطق اللسن فى الحلل
يا فذة الظرف فى هذا الزمان ويا * وحيدة العصر فى الاخلاص فى العمل
أشبهت مريم العذراء فى ورع * وفقت خنساء فى الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجارى بك فى قول وفى عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالى بشكر الذى نظمت فى عنقى * من اللآلى وما أوليت من قبل
حليتنى بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التى سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشى بها مشى الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن على رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامرى وتسأله فى رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفى آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالى * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف فى القبور ولما ولى أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هى

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى

من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه اشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمى وقيس بن الهيثم السلمى ومسمع بن مالك العبدى فقالوا أما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وأنت احق من قام على امرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيرى لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعى عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أطلق أيدينا لا حاجة لنا فى بنى أمية ولا فى امارة ابن مرجانة وهى أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ماذكرنا آنفا انما البيعة لاهل الحجز يعنى أهل الحجاز فخلع أهل الكوفة ولاية بنى أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا فى أمرهم فقال جماعة عمر وبن سعد بن أبى وقاص يصلح لها فلما هموا بتاميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وممن جزم بذلك الرعيني وقال ان مؤرخي بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوي الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما أبى الواشون الى آخره لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما غره في ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفحة الرمضاء واد * الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازي من شعرائهم وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي أبيات لم يحلها غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني أن المنازي عمل هذه الابيات ليعرضها على أبي العلاء المعري فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله
نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنو الوالدات على الفطيم * فقال المنازي انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي وأختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسراري بوادي * الابيات انتهى (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ففي ذلك يقول فضالة الاسدي وكان بايع لابن الزبير ثم نكث

دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبي لها غير آلف
فناولني خشناء لما لمستها * بكفي ليست من أكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم ولدكم

وليـد كم لدى رأى كشيخ * وشيخـكم لدى حرب وليـد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا البـوة لكنـنى لا أرتضى * نفسى مناخا طول دهرى من أحد
ولو أننى أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعى عن أسـد

*(ومنهن) مريم بنت أبى يعقوب الانصارى سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية فى المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا وسكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الار بعمائة وذكرها الحميدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى اليها بدنانير وكتب اليها

مالى بشكر الذى أوليت من قبل * لو أننى حزت نطق اللسن فى الحلل
يا فذة الظرف فى هذا الزمان ويا * وحيدة العصر فى الاخلاص فى العمل
أشبهت مريما العـذراء فى ورع * وفقت خنساء فى الاشعار والمثـل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك فى قول وفى عمـل * وقد بدرت الى فضل ولم تسـل
مالى بشكر الذى نظمت فى عنقى * من اللآلى وما أوليت من قبـل
حليتنى بحلى أصبحت زاهيـة * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التى سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعـه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشى بها مشى الاسير المكبـل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبـد المؤمن بن على رسالة تمت فيها اليـه بنسـبها العامرى وتسـأله فى رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفى آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسـيدنا أمـير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالى * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها
رويتم علمه فعلمتمـوه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضى أبى محمد عبـد الحق بن عطيـة سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف فى القبور ولما ولى أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هى

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى

من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه اشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمى وقيس بن الهيثم السلمى ومسمع بن مالك العبدى فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وانت احق من قام على امرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيرى لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعى عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أطلق أيدينا لا حاجة لنا فى بنى أمية ولا فى امارة ابن مرجانة وهى أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ماذا كرنا آنفا انما البيعة لاهل الحجاز يعنى أهل الحجاز فخلع أهل الكوفة ولاية بنى أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا فى أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبى وقاص يصلح لها فلما هموا بتاميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين

غلب السرور علي حتى انه * من عظم فرط مسرتي أبكاني

و بعده البيت وبعده

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودع الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى أن قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم

حكت لنا مريم لكنه * نخلة هذي ذكر قائم

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومي هذا لاقر لها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمي عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ أحبابه * أهلا به من مثلج للصدور

حكى ثدي الغيد تفليكه * لكنه أخزى رؤس الايور

*(ومنهن) هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن ينق يدعوها للعضور عنده بعودها

يا هند هل لك في زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول

حسبي من الاسراع نحوك أنني * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه

يا قاصد المصر الذي يرجى به * ان قدر الرحمن رفع كراهيه

ناد الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه

أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه

شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه

حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها القيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة * وحكي ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض

و بعد ان امارضى عمر بن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يكون اميرا علينا على الكوفة فبكى الناس وأعرضوا عن عمر وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان علي عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال

عبيت همدان وعبوا حميرا

ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما فانهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوي على ما قدمنا آنفا فتولى امرهم حتى وجه المختار في أثره ونظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك ابن قيس الفهري الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار

أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها فى الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا * وياليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولنى القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدرى * له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذى كتب يداعب زوج المرأة فكتبت اليه

ان الامام ابن الخطيب * له شيوب عاصيه الى آخره فالله أعلم

*(ومنهن) نزهون الغرناطية قال فى المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يامن له ألف خل * من عاشق وصديق
أراك خليت للنا * س منزلا فى الطريق

فأجابته حللت أبا بكر محلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبى بكر

قيل لو قالت وان كان خلانى كثيرا الخ لكان أجود ولما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ما قلت حقا * من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخزومى

وقد تقدمت حكايتها فى الباب الاول من هذا فليراجع * وقال لها بعض الثقلاء ما على من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شقوة لما رآنى رأى له * تمنيه يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى غرناطة واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الاديبة وما جرى بينهما وانها قالت له بعقب ارتجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ أحسنت يا بقرة بنى اسرائيل الا أنك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع

الضحاك الى مروان وابنه وأظهر الدعوة لابن الزبير والتقى الاشدق ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك قال مروان وما هو قال أدعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضى الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فأرغبه فى بيعة مروان فخنع لها وبويع مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ما قيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداد يسيرا جاوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان الا مروان فانه أخذها على ما وصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى ما يشاء ويمنع

واشتهر حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشأم

يا وزير ثم أنشد

ايه أبا بكر ولا حول لي * بدفع أعيان وأنذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكي حال أذيالي
غرقتني في الماء يا سيدي * كفره بالتغريق في المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به ومراهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الا من بعد ما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له في ديوان أجزاله ٣ وحكي عنه فيما أظن أعني ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأطمعته في نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يا معلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذي قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذي تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جئيني بمثال فاني لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صور لي صورة الشيطان فقال لها ائتيني بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل يا حسنها جنة * لا يدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها جد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * ففي ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكي انها كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندي فقال يخاطب المخزومي * لو كنت تبصر من تجالسه * فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون * لغدوت أخرس من خلاخله *

البدر يطلع من ازرته * والغصن يمرح في غلائله

وكانت ناجبة ومن شعرها قولها

لله در الليالي ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر * بل ريم خازمة في ساعدي أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناح
فبت وقد زارت بأنعم ليلة * يعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل * وفي خصرها من ساعدي وشاح

وابن الزقاق هذا له في النظم والغوص على المعاني الباع المديد ومن نظمه

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ

على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد منها أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منه ومشورة فرضي مروان بذلك وانقادوا اليه وقال له مالك بن هبيرة اليشكري انه ليست لك في أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ما قريش عندنا الاسواء فأجابه مروان الى ما سأل وسار مروان نحو الضحاك ابن قيس الفهري وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوي وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك ابن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار وأكثرهم من قيس

نسيبه

نسميه يحيى وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الوردان ظمئت حشاه * وفي مال اليتيم له ولوغ

وقوله
كتبت ولو أنني أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملي * وكان المداد سواد البصر

وقوله
غريرياري الصبح اشراق خده * وفي مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا اقعوانة * ويهتز في برديه منه قضيب

وقوله
ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا في برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيي الورى بتحية من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أي الجوى بجوانحي لم يهده

وقوله
أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومد لمبسمه راحة * نخلت الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال في ليتني كفه

وقوله
بأبي من لم يدع لي لحظه * في الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته في ثغره * عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده * شفقا في فلق تحت غسق

وقال
وعشية لبست ملاة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتي معشوق
لو أستطيع شربتها كلفا بها * وعدلت فيها عن كؤوس رحيق

وقال في مسامرة كتاب زعماء

لله ليلتنا التي استجدي بها * فلق الصباح لسدفة الاظلام
طرأت علي مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين براعة وحسام

وقال
ومجدين في السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير كؤوس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدي العيس
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة في الرؤس

وقال
وحبب يوم السبت عندي أنني * ينادمني فيه الذي أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أني مسلم * حنيف ولكن خير أيامي السبت

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوي الاقدار فنقول قال الخفاجي رحمه الله تعالى

وهاتفة في البان تملي غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا

والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشي في الحديد نكبا
والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا

وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم
أرى أحاديث اهل المجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحرث العامري ثم الكلابي مع الضحاك فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابي من أبيات كثيرة

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
لمروان صدعا بيننا متنائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أريني سلاحي لا أبا لك انني
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هي ماهيا

فلم يرمني نبوة بعد هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا عشية أغدو في الفريقين لا أرى *

من القوم الامن على ولا ليا * أيذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا * أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل همام أمني الامانيا وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشام وكان النعمان بن

عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجي قلوب العاشقين أنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقي عيناي بدر مكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادي بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يا من تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعي
اني لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظري يحسدن فيك رقاعي
لم تطوك الايام عني انما * نقلتك من عيني الى أضلاعي

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله أيضا
لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فعلى الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا
هبت الريح بالعشي فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا
لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله
وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبي بعطفة اللام
أسلمني للهوى فواحزني * أن سرني عفتي واسلامي
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامي

وارتجل أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات في قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كاد الهوى فيها ادكارا يشي
رحنا اليها والبطاح كأنها * صحف مذهبة بابريز العشي

فأجازه الوزير ابن جزي بقوله

في فتية هزت حميا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشي
يأتي علاهم بالفصيح ولفظهم * بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

وقال السلطان أبو الحجاج الناصر النصري مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم * ولكن لأحوال أشابت مفارقي
أقام بها ليل التهاني تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقي بالحبيب المفارق

بشير واليا على حمص وقد خطب لابن الزبير مماثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لا يدري أين يأخذ فاتبعه خالد بن عدي الكلاعي فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحرث الكلابي في هزيمته الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان في جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندقا مما يلي المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان أكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشدين لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعني يوم الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز
وقدم مروان الشأم فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان في الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن مروان ولم

ولم يثنني طرف من النور ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال في عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صبح الدياجي مدامة * تميل بها الركبان فوق الايانق
اذا ماقطعنا بالمطي تنوفة * دلجنا لأخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله

من عاذري من غزال زانه حور * قد هام لما بدا في حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبي وان سالمتها أثر

وقال القاضي أبو القاسم بن حاتم

شكوت بما دهاني وكان سرا * لمن ليست مودته صحيحه
فتلك مصيبة عادت ثلاثا * لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسي مخاطبا للفقيه الفخار

خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تأمله * وان تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبي فيمن أهدى اليه تفاحا

خليل لم يزل قلبي قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتاني مقبلا والبشر يبدي * وسائل برة كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكي * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

وقال قاضي مالقة سيدي ابراهيم البدوي

قطعت باسي فصنت وجهي * عن الوقوف لذي وجاهه
قصدت ربي فكان حسبي * ألبسني فضله وجاهه
فلا يرى ينثني عناني * مدى حياتي الاتجاهه

وقال ابن خليل السكوني في فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف في أسفار ينحى به لنحو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وابينه وأبرعه وأتقنه فقال لي الشيخ الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودت جوارحه لو أنها مقل

ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع فالالفات على قدر واحد واللامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمي بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا في آخره ما صورته كتبته بقلم واحد فقط ماقط الا مرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه في ذلك أحد وهلك مروان بدمشق في هذه السنة وهي سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عني باخبارهم في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة أم خالد ابن يزيد بن معاوية هي التي قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو ابن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمني يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر في جوفه وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبي أنت حتى عند النزع لم تشتغل عني انه يوصيكم بي حتى هلك فكانت أيامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية وأشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التي هلكت فيها بنو أمية

من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك في سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين .. خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمان أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرناهؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأباسفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذي لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبابكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية

(ذكر أيام عبد الملك بن مروان)

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال

أذهبن من فرق الفراق نفوسا * ونثرن من درر الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجي فحدقت * رقباؤها نحوي عيونا شوسا
وحللن عقد الصبر اذودعنني * فحللن أفلاك الخدور شموسا
حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحسبتها بلقيسا
فازورجانبها وكان جوابها * لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهي طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروي الاعلى منوال هذه وان كان الحافظ التنسي قال انه نسجها على منوال قصيدة أبي تمام حسبما ذكرناذلك في محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسي خمولا * عن رتبة الاعلام
لا يخسف البدر الا * ظهوره في تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا الغلام طرله عذار

أتاني كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من ردّه
ومن قبل فضي ختم الكتاب * قرأت الشفاعة في خده

وقال القاضي الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشي قاضي طليطلة

برح بي أن علوم الورى * قسمان مالن فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لاتحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار في بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين
مروتشكى الرجل منه الوجى * واثمد يجعل في الاعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا * فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيري

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصي كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده * ان امرأ القيس اشتكى الطماحا

وقال الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره العزيز في كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدني الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية أبياتا عملها في محمد بن ابراهيم

ابن أبي بكر المرعي وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائرا وقد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو ما تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك وهي

وقالوا العذار جناح الهوى * اذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذاك فخبرهم * قياما بعذري أو عذره
اذا كمل الحسن في وجنة * فخاتمه ويك من شعره

انتهى * قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو

ايا حاضرا بجماله في خاطري * ومحجبا بجلاله عن ناظري
ان غبت عن عيني فانك نورها * وضمير سرك سائر في سائري
ومن العجائب أنني أبدا الى * رؤياك ذو شوق مديد وافر
مع انني ما كنت قط بمجلس * الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى * وأنشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي

ايا سيدي أشكو لمجدك أنني * صددت مرارا عن مثولي بساحتك
شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها * وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على الخير مشارك في العربية خاطب للرياسة الادبية اختص بالامير أبي علي المنصور ابن السلطان أيام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا أيا سيدي البيتين انتهى * وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبي نصر صاحب القلائد والمطمح أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك في خلق كريم
أبا نصر رسمت لها رسوما * تخال رسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأنرت منها * سراجا لاح في الليل البهيم
فتحت من الصناعة كل باب * فصارت في طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك في هموم
فاقس بابدع منك لفظا * ولا سحبان مثلك في العلوم

انتهى * وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجي الاندلسي بن الكناني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
فسعدي نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل ها كها * جاءت على نسق لها متتابعه

وسنذكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا لجامع ملك بني أمية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث في شعبان من سنة اثنتين وثمانين ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من ١٠٠ شوال سنة ست وثمانين وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام ابن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

(ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان في أيامه ونوادر من اخباره)

ولما أفضى الامر الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف في أخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ولا ترد علي الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسى وكلمني بقدر

خزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفضائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصى بطن للاعادى قامعه
ذا هاشم فخذ وذا عباسها * أثر الفصيلة لا تناط بسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سألنى فيها لغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلابى الجيانى على القاضى ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن جحاف البلنسى

لئن كان الزمان أراد حطى * وحاربنى بأنياب وظفر
كفانى أن تصافينى المعالى * وان عادتنى يا أم دفر
فما عز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

ألا انما سيف الفتى صنو نفسه * فنافس بأوفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالى شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسى صبرا لا يروعك حادث * بارتاجه واستشعرى عاجل الفتح
فرب اشتداد فى الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انتجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيجمل أن يؤمكم رجائى * فيوقف لا يرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالامانى * ومطلوبى قريب مستجاز
اذا ما أمكنت فرص المساعى * فعجز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للمهندة اهتزاز
فما الانصاف أن ينضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز
كما نعم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز
فاعيى الناس فى المقدار حلم * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

أسرى وأسير فى الآفاق من قمر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فان مال اليه تو كف له بشأنه مع تواضع زائد على صلة مخبره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وثء فى رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور الامجاد فأدنى وقرب وسهل ورحب وتفاوض

ما استطعمك واجعل بدل صواب القول واذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك فى تطرية صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان أسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم واعلم ياشعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين يهب الريح قال لا علم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك أما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس وأما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد أخطؤا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم

أولئك الصدور في فنون من الادب كانها الشذور الى أن خاضوا في الاحاجي واستضاؤا بأنوار أفكارهم في تلك الدياجي فخضت معهم في الحديث وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث لقصة بلغتني عن أبي الحسن سهل بن مالك وهي انه كان يسائل أصحابه وهو في المكتب و يقول لهم أخرجوا اسمي فكل ينطق على تقديره فيقول لهم انكم لم تصيبوه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغر الجسم يسير
مصحفه له في العين حسن * وقلبي عند صاحبه أسير

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع ما به من الألم الى محبرة وطرس وقلم و كتب البيتين بخطه وقال للحاضرين ارووا هذين البيتين عن قائلهما * ومن شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله بن عسكر المالقي كتب له ولاخيه أبي الحسين بخطه اجازة جميع ما يجوز له وعنه وضمن آخرها هذه الابيات

اجيبكما لكن مقرا بانني * اقصر فيما رمتما عن مداكما
فانكما بدران في العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانني * أجود بنفسي أن تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعري لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب في أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أني أقول واحده ما سريرتي لها بجاحده وأصرح بمقال لا يسعني كتمه بحال والله ما أنا للاجازة باهل ولا لمرامها الذي بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل و بعد العلم والعمل اللهم غفرا كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته من الصالحات صفرا وكيف يرتسم في ديوان الجله من يتسم بالافعال المخله ومتى يقترن الشبه بالابريز أو يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقمار بالسها ومن أعظم التوبيخ تشييخ من لا يصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه جمع لمن لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السري ما جلب وكتبت مسعفا له بما طلب وقرنت الى دره هذا الخشلب قلت وحلي عاطل ونطقي عاطل مكره أخاك لا بطل والله سبحانه وتعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما * وكتب أيضا رحمه الله تعالى في جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التنجيز ولكن شروط الاجازة موجودة في المجاز معدومة في المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على
٣ تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم ويمتعهم بالكمال الرائق المعجب ويقر بالنجباء عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى

الاقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن محمد الفزاري وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي وعبد الله بن وال التميمي ورفاعة بن شداد البجلي فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفي خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم في ذلك يقول عبد الله ابن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات

صحوت وقد صحوا الصبي والعواديا
وقلت لاصحابي أجيبوا المناديا
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى
وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا

في شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثي الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر أنهم قد تابوا الى الله وأنابوا اليه من الكبائر التي ارتكبوها اذ لم ينصروه ويقول أيضا في هذا الشعر

الا وانع خير الناس جدا ووالدا
حسينا لاهل الدين ان كنت ناعيا
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة
عديم وأيتام تشكي المواليا
فأضحى حسين للرماح دريئة * وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يستجدي بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

يا أيها الملك الذي آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنقي فحل يدي كذلك بأجدل
وامنن به ضافي الجناح كأنما * جذبت قوادمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليماني المخمل
أغدو به عجبا أصرف في يدي * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكي * وآن من يومنا العشي
وعندنا مجلس أنيق * وقد ظمئنا وفيه ري
ولي خليل لغد اسمي * يا ليته ساعد السمي

فأجاب ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندي
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبي

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا شمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضمكما أنس فهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلي قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا تحضرني الشمس
وأهدي بأكواس المدام كواكبا * اذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هي الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا في موضع وفيه متقود فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذاها مثل ما استدعيتماها * عروسا لا تزف الى اللئام
ودونكم بها ثديين فتاة * أضفت اليهما ذي غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء الرقة عند أخيه وابن اليسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكن أحيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن طافية * أبصرت درا عليه التبر ينتثر

وقال الحجاري من القصيدة المشهورة * عليك أحالني الذكر الجميل * في وصف زيه البدوي المستقل وما في طيه

ومثلي بدن فيه نحر * يخف به ومنظره ثقيل

سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى
بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة
انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا

ثم ساروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبيد الله ابن الاحمر يقول

خرجن يلمعن بنا أرسالا
عوابسا تحملنا أبطالا
نريد أن نلقى بها الاقيالا
القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا
والخفرات البيض والحجالا
نرضي به ذا النعم المفضالا

فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحرث الكلابي فأخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم في ثلاثين ألفا وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين بن نمير السلولي وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري وادهم بن محرز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي وجبلة بن عبد الله الخثعمي حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا كان قوام ذلك أهم منا وشات في الطلائع فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعي

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود عذله ابن هود على تحوله عنه فقال النفس تواقه ومالى بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لى ماذا الملال تقيم فى * محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا * على غصن أمسى بآخر نازلا

وقد رأيت أن أكفر ماتقدم ذكره من الهزل الذى أتينا به على سبيل الاحماض بما لابد منه من الحكم والمواعظ ومايناسبها (فنقول) قال أبو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلى رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت يا هذا وشدته * فقلت وامتد منى عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * أمرا يروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزيل بجاية

جعلت كتاب ربى لى بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو اضاعه
وأعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضى الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل أفريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
وبادر بأعمال تسرك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق فى لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فوا حسرتى * لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
وبعدا وسحقا له اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان

بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة وابلى وحث وحرض و رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فأخذ الراية المسيب بن محمد الفزارى وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب * أشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التوابون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى التوابية وأخذ راية التوابين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخرمة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون أقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله بن سعيد بن نفيل وهو فى القتال ان اخواننا قد لحقوا من البصرة والمدائن فقال ذلك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى وطعن سعيد بن سعيد الحنفى وعبد الله بن الخطل الطائى وقتل عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى

فلاقوا بعين الوردة الجيش ناصلا * عليهم فيوهم ببيض قواضب

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطي أو المري وأصله من سرقسطة

أرض العدو بظاهر متصنع * ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى ألقى بوجه باسم * وجوانحي تنقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من أبيات

يا شقيق النفس أوصيك وان * شق في الاخلاص ما تنتهجه
لا تبت في كمد من كيد * رب ضيق عاد رحبا مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقا * كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني في أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبريني في عنوان الدراية لو لم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التي رفعها للامير أبي زكريا رحمه الله تعالى يستنجده ويستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعري

تكلم بالقول المضلل حاسد * وكل كلام الحاسدين هراء

ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى

وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقري المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدي صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبي عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندي اليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر * وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

يا واقف الباب في رزق يؤمله * لا تقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لا تيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

فجاءهم جمع من الشام بعده
جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيرت جموعهم
ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا
تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلا
كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بني سمح وفارس قومه
جميعا مع التيمي هادي الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد
وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه
وطعن بأطراف الاسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله
سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا تبعدن فرساننا وحماتنا
اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة
وكل فتى يوما لاحدى النوائب
وما قتلوا حتى أصابوا عصابة * محلين نورا كالليوث الضوارب وقيل ان وقعة الوردة كانت في سنة ست وستين وفي أيام عبد الملك

ابن مروان توفى الحرث الاعور صاحب ٨٠ ه على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال يا امير المؤمنين الا ترى الى الناس

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال القاضى أبو العباس بن العماز البلنسى

من كان يعلم لا محالة انه * لابد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نقولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فاراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجيانى المشهور بابن أبى ركب بفتح الراء وسكون الكاف

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جملة من الطلبة فربهم رجل معه محبرة آبنوس تأنق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصد بها بعض الاكابر وأريد أن تتمموا احتفالى بأن تصنعوا الى بينكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

وافتك من عدد العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا باكمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجارحليها * تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسا الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن اراد الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) ومن قعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشأم يوم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك فى سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجارد فكانت بينهم وقعة عظيمة

قال ابن الابار فى تحفة القادم وحضر يوما فى جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون فى شعبان فى مكان فلما تملؤا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجزيا أبا عبد الله وأنشد

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندى الجوع فى رمضان
كما حمد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال

دعوها بشعبانية ولو انهم * دعوها بشبعانية لكفانى

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائرى

تحفظ من لسانك ليس شئ * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة فى ذا الزمان

وقال أيضا

كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال

بدالى أن خير الناس عيشا * من امنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشآم

وله

جانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لاتجزه أبدا بما منه ترى

وله

من أدب ابناله صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو * يحسد نعماءه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبى

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف مثله * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما يسد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يامن يصيخ الى داعى السفاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لاتسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة ماتت له

ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

ذى ظليم وعبد الله بن اياس السلمى أبو سدوس وغالب الباهلى وأشراف أهل الشام وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش وكان فى نفسه مافعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يالثارات قيس يالمضر يالنزار فتراجعت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم فى جيشهم من أهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتوطآ على ماذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله ابن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر مايكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل وأتاه فى تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة وكان على حبيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول نابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكري الغرناطي في بعض مجالسه قوله

يا غاديا في غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا في غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفي ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم الكلاعي رحمه الله تعالى

الهي مضت للعمر سبعون حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فياليت شعري أين أو كيف أومتى * يكون الذي لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلي رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف في فحمة الدجا * نداء غريق في الذنوب عريق
رجاء ضميري كي تخلص جملتي * وكم من فريق شافع لفريق

وحكى ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدني البحر عن موطني * وعيني بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لي مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لي بالنبي يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لي بالنبي طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربي أندلسي لقوله لئن صدني البحر عن موطني فلذلك أدخلته في أخبار الاندلسيين على غير تحقيق في ذلك والله أعلم * وأنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ

تذكرت من يبكي على مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التي * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهمها * له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذي نصح وذات فوائد * اذا من ذوي الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدي اليابري وسكن أبوه قرطبة

عصت

وأو باشها ودعارها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما نمي اليه من المقطعات في تلك الليلة فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة للملوك فترك اظهار الفشل وبعث باموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه وسار الى فلسطين وبها نابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا باجنادين فقتل نابل بن قيس وعامة أصحابه وانهزم الباقون ونعي خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير وهو في الطريق فولى راجعا الى المدينة ففي ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا باجنادين سعدا ونابلا
قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم ابن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفي سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه الى العراق واليا فنزل حروراء

عصيت هوى نفسى صغيرا وعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضيه ليتنى * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

وقيل ان ابنه أبا الحسن على بن عبد الملك قال بيتا مفردا فى معنى ذلك وهو

هنيئاله اذلم يكن كابنه الذى * أطاع الهوى فى حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ فى عمره احدى وثمانين سنة فأنشده لنفسه

أى عيش أو غذاء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صباحا رسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسى المالقى

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على القاطن والمجلى
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلى

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلى الازدى صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان فى الموت والمعاد لشغلا * وادكار الذى النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخى والفراغا

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغسانى من أهل جليانة من عمل وادى آش

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول فى البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين فى الارض وله تآليف منها جامع أغاط الوسائل فى القريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعى الطرطوشى

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الا كمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان فى فطنة الفتى * فقوله فى ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسى

من كان للدهر خدنا فى تصرفه * أبدت له صفحة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالى على الايام تأديبا

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل ميرتلة مدينة بقرب الاندلس يمدح شهاب الدين القضاعى

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أذات توارى النور
فانزع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبصير
تشفى جواهره القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور

وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بنى حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن يعطى الامان لمن بقى فى القصر من أصحابه فحاربوا الى أن أضر بهم الجهد فنزل منهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب الى أن خرج معه فى جيشه وقد أتينا على خبره وسائر ما أومأنا اليه فى كتابنا أخبار الزمان فكان جملة من أدركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء

طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها

فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ فى الصلاة عليه يا مغرور
وترحمن على القضاعي الذى * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى المالقى

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در و ياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتى لـك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوى من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسى مفتى مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل التونسى نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدى فرج الشريف الطغطغائى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم يقول من أصبح آمنا فى سربه الحديث *(رجع)* وقال الاستاذ العارف بالله سيدى أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسى دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا نزلت بساحتك الرزايا * فلا تجزع لها جزع الصبى
فان لكل نازلة عزاء * بما قد كان من فقد النبى

وقال رحمه الله تعالى

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبى المصطفى لهم * راح اذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين الى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على شوق وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال أبو محمد المحاربى

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت فى ظلمائه * رأيا كما سطع السراج
لمعاشر أعيا ثقا * فى من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفى القرطبى

تهددنى بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولى أجل وكل * سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدرى لعل الموت منه * قريب أينا منه المصاب

وله

أيها الآمل ما ليس له * طالما غر جهولا أمله

والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصارى وقالتا كيف نتبرأ من رجل يقول ربى الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه فكتب اليه أن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتنى الى الكفر مع السيف لكفرت اشهد أن المختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فأتركها كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتى مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبى طالب اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا ففى ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندى
قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلما على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

رعايات يمنى نفسه * خانه دون مناه أجله
وفتى بكر فى حاجاته * عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل فى أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن فى احسانه * فسيكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير فى برنامج الطبنى * وقال أبو الحسين بن سليمان بن الطراوة النحوى المالقى

وقائلة اتصبو للغوانى * وقد أضحى بمفرقك النهار
فقلت لها حثثت على التصابى * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا برمت نفسى مجال أحلتها * على أمل ناء فقرت به النفس
وأنزل أرجاء الرجاء ركائبى * اذا رام الماما بساحتى اليأس
وان أوحشتنى من أمانى نبوة * فلى فى الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الاشبيلى مما أنشده لنفسه فى كتابه الذى سماه بالذخائر والاعلاق فى أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ماهو فاعله * ولا تنكر الاسماع ماهو قائله

وكان ابو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدى اللغوى

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضى أبو الوليد هشام بن محمد القيسى الشلبى المعروف بابن الطلا فاوضت القاضى أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى زى رونق أبدا * واحذر عقوبة ما ياتى به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوماله القدر

فاجابنى فى المعنى الذى انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنالك كثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الخطاء حقا * وأنك بالذى تاتى رهين
وتغتاب الالى فعلوا وقالوا * وذاك الظن والافك المبين

قال فى الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصارى الحارثى كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا فى العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبى حامد الغزالى وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب فى مجالس الامراء والمحافل الجمهورية

ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر المهلب وقتله لنافع وذلك فى سنة خمس وستين ونافع هو الذى تنسب اليه الازارقة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخلف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمى وعطية بن الاسود الحنفى وأبى فديك وسودة الشيبانى ووقعة ابن الماجور والخارجى مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم فى ذلك اليوم وخبر عبد ربه وأخبار خوارج اليمن كابى حمزة المختار بن عوف الازدى وبيهس الهيصمى مع ما تقدم من ذكرنا لفرق الخوارج فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سنجار وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديثة مما يلى بلاد الموصل ثم من سكن من الاكراد بلاد اذربيجان وهم المعروفون بالسراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبى الساج من بلاد اذربيجان واران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتانه

مقدما فى ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من اهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبى محمد بن عبد الله بين قراءة وسماع نحو من سنة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلى وغيرهم ومولده فى محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها فى تابوته الذى ألحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا والمعت بما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله تعالى ورضى عنه * وقال أبو المتوكل الهيثم ابن أحمد السكونى الاشبيلى

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدنى بعض اصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت) وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمى وقد انشدهما ايضا ابن الجلاب الفهرى فى روح الشعر وروح السحر * وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجارى المعروف بابن افربولة

ركابى بارجاء الرجاء مناخة * ورائدها علمى بانك لى رب
وانك علام بما أنا قائل * كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آداها ذنب تولت بعيبه * لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال أيضا

عجبا للحبر قد تيقن انه * سيرى اقتراف يديه فى ميزانه
ثم امتطى ظهر المعاصى جهرة * لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أنى عصى ولكل جزء نعمة * من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن * تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلوا الحديد به * وليس يأكله الا ليصلحه

وقال

لا تغبط المجدب فى علمه * وان رأيت الخصب فى حاله
ان الذى ضيع من نفسه * فوق الذى ثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن احمد الانصارى المنصفى البلنسى

قالت لى النفس أتاك الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قلت اقصرى * هل يحمل الزاد لدار الكريم

و بوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان وأكثرهم صفرية وجرية ومنهم ببلاد جران اصطخر وصاهد بين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين وقيل فى سنة تسع وستين بالطائف وأمه لبابة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على على والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذى يقول

ان يأخذ الله من عينى نورهما
فنى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير مدخل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر فى بيت خالته ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس وكان

وكان المنصفى المذكور صاحب الحاوله رحلة حج فيها وسال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار رحلت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشى الاموى الاندلسى مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضى القضاة رحمه الله تعالى

همم الابى على مقدار منصبه * وبسط راحته فى طى منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخى جزعك

صبرا فلا صبر فى حرب العداعدد * ذر العدو يمته الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بان جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قد رفعك

أعلاك فى رتب غر معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك فى بهماء مظلمة * فاصرف هواك وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك

قد اجتليت من الايام تبصرة * وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسال الهك فى الاسحار مغفرة
منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفى المذكور بالقاهرة فى الطاعون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الحميدى

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض واهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عند فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال ايضا

دين الفقيه حديث يستضىء به * عند الحجاج والا كان فى الظلم
ان تاه ذو مذهب فى قفر مشكلة * لاح الحديث له فى الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالى بما ارتكب الى اصحاب الحديث بقوله

أرى الخير فى الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين فى الرجال مقالة * فيسئل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهى غيبة * وان يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدى بقصيدة طويلة منها

وانى الى ابطال قولك قاصد * ولى من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
واقبح شئ أن جعلت لما اتى * عن الله شيطانا وذاك شديد

ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف ومع اليوم غدا وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد على وهو أبو الخلفاء من بنى العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم زرعة بنت مسرح الكندية فاما عبيد الله ومحمد والفضل فلا اعقاب لهم (وفى سنة سبعين) قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلبا للملك وكان فيما كتب اليه عبد الملك انك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل فكتب اليه عمرو استدراج النعم اياك أفادك البغى ورائحة الغدرة أورثتك الغفلة زجرت عما وافقت عليه وندبت الى ماتركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عز يزوعن قريب يتبين

ومازلت في ذكر الزيادة معجبا * بها تبتدئ التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحي ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها في ابن معين

وماهو الا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد عن حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع واصبحت * معالمه في الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا في جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤد
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الاعاند وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم رووا لا يستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود
وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال ابو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهري البلنسي والتزم الراء في كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * في اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * في ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار احرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغري

وقال ايضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تدكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدني والدي أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد زعمتم * تجاوزت في قولي واسرفت في فعلي
أما في رضا مولى الموالي وصفحه * رجاء ومسلاة لمقترف مثلي

وانشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء

الرحبة وخاف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك الرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فاني سأجعل لك العهد فرضي وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك اياه فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه ويحك أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه ابا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك

وأغلظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل علي كانك ترى لك علي فضلا ان شئت والله نقضت   سنة

الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم في الدار فدنا من عبد الملك فقال ما يدنيك مني قال ليمسني رحمك وكانت أم عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل فضربه أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته مني لتسكن نفرة
فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحماة لديني انه
ليس المسيء سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فريض بن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني وخرج وهو مكفر بالدرع فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بني أمية فقال عبد الملك وقد أخذت الابواب اني كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك في جامعة فاتي بجامعة فوضعها

سنة ٦٩٣

ادعوك يارب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبدا لم يزل أبدا * في كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتي ولما أتخذ عملا * الا محبة أقوام أحبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انها مكتوبة على قبره

أاخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طية * واعلم أن الكل لابد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى * ألم نك في صفو من العيش رائق
فمن مر بي فليمض لي مترحما * ولا يك منسيا وفاء الاصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ومولده سنة ٦١٤

أرى العمر يفني والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه الاله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه * ويسمع دهر بالمزار بخيل
دلالت عليه في اوائل اسطري * فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال أيمن بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حجرات قد أحاطت عراصها * بحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تني
محمد المحمود في كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * محياه قالت ان ذا طالع سني

وله

كل القلوب مطيعة لك في الهوى * جانب فديتك من تشا أو والى
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالى

وقال أيضا

الا أيها الباكي على ما يفوته * من الحظ في الدنيا جهلت وما تدري
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكي الى آخر العمر
ستدري اذا قمنا وقد رفع اللوا * وأحمد هادينا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم حشره * أجار النبي المصطفى أم أخو الوفر

وله

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب لائذ بحبيب
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى سامي العماد رحيب
وناديت مولاي الذي عنده الغنى * نداء عليل في الزمان غريب
أمولاي اني قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبي يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ جزل ونصيب
تناومت في أطلال ليل شبيبتي * فأدركني بالفجر صبح مشيبي

في عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية ما لك جئت

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لولم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناهلمن يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طليرة

رأيت الانقباض أجل شئ * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤل الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها باديمي
قلت لا تجزعوا على فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما كتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدي * فأبعدت نفسي لابتغائي في القرب
هربت له مني اليه فلم يكن * لي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمى على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل وتكرار القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على حبها * وحق لذي السقم أن يسأما
فلا عيش الا الذي صحة * تكون له للتقى سلما

وذيله آخر منهم فقال

ولا داء الا لمن لم يزل * يقارب في دينه مأثما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المري

اذا ما جنى يوما عليك جناية * ظلوم يدق السمر باساويقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى * وكل أمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة العلياء علوا فقد أجاد الخيارا
ستربه عند الولاد بنيها العلم والحلم والاناة كبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي

في الدرع للقتال فايقن عمرو بالشر فقال أنشدك الله أن تخرجني الى الناس في الجامعة فقال له عبد الملك وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز وقد كان قدم من مصر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل أمر ابنه الوليد بذلك فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الا أن لا يحوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد وموالي عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع وألقى رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وابيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بثارهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك ان ابراهيم ابن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس في المعمعة وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة

اعمل

اعمل بعلمك توت علما انما * جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكانه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاي أنت العفو الكريم * لبذل النوال وللمعذره
على ذنوب وتصحيفها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوز المطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى الشنتريني رحمه الله تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

أى عذر يكون لا أى عذر * لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو ماء لم تبق منه الليالى * فى اناء الحياة الا صبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الدانى ويعرف بعبدون

وعجل شيبى ان ذا الفضل مبتلى * بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى واللئيم مموّلا
متى ينعم المعتبر عيننا اذا اعتنى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموى مولاهم الاندلسى

اذا كان اصلاحى لجسمى واجبا * فاصلاح نفسى لا محالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجبا * فان الذى يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله تعالى

لله أكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم فى فلك النهى * وجرى بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما انتقوا بجفونهم * مرسى لهم فيه غنى وأمان

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عوّدتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا

على عبد الملك وانقياد الناس اليه وقد قيل فى مقتله غير ما ذكرنا وقد آتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المنصور اذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجميرا مما يلى الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة فى ولده وعدة من مواليه ناكثا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض نواحى البصرة وان قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكرى وصفوان بن الايهم التميمى وصعصعة بن معاوية عم الاحنف فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخرا على خالد بن عبد الله فخرج هاربا بابنيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك فى سنة أحدى وسبعين ثم عاد من العراق الى باجميرا ففى ذلك يقول الشاعر أبيت يا مصعب الا سيرا * فى كل يوم لك باجميرا

وعدت بالفضل في وردوني صدر * بالجود ان اقسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يامن تعرّف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر * من شأنه أن يوافي حين ينضغط
مهما أتى لمد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
ياواسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا
اذا توزعت الدنيا فما لهم * غير الدجنة لحف والثرى بسط
لكنهم من ذرا عليائك في نمط * سام رفيع الذرا ما فوقه نمط
ومن يكن بالذي يهواه مجتمعا * فما يبالي أقام الحي أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شئ يرجى بعد ذا شطط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدري متى يمضي بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولا رد للحكم مهما مضى
فخل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضا

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل الله أمرك لا تفكر * ففكرك فيه خبط في حباله

وقال

عدوك داره ما اسطعت حتى * يعود لديك كالخل الشفيق
فما في الارض أردى من عدو * وما في الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها في رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لأمهم أتباع

وقال

يامجيب المضطر عند الدعاء * منك دائي وفي يديك دوائي
جذبتني الدنيا اليها بضبعي * ودعتني لمحنتي وشقائي
يا الهي وأنت تعلم حالي * لاتذرني شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولي * وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءا * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء فحاصر بها زفر بن الحرث العامري الكلابي وكان يدعو الى ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبيشي موليا الحرث في الفي فارس ممن بقي من أصحاب المختار يدعو الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امامته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب في أهل العراق وذلك في سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك ودلف اليه عبد الملك في عساكر مصر والجزيرة والشأم فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي وقيل على ساقته وقد جد أمره في قيامه عما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن كتب اليه ابراهيم ابن الاشتر النخعي فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله وأتى مصعبا بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتي يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق واقطاع

فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت وانني من غير زاد * وما قدمت شيأ للمعاد

ولكني وثقت بجود ربي * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفي المذكور بأريولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ * وقال ابن جبير اليحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادي ورمت أني أتوب

صرفتني بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب

رب قلبي لعزمة خير * لمتاب ففي يديك القلوب

واعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الاحاطة وهذا الغرض الذي وضعناله هذا التأليف يطالبنا بما قصدنا به من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا جلاء في الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى * ولنختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلني

عفوك اللهم عنا * خير شئ نتمنى

رب انا قد جهلنا * في الذي قد كان منا

وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا

ان نكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولي

فأنلنا الختم بالحسنى وانعاما ومنا   آمين

(الباب الثامن)

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله في أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حواليها آمين يا معين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له بلاي من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رهينة عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم الى الآن وكان عدة

غير ذلك ثم قال ابراهيم لمصعب هل أتاك أحد من أشراف العساكر

بكتاب فقال مصعب لا فقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا من ايصالها اليك الا للرضا به والغدر بك فاطعني وابدأ بهم فأمرهم على السيف أو استوثق منهم في الحديد وألق هذا الرجل فأبى مصعب ذلك وتحيز ما كان في عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكري وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب في مشرعة الخيل فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد ابن مروان وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل في هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر فبعث اليه محمد وأنا أعزم على نفسي لاقاتلن ولا التفت الى زخاريف منعمك والمحالات من الكذب وقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر ألا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال

 اللهم ان مصعبا أصبح يدعو الى أخيه وأصبحت أدعو لنفسي اللهم فانصر خيرنا للأمة محمد صلى الله عليه

من ملوكهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى ابن أحمد الرازي في أيام عنبسة بن سحيم الكلبي قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاي من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربولة من أرض الفرنجة وافتتحوا ببلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاي فدخلها في ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقي في ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفي سنة ٣٣ أهلك الله تعالى بلاي المذكور وملك ابنه فافله بعده وكان ملك بلاي تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بني اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار وقال المسعودي بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بأيدي المسلمين من ثغور الاندلس مما يلي الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدي المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذا في الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لارده انتهى * ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذي النون سنة ٤٧٥ وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات في سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من جاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات في سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس ردوا المعار فما * في العرف عارية الا مردات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونس طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله في وقت أخذها وسيأتي قريبا بعد ما يؤيده قال وهي مدينة حصينة قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة في غاية المنعة ولها

وسلم فالتقى محمد بن مروان ٧٢ وابن الاشتر ومحمد يرتجز ويقول مثلي على مثلك أولى بالسلب * محجل الرجلين أعرب الذنب

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمي وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم ان الناس قد جهدوا فأمرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فمر الميمنة أن تنصرف فأبى ابراهيم ذلك فقضى اليهم عتاب فأمرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح وأسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه ودارت به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم وقد تنوزع فيمن أخذ رأسه فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير السكوني هو الذي أخذ رأسه ومنهم من ذكر أن عبيد ابن ميسرة مولى بني يشكر ثم من بني رفاعة هو الذي أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقي بين يديه فأخذه مولى الحصين ابن نمير فأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك في صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السواد وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبي

قنطرة

قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا وهي تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذي كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شيء من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون في شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق في بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سكب لا يفتر والمأمون بن ذي النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى وقال ابن علقمة ان طليطلة اخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التي نشأت في السنة بعدها انتهى وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التي نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتوني المغرب وبنى مدينتي مراكش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديده وتمهدت له الاقطار الطويلة المديده تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه في أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقد الفارس والطعنات التي تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا امادهم على عبوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم في أمره وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتينا فاختر

تصاف القوم فافرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقي في سبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة ابن عبيد الله التيمي وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بني اركب فانج فالحق بمكة بعمك فاخبره بما صنع بي أهل العراق ودعني فاني مقتول فقال له لا والله لا يحدث بنا قريش أني فررت عنك ولا أحد تهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذ أبيت فتقدم أمامي حتى أحتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بل أمنه وارتفع الكلام بين علي وخالد حتى تسابا على مصافهما فأمر عبد الملك أخاه محمدا أن يمضي الى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما اراد فمضى محمد بن مروان وقال أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك وكل ما احدثت وان تنزل أي البلاد شئت ولو أراد بك غير ذلك لانزل بك فأنشدك الله في نفسك وأقبل رجل من أهل الشأم الى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل

لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربي لكنه ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادي الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذي لا يرد فانه خليق بما حصل في يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفي وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لآخرته واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما في أيديكم من الملك في أوسع اباحه مخصوصين منا باكرم ايثار وسماحه فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط التي لا توجد الا ببلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا ان رأوا من الفرنج ما يريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير في الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدي الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويبقي السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسمائة فارس فانزله المعتمد

فناداه أهل الشأم ويلك يا فلان الاشدق أقبل نحوك ولحقه مصعب فقده وعرقب فرس مصعب وبقي راجلا فأقبل عليه عبد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره ليضرب عبد الملك في حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكي العرب في ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلي من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان في ذلك اليوم في جيش

وفرق

وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حين تأخر الوقت الذى كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن فى التجنى وسأل فى دخول امرأته القمجيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت فى الجانب الغربى منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربى مدينة قرطبة وهى التى أنشأ بناءها الناصر لدين الله وأمعن فى بنائها وأغرب فى حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافى والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر فى الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطى فعرض به فى الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته فى ذلك مشهورة وبناء الزاهرة أيضا من أعظم مبانى الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما أشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير فى ذلك يهوديا كان وزير الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودى فى ذلك وأغلظ له فى القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودى فأنزل دماغه فى حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة واستفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودى فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة فى ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله أن يجعل فى عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه فى قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ثم يمر على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه فى جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التى سلكها الآخر وكلاهما عاث فى البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفى أيام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامى فى مجلسى الذباب واشتد على الحر فأتحفنى من قصرك بمروحة

مصعب فاتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الامان فقيل له أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالى ويأمن ولدى بعدى فلما وضع بين يدى عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفى مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة
قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل
ولا صبرت عند اللقاء تميم
جزى الله بصريا بذاك ملامة
ولو فيهم ان المليم مليم

وفى ذلك يقول شاعر اهل الشام من ابيات

لعمرى لقد أصحرت خيلنا
بأكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا
ة معتدل النصل والثعلب
اذا ما منافق أهل العرا
ق عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه لدى موقف
قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال وهيئة وكمال فى الصورة وفيه يقول ابن قيس الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء وقد أتينا على اخبار مصعب وسكينة بنت

أروّح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فاجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين اسيرا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسيرا له يرعى خنازيره في قشتالة وقال لعذاله ولوامه يا قوم اني من أمري على حالين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احداهما اما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين او الى الاذفونش ففي الممكن أن يفي لي ويبقى على وفائه ويمكن ان لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شيء أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل اهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فما عبرت رسل ابن عباد البحر الا ورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا ما ساق صاحب الروض المعطار * وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتله وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم رؤساء وسار والى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له ألا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقالوا قد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل

الحسين زوجه وعائشة بنت طلحة وليلى من نسائه وغير ذلك من أخباره في الكتاب الاوسط (وحدث) المقرى قال حدثني سويد ابن سعيد قال حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مسلم النخعي قال رأيت رأس الحسين جيء به فوضع في دار الامارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله ابن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك مني اضطرابا فسألني فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين قال فوثب عبد الملك ابن مروان وامر بهدم الطاق الذي على المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد ابن خباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووفى الناس بما كان وعدهم به في

وان

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا ان تكتب الى عرب أفريقية وتبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم انا نخشى ان وصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما تيسر من الجند فبينما هم في ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضي بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولي اليه في ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده بسبتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففي الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش في طلب من بقي من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له في القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد ويبالغ في ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب في ظهره الذي يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلي برجل لا طاقة له به * وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف في عبور الجمال رأي مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها للحرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هي السنة ومن جملة ما في الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذي فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية في مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا أنفسهما بما

ترغيبه وترهيبه ووا(لي) على البصرة خالد بن عبد ابن خالد بن اسد وعـ(زل) الكوفة بشر بن مروا(ن) أخاه وخالف معه جماعة من أهل الرأي والمشورة من أهل الشام منهم رو(ح) ابن زنباع الجذامي وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وسار في بقية أهل الشام الى دار مملكته دمشق وكان بشر ابن مروان أديبا ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان أخوه عبد الملك قال له ان روحا عمك الذي لا ينبغي أن تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه أخاف ان انبسطنا ان يكتب روح الى أمير المؤمنين بذلك واني لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلي فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حيلته أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك الى أمير المؤمنين غير شاك ولا لائم فسر بشر ووعده الجائزة وحسن المكافأة ان هو تأتى له ما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله فاخذ الفتى

استقباله من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى فى أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة سلطانهم ماسرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الامن بادر أو أعان وخرج او اخرج وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من أصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة مالا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وأنا أكفيه العناء فيما بقى ولا أكلفكم تعبا أمضى اليكم والقاكم فى بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته وأهل مشورته انى رأيت انى ان مكنتهم من الدخول الى بلادى فناجزونى فيها وبين جدرها وربما كانت الدائرة على يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكنى أجعل يومهم معى فى حوز بلادهم فان كانت على اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى فيكون فى ذلك صون لبلادى وجبر لمكاسرى وان كانت الدائرة عليهم كان منى فيهم وفى بلادهم ما خفت أنا أن يكون فى وفى بلادى اذا ناجزونى فى وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم بهؤلاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء فالمقلل يقول المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد اتباع وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش فى نومه كأنه راكب فيلا يضرب نقيرة طبل فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس يهوديا عمن يعلم تأويلها من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك ولا أعبرها لك الا ان صدقتنى بصاحب الرؤيا فقال له اكتم على الرؤيا للاذفونش فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفى عسكره وتفسيرها قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضربه النقيرة فتأويلها فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية فانصرف اليهودى وذكر للاذفونش ما وافق خاطره ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور

لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو * ن له أخا يوم القليب

دواة وأتى منزل روح عشيا الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط فى أقرب المواضع من مرقد روح

يا روح من لبنيات وأرملة
اذا نعاك لاهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته
فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك انكار ومنعمة
واسمع هديت مقال الناصح الداعى

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر فى جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وأنكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتى انسى سواى ولاحظ لى فى المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخى أوصنى بما أحببت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين قال أو تريد الشخوص يا عم قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ أو رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولا بد لى من الانصراف الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له

ووافت

و وافت الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات و بذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص الاذفونش ولما ازدلف بعضهم الى بعض اذكى المعتمد عيونه فى محلات الصحراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراويين لايخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتا وطغا وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم و باتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار و بات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس و بعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع متحققين بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش و يستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له انى سأقرب منه ان شاء الله تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس واستحر القتل فى أصحاب ابن

ان أمير المؤمنين قد مات أو هو ميت الى أيام قال ومن أين علمت ذلك فاخبره بخبر الكتابة وقال ليس يدخل حجرتى غيرى وغير جاريتى فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشر أقم فانى أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شئ وسار الى الشام فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقى روح عبد الملك انكر أمره وقال ما اقدمك الا لحادثة حدثت أو لأمر كرهته فاثنى على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لامر لا يمكننى ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وانشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدثت بذلك العبيد والاماء فى سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله مالك الدنيا والآخرة يؤتى الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير ألا انه ان يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه انه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذى احزننا من ذلك فان افراق

عباد وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه الصحراويون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسى حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه فى اشبيلية عليلا وكنيته أبو هاشم فقال

أباهاشم هشمتنى الشفار ❊ فلله صبرى لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج ❊ فلم يثننى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاءمعها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية وفر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة فى يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على اثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر فى العساكر فماجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد جرحا أشواه وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهى لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف فى المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفذت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا

عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذلك الى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذى الحميم لذعة يجدها حميمه أو رحنا فان القتل له شهادة و يجعل الله له ولنا فى ذلك الخيرة أما والله انا لا نموت حتفا كميتة آل أبى العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف الا وان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بابى قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بابى قبيس كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبى قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الاسواق الستر الى الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما

ضخبرا كان متمنطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعد ما تشبثت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاواني وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى و بعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفي عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المقيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميل صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكي) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا النواح الشاكي عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فحلف ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورمت عليه فسير معه ولده

في درع ومغفر وهو من أبناء احدى وثلاثين سنة ونحر ابن الزبير بمكة ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدين نفسك قالت اني لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لي وما أحب أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه اذا بلغن الواعية عليه ان يضممن أمه أسماء اليهن وكان عروة ابن الزبير على رأي عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الملك على ما احدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له أمه أسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك

عبد الله الى أن وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعدا الى ولشعرى والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيرى بن أبى بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور أياما قلائل ودخل بلاد الاذفونس وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل فى البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس فى بلادهم وأهليهم فى أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدوة فمن فعل فذاك ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عسا كرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطه بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهى قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيرى المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فأسلموا له البلاد ولحقوا ببر العدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد ابن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه فى ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضى والا فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفى ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصرها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع أهله وولده الى العدوة فانزل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففى كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما مر وأخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز فى كل حاضر وباد وما قاساه فى الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما ما مدحته به الشعراء واجوبته لهم فى حالى يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفى كتب التواريخ منه نظيم ونثير وقد قدمنا منه فى هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار

فقالت يابنى وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح
ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا
وعيرها الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشأم ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول
ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا ابتغى من رهبة الموت سلما
فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول
قد سن أصحابك ضرب الاعناق وقامت الحرب بنا على ساق
فأتاه حجر فصك جبينه فادماه وأوضحه فقال
ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ويثير وخصوصا في الباب السابع من هذا التأليف الذي هو عند المنصف أثير وفي المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بني منذر وذاك انتساب * زاد في فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع في كتابه لمح الملح في حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحة وأرحبهم ساحة وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه *وقال ابن بسام في الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر في زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * مني يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عود وانعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التي لا توجد في سائر بلاد العدوة اذ هي بلاد بربر وأجلاف عرب فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سيري بن أبي بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا *وفي وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي يبكون بدموع كالغوادي فساروا

فكشفهم عن المسجد ورجع الى من بقي من أصحابه عند البيت فقال لهم القوا أغماد السيوف وليصن كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحد ا فيقعد كالمرأة ولا يسأل رجل منكم أين عبد الله من يسأل عني فانني في الرعيل الاول ثم أنشأ يقول

يارب ان جنود الشأم قد كثروا
وهتكوا من حجاب البيت أستارا
يارب اني ضعيف الركن مضطهد
فابعث الي جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه ألوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع وأكب عليه موليان له وأحدهما يقول العبد يحمي ربه ويحتمي حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكلمت أسماء أمه الحجاج في دفنه فأبى عليها فقالت للحجاج أشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فهو المختار وأما المبير فما أظنك الا هو وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا

والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لايعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ماطلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهى من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمعن يوسف النظر فيها وفى محلها وهى على نهر عظيم متبحر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفى غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفى جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع مايحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ماأوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها وماهى عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا مقتصدا فى أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق فى اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره فى بلاده بالصحراء فى شظف العيش فأنكر على من أغراه بذلك الاسراف وقال له الذى يلوح لى من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد انه مضيع لما فى يده من الملك لان هذه الاموال الكثيرة التى تصرف فى هذه الاحوال لابد أن يكون لها أرباب لايمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه فى هذه الترهات من أفحش الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لايعدو الاجوفين متى يستجد همة فى ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفير لصالحها ولعمرى لقد صدق فى كل ذلك ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنقص عما عليه فى بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك فقالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضا لهم عنه فاطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياما وفى أثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان وان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكننى مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع فى أذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد له قله فقال له رأيت أن هذا الرجل الذى أطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه ببر العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمع الى المطمع فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من هناءة عيشك وانى لتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له من الاقارب وغيرهم من يود الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد اردى الاذفونش وجيشه

قد أتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا وأقام الحجاج واليا على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر ابن عبد الله الانصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة وذلك فى سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال يامعاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتنى مانسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه

وانى لاختار القنوع على الغنى
اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
وأقضى على نفسى اذا الامر نابنى
وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى
والبس أثواب الحياء وقد أرى * مكان الغنى أن لا أهين له عرضى

وقال لرسوله قل له والله

و جيشه واستأصل شأفتهم واعدملك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد فانه ان فات الامر في الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم انك لاتطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لايبقى منهم احد بالجزيرة طفل فن فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلاظ الايمان أن لايضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ماتشاء فنفسه أعز عليه من جميع مايلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التي لاتصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم أعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف و يغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لادفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة ومايتبعه ملخصا من كتب التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بني عباد و بني ذي النون و بني الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في سلك اللمتونيين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة في كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف وسلك سنن ابيه وان قصر عنه في بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي اسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن علي فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ماهو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم اخرج الافرنج من مهدية أفريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه وتسمى بامير المؤمنين ولما كانت سنة ٥٤٠ سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها وكان أهلها في غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوي على اثني عشر الف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب فسلمها الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح رأى الفرنج عادوا الى مكانهم ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد

الحنفية في سنة احدى وثمانين في أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم (حدثنا) نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن يونس بن أبي اسحق قال حدثنا سهيل بن عبيد ابن عمر الخابوري قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا فقد خفته فأحب ان لاتجعل له على سلطانا بيد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن علي كتب الي يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان فلا تتعرض له فلقيه في الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أوما علمت

أن الله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الي منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمني

المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفى السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس فى عشرين ألفا عليهم الهنتاتى فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس و بلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فجهز اليه فى عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أمر البرشلونى الافرنجى فرجع ونازل مدينة المرية وهى بايدى الروم فحاصرها فاشتد الغلاء فى عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك أفريقية وضخم ملكه كما قدمناه * ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فمرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا الاحكام له البلاد فصاهرهم واحسن اليهم واصبحوا عنده فى أعز مكان ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تعبر الى باب طليطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى أفريقية فمهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين وهى من اعظم بلاد العدو وبقى محاصرها شهرا فاصابه المرض فمات فى السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفى ابنه السيد اسحق يقول مطرف التجيبى رحمه الله تعالى

سعد كما شاء العلا والفخار * تصرف الليل به والنهار
مادانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار
مهدتموها فصفا عيشها * واتصل الامن فنعم القرار

ومنها

فالشاة لا يختلها ذئبها * وان اقامت معه فى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها اولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور هو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود على

فلا يجعل لك على سلطانا بيد ولا لسان قال فكتب بها الحجاج الى عبد الملك فكتب بها عبد الملك الى ملك الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم است هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ما قالها الا نبى أو رجل من أهل بيت نبى (وذكر) الشعبى قال أنفذنى عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألنى عن شئ الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسنى اياما كثيرة حتى استحثثت خروجى فلما أردت الانصراف قال لى من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة فهمس بشئ فدفعت الى رقعة وقيل لى اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولى الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت فى بعض الدار اذ بدت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لى أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لى من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لى اتدرى ما فى الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا

القريب والبعيد وله فى ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر المشهور

أزال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب

وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكثرت الفتوحات فى أيامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر فى شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين فى مراكزهم ورجع الى كرسى مملكته مراكش المحروسة وفى سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهى من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بأيدى الافرنج من البلاد التى كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبى وهو من أمراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى فى وقعة مع الفرنج كان الشلبى المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد

وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد

فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للعسام ورود

صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد

ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد

فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طائفة من الافرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم فى جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل فى ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الافرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه اطباؤه فعاث الاذفونش فى بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين (وحكى) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى ابن أبى حفص عم السلطان أبى زكريا الحفصى الذى ملك بعد ذلك افريقية وخطب له ببعض الاندلس فقصد الافرنج الاعلام ظنا أن السلطان تحتها فأثر وافى المسلمين أثرا قبيحا فلم يرعهم الا والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب الاذفونش فى طائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكى) أن الذى حصل

كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدرى لم كتبها قلت لا قال حسدنى عليك وأراد أن يغرينى بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال ما أردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطرنى عندك فانا أعلم بها منك ولا تغتب عندى أحدا فلست أسمع منك ولا تكذبنى فلا رأى لمكذب قال أتأذن فى الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فأشخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت مهديها من غير مالك أو استكفيته ما لم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر

لبيت المال من دروع الافرنج ستون ألفا وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه ورءا صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو فردت في هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على ارجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج في أسوا حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الافرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفى السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور * وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هى الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وما ذلك الا لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد * ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة فى أيامه * وتوفى سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى أنه أحق بالامر فاستولى على ما بقى فى أيدى المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون وقدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس فثار على أبى العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامى ودعا الى بنى العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن ابى العلاء فخرج عن الاندلس اعنى أبا العلاء وترك ماوراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحارب مع يحيى بن الناصر الى ان قتل يحيى وصفا الامر لابى

قال الوليد بن اسحق قال قال ابن عباس كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت عبد الملك بن مروان فغضبت عليه فطاب رضاها بكل شئ فأبت عليه وكانت أحب الناس اليه فشكا ذلك الى خاصته فقال له عمرو بن بلال رجل من بنى أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامى مالى عليك ان أرضيتها قال أحكمك فخرج وجلس ببابها يبكى فقالت خاصتها مالك أبا حفص قال فزعت الى ابنة عمى فاستأذنوا لى عليها فأذنت له وبينهما ستر فقال قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله فقال أمير المؤمنين انا قاتل المتعدى قلت له انا ولى الدم وقد عفوت فابى على وقال ما أحب أن أعود رعيتى هذا وهو قاتله بالغداة فانشدك الله الا ما طلبته منه فقالت لا أكلمه قال ما أظنك تكسبين شيأ هو أفضل من احياء نفس ولم يزل بخواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابى فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد

العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بابي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب ببعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لا يخفى على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني وقتل في بعض غزواته علج من النصارى يقال له ذوننند ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا وهزمهم اشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففر اليه الاذفونش ملك النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فأعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدوة مذكورة ومواقف مشكورة وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة (ولما) أفضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد اخذهم الجزيرة الخضراء وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور وجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز ومحل أساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لا تحصى ومنعوه العبور وأعانه أهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء وأنكوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد أفصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحم الله تعالى الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك

ردمته فامرت بفتحه ثم دخلت فأقبل الخصي يشتد فقال يا امير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ اطلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك آالله أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال اي والله وهو راغم فأخذت بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هو لك وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثا وراح عبد الملك لمجلسه للخاصة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا ابا حفص ألطفت الحيلة في القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هي لك قال وفرائض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القواد انما خدعني وكتب عبد الملك الى الحجاج أن صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة تلقحت بالنجوى وتخص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت واحسنت الصفة فان أردت أن يستقيم لك من قبلك ففرعهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة والصق بهم الحاجة (وحدثنا) المنقري قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن نعامة عن

الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد بن قلاوون ووصل الى مصر فى النصف
وقيل فى العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة والصلاة من عند أمير
المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد فى
جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغره موازر حزب
الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا امير المسلمين
المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام
العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط
الرحال مبلغ الآمال أبى سعيد ابن مولانا امير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين
حسنة الايام حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد
رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين
الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر فى قهر عداة
الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بانواع الفخار خلالا طالما
وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما واحيا لها رسما حائط الحرمين
القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل
تامينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان
الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم
الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير
علاؤه المستطير فى الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين
الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه فى عقود أهل الملل والنحل حامى القبلتين بعدله
وحسامه النامى فى حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين
وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام
الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط
المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر
الدنيا والدين أبى المعالى محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين
الاخيار عاقد لواء النصر فى قهر الارمن والفرنج والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة
الاسلام فى البلاد جمال الايام ثمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم
الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا
والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلع بها له السعد شمسا فى
سمائه واحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربا مسراه
وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم ما دامت تنقل الفلك حركاته ويتولاه
روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك الملك جاعل
العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسرف فى النفاق النجوى فاصر على
الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى محا بانوار الهدى ظلم الشرك

ونبيه

مغلس بن سابق الدمشقى ثم السكسكى ان عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال ان أهل العراق
استعجلوا قدرى قبل
انقضاء أجلى اللهم
لا تسلطنا على من هو خير
منا ولا تسلط علينا من
نحن خير منه اللهم سلط
سيف أهل الشام على أهل
العراق حتى يبلغ رضاك
فاذا بلغه فلا تجاوز سخطك
وكتب عبد الملك الى الحجاج
أنت سالم فلم يعرف ما أراد
بذلك فكتب الى قتيبة
يسأله عن ذلك وبعث
الكتاب مع رسول فلما
ورد الى قتيبة وناوله
الكتاب ضرط الرسول
فخجل واستحيا فقرأ قتيبة
وأراد أن يقول له اقعد
فقال اضرط قال قد فعلت
فاستحيا قتيبة وقال ما أردت
الا أن أقول لك اقعد
فغلطت فقال قد غلطت أنا
وغلطت أنت قال قتيبة
ولا سواء أغلط أنا من فى
وتغلط أنت من استك أعلم
أمير المؤمنين أن سالما
كان لعبد الله رجل وكان
عنده أسيرا وكان يسعى به
اليه كثيرا فقال
يدبروننى عن سالم وأديرهم
وجلدة بين العين والانف
سالم
أراد عبد الملك انك عندى
بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج
الرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله

ونبيه الذى ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودحا به حجة الحق فادت بالكفرة محمولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك فى قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب أنجح السلك وصابروا فى جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر لمضائه فى العدا أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة فى القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح فى مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته أيدى التقوى ومهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار فى عليين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تمازج الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان وردوا ردا أورد نق المشارب وحقق قول من يسأل الركبان عن كل غائب أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكية واكتنان درته السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفقده فى الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة فى مصاب الملك الكريم والولى الحميم ثم عميت الاخبار وطويت طى السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن استقر له ذلكم الملك حقا وفى أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن أثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لأى وقعنا منها على الخبير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبرأ من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بتقل الحاضر المعاين آثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا الموارث فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء ترى الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرا الاصطبار بموته ولات حين أوانه لكن الصبر

القسرى فضرط فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد فابى فقال له أقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فخجل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترسة مكللة بالدر والياقوت فاعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد أن يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة فأمر له بذلك فأنشأ يقول رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس
ويحبوه الامير بها ابدورا
فيالك ضرطة جلبت غناه
ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يود الناس لو ضرطوا فنالوا
من المال الذى أعطى عشيرا
ولو نعلم بان الضرط يغنى
ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه أربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا فى ضراطك (وحدث) أحمد بن سعيد الدمشقى والطوسى وغيرهما فى كتاب الاخبار المعروف بالموفقيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن يزيد بن عتبة بن ابى لهب قال حج عبد الملك فى بعض اعوامه فامر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من

أجل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفكم فما مات ذكره ومن قمتم بامره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومختضره هنيا أعمار من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقبلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزيه نهنيكم بما خولكم الله أجل التهنية وفي ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة التي العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقه وموالاة محققه وثناء كمائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وأوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكله فضله من البر الذى لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصاد برا وكان من أجل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما يعرفه الى رضا الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للمتوجهين اذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصله وقد أمرنا مؤدي هذا الكتاب لكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر في قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم في هذا الشان جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكمالكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه في ذلك الشان من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاه ومقتضى الموالاه نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات ونبثكم موجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ أنبانا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية باجحافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها

ليمهوا

الصدقة فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا انما كان عطاؤنا من الفيء فقال عبد الملك ٥٤٢ وهو على المنبر يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فقام أخوه فدفنه وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال لها يا هذه اني والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضريني ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه قالت الحية لا قال ولم ذلك قالت اني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة

لمعوا كلمة الاسلام منها و يقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القوّاد وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فاوصلناها الا وقد أخذ أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمداناة محلة حزب الضلال وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والخيل المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بعد أن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها أيئس وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح فاذنا له فيه الاذن العام اذ فى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عدة ولا لقوا فى خروجهم غير التزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شده ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الآلاف عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضرا لطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدرة والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار ويفرج

فقالت أرى قبرا تراه مقابلى * وضربة فأس فوق رأسى فاغره فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلناكم فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان (وحدث) المدينى وابن دأب أن روح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين باعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخاليبها الى وجهى فقال له الوليد احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور ابن ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وشحيج البغل وصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع يقرب من مجالس خلوة الملك وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل

بهذه الجهة منهم مجاور وهذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب و كونهم سدوا مسالك العبور بما لجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا باصعاقهم وحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخييرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لنستريح الجيوش من وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر وتكون على أهبة الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها في الأعاد وعند عودنا من تلك المحاوله تيسر الركب الحجازي موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ومالكم من غرض بهذه الانحاء فوفى قصده على أكمل الاهواء موالى تتميمه على أجل الآراء والبلاد باتحاد الود متحده والقلوب والايدى على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقده جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد مذخورا ليوم التناد مسطورا فى الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل المكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب فى يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب فى التاريخ المؤرخ * ونسخة الجواب عن ذلك من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم فى سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث عبد الله ووليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الانجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه للتغريد فى الروض سواجعه وجلى فى كاسه من الشفق الحمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثه وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثه

الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فاجموا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فاخرجوه فلما نظروا اليه قالوا الملك هذا من زبان المضحك فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ما حملك على هذا قال ان الله مسخنى كلبا وحمارا وكل خلق لما غضبت على قام الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التى كان فيها وتجدد للملك به سرور فقال روح للوليد اذا اطمأن المجلس بأمير المؤمنين فاسألنى عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحا قال الوليد أفعل وكان ابن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيأ من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما المجلس عبد الملك قال الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثنى ابن أبي عتيق ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به
وقمرت عيشك أيما قمر
أنفقت مالك غير محتشم
فى كل زانية وفى خمر

وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين فى رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال واحسنت

وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ جهادهم في الكفرة غاية أمله وسؤله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حال الايام والليالي فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبهنا ألفاته بذلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بأفواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذي يطرب طائره المسموع والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع فأما العزاء بأخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة حسنة ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحه ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذي لا يميد طود رسوخه ولا يميل وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ورسمنا لنوابنا في نواحي أوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعي الجوانب محمي المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أو اذالة حكمه بدره أبدا في مطالع تمه وزهره دائما يرقص في كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة تصرفاتنا في مسالكنا ولا مزيد الرعايه وافادة الحمايه ووفادة العنايه وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومني به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي أنكى أهل الايمان وعدديه نوب الزمان كل قلب بأنامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحروب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت

يا أبا عبد الله انظر في هذه الرقعة وأشر علي برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال له ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر خذلة ورعدة واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ما هو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه انها امرأتي فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله يا روح ما أطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فاعتذر ام الملالة فأصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ما ذاك لشيء نكرهه ثم عاد الى أحسن حالاته (وقد حكى) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سميرا لسليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فأتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مره يسلم

بنا اليكم عقبان الجياد المسومه وسالت على عدوكم أباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومه وكلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج ممزقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنه وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنه وفلقنا الصخرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا وأما ما فقدتموه من الاجفان التى طرقتها طيف التلاف وأم حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب فى السحر ولكن فى بقائكم ما يسلى من خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لان الدر يفدى بالذهب وأما ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجىء كما يجب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقد يرد الله الردى ويعيد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا للاراحة من عند كم من الجنود وتجهيز المن يصل من عند كم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى التدبير سرورى التشمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذه فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى قدم وردا لصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يمرق من قسى الكفار ويرق وأما ما تحتموه من الخيل العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم فى منازل الدنيا والآخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤس الاعتناء بهم تنضدحبها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسهلنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما يروونه شفاها لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لأخذ الثار حماتكم وتخصكم بتاييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يمحو شبابه مشيبه

قائما ويخفف فخرج الحاجب فاذن له وأمره بالتخفيف فدخل فسلم قائما ثم قال أصلح الله الامير انى انصرفت بالامس الى نحو منزلى وقد أمسيت فبينا أنا فى طريقى اذ أذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردى أو طمطانى فأم القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل اكل ومة رمأ مالا وعدده قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أبرعنكى در ليلكى فى حرام قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن منى يا أبا محمد فانت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد فى كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه فى بعض أفعاله)

كانت أم الحجاج عند الحرث ابن كلدة فدخل عليها فى السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الى بطلاقى الشئ رابك منى قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تتخللين فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كل

وتحيته

وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم انفاسها المعنبرة وتناحكم عنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى اثر ذكره مانصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضى قطب الدين موسى بن أحمد بن شيخ السلامية الاحمدى أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبى الحسن المرينى صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائى وأنا أسمع ذلك جميعا من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرجاحتها

وأخجلت ورق الحمى بالهوا * ن صدحت فى ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل فى الاذن بلا اذن

وذلك فى مجلس واحد فى ذى القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموى بدمشق المحروسة فان رأى رواية ذلك عنى فله علو الرأى فى تشريفى بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدى الشافعى عفا الله عنه انتهى وكان السلطان أبو الحسن المرينى المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصرى ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وسطر الختمات الشريفة فايد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لامليها الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندى ورتب عليها أوقافا تجرى اقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطرله فى أكرم الصحائف وينفع المجالس من ولاة الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى ببيت المقدس وربعته فى غاية الصنعة * وقال بعض المشارقة فى حق السلطان أبى الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابه كثير الانابه ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام فى الملك عشر سنين وسبعة أيام ثم صرف بولده أبى عنان بعد حروب يطول شرحها انتهى من كتاب نزهة الانام * ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبى الحسن أمر الربعة التى أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال مانصه وأرسل معها السلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين

ذلك لم يكن لكنى تخالث من شفايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى أبو الحجاج فولدت له الحجاج بن يوسف مشوّها لادبر له فنقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدى أمه وغيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا بنى ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدى أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان فى اليوم الثانى فافعلوا به كذلك فاذا كان فى اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدى فى اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه فى بدء أمره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصرى المنقرى قال حدثنى ابن عائشة وغيره قال سمعت أبى يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه فقال من للبصرة والخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن أبى صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لى خراج ما أجليتهم

ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي ثلثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاناق عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحررة أربعة وعشرين والبرانس المحررة ثمانية عشر والمشقفات مائة وخمسين واحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحال ثمانمائة وأوجه اللعف المذهبة عشرين وحائطان حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات معششة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثين جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ربع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى * وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها الملوك النصارى بعد هداياهم ومنها سلاطين السودان كصاحب مالي ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان انتهى * وقال مؤرخ مصر المقريزي في كتاب السلوك في سنة ٧٣٨ ما نصه وفي ثاني عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل لحملها من الاصطبل السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سرجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العال وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح

عنه قال اذن تشركني في ملكي قال فثلثاه قال لا قال فنصفه والله لا أنقص منه شيأ على ان تمدني بالرجال فاذا أحللت فلاحق لك علي فجعلوا يقولون ولي عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الي بالرجال واما خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال انا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس في مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر وتلثم امتنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل وهم

وهم جمع كثير اجد وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء باسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية مايزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ماعمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة مايجل قدره وقيل لها أن تملى ماتحتاج اليه ولا يعوزها شئ وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوية وهيآ كل ماتحتاج اليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ماتأمر به وكتب لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة مانصه وفى نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب فى جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام وأن يدعوله الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن فى السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى عنه على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج مائتى شينى وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن فى طائفة من الزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبى الحسن فليراجع قريبا * وقال ابن مرزوق فى المسند الصحيح بعد كلام مالخصه وكان يعنى السلطان أبا الحسن مجتهدا فى الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود اذ كان من عمالته هو والجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه احمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام فخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لايطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهالة

بيته أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى نسمع مايقول فمن قائل يقول حصر الرجل فما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابى ما أبصر حجته فلما غص المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول مابدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفونى

انى والله لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى أنا صاحبها كانى أنظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا أوان الحرب فاشتدى زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم

وقال

قد لفها الليل بعصلبى
أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرابى

وقال

قد شمرت عن ساقها فكدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد

ان أمير المؤمنين نثر كنانته فوجدنى أمرها طعما وأحدها سنانا وأقواها قدا فان تستقيموا تستقم لكم الامور وان تأخذوا الى بنيات الطريق تجدونى لكل مرصد مرصدا والله لا أقيل لكم عثره ولا أقبل منكم عذره يا أهل

بالهلال وأما بناؤه للمحاسن والطوالع فأمر غير مجهول اه (وقد رأيت) ان اذكر هنا بعض انشاء لسان الدين بن الخطيب في شان ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال العدو الكافر وما ينخرط في هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به احد السلاطين من أولاد السلطان أبي الحسن المريني (ونصه) المقام الذي يصرخ وينجد ويتهم في الفضل وينجد ويسعف ويسعد ويبرق في سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذي حسن الظن بعده جميل وحد الكفر بسعده كليل وللاسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه مميل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى وعزمه الماضي لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجح لشمل الاسلام جامعا وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم اجلاله واكباره المعتد في الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله باسراعه الى تدمير الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل الوسائل ومتيح النعم الجلائل مريح من عامله في هذا الوجود الزائف الزائل والايام القلائل بالمتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم أود الاسلام المائل باولى المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل المنجي من الروع الهائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل الذي ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله في الاواخر شرف الاوائل فحبه كنز العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه تيجان الاحياء والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لمقام اخوتكم في البكر والاصائل بالسعد الصادق المخايل والصنع الذي تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر الذي تهز له الصعاد المدعطف المتراجح المتخايل فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزا يانع الخمائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة في الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المسائل واقناع السائل من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استبصار في التوكل على من بيده الامور وتسبب مشروع تتعلق به باذن الله تعالى أحكام القدر المقدور ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالي الايام وترادف الشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء نهله وعله والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فاننا في هذه الايام أهمنا من امر الاسلام ما رنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعي الضلال والله الواقي في استئصال بقيته وعقد النوادي للاستشارة في شانه وشروع الحيل في هد اركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى واهله حاطهم الله تعالى وتولاهم وتمم عوائد لطفه الذي أولاهم فهو مولاهم في غفلة ساهون وعن المنبة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل الا من نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتململ عناصحة الله تعالى والاسلام تململ السليم

العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوي الاخلاق والله ما أغمز بغماز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غراب الابل ولاقرعنكم قرع المروة يا أهل العراق طالما سعيتم في الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الاماء أنا الحجاج بن يوسف أنا والله لا أعد الا وفيت ولا أحلف الا بريت فاياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يا بني اللكيعة لينظر الرجل في أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسي يا أهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية فاسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وشايعوا وبايعوا واصغوا واعلموا أنه ليس مني الاكثار والاهذار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لامير المؤمنين أودكم ويذل به صعبكم اني نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت واستدل

واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الكفر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا أن الدولة المرينية التى هى على ممر الايام شجى العدا ومتوعد من يكيد الهدى وفئة الاسلام التى اليها يتحيز وكهفه الذى اليه يلجأ قد أذن الله تعالى فى صلاح أمورها ولم شعثها واقامة صغاها بان صرف الله تعالى عنها هنات الغدر وأراحها من مس الضر ورد قوسها الى يد باريها وصير حقها الى وارثها وأقام لرعى مصالحها من حسن الظن بحسبه ودينه ورجى الخير من ثمرات نصحه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يستريب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج لكم عن العهدة فى هذا الدين الحنيف الذى وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشبثت به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفى هذا القطر الذى بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا ودنيا وحمية وفضلا وعلى الحالين فعلمكم بعد الله المعول وفيكم المؤمل فارعوا أسماعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضا الله والنجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف فى الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة والرسل المرسلة وهو أن هذا القطر الذى تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم واللفيف والارملة والضعيف قد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدى به منذ أعوام وسلم الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا مدة ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وسماته فى جملة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من اجل الله على عباده وطعام سمحنا به على الاحتياج اليه فى سبيل جهاده فلم يسهم المتغلب منها الجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا به جل وعلا متهاونا بنكيره الذى هو أحق أن يخشى فضاعت الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجراذن وعظمت بها عسرة الاسلام أضعاف ما عظمت حسرته أيام ما كانت تكلفها همم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء والنصحاء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة فى الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بنى مرين ومآثر آل يعقوب وكرامة الله للسلطان المقدس أبى الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذى ترد على قبره مع الساعات والانفاس وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا أنكم على علم من أحواله لشرحنا المجمل وشكونا المهمل انما هو اليوم شيخ مائد وطلل بائد لولا أن الله تعالى شغل العدا عنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم طيره الا عليه ولكن بصدد أن

الكذب مع الفجور والفجور فى النار الا ان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك وأجلت لكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذنى به ويستوفيه منى أن لا أجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى أحمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت ياغلام ثم قال مغضبا يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوى الاخلاق يا أهل الفرقة والضلال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام أما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ولأؤدبنكم أدبا سوى هذا الادب هذا أدب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ يا غلام الكتاب فلما بلغ السلام قال أهل المسجد وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وأمر للناس باعطياتهم والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فمر به عمير بن ضابئ البرجمى ثم أحد بنى الحداديه وكان من أشراف أهل الكوفة وكان

يتخذه الصليب دارا وان يقربه عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد اوسعها شرا وارهق ما يجاوره عسرا نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسوّد الوجوه بالفجع فيه ولا يسمع المسلمين الثكلة وما دونه فهو وان أنعش بالتعليل عليله ووقع بالجهد خلقه لحم على وضم الا ان يصل الله تعالى وقايته ويوالي دفاعه ودصمته لا اله الا هو الولي النصير وما زلنا نشكو الى غير المصمت ونمدّ اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المباني الضخمة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ التافه من المفترض برسمه فتمضي الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضعة ولا نعلم أن نظرا وقع له ولا فكرا أعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفه وبلالة مجباه السخيفه في بناء قصر بمنت ميورمن جباله

شاده مرمرا وجلله كاسا فللطير في ذاره وكور

جلب اليه الزليج واختلفت فيه الاوضاع في رأس نيق لا مل نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع الهجران فهو اليوم ممتنع البوم وحظ الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله خالي الصحيفة من البر صفر اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضي الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تتعهدهم فما حرك ذلك الجؤار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفدا مجلوبا قالي متى تنضي ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعي واجرى ينابيع الخير وأنشق رياح الافالة وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعي والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التي استقرت بعدم رضاه عن كدحنا النصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا واجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها واغراض صعبة لم نكملها ونحن نتحقق انه اما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التي داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب الا عقد معها صلحا وأخذ عليها باعانتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك انها تجيء مصرف الباس عن نحورها ومقارضة كما وقع باطريرة من مضيق صدورها ومؤسف جهورها وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكاليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومتبحبه في هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعي لنصر دين الله وحفظ أمانة نبيه الا أهل ذلك الوطن

من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير اني شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولي عدة أولاد فليختر الامير أيهم شاء مكاني أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأتمهم أداة قال الحجاج لا بأس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء اصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك وأما الازارقة فتبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذي يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله ان في قتلك أيها الشيخ اصلاح المصرين ثم أقبل يصعد بصره اليه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتي على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح بمثلي أن يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس لكل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط

حيث المآذن بذكر الله تعالى علا الآفاق وكلمة الاسلام قد عمت الربا والوهاد انما الاسلام
غريق قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله فى بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا أوان
الاعتناء واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا
الوفد المبارك للعضو بين يديكم مقررا الضرورة منهيا الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله
مذكر الذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى
تشرح الصدور وتسنى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة
والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا
والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان
جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فنرجو أن يروّع
الكفر من العز بالله وشد الحيازيم فى سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور لحماية الثغور
وعمرانها وازاحة عللها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر
أمور تدل على ما وراءها وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من أبواب
الجنة فمن تركه رغبة ألبسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة
وما بعد الآخرة الا احدى دارى البقاء أفى الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد
صيرتنا لا نقنع باليسير وقد أبرمته المواعيد وغيرت رسومه الانتظار ومن المنقول ارحموا السائل
ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أرجح فى هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول
وقد أقتر اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة
الغفلة عنه والامتعاض مكافئا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يثوب
نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل
يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة
وطعام الواحد كافى الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق
حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد قلدنا العهد
الحفيظ علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وفى اعتقادى أن هذا المكتوب للسلطان أبى
فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله
الذى ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محو آثاره حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل
والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه فى استنهاض عزم صاحب
فاس السلطان المرينى لنصرة الاندلس (ما نصه) المقام الذى يؤثر حظ الله اذا اختلفت
الحظوظ وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتمايزت الموارد
وتشمل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع وارف ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد
ويعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويسد الذرائع ويدر الفوائد مقام محل أخينا الذى

بعض الناس فى الفرات فاتاه صاحب الجسر فقال أصلح الله الامير قد سقط بعض

الناس فى الفرات قال ويحك ولم
ذلك قال أهل هذا البعث
ازدحموا على الجسر حتى
ضاق بهم قال انطلق فاعقد
لهم جسرين وخرج عبد الله
ابن الزبير الاسدى مذعورا
حتى اذا كان عند اللحامين
لقيه رجل من قومه يقال
له ابراهيم فقال له ما الخبر
فقال ابن الزبير الشر الشر
قتل عمير من بعث المهلب
وأنشأ يقول
أقول لابراهيم لما لقيته
أرى الامر أمسى مهلكا
متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن
ضابئ
عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك
منهما
ركوبك حيرانا من البلج
اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان
دونه
رآها مكان السوق أو هو
أقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه
مدى الدهر حتى يترك
الطفل أشيبا
وخرج الناس هربا الى
السواد وأرسلوا الى أهاليهم
أن زودونا ونحن بمكاننا
وقال الحجاج لصاحب الجسر
افتح ولا تحل بين أحد
وبين الخروج ووجه

 العراض الى المهلب فاتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذى استعمل

حسنت فى الملك سيره وتعاضد فى الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مداركه للعقوق
وتغمده للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فسلك نحره منسقة درره ووجه ملكه
شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا
علاؤه هامية لديه منن الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بعز
النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى فى نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله
ورجاؤه معظم قدره الذى يحق له التعظيم موقر سلطانه الذى له الحسب الاصيل والمجد
الصميم الداعى الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح
على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد
الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب لمن اخلص الرغبة اليه أملا وموفى من
ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا ملك الملوك
الذى جل وعلا وجبار الجبابرة الذى لا يجدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق
الرشد وكان مغفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته
وأحزابه الذين ساهموه فيما مر وما حلا وخلفوه من بعد بالسير التى راقت مجتلى ورفعوا
عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا فى الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر
الذى يلفى نصه صريحا لا متأولا والصنع الذى يبهر حالا ومستقبلا والعز الذى يرسو جبلا
والسعد الذى لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق
حلا ومرتحلا وعرفكم عوارف اليمن الذى يشير جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد
مستعجلا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من
التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذى نسأل بعده تحسين
العقبى وتوالى عادة الرحمى والحمد لله على التى هى أزكى وسدل جناح الستر الاضفى
وصلة اللطائف التى هى أكفل وأكفى وأبر وأوفى ومقامكم عندنا العدة التى بها نصول
ونرهب والعمدة التى نطيل فى ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا
أو فتح الله تعالى به علينا ونحن مهما اشتد المخنق بكم نستنصر أو تراخى ففى ودكم نستبصر
أو فتح الله تعالى فابوابكم نهنى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو فى هذه الايام توقف
عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليها سريه ولا بطشت له يد جريه ولا افترعت من تلقائه
ثنيه ولا ندرى المكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أو لشاغل فى الباطن لا يظهر
وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات
يندبون فيها الى جنوحها للسلم فى سبيل النصح لايادٍ سلفت منا لهم قررها ورسائل ذكرها فلم
يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبيئة تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر
فوجهنا اليه على عادتنا مع سلفه لنعتبر ما لديه وننظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه
وعمره فتأتى ذلك وجرت مفاوضة فى الصلح أعددنا لاجلها الرسائل واستشعرنا البسائل ووازنا
الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ما قدرنا ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة

تحصل

على العراق من هذا الذى ذكر الرجال فويل والله للعدو ان شاء الله تعالى وقد كان الحجاج استعمل
عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطغرغر والخلج وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا ممالك كل واحد منهم والصقع الذى هو به وذوى السياسات منهم وبينا أن كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الرى والجبال مما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفى عبد الرحمن بن الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه
شجر العرا وعراعر الاقوام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين

تحصل بها الاقوات المهيأة للانتساف وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف ونفرغ الوقت لمطاردة هذه الامال العجاف أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ الانف فيما أصدرناه الا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الأعلام والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قد اهتزت والنفرة قد غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن السواعد وأن الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنة والثنايا سددتها بروق الاسنة وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون وهذه الامور التى تمشت بقريبها أو بعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لتزجية الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها وان الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم عن الصولة ولا يطلبكم ان تركتموه ولا يمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى الممدودة واختلفت المواعد المحدوده وخسئت الابصار المرتقبة ورجفت المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر ونفوا أن يعتبر وقالوا هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يبعد والقائم الذى يقعد يأباه الله تعالى والاسلام ويأباه العلماء الاعلام ويأباه المآذن والمنابر ويأباه الهمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبا الذى اذا كان باطلا فهو الظن ولله المن وان كان خلافه لرأى ترجع وتنفق بقرب الملك وتبجح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين بث افاده يتطارحون عليكم فى نقض ما أبرم ونسخ ما أحكم فانكم تحنون به على من استنصركم عكس ما قصد وتحلون عليه ما عقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه وضرورة الاستعانة والاستكانه أى عذر يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كأن الدين غير واحد كأن هذا القطر لكلمة الاسلام جاحد كأن ذمام الاسلام غير جامع كأن الله غير راء ولا سامع فنحن نسألكم بالله الذى تساءلون به والارحام ونأنف لكم من هذا الاحجام ونتطارح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو والذى يتكالب علينا بادباركم بعدما تضاءل لاستنفاركم ولا نكلفكم غير اقتراب داركم وما سامكم المسلمون بها شططا ولا حملوكم الا قصدا وسطا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يعدو وقد تجاوزت البيوت انما الفائت ماوراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين يشمت به أعداؤكم فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا وحاشى احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم بعد بالخيار فيما يجرى به الله على يديكم من قدره أو يلهمكم اليه من نصره وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام

عريانا وانى لأرجو أن يلون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يد أمير المؤمنين وما جوابه عندى فى خلع الطاعة الا قول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا فما أنا بالقالى ولا الضرع الغمر
أظن صروف الدهر بينى وبينكم ستحملكم منى على مركب وعر
ألم تعلموا أنى تخاف عزائمى وان قناتى لا تلين على الكسر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث وكثرتها ويستنجد عبد الملك ويسأله الامداد وقال فى كتابه واغوثاه يا الله واغوثاه يا الله واغوثاه يا الله فامده بالجيوش وكتب اليه يا لبيك يا لبيك يا لبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتى قتل وأتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف

الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) أيضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الانحاء السابقة (مانصه) المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتساق وجياده الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق وأياديه الجمة فى الاعناق ألزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط ببابه والالطاف الخفيه تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة باسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة المرسومه والمفاخر المنسوقة المنظومه الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد أسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب عمم كما سطعت فى غيهب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامى ونجارها نبى الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفئ نارها الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ماشاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضا عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء الحوادث وأمرارها وباعوا انفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفة واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال أستارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها لله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى فى اظهاره واتمامه مالا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا ايد

والاعضاء وجرى منكم مجرى الدم وافضى الى الاضلاع والامخاخ نخشى ماهنالك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه فعشش وباض فيه ففرخ واتخذتموه دليلا تتابعونه وقائدا تطاوعونه ومأمرا تستأمرونه ألستم أصحابى بالاهواز حين سعيتم بالغدر بى فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله انى لأراكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية ومايوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوى امرؤ على أخيه حين عضتكم السلاح وقصعتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فما الذى أرجوه منكم يا أهل العراق أم ما الذى أتوقعه ولماذا أستبقيكم ولاى شئ أدخركم أللغمرات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذى أراقب بكم وما الذى انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان أمنتم أو خفتم نافقتم لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنبحكم نابح أو استشلاكم عاق

الله

الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذي لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذي وضحت منه المذاهب وانا لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التي صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمة لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأتى بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا في استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفي هذه الايام عميت الانباء وتكالبت في البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلفي لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض والعدو بساحتنا في هذه الايام ربض وكان خديمكم الذي رفع من الوفاء راية خافقة واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن احبا نا سني الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللعاق بجنابنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر في تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذي قام بمفترضه اذا اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التي استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه في كنف العناية الالهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التي يغني نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى في اللعاق بالاوطان التي يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح احوالها ويسكن أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التي ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عمن استشعر دنو حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما يغني عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم في بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمه

أو استخفكم ناكث أو استنفركم عاص الا تابعتموه وبايعتموه وآويتموه وكنفتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو دبي كاذب الا كنتم أنصاره وأشياعه يا أهل العراق لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظكم الوقائع هل يجمع في صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الامور ومواردها يا أهل الشام انا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنهن القذى ويكنهن من المطر ويحفظهن من الذباب ويحميهن من سائر الدواب لا يخلص اليهن معه قذى ولا يفضي اليهن بذا ولا يمسهن أذى يا أهل الشام أنتم العدة والعدد والجند والحرب ان حارب محارب أو جانب مجانب وما أنتم وأهل العراق الا كما قال نابغة بني جعدة

وان تداعيكم حظهم ولم ترزقوه ولم تكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح ولم يقتلوه ولم يصلب

في أبيات ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الاموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطا الدية وفي

ذات الحقوق العظيمه والايادى الحديثة والقديمه وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد
وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى أننا لولم تعق العوائق الكبيره والموانع
الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم فى الوقت هذه الجزيره ماقدمنا عملا على اللحاق بكم
والاتصال بسببكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المبرة طرقها لكن
الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم بالسرائر والى الله تعالى نبتهل فى أن
يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه
وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم الساره وسعودكم الداره فذلك منه
سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ماعندنا بادرنا الاعلام كم به اسرع
البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار وييسر
ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى
وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة مامارس من أمور ملوك الاندلس
وسلاطين فاس كثيرا مايدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ويزين له الثورة
ويعده بالامداد بالمال والعدّة وقصده بذلك كله توهين المسلمين وافساد تدبيرهم ونسخ
الدول بعضها ببعض لماله فى ذلك من المصلحة حتى يبلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية (ومن
انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس المرينى
يعتذر عن فرار الامير أبى الفضل المرينى الذى كان معتقلا بغرناطة فتحيل الطاغية فى أمره
حتى خرج طالبا الملك (مانصه) المقام الذى شهد الليل والنهار باصالة سعادته وجرى
الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه
متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته
مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى
مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان شاهد منه فى عصمة
وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد
السهم ماضى العزم تجل سعوده عن تصوّر الوهم ولازال مرهوب الحد ممتثل الرسم
موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم معظم
قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان
سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التى حازت فى الفخر
الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد
حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر
على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضره ضر
نفسه وهاد اليه اهدى وماهدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله
الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا معالم اسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا
وأشرفهم محتدا الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لاينقطع
أبدا

عنده منع حق واعطاء باطل
فان كنت أردت الناس له
فما أغناهم عنك وان
كنت أردتهم لنفسك فما
أغناك عنهم وسيأتيك
من أمير المؤمنين أمران
لين وشدة فلا يؤنسنك الا
الطاعة ولا يوحشنك الا
المعصية وظن بامير المؤمنين
كل شئ الا احتمالك على
الخطا واذا أعطاك الظفر
على قوم فلا تقتلن جانحا
ولا أسيرا وكتب فى أسفل
كتابه
اذا أنت لم تطلب أمورا
كرهتها
وتطلب رضائى بالذى أنت
طالبه
وتخشى الذى يخشاه مثلى
هاربا
الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمنى غفلة قرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية
فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تمنى والحوادث جمة
فانك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعدما يأتيك منى وان
تعد
يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته
ولا تعطين ماليس لله جانبه
وهى أبيات من جيد
ما اخترناه من قول عبد
الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الدماء وتبذيرى

أبدا والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها ماديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به في كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء غرناطة حرسها ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله في البداية والنهاية والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جياد السعد في ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده وترتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفي وتروى غلل النفوس وتشفي والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبي الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وفال رأيه في اقتحام الاهوال وتورط في هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام في الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد و يزحزح الجبال وأخلف الظن منا في وفائه وأضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بعين قلما يورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية اعانه وأنجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعادته كاب وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد في غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر في بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدي طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار فاعاد في الافادة وأبدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلم منه مآل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما ما له عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد في مطاره حائلا بينه

في الاموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلي أولئك العصاة سرفا واعطائي أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحد لي فيه حدا أنتهي اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله ووالله ما علي من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فأفديهم ولا أعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك واما ما أنا منتظره من أمريك فاليهما عدة وأعظمهما محنة فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب في أسفل كتابه

اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقي
أذاك فيومي لا تزول كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة
تقيه من الامر الذي هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذي قرابة
ومن لم تسالمه فاني محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة
فقامت عليه في الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه
وأقصي الذي تسري الى عقاربه
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي
مصاولتي والدهر جم نوائبه
فقف بي على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني * شفيق رفيق أحكمتني تجاربه

وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فياله من زجر استنطق لسان الوجود بخذله واستنصر البحر بخذله وصارع القدر بخذله المجدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيده ومنتسب الى نسبة غير سعيده وشانئ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واحمدنا الله لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كما اقدح الخلاف زند الطف أسعد كم شعلته أو أظهر الشتات ألما ابرأ من طائر كم علته ماذاك الا النية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بنعم الله ومننه ونسأله أن يلبسكم من اغاثته أوقى جننه فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح فى مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتنبلج ظلمات صفاحها وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود وبآفاقنا يطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت وا كتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (وكان) سلطان الاندلس فى الازمان المتأخرة كثيرا ما يشم أرج الفرج فى سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر فى الغالب على مقاومتهم ولذلك لما اقتبل السلطان أبو الحجاج الذى كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغنى بالله الذى ألقى مقاليده للسان الدين أكد أمر السلم وانتظم ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم (ومن انشاء لسان الدين) فى ذلك على لسان الغنى مخاطبا السلطان فاس والمغرب أبى عنان (ماصورته) المقام الذى يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونستضئ عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذى يرعى الاذمة شأنه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل فى ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التى تدخرها الاولاد اولياؤه وأحبابه ويسطر فى صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما عظم من حقه الساتر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضئ فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله

وهى أبيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولن أعود لشئ يكرهه (وحدث) حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسى ائتنى بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال أجب الامير فانطلق به حتى أدخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ما عندك فقال له الرجل ايه ما عندك فقال للحرسى أخرجه أخرج الله نفسك أمرتك أن تأتينى بمحدث فأتيتنى بمرعوب قد ذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى انتهى الى شيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال أنا الحجاج ودخل القصر وقال للحرسى الحقنى به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بنى شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال يا سبرة هل قرأت القرآن قال جمعته فى صدرى وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال انى لافرض الصلب وأعرف الاختلاف فى الجد قال فهل تبصر الفقه قال انى لابصر ما أقوم به أهلى وأرشد ذا العمى من قومى قال فهل تعرف

الذى لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شئ عن ميقاته ولا يبرح عن محله جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذى نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطافه تتعرفها وتراوشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فاننا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم وندعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى ألبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وعاتصير الينا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجل الله سبحانه فيها الدفع وشرح مجملها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلبابه والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد اينع بالامن جنابه وأمر من يقول للشئ كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن بمعتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده وخاض الجموع المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه شارة ولا بزه ولا تحمل على الحذر من مثله انفة ولا عزه وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلصان الاوليا من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عنه

الشعر قال انى لاروى المثل والشاهد قال المثل قد عرفناه فما الشاهد قال اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر فانى أروى ذلك الشاهد فاتخذه الحجاج سميرا فلم يك يطلب شيأ من الحديث الا وجد عنده منه علما وكان يرى رأى الخوارج من أصحاب قطرى بن الفجاءة التميمى والفجاءة أمه وكانت من بنى شيبان وانما هو رجل من تميم وكان قطرى يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطريا مكان سبرة من الحجاج فكتب اليه بابيات منها

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا
اذا نحن رحنا فى الحديد المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلنا
صبور على وقع السيوف البواتر
وراح يجر الخز عند أميره
أمير بتقوى ربه غير آمر
أبا الجعد أين العلم والحلم والنهى
وميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لا شك نازل
ولا بد من بعث الألى فى المقابر
حفاة عراة والتراب لديهم
فمن بين ذى ربح وآخر خاسر

فان الذى قد نلت يفنى وانما * حياتك فى الدنيا كوقعة طائر

الاستفهام جوابا يعقل ولاعثر على شئ عنه ينقل لطفا من الله أفاد براءة الذمم وتعاورته للعين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جع السلامة الى التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستنفذ النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد عهدها وتسكينها وتقرر الطاعة فى النفوس وتمكينها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا الى النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا وتطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار والهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما وردفى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أسعد ملككم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول وفى تقرير فخركم محصول وأنتم رده المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينها بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقرهذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد ما استدعاء خواصهم وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد الفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر واحلى وأمر علا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده وحادث باخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر واشرح للصدور وأعب للبيان فوجهنا اليكم وزيرنا

وتب توبة تهدى اليك شهادة

فانك ذو ذنب ولست بكافر

وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة

تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر

هى الغاية القصوى الرغيب ثوابها

اذا نال فى الدنيا الغنى كل تاجر

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به اليه وفى أسفل الكتاب الى الحجاج أبيات منها

فمن مبلغ الحجاج أن سميره

قلا كل دين غير دين الخوارج

رأى الناس الامن رأى مثل رأيه

ملاعين تراكين قصد المخارج

فاقبلت نحو الله بالله واثقا

وما كربتى غير الاله بفارج

الى عصبة أما النهار فانهم

هم الاسد أسد الغيل عند التهايج

وأما اذا ما الليل جن فانهم

قيام بانواح النساء النواشج

ينادون للتحكيم لله انهم

رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج

وحكم ابن قيس مثل ذلك فأعصموا * بحبل شديد المتن ليس بناهج فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال أمرنا

أمرنا وكاتب سرنا الكذا ابن فلان والقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والثمرة العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقامع أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقوله فى هذه الرسالة توجهنا اليكم وزير امرنا الى آخره هو لسان الدين رحمه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير فى هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى وقد اكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغنى بالله بالسلطان أبى عنان على طاغية النصارى كما المعنا بذلك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى يتعلق بلسان الدين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبى الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به أن أمر عليه ولده أبا بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه ما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التى أشرق فى سماء الملك شهابها واتصلت باسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذى تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه وجدة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره لما يسره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الموفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء مأمول جواره الينا أبى بكر السعيد ابن محل والدنا الذى مقاصده للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة آماله رحيبا فى السعد مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبينا غمام وارفة ظلاله هامر نواله حتى يرضى الله تعالى مساعيه بين يديه ومصاله وتمضى فى الاعداء أمام رايته المنصورة نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوى على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص اخوتكم الفضلى وامارتكم التى آثار فضلها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله على ما كيف من الطافه المشرقة الانوار وييسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار

هذا من سميرنا الشيبانى وهو من الخوارج ولا نعلم به ولابى الجعد شبرة بن الجعد سمير الحجاج هذا اشعار كثيرة منها قوله من أبيات

عجبت لحالات البلاء وللدهر
وللحين يأتى المرء من حيث لا يدرى
وللناس يأتون الضلالة بعدما
أتاهم من الرحمن نور من البدر
ولله لا يخفى عليه صنيعنا
حفيظ علينا فى المقام وفى السفر
علا فوق عرش فوق سبع ودونه
سماء يرى الارواح من دونها تجرى

وقد قيل ان هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج أخبار حسان من الازارقة والاباضية وغيرهما قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الاصول من اكفارهم عثمان وعليا والخروج على الامام الجائر وتكفير من ركب الكبائر والبراءة من الحكمين أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى وعمرو بن العاص السهمى وحكمهما والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضى به واكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك

فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله المصطفى المختار الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار الذى وصانا بالالتئام واتصال اليد فى نصرة الاسلام فنحن نقابل وصاته بالبدار ونجرى على نهجه الواضح الآثار ونرتجى باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه أكرم الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الاخبار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق الذى تجرى به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار والوقاية التى يأمن بها أهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقاء والدكم بالعدة العظمى والسيرة الرحمى والجلال الرفيع المقدار من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أوضح برهانه الا ألطاف باهره وعناية من الله تعالى باطنة وظاهره وبشارة بالقبول واردة وبالشكر صادره والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالى فضله وكرمه والى هذا فاننا اتصل بنا فى هذه الايام ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تأميل مجده واقطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بجبل الفتح البالغ فى اجتهاده الدينى وجده فقلنا هذا خبر ان صدق مخبره وتحصل منتظره فهو فخر تجددت أثوابه واعتناء تفتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها الله تعالى وان أنجدته عدده وأمواله ونجعت فى نصرها مقاصده الكريمة وأعماله لا تدرى موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمع لها بولده ويخصها بثمرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته الغرر باجازتكم البحر واختياركم فى حال الشبيبة الفخر وصدق مخيلة الدين فيكم واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذه سعد أبيكم سررنا بقرب المزار ودنو الدار وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار وتفاءلنا أن لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقه والنعم المغدقه والصنائع المتألقه بادرنا نهنئ أخوتكم أولا بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز فامارتكم الامارة التى أخذت بأسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشبيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن أحق بهذا الهناء ولكنها اعادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى خبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ومزيد ايثاره ويجازيه

فى مواضع العبارة عن التوحيد والوعد والوعيد والامامة وغير ذلك من آرائهم وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة بن أدية التميمى وقيل ان أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربى وقيل ان أول من حكم رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بنى يشكر وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع على فانه حكم فى ذلك اليوم قال لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن الصف فحمل على أصحاب على فقتل منهم رجلا ثم حمل على أصحاب معاوية فتعاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم وكر على أصحاب على فقتله رجل من همدان وقد أتى الهيثم ابن عدى وأبو الحسن المدائنى وأبو البختري القاضى وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أفردوه من كتبهم وذكر أصحاب المقالات فى الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم وذلك فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم فى عصر عصر الى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بنى حمدان وذلك فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف

جزاء

جزاء من سمع فى ذاته بعظمة ادخاره ومذ رأينا ان هذا الغرض لا يجترى فيه بالكتابه دون الاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقرير ما لدينا على أوضح طرقه وهو القائد الكذا ومجدكم يصغى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون أيام السلطان أبى عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره فى ذلك التاريخ (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب ما نصه المقام الذى رمى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى ملجئه الاحمى وملاذه وكفلت السعود بامضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم فكان وحيد آحاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام محل أخينا الذى أركان مجده راسية راسخة وغرر عزه بادية باذخة وأعلام فخره سامية شامخة وآيات سعده محكمة ناسخة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه ونداه النادى والمعترك معظم حقوقه التى تأكد فرضها المتنى على مكارمه التى أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى هيأ لملة الاسلام بمظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها صروف الايام لياوا عوازا وأتاح لها منكم وليا يسوم أعداءها اذلالا وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازا حمدا يكون على حلل النعم العميمة والآلاء الكريمة طرازا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى بهرت آياته وضوحا واعجازا واستحقت الكمال صفاته حقيقة لا مجازا ونبيه الذى بين للغافل أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا فى مفاوز الشك مفازا والرضا عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا بها وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا ان شهدوا برازا والدعاء لمقام اخوتكم الاسمى بنصر على أعدائه تبدى له الجياد الجرد ارتياحا والرماح الملد اهتزازا وعز يطأ من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمن يشمل من بلاد الايمان أقطارا نازحة ويعم أحوازا وسعد تجول فى ميدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع اسهابا وايجازا وفخر يجوب جيوب الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا ولازالت كتائب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا وتوسع ممالكات الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لا تلين قناته فى يد الغامز وثناء لا يثنى عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسر يسرا وأحال القبض بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذى كان

عظيم والمعروف بأبى شعيب خرج فى بنى مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلى بلاد روى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفى سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجى وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان فى أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن فى دار الامارة ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع فى سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة فى تلك السنة

وفت الغزالة نذرها

يا رب لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه فى دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشام

لايلين لمن استمطى وقرب غريم الرجاء في هذه الارجاء وكان مشترطا والتوكل عليه
سبحانه وتعالى قد أحكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد
لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا لفح للكفر
شواظه وملجؤه الذي تنام في كنف أمنه أيقاظه ووزره الذي الى نصره تمد أيديه وتشير
ألحاظه ففي أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه ولخطب تمجيده وتحميده يقول قسه
ويحتفل عكاظه وتشيعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه
لايعترضها نقيض وأفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل
فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا ألبسكم الله تعالى ثوبا لسعادة المعادة
فضفاضا كما صرف بركة ايالتكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالي والايام وقد
ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فانه ورد علينا كتابكم
الذي كرم أنحاء وأغراضا وجالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار
من معانيه الغرائب وألفاظه المزرية بدرر النحور والترائب بحورا صافية وحياضا
فاجتلينا منه حلة من حلل الود سابغه وحجة من حجج المجد بالغه وشمسا في فلك السعد بازغه
الذي بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فما أكرم شيم
ذلك الجلال وأسمعها وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجحها حثثتم فيه على احكام السلم التي
تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوى القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج
وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ أعلاج ومظنة اختلاف للظنون
الموحشة واختلاج فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى
الخاصة الاحظى أبو علي ابن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل المجاهد الكامل
أبي عبد الله بن محلي والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ
الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشتالي
وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز
واردين على أحلى القبول الذي لاتشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل
الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقينا ما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من
الود الذي كرم مفهوما ونصا والبر الذي ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد
الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما أخلف الظنون وشرح الصدور وأقر
العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه
سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد
مقامكم الذي راق غررا في المكرمات وأوضاحا ومد يده الى سهام المواهب الالهية فحاز
أعلاها قداحا فتشوفت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه
وبدت في القضية التي أشرتم بأعمالها الوجوه وانبعثت الآمال الى مآلات اليه هذه
الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته
بفضل الله تعالى أنكاثا واختلت المسئلة التي تفضلتم بعرضها وأشرتم الى فرضها مأخذا

وابحاثا

سفيان بن الابرد الكلبي لقتال شبيب فقدم على الحجاج بالكوفة فخرجوا بعساكر كثيرة عليها
الى شبيب فحاربوه فانهزم
شبيب وقتلت الغزالة وأمه
ومضى شبيب في فوارس
من أصحابه واتبعه سفيان
من أهل الشام فلحقه
بالاهواز فولى شبيب فلما
حصل على جسر دجيل
نفر به فرسه وعليه الحديد
الثقيل من درع ومغفر
فالقاه في الماء فقال له
بعض أصحابه أغرقا يا أمير
المؤمنين قال ذلك تقدير
العزيز العليم فألقاه دجيل
ميتا بشطه فحمل على
البريد الى الحجاج فأمر الحجاج
بشق بطنه واستخراج قلبه
فاستخرج فاذا هو كالحجر
اذا ضربت به الارض نبا
عنها فشق فاذا في داخله
قلب صغير كالكرة فشق
فأصيب علقة الدم في داخله
وفي سنة اثنتين وثمانين
قتل الحجاج ابن القرية
لخروجه مع ابن الاشعث
وانشائه الكتب له
ووضعه الصدور والخطب
وكان ابن القرية من
البلاغة والعلم والفصاحة
بالموضع الموصوف وقد
أتينا على خبر مقتله وما كان
من كلامه مع الحجاج وقد
كان قتله صبرا في الكتاب
الاوسط وان قتله اياه كان
بالسيف وقيل بل قدم
اليه فضغر به الحجاج بحربة في نحره فاتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل وأحمق وفاجر فاما

وأبحاثنا فالقيناً فى هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى ومايتزيد عندنا من الامور فركاتب التعريف بها اليكم محثوثه وجزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه واستحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه وماهو الا السعد يذلل لكم صعب العدو وروضه والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه والثناء الذى هو الروض تأرج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذ أشرقت طلائعه جعله الله تعالى فى ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولا كم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران ماعندنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعد اسامى المراتب والمراقى ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى* وأبين من هذا فى القضية كتاب آخر من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى (صورته) من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى نثنى على مجادته أكرم الثناء ونجدد له ماسلف بين الاسلاف الكرام من الولاء ونتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار السارة والانباء السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم برعميم يخص جلالكم الارفع ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد ابائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع نور الحق بجلوظلم الشك بضيائه والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه السائرين فى الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم فى اظهار دينه القويم واعلائه والدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه الا الخير الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود الخالص والاعتقاد اللباب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الاقطار الغربية من وراء البحار وماسامها من الاوصاب والاضرار وانه جرى فى ميدان الاملاء والاغترار

سمع العلم وعى وان سمع الفقه روى وأما الاحمق فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل وأما الفاجر فان استأمنته خانك وان صاحبته شانك وان استكتم لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم يفقه (وذكر المدائنى) أن الحجاج لم يكن يظهر لندمائه منه بشاشة ولا سماحة فى الخلق الا فى يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها بلغنى أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه فوالله ماوفيت له ولو كان هو بمكانك وأنت بمكانه ماعدل عنك قالت أصلح الله الامير لى عذر قال وما هو قالت سمعته وهو يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
على وفوقى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معى نسوة قد سمعن قوله فكرهت أن أكذبه فاستحسن الحجاج قولها وقضى حوائجها وانبسط فى محادثتها فلم ير منه بشاشة وأريحية داخلته مثل ذلك اليوم (وذكر) حماد الراوية غير هذا الوجه وهو أن زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وتأتى وتسلم

ومحص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذى عقده وحل الميثاق الذى أكده وحمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتيار سيله وقطع ليله وأمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها وطلع للملة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعند ماعظم الاشفاق وأظلمت الآفاق ظهر فينا لقدرة الله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذة رابيه ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتعجل لنار الله تعالى مآبه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من نتحفه بطيب رياها ونطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعملكم فى المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين فما ذلك الافضل نيتكم للمسلمين فى هذه البلاد وأثرما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح أعزه الله تعالى مقررا مالديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافى الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيله وألقى ماعندكم من المذاهب الجميله فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل سببه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله ودا فى ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا اننا توقفنا أن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بموقعه لمشهور عفافه ورفقه لجعلناه نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا اجفنا سفريا لايساق الخيل التى ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ماتزيد عندنا عرفنا كم به عملا على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضله ومكارمكم الكافله والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانه لا غنى لها عن العدوة وغير ذلك ماصورته المقام الذى بنور سعادته تنجلى الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حصل منها لجانب الله تعالى الانتماء واتفقت منها المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذى تتفيأ هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتنى ثمار النجح من أفنان آرائه المتألقة تألق الصبح حالى رينه وعجله وتتعرف حالى المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويجلى موارد العاقبة كلما أمرت ويعفى على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل

وذكر البيتين المتقدمين قال وأبت أن تفعل فاقسم عليها زوجها فنزلت حتى

عليه وتكذبه حيث يقول جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كغر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى آرائهم ومذاهبهم فى الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه بردعة وحشية يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك أمثالهم وذكره خطباؤهم فى خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فاهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعى فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقرى قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفى قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما قلب بشر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابنى عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان

ما

ماعليه استقرت معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه
في الفخر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد حمد الله
المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع
المراقي والمراقب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك
والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم
الرؤف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه
الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص
الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في سمـ. كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم
الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب
والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا
زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل
بالتمهيد أوطانه الا تشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد
وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى
سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص
والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضا والقبول برهان تنطق بالفصل أصوله
وتشير الى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الفخر الاصيل
محصوله عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل
الصواب الذي انتكبه وتنبهون على ما حدده الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد
من جهة تناسبه ولا يظاهره مهما ندبه ولا يسعف في الاوطابه فاستوفينا ما استدعاه
ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح وكتبه وليعلم مقامكم وهو من اصالة
النظر غني عن الاعلام ولكن لابد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الاقلام
أننا انما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بجواره وبلينا والحمد لله بمصادمة
تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الامة المحمدية بالعدوتين
تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق
فمهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما في قبول الطاعة رد ساءنا
واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل
عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا انما هي
شعلة في بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أشرعت وان كان لسوانا لفظها فلنا معناها
وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرص الناس على اطفائها واخمادها وأسعى في اصلاح
فسادها والمثابرة على كفها واستئسادها وما الظن بدار قد دبابها وآمال رثت أسبابها
وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضي منه
باعانتكم الديون وان اضطرابها انما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه
من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع في تداركه الى سميع للدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام

ثم قال ان بشر بن أرطاة قد
غلب على اليمن والله ما
ارى هؤلاء القوم الا سيغلبون
على ما في أيديهم وما ذلك
بحق في أيديهم ولكن
بطاعتهم واستقامتهم
ومعصيتكم لي وتناصرهم
وتخاذلكم واصلاح بلادهم
وافساد بلادكم وتالله
يا أهل الكوفة لوددت أني
صرفتكم صرف الدنانير
العشرة بواحد ثم رفع يديه
فقال اللهم اني قد مللتهم
وملوني وسئمتهم وسئموني
فأبدلني بهم خيرا منهم
وأبدلهم بي شرا مني اللهم
عجل عليهم بالغلام الثقفي
الذيال الميال يأكل
خضرها ويلبس فروها
ويحكم فيها بحكم الجاهلية
لا يقبل من محسنها ولا
يتجاوز عن مسيئها قال وما
كان ولد الحجاج يومئذ
(حدثنا) الجوهري عن
سليمان بن أبي شيخ
الواسطي عن محمد بن يزيد
عن سفيان بن حسين قال
سأل الحجاج الجوهري ما
النعمة قال الامن فاني
رأيت الخائف لا ينتفع
بعيش قال زدني قال الصحة
فاني رأيت السقيم لا ينتفع
بعيش قال زدني قال الشباب
فاني رأيت الشيخ لا ينتفع
بعيش قال زدني قال الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري

يد كم ومقصدنا فيه تبع لقصدكم وتصرفنا على حد اشارتكم جار وعزمنا الى منتهى مرضاتكم متبار وعقدنا فى مشايعة أمركم غير متوار وقد كنا الاول اتصال هذا الخبر القبيح العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا فى شانه ولم نطوعنكم شيأ من اسراره ولا اعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلى نستعد بسلطانه ونرتجى تمهيد هذا الوطر بتمهيد أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واسطبونة تثبت بصائرهم فى الطاعة وتقويها ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعملنا ما أوجب الله تعالى من الاعمال التى يزلف بها ويرتضيها وكيف لا نظاهر أمركم الذى هو العدة المذخوره والفئة الناصرة المنصوره والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغى يردى ويصرع وكم تقدم فى الدهر منتزشذ عن الطاعه وخرج عن الجماعه ومخالف على الدول فى العصور الاول بهرج الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيقة وهاده وتنائفه فتقلص ظله ونبا به عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لا سيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جداول سيوفكم النار التى أوقدتها وكأن بالامور اذا أعملتم فيها رأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد بيمن تدبيركم قد شفى ماظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانما نحن الى تكميل مرضاتكم مبادرون وفى أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشاراتكم التى تتضمن الخير والخيرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التأويل ولا يقبل صحيحها التعليل فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لا تحتاج الى دليل والله تعالى يسنى لكم عوائد الصنع الجميل حتى لا يدع عزمكم مغصوبا الارده ولا ثلما فى ثغر الدين الاسده ولا هدفا متعاصيا الاهده ولا عرقا من الخلاف الاجده وهو سبحانه يبقى ملككم ويصل سعده ويعلى أمره ويحرس مجده والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب الرعايا مانص محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذى جرى فى ميدان الامل جرى الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمع بسكر اغتراره وتمحص المسلمون على يده بالوقائع التى تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره وادار أشياعه فى البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور التى لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد وساءت الظنون فى هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره والبحور الزاخره والمرام البعيد وانناصابرنا بالله تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه فى جنح هذا الخطب ودجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصى الخلائق واعتلقنا من حبله المتين بأوثق العلائق وفسحنا مجال الامل فى ذلك الميدان المتضايق وأخلصنا لله

عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فارجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده فقال ان أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان فى مناخرهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فمه والله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رضى الله الخلود لاحد من خلقه فى الدنيا الا لاهونهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فكان ذلك ثم اضمحل فكأن لم يكن يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأنى بكل حى ميت وبكل رطب يابس وقد نقل كل امرئ بثياب طهره الى حفرته فخدله فى الارض ثلاث أذرع طولا فى ذراعين عرضا فاكلت الارض لحمه ومصت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما حبيبه من ولده يقتسم حبيبه من ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقرى عن مسلم بن ابراهيم أبى عمرو الفراهيدى عن الصلت ابن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه

مقيل العثار ومؤوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم نقصر مع ذلك فى ابرام العزم واستشعار الحزم وامداد الثغور باقصى الامكان وبعث الجيوش الى ما يلينا من بلاده لى الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى حرمه فجلى بفضله سبحانه ظلم الشده ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتده وعرفنا عوارف الصنع الذى قدم به العهد على طول المده ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جمع على الحق بأباطيله وسد المجاز باساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد والسعى فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذطلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاة تلك الرقعه وأبقاه الله تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكمل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا وزلزلت أرض عزه وقد أصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت فى منارلها النار وتمغض عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادي بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذى عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذى من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائد عن الطريق وبرء الداء الذى أشرق بالريق وان النصارى دمرها الله تعالى جدت فى ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مآلها وحالها وسمحت للنار والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهى الذى مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التى ان سلطت عليها قوى البشر فضحتها ورجحتها ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سريانه فى الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الالهية والوجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله تعالى ببنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ومننك الوافره انك ولينا فى الدنيا والآخرة انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ماصورته وان تشوقتم الى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا اننا فى هذه الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الا ان وقى الله تعالى خطوبا كبارا ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا ونستثير من خواطر الفضلاء ما يحفظ أخطارا وينشئ ريح روح الله طيبة معطارا فان القومس الاعظم قيوم دين النصرانية الذى يأمره افتطيع ومخالفته

لعبدالله وخليفة الله ونجيب الله عبدالملك أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا فى هذا الشعب فدخلوا فى غيره لكانت دماؤهم لى حلالا عذيرى من أهل هذه الحمراء يلقى أحدهم الحجر الى الارض ويقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لاجعلنهم كالرسم الداثر وكالامس الغابر عذيرى من عبد هذيل يقرأ القرآن كانه رجز الاعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه. يعنى عبدالله بن مسعود عذيرى من سليمان بن داود يقول لربه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقرى عن عبيد بن أبى السرى عن محمد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن ابن السائب قال قال الحجاج يوما لعبدالله بن هانئ وهو رجل من أود حى من اليمن وكان شريفا فى قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته والله ما كافأتك بعد ثم أرسل الى اسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبدالله ابن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فدعا له بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمدانى رئيس اليمامة أن زوج عبدالله بن هانئ ابنتك

لا نستطيع رمي هذه الامة الغريبة المنقطعة منهم ببحر ادلايسد طريقها ولا يحصي فريقها التفت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن يملكه بلده وتبلغه أمله ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهي شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها بجد ولا وهد وقد اقتحموا الحدود القريبة والله تعالى ولي هذه الامة الغريبة وقد جعلنا مقاليد امورنا بيد من يقوي الضعيف ويدرأ الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو في حسن العقبى والمآل ونصر فئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كنزه ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة من جملتها ما صورته وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام ورعي الجوار والذمام وما جعل الله تعالى للمأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم المتفرقه وتهييئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانية الذي اليه ينقادون وفي مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا عظما ونثرت ما كان نظما أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرفع ما طرق ويرفو ما مزق الشتات وخرق فرمى الاسلام بامة عددها القطر المنثال وأمرهم وشأنهم الامتثال أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعه ويجمعوا في ملته الجماعه ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأقطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع ما لا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فقد سدت طريقه الآثار بنا غفلة الناس مؤذنة البوار وأشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار وأردنا أن نهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار وأنجد اليمين باختها اليسار والا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدوه المحشور اليه المحشود صبرا على المقام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تعين يد الله في ذلك البناء المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم الممدود كان على أمر به بالخيار المودود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى * (وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقطارها ما صورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في

قال ومن أدد والله لا أزوجه ولا كرامة قال هاتوا السيف قال دعني حتى أشاور أهلي فشاورهم فقالوا زوجه لا يقتلك هذا الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أدد هنالك فقال لا تقل أصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ما هي لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب أمير المؤمنين عثمان في نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا وما شهد مع أبي تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرأ سوء قال وهذه والله منقبة قال وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبي تراب ولا تولاه قال وهذه والله منقبة قال وما منا امرأة الا نذرت ان قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ففعلت قال وهذه والله منقبة قال وما منا رجل علم من أبيه شتم أبي تراب ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما قال وهذه والله منقبة قال وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة ما لنا وضحك وكان دميما شديد الادمة مجدورا في رأسه عجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه مائل الحولة (المقري) عن جعفر بن عمر والحرمي

سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بحرفيها سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط رأسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه في عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادي ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادي حتى لم يبق في أيديهم منها الا ماهو في ضمان هدنة مقدره وأتاوة في كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك في الكتاب مسطورا وقدرا في سابق علم الله مقدورا انتهى * وهذا قاله قبل أن يستولي العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولنرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ماجرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى أسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر أراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدو على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذي النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر الى عامة طغامها فوجد المسلمون من ذلك مالا يطاق حمله وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة ست وتسعين وأربعمائة ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المغامي رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريدا له بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا لتغيير القبلة فما جسر أحد منهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل لملك النصارى ينبغي أن تلبس التاج كمن كان قبلك في هذا الملك فقال حتى نأخذ قرطبة وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وفيما رصع به من الجواهر فأكذبه الله وأزعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فاقصر فيما أثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدرك أمور المسلمين انتهى ملخصا وقدم مطولا * وكانت قبلها واقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات اللذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا وكمنوا في عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنه أجله وخلص الامير نفسه ومما حفظ عنه انه

عن مجذى بن رجاء قال سمعت عمران بن مسلم بن أبي بكر الهذلي يقول سمعت الشعبي يقول أتي بي الحجاج موثقا فلما دخلت عليه استقبلني يزيد بن مسلم فقال انا لله ياشعبي على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحرى أن تنجو منه فلما دخلت استقبلني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدي الحجاج فقال وأنت ياشعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا في فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قووا اذ فجروا أطلقوا عنه قال الشعبي ثم احتاج الى فريضة فقال ماتقول في أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلي وعثمان وابن عباس قال فما قال فيها ابن عباس فلقد كان متقنا قلت جعل الجد أبا وأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها تسعة فأعطى

أنشد لما أعياه الامر

خليلي ليس الرأي في صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

وفي أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا اجرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم في ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بادبرطانية وهي تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى في خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن أوقار الامتعة والحلي والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل واسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها اعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيره قال وكان السبب في قتلهم انه خاف من يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتأمين من بقي وأمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار في الحبال للخشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن أسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وأزعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صور الهلكى من العطش فأطلق

سبيلهم

الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها أثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الاخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى الجد السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه امرؤ يرغب عن قوله (المنقري) عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق اني قد استعملت عليكم محمدا وبه الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما اني اذا وليت عنكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة وما منعكم من تعجيله الا الفراق وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبي) عن عبد الغني بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدي عن أبي عبد الرحمن الكناني عن ابن عباس الهمداني عن عبيد بن أبي المخارق قال استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت أههنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن صهيب فارسلت اليه فجاءني شيخ

سبيلهم فبينما هم فى الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا باجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك فى خادم أو ذات مهنة أو وخش اعطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثه و بلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفاعدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببربشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب اولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهى أن بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن فى سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا فى نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات فى خدمته فرحب بى وسألنى عن قصدى فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما أبذله فى بعض اللواتى على رأسه وفيهن كانت حاجتى فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصنى من سبيي واسراى من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأى لى فيه وبقربك أنست وفى كنفك اطمأننت فسمنى ببعض من هنا فانى أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهينى ما ليس عندى يا باجه ينادى بعض أولئك الوصائف يريد يا بهجة فغيره بعجمته قومى فاعرضى عليه ما فى ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت ببدر الدنانير واكياس الدراهم واسفاط الحلى فكشف وجعل بين يدى العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدنى الينا من تلك التخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشى والخز والديباج الفاخر مما حار له ناظرى وبهت واسترذلت ما عندى ثم قال لى لقد كثر هذا عندى حتى ما ألذ به ثم حلف بالهه انه لو لم يكن عنده شئ من هذا ثم بذل له بأجمعه فى ثمن تلك ما سمحت بها يدى فهى ابنة صاحب المنزل وله حسب فى قومه اصطفيتها لمزيد جمالها لولادتى حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم وقد ردلنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها التى كانت تشدو له على نشواته الى أن أيقظناه من نوماته يا فلانة يناديها بلكنته خذى عودك فغنى زائرنا بشجوك قال فأخذت العود وقعدت تسويه وانى لا تأمل دمعها يقطر على خدها فسارق العلج مسحه واندفعت تغنى بشعر ما فهمته انا فضلا عن العلج فصار من الغريب أن حث شربه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه وارتدت لتجارتى سواه واطلعت لكثرة ما لدى القوم من السبى والمغنم على ما طال عجبى به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا

كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال ازعجتنى وانا شيخ كبير قلت اردت يمنك وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملنى الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر على قال أيما أحب اليك رضا الحجاج أو رضا بيت المال أو رضا نفسك قلت انى أحب رضا كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عنى أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما أطال عامل الجلوس الاهيب مكانه ولا تخاف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا باضعافها مع ما فى ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلغ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقرى) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله فى حاجته فقلت لله على أن لا أصلى

بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القاعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من اثارة ولا شك عند ذوى الالباب أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادى عليه على شفا جرف يؤدى الى الهلكة لامحالة انتهى ببعض اختصار *وذكر بعده كلاما فى ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعى لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقرى بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما أن يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكر لهم أو داع فضلا عن نافر اليهم أو ماش لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كأن بثقهم ليس بمفض الينا وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فان البثق سرى اليهم جميعا كما ستراه ولا حول ولا قوة الا بالله (وقال) قبله ان بربشتر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن الى أن طرق الناعى بها قرطبة فناصدر دره ضاق من العام فصك الاسماع واطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس فى التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله أياما لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل الذين هم منهم ما بين فشل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا فى صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط فى أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ فى التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها وما هى الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائهم يومئذ بأيديهم اليه أمورا قبيحات الصور مؤذنات الصدور باعجاز الغير

أمور لو تدبرها حكيم * اذا لنهى وهيب ما استطاعا

انتهى باختصار *ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٥٧ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم الى أخيه صهره لهامع امداد الخليفة عباد وسعى لاصمات سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فتأهب لقصد بربشتر فى جموع من المسلمين فخالدوا

خلفك أبدا ولئن رأيت قوما يجاهدونك لأقاتلنك معهم فقاتل فى دير الجماجم حتى قتل (المنقرى) عن العتبى عن أبيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثرى الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه ففصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابى قد أقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابى من أين جئت قال من ورائى قال وأين تريد قال أمامى قال وعلام جئت قال على فرسى قال وفيم جئت قال فى ثيابى قال أتأذن لى أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من ارزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمى قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسى هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أثره منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ما سألتنى عنه فتركه الاعرابى وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ما وراءك يا غضبان قال الشر تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث فى أمره فلم يلبث الا قليلا ثم اسر ابن الاشعث

الكفار

الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة والشجعان وحمى الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف فى الكافرين واستؤصلوا أجمعين الامن استرق من أصاغرهم وفدى من أعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب فى منحة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين المجاهدين فى نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدا الافك انتهى وليت طليطلة البائسة استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل والله سبحانه المرجو فى الادالة (وقال) ابن اليسع أخذ العدو مدينة تطيلة وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمر بلنسية الى الفقيه القاضى أبى أحمد بن جحاف قاضيها صيرها الامير المسلمين يوسف بن تاشفين فحصر بها القادر بن ذى النون الذى مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضى فى لمة من المرابطين وقتله ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتد بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفى أثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذاريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى ابن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد فى جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان فى عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القنبيطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل فى التى قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا فتح حصار القنبيطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مزدلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولى جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة فى المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا الابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بنى عبد المؤمن الى أن ولى عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبى عبد الله بن أبى حفص ابن أمير المسلمين

فاخذ الغضبان فيمن أسر فلما أدخل على الحجاج قال ياغضبان كيف رأيت بلاد كرمان قال أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لا أرى الامير أصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد والقى فى السجن فأقام به حتى بنى الحجاج خضراء واسط فلما استتم بناؤها جلس فى صحنها وقال كيف ترون قبتى هذه قالوا ما بنى لخالق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبرى به قالوا والله ما نرى بها عيبا فأمر باحضار الغضبان فأتى به يرسف فى قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أراك يا غضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتى هذه قال أرى قبة ما بنى لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان امننى الامير اخبرته به قال قل آمنا قال بنيت فى غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم فيما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال أصلح الله الامير ان

الحديد قد أكل يحيى ويرى كذا لدمقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المنقرى) عن عبد الله بن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جبنت يا غضبان بل ننتظر رسيرته فان رأينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة أيام

عظمى فقال احملوه فلما استقل به الرجال قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما

عبد المؤمن بن علي فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتز وأظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه في الدفاع عن بلنسية الامير زيان ابن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش فأخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكبا دونها من جاراها وهي

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا * للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة * يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة * تثنى الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة * ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادي العابثات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثاني أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدي الربيع لها * ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النضر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر وا حربا * عيث الربا في مغانيها التي كبسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الاسد الضاري لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جليناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى * ادراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحي ما طمست منها العداة كما * أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بامر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كتب التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لاترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الامير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذى ترجى السعود له * ماجال فى خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضى العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كانه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت * وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته * وأنشرت من وجود الجود ما رمسا
مبارك هديه باد سكينته * ما قام الا الى حسنى وما جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته * فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل * فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل * حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لاتلفى به صيدا * ورب اشوس لاتلقى له شوسا
الى الملائك ينمى والملوك معا * فى نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره * وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * أعز من خطتيه ما سما ورسا
حسب الذى باع فى الاخطار يركبها * اليه محياه ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ ألقى بحضرته * عصاه محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما * وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا * آماله ومن العذب المعين حسا
كأنما يمتطى واليمن يصحبه * من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرته * من صفحة فاض منها النور وانعكسا

بلغته مقالته وأمر به فأقام فى حبسه ثلاث سنين حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم اصلح الله الامير ينبغى أن يعرف هذا من كان فى أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بذاء أهل الشراب قال وأين هذا قيل فى حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيبانى فاحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لاهل الكوفة يتغدون بى قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شئ منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتى عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثديها واتسعت راحتها ونحنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما قعيد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدى كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين

القرم ويروين الظما ن وأما ذوات الاحلام فبنات خمس و ثلاثين الى الاربعين فتلك التى بنسه

وقبل الجود طفا ما غوار به * من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
يا أيها الملك المنصور أنت لها * عليا توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء أنك من * يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطأطئ رأساكل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهى الدار قد نهكت * داء متى لم تباشر حسمها انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها * جردا سلاهب أو خطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الاعادى قد أتى وعسا

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم فى هوة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمعارضتها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصرانى على أن يسلمهم فى أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام * وكانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة ويقال قتندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو على الصدفى السابق الذكر وقرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غير واحد ان العسكر انصرف مفلولا الى بلنسية وان القاضى أبا بكر بن العربى كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه يعنى انه ذهب جميع ماله يه * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبى محمد البياسى فى الفتنة التى كانت بينه وبين العادل فما توافيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتى * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدى عن أبى عبد الله بن سعادة الشاطبى المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه فى النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه فى عضديه من خلفه وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لا تنم * فلله فى ذا الخلق أمر قد انهم
فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم * فقد أحد ثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا فى سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية فى سنة

كأنفس الحسالب الناقة فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرنى بشر النساء قال أصلح الله الامير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة فى نساء الحى التى اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها التى فى بطنها جارية ويتبعها جارية وفى حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فأخبرنى بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التى فى بطنها غلام وفى حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرنى بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود فى حرم الحى الذى اذا سقط لاحداهن دلو فى بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يحز ينه الخير او يقان عافى الله فلانا قال على هذا لعنة الله فأخبرنى بخير الرجال قال خيرهم الذى يقول فيه الشماخ التغلبى

فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج

اثنتين

اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ في كتاب التكملة له * وفي وقعة المرية هذه استشهد الرشاطي الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الرشاطي المريي وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار في نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه واحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب ابي سعد بن السمعاني الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطي سنة ٤٦٦ بقرية من اعمال مرسية يقال لها اوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفي شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٥ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطي بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر هو أن احد اجداده كان في جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطه وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطي انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى * وبعد اخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدي اهل الاسلام سنين وكان اول الولاة عليها حين استولى عليها امير المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه اهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم الرميمي فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا واحصي عدد من سبي من ابكارها فكان اربعة عشر الفا * وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السليطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له اني أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لي قل فذكرته له فقال لي اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا شيء وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبي الربيع الكلاعي رحمهم الله تعالى ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنش الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية في دخلة عبد المؤمن لجبانة فاختلت بقصره واعتنت بأخيها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها في مدة بني عبد المؤمن في المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك افريقية أبي زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الاندلس على مأمون بني عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام في المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي يحيى بن الرميمي وجده أبو يحيى هو الذي أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل امره معه الى ان اغراه بأن يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبني ذلك عدة

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فامر له بها وخلى سبيله (المنقري) عن محمد بن السري عن هشام بن محمد ابن السائب عن أبي عبد الله النخعي قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف اهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير ابن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمي أصلح الله الامير نحن أوسع منهم برية وأسرع منهم في السرية وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وباسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج أصلح الله أمير المؤمنين اني بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فعجوز شمطاء دفراء بخراء أوتيت من كل حلي وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلي لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقري) عن عمر بن الحباب الباهلي عن اسمعيل

لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمي بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمي فتغدى به قبل ان يتعشى به واخرج من قصره ميتا و وجهه في تابوت الى مرسية في البحر واستبد ابن الرميمي بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد احوال الى ان تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة و بقيت في يد اولاده بعده الى ان اخذها العدو الكافر عندما طوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على امره * وما احسن قول ابي اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي في هزيمة العقاب باشبيلية

وقائلة اراك تطيل فكرا * كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر في عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب
فما في ارض اندلس مقام * وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد ابي بكر ابن الامير ملك شلب ابي محمد عبد الله ابن وزير ها يخاطب منصور بني عبد المؤمن وقد التقى هو واصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بني عبد المؤمن مدينة قصر أبي دانس في الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم أنه يروم القيام عليه ومن شعره قوله في ابن صاحب أعمال اشبيلية

لا تيأسن من الخلافة بعدما * ولي ابن عمرو خطة الاشراف
تبا لدهر هذه أفعاله * يضع النوافع في يدي كناف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهي قاعدة بلاد الجوف في مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هي مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكر المظفري خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله ما يمنعني من اظهار الشعر الا كوني لا أقول مثل قول أبي العشائر بن حمدان

أقرأت منه ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبي فراس ابن عمه

ابن خالد قال سمعت الشعبي يقول سمعت الحجاج يقول بكلام ماسبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الاجل (المنقري) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصغير بكرمان قال ائتوني برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشي فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الجرشي قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال مارجا وأمن ماخاف قال فكيف فاتكم قطري قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فايهم أفضل قال ذلك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال اني ارى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لا يدري أين طرفاها قال ابن هم من ابيهم قال فضله عليهم

وجدنا

وجدنا العوالي في مقام * تحدث عنه ربات الحجال
كأن الخيل تعلم من عليها * ففي بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولي

أنفت من المدام لان عقلي * أعز على من أنس المدام
ولم أرغم الى روض وزهر * ولكن للعمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغي الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

بالحظ يزد فتورا * تزد على اقتدارا
فالعظ كالسيف أمضا * مابرق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الاداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازي وقيل انها وجدت برقعة في جيبه يوم موته

الروم تضرب في البلاد وتغنم * والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم
وذووا التعين ليس فيهم مسلم * الا معين في الفساد مسلم
أسفي على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حيا ضربت عنقه *وهذا الفازازي أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبي زيد عبد الرحمن الفازازي صاحب الامداح في سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرظ وشنف فقد طاع القلم لبنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية وأخبارا ووحيد نسجه رويّة وابتكارا وفريد وقته خبرا وأخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم وروائع الوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشا أنشا ووشى سائل الطبع عذب النبع له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات خلا سحرا ورفع للقوافي راية استظهار تخير فيها الاظهر فخمس وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول فهي من فروعه في متفرق منظومه ومنثور مجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففي تاريخه الاواخر والاول وقد سبك من هذه العلوم في منثوره وموزونه ما يشهد باضافتها الى فنونه وله سماع في الحديث وروايه وفهم بقوانينه ودرايه سمع من أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي وهو آخر من حدث عنه ومن أبي عبد الله

الفضل وكانوا معه والى يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما ارى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير ابن الخطفي فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالب به فقالت للحجاج أتأذن لجرير على يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت يا ابن الخطفي أنشدني ما شببت به في النساء فقال لها ما شببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الى من النساء قالت يا عدو الله وأين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام

ـرت الهموم فبتّ غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام قال ماقلت هذا ولكني أنا الذي أقول

التعيبي كثيرا وهو أول من حدث عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السلفي اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلي وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبي عمران التينملي فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى وقال المخزومي في تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين ان أميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية أحد أعيانها وواليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة بحرية وقطعة حربية فعلم بها والي طرطوشة فجهز اليها من أخذها فعظم ذلك على الوالي وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤما ووقع بينه وبين الروم وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مشطعا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده في عدة قطع اليه حتى نزل في مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المشطع فقاتله وأخذه وظن أنه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وأن الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من اهل البلاد وجهز في البحر ستة عشر ألفا وشرط عليها حمل السلاح * وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك في شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه باربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيري ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيري فأخبروه بما نزل وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوفه في أهوال ومن أمر العدو في اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالي وأخبره بان الروم قد أقبلت وانه عد فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كأنما نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر بان العدو قرب من البلد فانهم عدوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول فباتوا على المرسى في الرجل والخيل وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزنية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيري أن العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر

لقد جرد الحجاج للحق سيفه
ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
وما يستوي داعي الضلالة والهدى
ولا حجة الخصمين حق وباطل
قالت دع عنك هذا أين قولك
خليلي لا تستغزرا الدمع في هند
أعيذكما بالله أن تجدا وجدي
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه
كذي فرية يرجو هداها وما يجدي
قال لها ماقلت هذا ولكني أنا الذي أقول
ومن يأمن الحجاج أما عقابه
فمر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق
كما كل ذي بر عليك شفيق
قالت دع عنك هذا فأين قولك
ماعاذلي دع الملامة واقصرا
طال الهوى وأطلتما التفنيدا
اني وجدت ولو أردت زيادة
في الحب عندي ما وجدت مزيدا
فقال باطل أصلحك الله
ولكني أنا الذي أقول

من سد مطلع النفاق عليهم * أم من يصول كصولة الحجاج

قاتلوا

قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالي وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيري فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل ومازال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجده من آل جبلة بن الايهم الغساني وأما الحصون فاخذت في آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفي شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ماذكره ابن عميرة المخزومي ملخصا * وكان بميورقة جماعة أعلام وشعراء ومن شعر ابن عبد الولي الميورقي

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران

مهجتي منك في جحيم ولكن * جفوني قد متعت في جنان

فتنتني لواحظ ساحرات * است أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة في التاريخ المتقدم ثار بجزيرة منيورقة وهي قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي وكان واليها من قبل الوالي أبي يحيى المقتول وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن علي بن سعيد أخبرني أحد من اجتمع به أنه لقي منه مراجب اليه الاقامة في تلك الجزيرة المنقطعة وذكر أنه ركب معه فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد أثرت في عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهي جيد حاملها * لاسيما يوم اسراع وانجاز

وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لحسم عاتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق * وأصل أبي عثمان من مدينة طابيرة من غرب الاندلس وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح الشعر وروح الشعر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة في آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء لاربع خلون من رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من بشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والي مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وحصر العدو اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان لاسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أونحوها * وقال ابن الابار في ترجمة أبي علي الشلوبين من التكملة لما صورته وتوفي بين يدي منازلة الروم اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفي العام القابل ملكها الروم

أم من يغار على النساء حفيظة

اذ لا يثقن بغيرة الازواج

هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا

برح الخفاء وليس حيث يفاجي

فلرب نا كث بيعتين تركته وخضاب لحيته دم الاوداج

فقال الحجاج يا عدو الله تحرض على النساء فقال لا والذي أكرمك أيها الامير ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتي هذه وما علمت بمكانك فاقلني جعلني الله فداك قال قد فعلت فأمرت له هند بجارية وكسوة وأوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم ابن الاشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى باسير الا ضرب عنقه فاتى باسرى كثيرة وكان أول من أتى به اعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدي ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه أنت القائل

من مبلغ الحجاج أني قد جنيت عليه حربا

ووضعت في كف امرئ جلدا ماله لا مرعى

انتهى * وكانت وقعة أنيجة التي قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس العشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألما بأشلاء العلا والمكارم * تقد بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع غصت بالطلى والجماجم
نحيي وجوها في الجنان وجيهة * بما لقيت حمرا وجوه الملاحم
وهي طويلة ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * ووافى صباح للرشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته منون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
وآلمني وخط المشيب بلمتي * فخطت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح فودي أو فؤادي كلما * تزيد شيبي كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فما لي عراني للمشيب جنون
وقالوا أتحالك الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون
وقال أيضا

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو إلا وجهك الدائم الذي * أقل حلى علياه يخرس القولا
تبرأت من حولي اليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهب لي الرضا ما لي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطيبا ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا وروى عن أبي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم في الحديث والاربعون عن أربعين شيخا لاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث

أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا * فابعث عطية بالخيول يكبهن عليه كبا
وانهض هديت لعله
يجلي بك الرحمن كربا
نبئت أن بني يو
سف خر من زلق فتبا
وهي أبيات وأنت القائل
شطت نوى من داره الايوان
ايوان كسرى من قوى
الريحان
من عاشق أمسى بزابلستان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب
ثان
أمكن ربي من ثقيف
همدان
يوما من الليل يسلي ما كان
وأنت القائل
وسائلتما في المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ
بخ لوالده وللمولود
قال لا ولكني الذي أقول
أبى الله الا أن يتمم نوره
ويطفئ نور الفاسقين
فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
بما نقضوا العهد الوثيق
المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة
وضلالة
من القول لم يصعد الى ذروة
العدا
قال لسنا نحمدك على
هذا القول انما قلته
تأسفا على أن لا تكون ظفرت وظهرت وتحريضا لاصحابك وليس عن هذا اسألتك أخبرني عن قولك

الصدفي وحلية الامالي في الموافقات والعوالي وتحفة الوارد ونجعة الوراد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخاري الامام والمعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل ومجازفة اللحن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان احسن وله كتاب الصحف المنشره في القطع المعشره وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حل في نجد * وماذا الذي يغني حنيني أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقي اليهم * ووجدي فساوى ما أجن الذي أبدي
وضاقت على الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فياسرحتي نجد نداء متيم * له ابدا شوق الى سرحتي نجد
ظمئت فهل طل يبرد لوعتي * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدي
ويازمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالي نجني الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان باكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سري ممجد * ولا كابن ادريس أخي البشر والمجد
أخو همة كالزهر في بعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أبا راحلا أودى بصبري رحيله * وفل من عزمي وثلم من حدي
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مذ نأيتم ما يعيد ولا يبدي
فياليت شعري هل تعود لنا المنى * وعيشا كما نمنمت حاشيتي برد
عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيبدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين

أمكن ربي من ثقيف همدان * يوما من الليل يسلي ما كان فكيف ترى الله أمكن ثقيفا من همدان ولم يمكن همدان من ثقيف وعن قولك بين الاشج وبين قيس باذخ

بخ لوالدة وللمولود والله لا تبخبخ لاحد بعدها وأمر به فضربت عنقه ولم يزل يؤتى برجل رجل حتى أتى برجل من بني عامر وكان من فرسان الحجاج مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ما ذلك لك قال ولم قال لان الله يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فأثخنت وأسرت فأثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذي خلفك لم يكفر وخلفه رجل من السكون قال السكوني أعن نفسي تخادعني بل والله لو كان شئ اشد من الكفر لبؤت به فخلى سبيله فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار وما لم نورده في هذا الكتاب في كتابينا أخبار الزمان

وخمسمائة فجاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيرا وان لم يبلغ ماحـدوده فقلت للوالى والمولى عليه هـذا عدوّ الله قـد حصل فى الشرك والشبكه فلتـكن عندكم بركه ولتـكن منـكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركه فليخرج اليه جميع الناس حتى لايبقى منهـم أحد فى جميع الاقطار فيحاط بهـم فانه هالك لامحالة وان يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت بالمعاصى القلوب وصار كل أحد من الناس ثعلبا ياوى الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وأنا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * ولاخفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها مماقـد مناذكره والبـدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

أبت غـيرماء بالنخيل ورودا * وهـامت به عذب الجمـام برودا
وقالت لحاديهـا أتم زيارة * عـلى العشر فى وردى له فازيدا
غلبتـك ماهـذا القنوع وبا أنا * عهـدتك لاتثنين عنـه وريدا
أتونا اذا ما كنت منـه قريبـة * وضـبا اذا ما كان عنك بعيدا
ردى حضرة الملك الظليل رواقه * لعمرى ففيهـا تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضـله * جميع البرايا مبـدئا ومعيدا
أعاد اليهـا الانس بعـد شروده * وأحيا النـا ما كان منـه أبيـدا
ولـين أيام الزمان بعـدله * وكانت حديدا فى الخطوب حديدا
فـلا ليـلة الا ويروقك حسـنهـا * ولا يوم الا عاد يفضل عيـدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

ألا ليت شـعرى هل يمـد لى المدى * فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضى فى النصارى بنصرة * تغادرهـم للرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * يعـد عميد الكافرين عميدا
ويلقى عـلى افرنجهم عبء كلكل * فيترَكهم فوق الصعيد همودا
يغادرهـم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتـك من أيدى الطغاة نواعمـا * تبـدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالمـا * سحبن من الوشى الرقيق برودا
وغـبر منهـن التراب ترائبـا * وخـدد منهن الهجير خدودا
فحق لدمـعى أن يفيض لازرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقـد الاليم نهودا
ويا أسـفى ماان يزال مرددا * عـلى شمل أعياد أعيـد بديدا
وآهـا بمـد الصوت منتحبا على * خلوّ ديار لو يكـون مفيـدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليـه من نظـامى قـلادة * يلقبها أهـل الكلام قصيدا

كتابنا هذا تاليه وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الحجاج لمعا على حسب والاوسط التالى له الذى ماقدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

(ذكر أيام الوليد بن عبد الملك)

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بابى العباس

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه)

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو وبشر والعالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب مارتبها وكان نقش خاتمه ياوليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب الفص فقرأ انك ميت فيقول لااله الا الله لاخالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما

غـــدت يوم انشاد القريض وحيدة * كما قصدت في المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن وبنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولي بعده ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفي صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فمرض فمات وشرع السلطان يوسف في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وأغارت سراياه على طليطلة اذهي قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء في عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة * ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبي حفص

نادتك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها * من عاطفاتك ما يقي حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * ترد علي أعقابها أرزاءها
هي دارك القصوى أوت لايالة * ضمنت لها مع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لابقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها * لما رأت أبصارهم ماساءها
دفعوا الابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضت * سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لابقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد بأرشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها * فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها * ترجو بيحيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتى لعقائل معقولة * سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفي ذكراك ما * يمري الشؤون دماءها لاماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شب الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعر من * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها * وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبي مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها * فيخاله الرائي اليه مساءها

الاموال الجليلة وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد في حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب في أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقي من يسير أجلك لزهدت فيما بقي من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد ربنا الله لانعبد الا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج

ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت ترجع نوحها وبكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة * منها تمد عليهم أفياءها
أملت لهم فتعجلوا ما أملوا * أيامهم لا سوّغوا املاءها
بعدا لنفس أبصرت اسلاءها * فتوكفت عن حزبها اسلاءها
أما العلوج فقد أحالوا حالها * فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كره ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة * فمتى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات في نظر الامارة كفءها * تخشاه ليت الشرك كان كفاءها
مولاي هالك معادة أنباءها * لتنيل منك معادة أبناءها
جرّد ظباك لمحو آثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها
لا غرو أن يعزى الظهور لملة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما أمرت بغزوها أحياءها
تالله لو دبت لها أدبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها
ولو استقلت عوفها القالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجئك بصيدها * صيدا وناد لطعنها أرحاءها
هبوا لها يا معشر التوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التي * لا يرهب الداعي بهن خلاءها
هي نكتة المحيا فخيم لابها * تجدوا سناها في غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغي على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشا كمو أن تضمروا الغاءها * في أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وافوا الصريخ مثوّبا يدعو لها * فلتعملوا اقصد الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذي رسائلها تناجي بالتي * وقفت عليها برها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب للنهى * من كائنات حملت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتني * آلاءها أو تجتلي آراءها
مستسقيات من غيوث غياثها * ما وقعه يتقدم استسقاءها
قد أمنت في سبلها أهواءها * اذ سوّغت في ظلها أهواءها
وبحسبها أن الامير المرتضى * مترقب بفتوحها آناءها
في الله ما ينويه من ادراكها * بكلاءة يفدى أبي اكلاءها
بشرى لاندلس تحب لقاءه * ويحب في ذات الاله لقاءها

بن يوسف على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة
قوس عربية فقال له
الوليد اركب يا أبا محمد
قال دعني يا أمير المؤمنين
استكثر من الجهاد فان
ابن الزبير وابن الاشعث
شغلاني عنك فعزم عليه
الوليد حتى ركب ودخل
الوليد داره وتفضل في
غلالة ثم أذن للحجاج
فدخل عليه في حالة تلك
وأطال الجلوس عنده فبينما
هو يحادثه اذ جاءت جارية
فسارت الوليد ومضت ثم
عادت فسارته ثم انصرفت
فقال الوليد للحجاج أتدري
ما قالت هذه يا أبا محمد قال
لا والله قال بعثتها الى ابنة
عمي أم البنين بنت عبد العزيز
تقول ما مجالستك لهذا
الاعرابي المتسلح في السلاح
وأنت في غلالة فارسلت
اليها انه الحجاج فراعها
ذلك وقالت والله ما أحب
أن يخلو بك وقد قتل
الخلق فقال الحجاج يا أمير
المؤمنين دع عنك مفاكهة
النساء بزخرف القول فانما
المرأة ريحانة وليست
بقهرمانة فلا تطلعهن
على سرك ولا مكايدة
عدوك ولا تطمعهن في غير
أنفسهن ولا تشغلهن
بأكثر من زينتهن واياك
ومشاورتهن في الامور فان
رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من

صدق

صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفي ضناها أو يعيد رواءها
ان دوّخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بفيلقه العرمرم فالقا * هام الاعاجم ناسفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعدم الزمن انتصارا ومؤيد * تتسوغ الدنيا به سراءها
ملك أمد الناصرين بنوره * وأفاده لألاءه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * فسما اليها حاملا أعباءها
سل دعوة المهدي عن آثاره * تنبيك أن ظباه قن ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له في قده امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهداه شرف وسمه أسماءها
تطمو بتونسها بحار جيوشه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والارض طرا ضنكها وفضاءها
ما أزمع الايغال في اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلاء شماءها
ردت سعادته على أدراجها * ليل الزمان ونبهت علداءها
ان يعتم الدول الغزيرة بأسه * فالآن يولي جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس راسخ * فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود في عصف الرياح وقصفها * لا رهوها يخشى ولا هوجاءها
سامي الذوائب في أعز ذؤابة * أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسقى عمائرها وجاد قواءها
يمميه عبد الواحد الارضي الى * عليا فتجنح بأسها وسخاءها
في نبعة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت * امرادقات فخارها جوزاءها
فئة كرام لا تكف عن الوغى * حتى تصرع حولها أكفاءها
وتكب في نار القرى فوق الذرا * من عزة الويها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلائق * فثنت اليهم حمدها وثناءها
ينضون في طلب النفائس أنفسا * حسبوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * أبصرت فيهم قطعها ومضاءها
لا عذر عند المكرمات لهم متى * لم يستبن لعفاتكم عذراءها
قوم الامير فمن يقوم بما لهم * من صالحات أفحمت شعراءها

لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين أحب ان تأمره غدا بالتسليم على فقال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين فقال لابد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له فاقرته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بامير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت أذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ

يطول على ليلى رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثأر الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبي وامتحان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات المخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بأنحسنا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل فى خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول * على نبأ كما عمي البصير
تجاذبنا الاعادي باصطناع * فينجذب المخول والفقير
فباق فى الديانة تحت خزى * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير
كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيعجبنا البكور
وظل وارف وخرير ماء * فلا قر هناك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طرى * ويشرب من جداولها غدير
يؤدى مغرم فى كل شهر * ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بنا وهم الموالى والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن * غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يالله ماذا * رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه * فما ينفى الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا فى فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أنعمى عن مراشدنا جميعا * وما ان منهم الا بصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت حمير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا * ولكن ما لنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عدد كثير

وأشار بالمصراع الثانى الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبى) وغيره من الاخباريين ان عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه انشأ يقول
كم عائد رجلا وليس يعوده
الا لينظر هل يراه يموت
وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال يا هذا أحنين الحمامة اذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفى غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وأفضل فى المعاد وهى أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والبغى والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين يا بنى أخوكم مسلمة نابكم الذى تفترون عنه ومجنكم الذى تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا

الا رجل له رأي أصيل * به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ما هذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
أذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تنخسف البدور
يوسع للذي يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جيرة اذ لا مجير
قليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الاديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في ارم * وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان

أبرارا وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام وسأله بعض شيوخ بني أمية وقد فرغ من وصية أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات في أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك في سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فاني نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت في الحسب أو في كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب في الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك

على

علی دیار من الاسلام خالیة * قد أقفرت ولها بالکفر عمران
حیث المساجد قد صارت کنائس ما * فیهن الا نواقیس وصلبان
حتی المحاریب تبکی وهی جامدة * حتی المنابر ترثی وهی عیدان
یاغافلا وله فی الدهر موعظة * ان کنت فی سنة فالدهر یقظان
وماشیا مرحا یلهیه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصیبة أنست ماتقدمها * ومالها مع طول الدهر نسیان
یاراکبین عتاق الخیل ضامرة * کانها فی مجال السبق عقبان
وحاملین سیوف الهند مرهفة * کانها فی ظلام النقع نیران
و راتعین وراء البحر فی دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندکم نبأ من أهل اندلس * فقد سری بحدیث القوم رکبان
کم یستغیث بنا المستضعفون وهم * قتلی وأسری فما یهتز انسان
ماذا التقاطع فی الاسلام بینکم * وأنتم یاعباد الله اخوان
ألا نفوس أبیات لها همم * أما علی الخیر أنصار وأعوان
یامن لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم کفر وطغیان
بالامس کانوا ملوکا فی منازلهم * والیوم هم فی بلاد الکفر عبدان
فلو تراهم حیاری لادلیل لهم * علیهم من ثیاب الذل ألوان
ولو رأیت بکاهم عند بیعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
یارب أم وطفل حیل بینهما * کما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * کانما هی یاقوت ومرجان
یقودها العلج للمکروه مکرهة * والعین باکیة والقلب حیران
لمثل هذا یذوب القلب من کمد * ان کان فی القلب اسلام وایمان

انتهت القصیدة الفریدة ویوجد بایدی بعض الناس زیادات فیها ذکر غرناطة وبسطة وغیرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شریف وما اعتمدته منها نقلته من خط من یوثق به علی ما کتبته ومن له أدنی ذوق علم أن مایزیدون فیها من الابیات لیست تقاربها فی البلاغة وغالب ظنی أن تلك الزیادة لما أخذت غرناطة وجمیع بلاد الاندلس اذ کان أهلها یستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فکأن بعضهم لما أعجبته قصیدة صالح بن شریف زاد فیها تلك الزیادات وقد بینت ذلك فی أزهار الریاض فلیراجع وصالح بن شریف الرندی صاحب القصیدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بدیع نظمه قوله

سلم علی الحی بذات العرار * وحی من أجل الحبیب الدیار
وخل من لام علی حبهم * فما علی العشاق فی الذل عار
ولا تقصر فی اغتنام المنی * فما لیالی الانس الاقصار
وانما العیش لمن رامه * نفس تداری وکؤس تدار
وروحه الراح وریحانه * فی طیبه بالوصل أو بالعقار

محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم فاسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الاباعتراض الشك بین جوانحی والا فهذه الصورة الجمیلة والهیئة المنیرة لا تکون الا فی نبی أو عترة نبی وذکر أن معاویة وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من یتعرف له خبره فانصرف الیه فاعلمه انه قسمها فی سماره واخوانه حصصا بالسویة وأبقی لنفسه مثل نصیب أحدهم فقال معاویة ان ذلك لیسوءنی و یسرنی فاما الذی یسرنی فان عبد مناف والده وأما الذی یسوءنی فقرابته من ابی تراب (قال المسعودی) وقد قدمنا خبر مقتل ابنی عبید الله فیما سلف من هذا الکتاب وهما عبد الرحمن وقثم وما رثتهما به أمهما أم حکیم جویریة بنت قارط بن خالد الکنانیة وقد کان عبید الله بن العباس دخل یوما علی معاویة وعنده قاتلهما بسر بن أرطاة العامری فقال له عبید الله أیها الشیخ أنت قاتل الصبیین قال نعم قال والله لوددت أن الارض انبتتنی عندك یومئذ فقال له بسر فقد انبتتك الساعة فقال عبید الله ألا سیف فقال بسر هاك سیفی فلما هوی عبید الله الی السیف لیتناوله قبض

لا صبر للشئ على ضده * والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية للمنى * فى رقة الدمع ولون النضار
مما أبو دبق أباريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معللي والبرء من علتي * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التى شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبى وان عذبت فى حبه * يبعده على اقتراب المزار
ظبى غرير نام عن لوعتى * ولا أذوق النوم الاغرار
ذو وجنة كأنها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
رجعت للصبوة فى حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا بذمام الهوى * أهكذا يفعل حب الصغار
وليلة نبهت أجفانها * والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى * والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى السها خيفة * وطولب النجم بثار فثار
كذلك ما شابت نواصى الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفى الثريا قمر سافر * عن غرة غيرها السفار
كأن عنقود اتثنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار
كأنها تسبك ديناره * وكفها يفتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها فجار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غنى من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبى عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له فى كل معنى يشار
أما المعالى فهو قطب لها * والقطب لاشك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلا * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم وساداتها * وتنتمى قيس له فى الفخار
يفيض من جود يديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * واليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر مما قد جنى فى اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد شكرناه نداه مرار
ونحن منه فى جوار العلا * تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله واسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضى أبو المطرف ابن عميرة المخزومى الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهى

قد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بنى هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بنى هاشم والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك قال عبيد الله ذلك والله أردت (وكان على عليه السلام) حين أتاه خبر قتل بشر لابنى عبيد الله قثم وعبد الرحمن دعا على بشر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل فى يديه زق منفوخ كلما تخرق أبدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيد الله وكان ربما شدت يداه الى وراء منعا من ذلك فأنجى ذات يوم فى مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال أنتم تمنعونى وعبد الرحمن وقثم يطعمانى ومات بشر فى أيام الوليد ابن عبد الملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلى وعتبة مهاجر وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل

ألا فتئة للدهر تدنو عن نأى * وبقيا يرى منها خلاف الذى رأى
ويا من عذيرى منه يعذر من أوى * اليه ولا يدرى سوى خلف من وأى
ذخائر ما فى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا يبقى عليه ولا وأى

أيها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن ادهش خاطرى من أغبابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوّم قدح نبعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغر بسة مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه وحياالله تعالى منه ولياعلى سالف عهد يتمادى وبشعار ودى نادى و بين والاحسان شيمته وأبان والبيان لا تحجب عنه ديمته ولا تغلو بغير قلمه قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر وجوم النادى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غره من الناجى برأس طمره ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعكرعكرمة المغطى بحلمه على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أحجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم فاعتذر عما قال واضمر الحذر الا أن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتظن منزلتك فى البلاغة ومهيعها الاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أوتخفى وان تلفعت عرفنا لك باسوده وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حين تهيب الاخ الاوحد من قصى غطارفها ولو استثار من حفائظها تالدها وطارفها لم يذ كريد قومه عند أبيها وقد رام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لهمه ودعا منكم اخاه لامه ولولا ذلك لما خلاله وجه الكعبه ولا خلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعزمتوه نجدتكم الموصوفه غلب على ما كان بادى صوفه فكيف نجحد اليد عند منا أو نشحذ أسنة الالسنة لذمنا أوكيف نلقا كم بجحدنا وأبوكم بكر معدنا ومانيا منكم الى سبأ بن يشجب وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتبا كنا والتحامنا بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولو شئتم توعدتم بأسود سؤدد كم عند الاقدام والحساح الحافكم فى ضرب الهام لكن نقول ان قومنا الكرام ولو شاؤا كان لنا فيكم شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أبثه شوقى واتطعم حلاوة عشرته باقية فى حاسة ذوقى طارحنى حديث مورد جف وقطين خف فبالله لاتراب درجوا وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هو القتل أو الاسر أو تسيروا وتفرقوا أيدى سبا وانتشروا ملء الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لا ترقأ من أجلها عبره داء خامر بلادنا حين أتاها وما زال بها حتى سجى على موتاها وشجا اليوم ها الاطول كهلها وفتاها وانذر بها فى القوم بحران أنجبه يوم أثاروا اسدها المهيجه فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب وباكورة البلاء المصبوب أشكلتنا اخوانا أبكانا نعيهم ولله أحوذيهم والمعيهم ذاك أبو ربيعنا

بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبى خيثمة قال سمعت ابن الاصبهانى يقول قال سفيان قال الزهرى كنت أظن انى نلت من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكانما هو البحر وفى سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير فذكر عون بن أبى راشد العبدى قال لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير واوصل اليه قال له ما اسمك قال اسمى سعيد بن جبير قال بل شقى بن كسير قال أبى كان أعلم باسمى منك قال لقد شقيت وشقى أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر يا شقى لنفسك فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فأمر به

الحجاج فاخرج ليقتل فلما ولى ضحك فامر الحجاج برده وساله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر

وشيخ جميعنا سعد بشهادة يومه ولم يرما يسوءه في أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الام بالمخنق وهي بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق ومالبث أن أخرس من مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء فاودت الحفة والحصافه وذهب الجسر والرصافه ومزقت الحلة والشمله وأوحشت الحرف والرمله ونزلت بالحارة وقعة الحره وحصلت الكنيسة من جآزرها وظباءها على طول الحسره فاين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشحوب معتلها دار ضاحكت الشمس بحرها وبحيرتها وأزهار ترى من ادمع الطل في أعينها ترددها وحيرتها ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها حتى احاطت بجزيرة شقرها فآها لمسقط الرأس هوى نجمه ولفادح الخطب سرى كلمه وبالجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق نعتها وانما كانت داره التي فيها دب وعلى أوصاف محاسنها أكب وفيها أتته منيته كما شاء وأحب ولم تعدم بعده محبين قشيبهم اليها ساقوه ودمعهم عليها أراقوه وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامي أو فقولوا وأكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر
وهل غير صب ماتني عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتحدر
يحن وما يجدي عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوى * وأين اللوى منه وأين المشقر
تغير ذاك العهد بعدي وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير
وأقفر رسم الدار الا بقية * لسائلها عن مثل حالي تخبر
فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعي لها تنقد أو تتفطر
والا اشتياق لا يزال يهزني * فلا غاية تدنو ولا هو يفتر
أقول لساري البرق في جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكي ويسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوى والشيء بالشيء يذكر
أتاوي لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر
وتحمل أنفاسا كومضك نارها * اذا رفعت تبدو لمن يتنور
يقر لعيني أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناي تبصر
وأن يتراآك الخليط الذين هم * بقلبي وان غابوا عن العين حضر
كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا وننفر
وأن كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب في حشاه تسعر
ألا ليت شعري والاماني ضلة * وقولي ألا يا ليت شعري تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهي جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر

به فذبح فاما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد ياقوم مالي ولسعيد بن جبير كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي واشتكى الوليد فبلغه عن أخيه سليمان تمن لموته لما له من العهد بعده فكتب اليه الوليد يعتب عليه الذي بلغه وكتب في كتابه هذه الابيات

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذي يرجو فنائي ويدعي * به قبل موتي أن يكون هو الردي
فما موت من قد مات قبلي بضائري * ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلدي
فقل للذي يرجو خلاف الذي مضى * تزود لأخرى غيرها فكأن قد
منيته تجري لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد

فاجابه سليمان فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال اني لأول وتلك

وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بما راق منها أو بما رق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هناك خطا لنا * الى اللهو لا نكبو ولا نتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قات قلب كتالة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * ويا حسنه مستقبلا حين يذعر
نقود اليه طائعا كل جارح * له مخبر رحب وخصر مضمر
اذا ما رمينا به عبثت به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لأروى النيق حزان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذلك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجيره وطى بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف ويطمئنها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذروة من أخلاها وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقبل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تأولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأما تدمير فخادعوها على المصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وما وراءها من الاصقاع التى باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفى ضمان القدرة الانتصاف من عدو عثا وعتا وانا لنرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على اليفاع نارها فهذه العمرية بتلك المنقبة اخلق والعدو لها أهيب ومنها أفرق وما يستوى نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ما ثبت وآخر علت سماؤه على اللمس ورسا ركنه فى الاسلام رسو قواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة فى خبر المسح جاءنا مثل الشمس والايام العمرية هى أم الوقائع المحكية ومن شاء عددها من اليرموكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هى زبدة حلاوتها وسجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفى الاسلام من دائه وتطهر الارض بنجس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآلائه راجعت سيدى مؤديا ما يجب أداؤه ومقتديا وما كل احد يحسن اقتداؤه وانما ناضلت نعليا وعهدى بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندى للمقال تقديم وأطعنه فى الجواب والقريحة يعلم الله تعالى نكول ووريى لولاحق المسئلة بطير الحوادث المرسلة عصف مأكول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ مودته وولاءه ومتع بخلته الكريمة أخلاءه بمنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت فى

لاحق به ومنسى الى أهله فهلام أتمنى زوال مدة لا يلبث متمنيها الا بقدر ما تحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات وقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

* فكتب اليه الوليد ما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا السائر ما أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها

انفوا الضغائن عنكم وعليكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد فى عمرى وان لم يمدد
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وترحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود

رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ما صورته وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها كما قال بعض أصحابنا ألان الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام وأخبرني شيخنا أبو بكر ان شيخه ابا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فاعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبي لهذه الرسالة رأيت أن اذكر رسالة الحافظ ابن الابار التي هذه جواب عنها وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهي سيدي وان وجم لها النادي وجمجم بها المنادي ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الاعلام وصدرها بوغر صدور الصحائف والاقلام واعيذ بحانة قريش ان تروح من حفيظتها في جيش قدها بتهامة او بركل حي واجابتها الغطاريف من قصي تداف بين يديها كتيبة خالد وتحلف لا قدحت نار الهيجاء بزند صالد أو تنتصف من غامطها وتقذف به وسط غطامطها لاجرم أني من جريمتي حذر وعما وضحت به قيمتي للعد معتذر الا أن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حلمه وأناته الحديث من القديم شجون والشأن بتقاضي الغريم شؤن فلا غرو أن أطارحه اياه وأفاتحه الامل في لقياه ومن لي بعقالة مستقله أو اخالة غير مخله أبت البلاغة الاعمادها ومع ذلك فسأنبئ عمادهي درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الى حيث الاعراب أيام دفعنا الاعظم الاخطار وفجعنا بالاوطان والاوطار فالام نداري برح الالم وحتام نساري النجم في الظلم جمع أوصاب ماله من انفضاض ومضض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ماضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به يدان وتناء قلما يسفر عن تدان وعد الجد العاثر لقاءه فأنجز ورام الجلد الصابر انقضاءه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنهم لايمتع به أوان وبينهم كنبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم في الثرى من كل صنديد بطل أو منطيق غير ذي خطا ولا خطل قامت عليه النوادب لما قعدت به النوائب وهجمت بيوتها المفناة الجماجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشب فيها بمحاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخنى عليها الذي أخنى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتثار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن

وأهاو واها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطفاحة وخمائلها أين جنائبها النفاحة وشمائلها شذ ما عطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لا حيلة في صرفهما مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الا رونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيرة شقرها فامرعذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت

ان القداح اذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش باليد عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يا بني عبد الملك أحسابكم صونوها ببذل أموالكم فما يبالي رجل ما قيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق ابن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاحرم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهي دانية وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام وانحائها ولهفاه ثم لهفاه على تدميروتلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص وواديها كلها رعي كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها وأثرها وتلك البيرة بصدد البوار وربة في مثل حلقة السوار ولا مرية في المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بها الاول ناطق بهات ماهذا النفخ بالمعمور اهو النفخ في الصور ام النفر عاريا من الحج المبرور ومالاندلس اصيبت بأشرافها ونقصت من اطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان اجنت مالم تجن الاصقاع اعقت الحق فحاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع في احصن جنه هذه المروانية مع اشتداد اركانها وامتداد سلطانها القت حب آل النبوّة في حبات القلوب والوت ماظفرت من خلعة ولاقلعة بمطلوب الى المرابطة باقاصي الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعري بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا اطالماضرضحر ومن الانباء مافيه مزدجر جرى بما لم نقدره المقدور فعسى ان ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم فحسبنا التفويض له والتسليم وياعجبا لبني الاصفر أنسيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر دعذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها محدقه وباحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت المرتقب والزمان الذى زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هي المنقذة من أسرها والمنفذة لسلطانها هام اسم نصرها فيتاح الاخذ بالثار ويزاح عن الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدى بمنار الفاجي الفاجع وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودى لو تقع في الارجاء مصاقبه فترفع من الازراء معاقبه ألبس لديه اسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور والمنظوم خيال يختر في اقتناع اياد وصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا يخاطر زياد بست الجبال الطوامح مالبست وأبوفتحها وغيضت البحار الطوافح فمن يعبأ بالركايا ومتحها أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمرو من قلمه الفاضل هذا مدرهها الذى فعل الافاعيل وأحدها الذى سما على ابراهيم واسمعيل وهما اماما الصناعه وهما ما البراعة واليراعة بهما افخر من نطق بالضاد وبسببهما حسدت الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى مدرعهم من المراح وشرف دونهم ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب الاسواء ولازال مكانه مجاوزا ذؤابة الجوزاء واحسانه مكافأ باحسن الجزاء والسلام * وقد عرفت بابن الابار في أزهار الرياض بما لامزيد عليه غير انى رأيت هنا أن أذكر فصولا مجموعة من كلامه في كتابه المسمى بدرر السمط في خبر السبط قال رحمه الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوّة والرساله وينابيع

ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة وأحصى من قتله صبرا سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردة وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه في الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ماهذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ماهم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات في تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودى) ووجدت في كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ماسلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت الا بشكرها وقد كان الحجاج تزوج الى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب حين أملق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان الخبر في ذلك وتهنئة ابن القرية الحجاج

السماحة والبسالة صفوة آل أبي طالب وسراة بنى لؤى بن غالب الذين جاءهم الروح الامين وحلاهم الكتاب المبين فقل فى قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم ماقدمن أديم آدم أطيب من أديمهم طينه ولا أخذت الارض أجمل من مساعيهم زينه لولاهم ماعبد الرحمن ولا عهد الايمان وعقد الامان ذؤابة غير أشابه فضاهم ماشانه نقص ولا شابه سراة محلتهم سر المطلوب وقرارة محبتهم حبات القلوب أذهب الله عنهم الرجس وشرف بخلقهم الجنس فان تميزوا فشريعتهم البيضاء أو تحيزوا فلعشيرتهم الحمراء من كل يعسوب الكتيبة منسوب لنجيب ونجيبه نجاره الكرم وداره الحرم غرة العرانين من هاشم أبى النسب الاصرح الاوضح الى نبعة فرعها فى السماء ومغرسها سرة الابطح أولئك السادة أحيى وافدى والشهادة بحبهم اوفى وأودى ومن يكتمها فانه آثم قلبه انتهى (فصل) ما كانت خديجة لتاتى بخداج ولا الزهراء لتلد الا ازاهر كالسراج مثل النخلة لا تاكل الا طيبا ولا تضع الا طيبا خلدت بنت خويلد ليزكو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو قبها على النجم الثاقب لم تجد بمثلها المهارى ولم تلده غيرها من المهارى آمنت من بعولتها قبله لتصل السعادة بحبلها حبله ملاك العمل خواتمه رب ربات حجال أنفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أحيها احزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم ركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبئ خاتم الانبياء وأنبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدى لم الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويزجى تلك المدة فى التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لا ينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالنجح وقد كان لا يرى رؤيا الاجاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تحبس له غطه ثم ارسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالى رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد علق فاتحة العلق فلا يجرى غيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا فى جنانه (فصل) ولما أصبح يؤم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجى بما فى الكتاب المسطور ونودى كما نودى موسى من جانب الطور فعرض له فى طريقه ماشغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك فى صورة رجل متمثلا يشرفه بالنداء ويعرفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم وأرى فى اليقظة مصداق ماأسمع فى النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد فى الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد أن يبدأ الوحى بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمع نداءه ووراءه وثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

بذلك وقد كان عبد الله بن الجعفة فى المسجد الجامع وهو يقول اللهم انك عودتنى عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عنى فلا تبقنى فمات فى تلك الجمعة وذلك فى أيام عبد الملك ابن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهى السنة التى كان بها السيل الجاف الذى بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفى هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشأم ومصر والجزيرة والحجاز وهى سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان فى السنة التى قبض فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمدائنى والعتبى وغيرهم من الاخباريين ان عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى

عودنى أن يفضل على
وعودته أن أفضل على

عباده فاكره ان أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عنى ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو ابن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل في الخوف والرجاء لا يقلب وجهه في السماء الا تعرض له في تلك الصوره وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق
أذود سواد الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فامعنت في التماسه تزوجوا الودود الولود ولفورها بل لفوزها بعثت في طلبه رسلها وابتغت تاخذ عليه شعاب مكة وسبلها * ان المحب اذا لم يستزر زارا * طال عليها الامد فطار اليها الكمد والمحب حقيقه من لا يفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفي وجود المحبوب الاشرف وجوده

كأن بلاد الله مالم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا دجى * لي الليل هزتني اليك المضاجع
لقد نبتت في القلب منك محبة * كما نبتت في الراحتين الاصابع

(فصل) وبعد لأي ماورد عليها وقعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح أركانه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بانه السابق لا المسبوق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومازالت حتى أزالت ما به من الغمه وقالت اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة

اني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

لا ترهب فسوف تبهر وسيبدو أمر الله تعالى ويظهر أنت الذي سجعت به الكهان ونزلت له من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذي ما حملت أخف منه حامل ودرت ببركته الشاة فاذا هي حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

(فصل) ومالبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطالبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف ويبحث عمن يبعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذي كان يأتي موسى فازدادت ايمانا وأقامت على ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد ودرت أن المجتهد لا يجوز له التقليد طلب العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها في ارتياد الاقناع والقي في روعها القاء الخمار والقناع فهنالك وضح لها البرهان وصح لها أن الآتي ملك لا شيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا * اذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

الى دمشق فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بني هاشم وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب فقال عمرو قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطرقات بالتغني آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله ابن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللغناء نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوي الى قليل ليت شعري بأي حسب تتناول أو بأي قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبر في الحكم وأبين في الفضل أن يكفك ابن أبي سفيان عن ولوعك باعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع في وجارها فلست لاعراضها بوفي ولا لأحسابها بكفي وقد أتيح لك ضيغم شرس للاقران مختلس وللارواح مفترس فهم عمرو أن يتكلم فمنعه معاويه من ذلك وقال عبد الله بن الحرث لا يبقى المرء الا على نفسه

*(فصـــل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصنعت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه مافتر الوحى بعدها ولا مطل الحق الحى وعدها وعد الله لا يخلف الله وعده دانت لحب ذى الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان لله كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لا ارفع الطرف حولى من مراقبة * بقى على وبعض الحزم فى الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت فى الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بما فى الشعب

لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

واها لها احتملت عض الحصار وما اطاقت فقد النبى المختار

يطول اليوم لا ألقاك فيه * وشهر نلتقى فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

أنت كل الناس عندى فاذا * غبت عن عينى لم الق أحد

مكنت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت فى بحبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خير نساء العالمين أربع *(فصل)* الى البتول سير بالشرف التالد وسبق الفخر بالام الكريمة والوالد حلت فى الجيل الجليل وتحلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لا تجد لها شبيها نثرة النبى وطلبة الوصى وذات الشرف المستوى على الامد القصى كل ولد الرسول درج فى حياته وحملت هى ماحملت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لا فرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم وزفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفو العارفة والمنه وولدا سيدى شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الفاخره بسيدى الدنيا والآخره ما أثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لا حيلة معها فى اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع وخاله وقال فى بعض صعلوك لا مال له نرفع درجات من نشاء *(فصل)

أتنتهب الايام افلاذ أحمد * وافلاذ من عاداهم تتودد
ويضحى ويظما أحمد وبناته * وبنت زياد وردها لا يصرد
أفى دينه فى أمنه فى بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد
وما الدين الا دين جدهم الذى * به أصدروا فى العالمين وأوردوا

انتهى ماسنح لى ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية فى بابه ولم أورد منه غير ما ذكرته لان فى الباقى ماتشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ما كنا بصدده فنقول قد ذكرنا فى الباب الثانى رسالة أبى المطرف بن عميرة الى أبى جعفر بن أمية وهى

والله ان لسانى لحديد وان جوابى لعتيد وان قولى لسديد وان انصارى لشهود فقام معاوية وتفرق القوم ولعبد الله بن جعفر بن أبى طالب أخبار حسان فى الجود والكرم وغير ذلك من المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يتذلل بذلك الى أبى طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطرى فكتب اليه أما بعد فانى أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكرى زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكرى زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكرى زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فاتاه فاحضره فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لا [illegible] فانهم * يرون المنايا دون [illegible] اوقتلى
فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا * فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك او مثلى

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين

مشتملة

مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقي من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام في ذكرها هنا فالمناسبة هنالك حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته حدثني الفقيه العدل سيدي حسن بن القائد الزعيم الافضل سيدي ابراهيم العراف انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه بولاة الحال دوار
وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذي ليس له في الحسن مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب وانثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه وكبرائه ومقدميه وقضاته وأمرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجر نارها لقرصه والنصارى لعنهم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد ويضربون عمرا منهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد قال الرئيس القاضي العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى في كتابه جنة الرضا في التسليم لما قدر الله تعالى وقضى ما صورته محل الحاجة منه ومن استقرأ التواريخ المنصوصة وأخبار الملوك المقصوصة علم أن النصارى دمرهم الله تعالى لم يدركوا في المسلمين ثارا ولم يرحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وأمصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة وتحريشهم بالكيد والحيلة بين حماتها في الفتن المبيرة ومهما كانت الكلمة مؤتلفة والآراء لا مفترقة ولا مختلفة والعلماء بعناية اتفاق القلوب الى الله مزدلفة فالحرب سجال ولله تعالى في اقامة الجهاد في سبيله رجال وللممانعة في غرض المدافعة ميدان رحب ومجال وروية وارتجال الى أن قال وتطاولت الايام ما بين مهادنة ومقاطعة ومضاربة ومقارعة ومنازلة ومنازعة وموافقة وممانعة ومحاربة وموادعة ولا أمل للطاغية الا في التمرس بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمجاهدين وهو يظهر انه ساع للوطن في العاقبة الحسنى وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى ومهتم بمراعاة أمورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسر حسوا في ارتغائه ويعمل الحيلة في التماس هلاك الوطن وابتغائه فتبا للعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب بوجه او بحال وايت المغرور الذي يقبل هذا وفكر في نفسه وعرض هذا المسموع على

وصدق البكري وكتب الى المهلب ان أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكري زيدا وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحرث بن كعب بنيه فأتى المهلب بوصيته فاذا فيها يا بني كونوا جميعا ولا تكونوا شتى فتفرقوا وبروا قبل أن تبروا فموت في قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكري والحرث بن كعب وكتب عبد الملك الى الحجاج جنبني دماء آل أبي طالب فاني رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لا خوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير أتيت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبريني عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مقل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون قال أي النساء تختارين تنزلين عندها قالت سمهن لي قال عندي هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصبت حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون من سواها (حدثنا) المنقري قال حدثنا العتبي عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولي الناس

مدركات حسه وراجع أوليات عقله وتجربيات حدسه وقاس عدوه الذي لاترجى مودته على أبناء جنسه فانا أناشده الله هل بات قط بصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من خطب طرقهم مغتما ونظر لهم نظر المفكر في العاقبة الحسنه أو قصد لهم قصد المدبر في المعيشة المستحسنه أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة أربابهم وصلبانهم أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجه منصفا عند قيام الحجه فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال وان عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبفعله ذا اهتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم فكيف نعتقد هذه المريبة الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده التثليث ودينه المليث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخة وقضيته المفسوخة وختامه التغطيس وغافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه لبس المبين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرج بالدماء وسقي الخل عوض الماء وأن اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وأنه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذره أو يطمع منهم في جلب المنفعة أو دفع المضره اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة فمن عقود فذة وسلوك جمة وأقراط تفضل على قرطي مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب في الاعجاب منسوبات الصفائح في الطبع خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس في يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبي الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب دباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التنضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ومن درق لمطية مصمتة المسام لينة المجسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسي ناصعة الصبغة هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زارية بالحواجب الى آلات فاخرة من أوتار نحاسية ومناير بلورية وطيافير دمشقية وسبحات زجاجية وصحاف صينية وأكواب عراقية وأقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لايحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك انتهبه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع)

ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل

فقال له أيها الامير لم لاتوليني بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لاتحسب ولا تكتب فغضب الاعرابي وقال بلى اني والله لأحسب منهم حسبا وأكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس فما زال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلاشئ كم هم أيها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وأنا أعطي الرابع منهم درهما من عندي وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أيكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم ولا مثل حساب هؤلاء الحضريين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان أهل أصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلأرمينهم ببدوية هذا وعنجهيته فأخلق به أن يغضب فيكتب له عهده على أصبهان فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغمروه وقالوا أعرابي بدوي ما يكون منه فلما أكثروا عليه قال اعفوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافي واخرجوا عني هذه الهيآت أما يشغلكم

الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعد اتساعه وصار تنين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بني الاحمر فلم يزالوا مع العدو في تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم وغيره بما أثخنوا في الكفار كما علم في أخبارهم وانتصروا على ملوك فاس بني مرين في بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبي العاصي والشيخ أبا عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى في الساعة التي كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت في ذلك كرامة لسيدي أبي عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى ثم ان بني الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد وجلاد في غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم الذي يلحق الدول فلما كان زمان السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاء به بعض القواد من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقي من بمالقة من القواد والرؤساء فوضى وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعد لذلك مجلسا أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة التي تليها وهو يوم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادي حدره بحجارة وماء غزير كأفواه القرب عقابا من الله سبحانه وتأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات وأضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فأنكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضا قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى

ما أخرجني له الأمير فلما أستقر في داره باصبهان جمع أهلها فقال مالكم تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جور من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذي فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضمناء يضمنون فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا أصابنا من الآفة ما نقص ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان في شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه في بدرة وختم عليها ثم قدم الثاني ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤس تبدر وتجعل في الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فاحضروه في أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعني جده ولد نجيب فكيف رأيتم فراستي في الاعرابي ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التيمي بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته

الاستيلاء على البلاد وذلك انه كان للسلطان أبى الحسن ولدان محمد و يوسف وهما من بنت عمه السلطان أبى عبد الله الايسر وكان قد اصطفى على امهما روميه كان لها منه بعض ذريه وكانت حظيه عنده مقدمة فى كل قضيه فخيف أن يقدم أولاد الروميه على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب لميل بعضهم الى أولاد الحرة و بعض الى أولاد الروميه وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لامد حدوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا القلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا فى أخذ البلد فملؤا الطرق خيلا ورجالا و بذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس فى غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بتمام أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عندما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسرعان من اهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا فى ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا فى منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفى الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا فى جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من فى الحامة من النصارى وعند ما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعدادوا الصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعندما أقلع المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون وتشاوروا فى اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى فى غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادى آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها * وفى جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى فى جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا فى ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من

يا أهل بلاء الله فى عافيته ويا أهل عافية ٦٠٨ الله فى بلائه اصبروا فنادوه جميعا لبيك لبيك ومات فى حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب ابراهيم النخعى فنجا ووقع ابراهيم التيمى (وحكى) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعى أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوّت انسان فكدت أطير

حدثنا الدمشقى الاموى أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحى وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحى عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أى النساء أحمد قال التى فى بطنها غلام وفى حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فاى النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أى النساء أعجب اليك قال الشقاء العطبول المنعاج الكسول التى لم يشنها قصر ولا طول قال فاى النساء أبغض اليك قال الرعينة القصيرة الباهق النمريرة قال فاخبرنى عن أفضل النساء قال الغضة البضة التى أعلاها قضيب وأسفلها كثيب الاعساء الورهاء التى لم تذهب طولا فى انحطاط ولا تلحق قصرا فى افراط الجعدة الغدائر الجشعة الظفائر

المدافع

المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفى هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقرا بوادى آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفى صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش فى نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب النقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا فى أوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم فى كل محل حتى بلغوا مالقة ففر كبيرهم ومن بقى أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن فى ذلك الوقت قد تحرك لنواحى المنكب وبقى أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى فى هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من جملتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب النقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها وأتى ابنه السلطان أبو عبد الله فى جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا فى موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بان عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو باهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك فى ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحى لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحى ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم فى جبال وأوعار فانكسر الجند واسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان فى جملة من اسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن يأخذه منه فهرب به ايلاو بلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سرية الا وبعثه فيها * ولما اسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا لمالقة للسلطان أبى الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان اصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر أمره قدم اخاه اباعبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فاقام بها الى أن مات واستقل أخوه ابو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن فهو فى اسر العدو * وفى شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو فى قوة الى نواحى مالقة بعد أن كان فى السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقصد ذكوان فهد أسوارها وكان بها جملة من اهل الغربية ورندة ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان

... ثم الطفلة البراجم اذا رأيت أناملها شبهتها بالمدارى واذا قامت خلتها سارية من السوارى فتلك تهيج المشتاق وتحيى العاشق بالعناق (قال المسعودى) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب مالم نورده فى ذينك الكتابين كما أن ماذكرناه فى الكتاب الاوسط لم نورده فى كتاب أخبار الزمان والله أعلم

(ذكر أيام سليمان بن عبد الملك)

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفى سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ماوجدنا من

فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل في جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وشنواها فحاصر رندة وهد اسوارها وخرج أهلها على الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربي مالقة الا من دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفي تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر جاء ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفي صبيحة الثاني والعشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق و قصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة في اثر هذه ولما رجعت اليهم الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله بالحصن ولم يحدث شئ بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهد أسواره ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدة حصون مثل مشافر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ما هو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها ودخلت بلش في طاعته ونودي بالصلح في الاسواق وصرخت به في تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة نفسها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام و بلغ الخبر أن السلطان الذي قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه و بين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة أو بأي المواضع أحب و يكونون يدا واحدة على عدو الدين و بينما هم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة وليهم وخاف أهل غرناطة وسواهم من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير

البيازين

تباين ما في كتب التواريخ والسير وسنذكر جمل أيامهم في باب نفرده فيما يرد من هذا الكتاب وقد تنوزع في مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء أعطى وما شاء منع وما شاء رفع وما شاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها تضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله

البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بان ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة فى ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد فى السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهى أعنى لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى فى غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقى السلطان أبو عبد الله الذى كان مأسورا مع النصرانى بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بانه ماجاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداءه وقيل انه سرح له حينئذ ابنه اذ كان مرهونا فى الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين فى ذلك وظهر بذلك ماكان كامنا فى القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور وفى نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهدم بعض الاسوار وتوعد الناس فاعطاه أهل الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى متن فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فاخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذى فى أسره بأن من دخل فى حكمه وتحت أمره فهو فى الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره امن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلهجوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا فى أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة فى القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فاتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فاتى البيازين ودخلها ونادى فى أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا بعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحمراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا فى الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخولا فشل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقواد من أهل بسطة ووادى آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على ان يدهم واحدة على أعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة فى

على أعمالهم وأقر خالد بن عبد الله القسرى على مكة وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثا منها انه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس فى الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

ياحبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتى تزاحمننا
عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد أما انهن لايزاحمنك بعدها أبدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى وفى أيامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشى جبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لايدخل عليه رجل من أهل بيته الا فى الوشى وكذلك عماله وأصحابه ومن فى داره وكان لباسه فى ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لايدخل عليه أحد من خدامه الا فى الوشى حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه فى صدره وشى وعلى رأسه طويلة وشى وأمر أن يكفن فى الوشى المثقلة وكان شبعه فى كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقى وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التى فيها الدجاج المشوية وعليه الوشى المثقلة فلنهمه وحرصه

ذلك فخرج بحملته قاصدا نواحي بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا في ايالته خوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا في الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم في هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها في ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فاشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذي عقدوه وأتى أهل وادي آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها في الرابع والعشرين لربيع الثاني من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للعملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولا حول ولا قوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادي آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا رتبوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التي بشرقي مالقة وحصن قارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا في الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذي كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فارة وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادي آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا وبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فني ما عندهم من الطعام فاكلوا المواشي والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون في الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا في أهل نجدتهم القتل ولم يظهروا مع ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى في الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التجاؤهم تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعامل كم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق في تلك النواحي موضع الا وملكه النصارى * وفي عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة

على الاكل يدخل يده في كمه حتى يقبض على الدجاجة وهي حارة فيفصلها وذكر الاصمعي قال ذكرت للرشيد نهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيد فقال قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم انه عرضت على جباب بني أمية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها في كمها أثر دهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث ثم قال على بجباب سليمان فأتى بها فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها جبة فكان الاصمعي ربما يخرج أحيانا فيها فيقول هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ وحكي انه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقري عن العتبي عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبني أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق وكان حافظا لأخبار بني أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته

وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليهما واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب واستولى على ما هنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدو بعماله بعث جميع جنده وقواده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شد الحصار وجد فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا فى الصلح على ما فعل غيرهم من الاماكن وظن العدو أن الطعام لم يبق منه شئ وان ذلك هو الملجئ لهم للكلام وفهموا عنه ذلك فاحتالوا فى اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدو القوة مع كونهم فى غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين ليرى ما عليه البلد وما صفة الناس وعند تحققهم بقاء الطعام والقوة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من اهل وادى آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والا فلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادى آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء فى طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور اظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفى يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقى بموضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادى آش للمرية للقائه بها فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته فى البلاد التى تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادى آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور وأطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان فى حكم صاحب وادى آش صار للنصارى فى طرفة عين وجعل فى كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة اكراما منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتى هى أحسن ثم أخذ برج الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة وأظهر المحبة والصلح مع صاحب وادى آش وأباح الكلام بالسوء فى حق

لباسا شهر به وتعطر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى حتى رضى منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا فى عطفيه وجمع جمه وخطب خطبته التى أرادها فأعجبته نفسه فقال أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يحظاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر قال وما قال الشاعر قالت قال

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان
أنت من لا يريبنا منك شئ
علم الله غير أنك فانى
ليس فيما بدا لنا منك عيب
يا سليمان غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لأمير المؤمنين قالت والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فأكبره ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها فى قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الا مدة حتى توفى وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق أطرح معه فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ودخل عليه يزيد

صاحب غرناطة مكرا منه وخداعا ودهاء ثم بعث في السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون و يكون تحت ايالته ويعطيه مالا جزيلا على ذلك وأي بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب غرناطة في ذلك فخرج العدو في محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا في سر بين السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذي كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول في طاعته أو القتال فاتفق الرأي على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بمحلته ان صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة وطلب من اهل غرناطة الدخول في طاعته والا أفسد عليهم زرعهم فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك في رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون وأصلح برج همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات في رجب المذكور فأخذ بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم في شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية وأطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش فأخذوها في رمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات حرب * وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصوله لغرناطة وصل العدو الى المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده وبعد هدم برج الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادي آش فأخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم في المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وحاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببني سلطان الاندلس ودخل صاحب قشتالة لاقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى بغاء

ابن أبي مسلم كاتب الحجاج والمستولي عليه وهو مكبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال ما رأيت كاليوم قط لعن الله رجلا أجرّك رسنه وحكمك في أمره فقال له يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتني والامر عني مدبر وعليك مقبل ولو رأيتني والامر مقبل علي لاستعظمت مني ما استصغرت ولاستجللت مني ما استحقرت قال صدقت فاجلس لا أم لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به أتراه يهوي بعد في جهنم أم قد استقر فيها قال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا في الحجاج فقد بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم وأخاف عدوكم وانه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد فاجعله حيث شئت فصاح سليمان اخرج عني الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال قبحه الله ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ولقد أحسن المكافأة أطلقوا سبيله (ودخل) عليه أبو حازم الاعرج فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فأخبرني كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسرورا وأما المسيء

صاحب وادي آش فقتل فيهم * وفي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الاوطان من الانس * وفي ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوّخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر في شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم وقالوا انظروا في أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة وتكلموا في هذا المعنى وان العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا أنه يقلع عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا مطالب وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش منها ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهود وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفي ثاني ربيع الاول من السنة أعني سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال وابقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصراني أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن

فكالعبد الآبق يأتي مولاه محزونا قال فأي الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأي القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فأي الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأي الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظني وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه أن يراك بحيث ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني الاصمعي عن شيخ من الباهلية قال دخل اعرابي على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين اني أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وأرجو أن تكون الناصح جيبا المأمون غيبا فهات قال يا أمير المؤمنين أما إذا منيت بادرة غضبك فسأطلق لساني بما خرست به الالسن من عظمتك تادية لحق الله وحق أمانتك

لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصرانى للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركناذكره وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك اهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه الشروط ثم أمر العدوّ الكافر ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا و يبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوّف بها وأحاط خبرا بأمورها ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه باندرش فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال فى ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلبه منه المذكور فكتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا الاسبيل لاحد أن يمنع مولاى أباعبدالله من السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو ان يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا الان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدوّ الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بللنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوّهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من

يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساؤا الاحسان لانفسهم ابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه فانهم لم يأتوا الا ما فيه تضييع وللامة خسف وعسف وانت مسؤل عما اجترموا وليسوا مسؤلين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمان أما وأبيك يا اعرابى لا تزال العرب بسلطاننا لا كناف العز متبوئة ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مقبلة ولئن ساءكم ولاة غيرنا ليحمدن منا ما أصبحتم تذمون فقال الاعرابى أما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ووارث ما جعله الله له أهلا فلا فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيأ وخرج الاعرابى فكان آخر العهد به هذا الخبر أخبرنى به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبى جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصورى عن أبيه عن على بن جعفر النوفلى

جل

حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذي أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذي انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها الملكه في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع ابن السلطان أبي الحجاج يوسف بن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطره بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر احمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي وهي من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأفظع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لحكم منه منحتم
وهي الليالي وقاك الله صولتها * تصول حتى على الآساد في الاجم
كنا ملوكا لنا في أرضنا دول * نمنا بها تحت أفنان من النعم

عن أبيه وذلك في سنة ثلثمائة وذكر معاوية بن أبي سفيان في مجلس سليمان فصلى على روحه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤي مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسري وهو على العراق في رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فاتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركي قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشي راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فاخبرهم فقال الفرزدق في ذلك

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا * متى وليت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده * فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه * وما أمه بالام يهدي جنينها

فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق في ذلك من أبيات

لعمري لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

فلولا يزيد بن المهلب حلقت
بكفك فتخاء الى الفرخ في الوكر
لعمري لقد سار ابن سيبة سيرة
أرتك نجوم الليل مظهرة تجري
فخذ بيديك الخزي حقا فانما
جزيت قصاصا بالمرجرجة السمر

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه قال سرور لولا أنه غرور وحياة لولا أنه موت وملك لولا أنه هلك وحسن لولا أنه حزن ونعيم لولا أنه عذاب أليم فبكى سليمان من كلامه وكان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضد منه في الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد أفسد في أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد بن يزيد الى عبد الملك فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية فقال له خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله يتكلم وبالامس دخل علي فغير في لسانه ولحن في كلامه فقال أفعلى الوليد يعول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله وما

فما يقظتنا سهام للردى صيب * يرمي بالفجع حتف من بهن رمي
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأي ملك بظل الملك لم ينم
يبكي عليه الذي قد كان يعرفه * بأدمع مزجت أمواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشم بالصغار الانف ذا الشمم
وصل أواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
واسط لنا الخالق المرجو باسطه * واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا بأقوال الوشاة ولم * نذنب ولو كثرت أقوال ذي الوخم
فما أطقنا دفاعا للقضاء ولا * أرادت انفسنا ما حل من نقم
ولا ركوبا بأزعاج لسابحة * في زاخر بأكف الموج ملتطم
والمرء ما لم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام في اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فان محرسه لحم على وضم
كن كالسموأل اذ سار الهمام له * في جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يجد أدرع الكندي وهو يرى * ان ابنه البر قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها في اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا في جملة الخدم
ايه حنانيك يا ابن الاكرمين على * ضيف ألم بفاس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطا الوخادة الرسم
رحماك يا راحما ينمى الى رحما * في النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق في الجهاد لنا * والخيل عالكة الاشداق للجم
والسيف يخضب بالمحمر من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فربتما * يخال جامحها ينقاد بالخطم
هيهات لو زبنته الحرب كان بها * أعيى يدا من يد جالت على رحم
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذي طلبت * ولا تناقبلنا في الاعصر الدهم
نخاتنا عنده الجد الخؤن ومن * تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للموصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرته أدمع الديم
قفنا لديه أصيلانا نسائله * اعيا جوابا وما بالربع من أرم

لحانا فأخوه خالد فقال الوليد أتتكلم ولست في العير ولا في النفير قال خالد

وما ظننا بأن نبقى الى زمن * نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضا بالقضا الجاري وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يا من دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهيم الحجاج للحرم
واعط الامان الذي رصت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله وافاك العبيد فكن * في كل فضل وطول عند ظنهم
وبين أسلافنا ما قد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أو كالثمر الذي قد قدمن أدم
وقد خطوت خطاهم في مآثرهم * فلم يذموا اذن فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا * في الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * العلية الطهراء القادة البهم
بنو مرين ليوث في عرين أبوا * رؤيا قرين لهم في الباس والكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى * أحمى من الابلق السامي ومن ارم
والجائسين بدهم الخيل كل ذرا * والداعسين بسمر الخط كل كمي
يريك فارسهم ان هز عامله * في مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على أجدل عار من اجنحة * يسطو بأرقم للداغ بغير فم
في اللام يدغم من عساله ألفا * ولم نجد ألفا أصلا بمدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ما يربي على العصم
يا من تطير شرارا منه محرقة * لكل مدرع بالحزم محتزم
هم وبطائفة التثليث قد فتكوا * كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ما ذكروه من ذوي اللثم
تضيء آراؤهم في كل معضلة * اضاءة السرج في داج من الظلم
هذا ولو من حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت انفسهم * فاشتقت النسمات اسما من النسم
لله درهم والسحب باخلة * بدرهن على الانعام والنعم
بحيث الافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هناك تنهل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاحداث ما فيها من الرمم
وان بيتي زياد طالما ذكروا * اذا ألمت أحاديث بذكرهم
أحلام عادوا أجسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهي لا يراع ولا * يغم منها بما يعرو من الغمم
هم البحار سماحا غير ان بها * ما قد أناف على الاطواد من همم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ملتقى السلم
كم فيهم من أمير أوحد ندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم

ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين أنا والله ابن العير والنفير ولو قلت جبيلات وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسري فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفا عنه وذم رجل في مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم اني أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي (قال المسعودي) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا منها

وما سالم عما قليل بسالم * وان كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا باس شديد ومنعة * فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت * الى غيره أحراسه ومواكبه

وأصبح مسرورا به كل كاشح * ٦٢٠ وأسلمه أحبابه وأقاربه فنفسك أكسبها السعادة جاهدا * فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

ولا كسبط الى حسون من حسنت * أمداحه حسن ما فيه من الشيم
هذا كم ابن أبي ذكرى الهمام فقل * في أصله المنتقى من مجده العمم
خليفة الله حقا في خليقته * كنائب ناب في حكم عن الحكم
مهما انبرت سمات منه نيرة * تنل بنازله ماجل من نعم
فوجهه بدجا أو كفه بجدى * أبهى من الزهر وأندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى * تجرى الامثال في الاقطار والامم
وجوده المتوالى للبرية ما * وجوده بينها طرا بمنهدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له * لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعدس زمان في وجوههم * لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به * كما تبين سمات الصدق في الكلم
وراحة لم تزل في كل آونة * في نيلها راحة الشاكى من العدم
لله ما الـــتزمته من نوائله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف في حلم وفي شرف * وفي سخاء وفي علم وفي فهم
فحاز معتمدا منهم ومعتضدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين في الاقبال فاق وفي * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل أهل التقلي من حية ذكر * للؤتلب اللهام الجحر ملتقم
راموا عداوة من ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأكلهم من جيشه لجب * بكل قرم الى لحمانهم قرم
وان الاعراب اذ ساروا الغايته * لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمى * بسعيه نحوهم في قد أراق دمى
فقل اذن للمناوى الناو لان أذى * يا غر غرك ما أبصرت في الحلم
له صوارم لو ناجتك ألسنها * لبشرتك بعمر منك منصرم
وان رحلك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذي ماله ند يشابهه * من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * تعمى عن ادراكه الحاظ كل عمى
وينعم النظر المفضى بناظره * لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو نتائجه * عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغى للوشاة فلم * ينفق لديه الذي عنهم اليه نمى
وعقله لا توازيه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
٣ أيد جميع الورى من بدو وحضر * نداء مرتبط بالنصح مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * فقد لفها الليل بالسواقة الحطم

(قال المسعودي) ولسليمان أخبار حسان لما كان في مدة ملكه من الكوائن وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمان وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بني أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب هذا

هذا الامام المريني السعيد له * سعد يؤيده في كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاوليا مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا للناس من يحيم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * في كل مبتدإ منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلى * من غر أمداحه كالدر في النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم
وحسبنا أن ايدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما مخالفه يوما بمضطهد * ولا مؤالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح * ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محيا محييه بمنكسف * ولا رجاء مرجيه بمنخرم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تنكره جهرا بمكتتم
وليس لامح مرآه بمكتئب * وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة في * محل متهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هي وما أدراك ما هي من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذي سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العليا في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولي قلوب غافلة ونفوس سواه والرضا عن آله وأصحابه وعترته الاكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا لا حط الله تعالى لكم من العزة رواقا ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا أوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ممطورة بسحائب البركات المتداركات دون برق ولا رعود هذا مقام العائذ بمقامكم المتعلق بأسباب ذمامكم المترجي

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده)

لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهري ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فاذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشرأبوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهري فقال أيها الناس ارضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان في وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر في أواخر الناس فاسترجع حين دعي باسمه مرتين او ثلاثا فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراق فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد

لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وما الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أني اقول لكم ما اقوله لربي واجترائي عليه اكثر واجترامي اليه اكبر اللهم لابريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر لكني مستقيل مستنيل مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء هذا على طريق التنزل والانصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف واما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الام ابنة الصديق والله اني لأعلم اني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم أني منه بريئة لاقول مالم يكن ولئن انكرت ما تقولون لا تصدقوني فاقول ماقاله أبو يوسف صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أجحد ذنوبي فانا جبل الذنوب الى الله اشكو عجري وبجري وسقطاتي وغلطاتي نعم كل شيء ولا مايقوله المتقول المشنع المهول الناطق بفم الشيطان المسول ومن أمثالهم سبني واصدق ولا تفتر ولا تخالق افلي كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة احمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة في فودي تميل الى تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها غير ان الرعاع في كل وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبي ثروان أو أعقل او أعلم من أشجع بني مروان رب متهم بري ومسربل بسربال وهو منه عري وفي الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الاجاد المتصل المتماد وللمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع جمهور الخلق الا من عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ورمينا بما لا يرمي به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو مالديكم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد في تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا في سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا ياعبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا فتق لم يمكنا له رتق وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يؤثمنا فيوبقنا أو يبرئنا فيقينا ايه يامن اشرأب الى ملامتنا وقدح حتى في اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأيدا ويحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج الوبر وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا فاقررنا بالخطا في كل ورد وصدر فلله در القائل * ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر * وكأنا بمعتسف اذا وصل الى هنا وعدم انصافه يعلمه المنا قد ازور متجانفا ثم

وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر في نهاية النسك والتواضع فصرف عمال من كان قبله من بني اميه واستعمل أصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن علي عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الآية وقيل بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية ولما استخلف عمر ودخل عليه سالم السدي وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرني للناس وساءني لك قال اني أخاف ان أكون أوبقت نفسي قال ما أحسن حالك ان كنت تخاف اني أخاف عليك أن لا تخاف قال عظني قال أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة وكتب طاوس الى عمر ان أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة ولما أفضى اليه الامر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله

افتر

افترمتهاتفا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجزه المحال فيعارض الحق بالباطل والحالي بالعاطل ومنزع بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه في اصدارك وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا للارادتك أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلا بد أن يقر اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومثلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الأحاديث النبوية ما شينا مما يسايرنا في غرضنا منه ويماشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والأرض على ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ بأكناف الاحجام ويزم على نفثه فيه كأنما ألجم بلجام حينئذ نقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ويرحض عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيفما كانت الحال وان ساء الرأي والانتحال ووقعنا في أوجال وأوحال فثل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفي الشر خيار ويد اللطائف تكسر من صولة الاغيار ففي الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بالامهلة على جماعتنا المقطوعة حبل النعم الموصولة عطفا والافتلك بغداد دار السلام ومتبوأ الاسلام المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسية ومقر العلماء والفضلاء أولي السير الاويسية والعقول الاياسية قد نوزلت بالجيوش ونزلت وزووت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ولا تسل اذ ذاك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبديه وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والاوديه وقيد الأئمة والقضاه تحت ظلال السيوف المنتضاه بالعمائم في رقابهم والارديه وللتجيبع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى ارساغها وتهم ظلماء هابوردها فتشكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصمها ومستعصمها وراح ولم يغد ظالمها ومتظالمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسبما عرفت أو حسبما تعرف فلا تك متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا فاين تلك المحافل والآراء المداره في المحافل حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجدوا قلامة ظفر اذن من سلمت له نفسه التي هي رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله وكل أوجل أو أقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتعاشه

وانما الناس في هذه الدنيا أعراض تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب الى عامله بالمدينة أن اقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد ولد له في عدة قبائل من قريش ففي أي ولده فكتب اليه لو كتبت اليك في شاة تذبحها لكتبت الى سوداء أو بيضاء اذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) في بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا واني لست بقاض ولكني منفذ الا واني لست بمبتدع ولكني متبع ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاصي ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وبعث) عمرو وفدا الى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا ا

وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص فى حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه على ما أسداه اليه من وفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ايراد واصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع ومالى والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدى ذى الجلال والمجادة والفضل والطول فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمتى بصفره ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعدم من نفره ولا فاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجر براحتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب التى جبت وجدعت ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت وياويلنا من تنكرها الناعره ورميها النافى غمرة أى غمره أيام قلبت لنا ظاهر المجن وغيم افقها المصحى وأدجن فسرعان ما عاينا حبالها منبته ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغتة فمن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأيم القدر أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسادهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امه يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهى القائل ثم يقول حسبى هذا وكفان ولاريب فى اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرفيها وأعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمنا من المطالب المشاغب حجة شرلنا لاسعه واذكرنا اى اذكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بابلغ الكلام أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تتراآى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتثاقلة عن السير فى طريق منجاتها البطيه

ذ تلقاهم بجميل وأجابهم فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التى شاهدوه عليها كأنه فى مصيبة فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتى التى تلى العرب جاءنى كتابه فى هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات فاملكوا أنفسهم أن يبكوا فقال لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغنى من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيى الموتى لظننت أنه يحيى الموتى ولقد كانت تأتينى أخباره باطنا وظاهرا فلا أجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذى قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكنى عجبت من هذا الذى صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبى حازم المدنى الاعرج أن أوصنى وأوجز

وما أنا والتلذذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعي الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن ما الامر يدعليه من الرغبات فلم نختر الا دارنا التي كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الا لمن نحبله وصل حبلنا ويريش نبله ريش نبلنا اذ لا لاعلى محل اخاء متوارث لا عن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لا نظارهم واقدارهم أصالة وجلاله اذ قدرو ينا عمن سلف من أسلافنا في الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ولا يجدوا عن طريقها في التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج فلا غرو أن نرده على ما يقر العين ويشفي النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين المحارب للعاربين والمؤمن للمستأمنين فهو الخليق الحقيق بان يسوغ غاصفي مشاربه ويبلغ أوفى مآربه على توالي الايام والشهور والسنين ويخلص من الثبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فاننا * في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاحرى بنا والاحجى والانجح لسعينا والارجى أن نعدل عن هذا المنهاج ونقوم وافدا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختياري
وبعضهم في جوار بعض * وأنت حتى أموت جاري
فعش لخبزي وعش لمائي * وعش لداري وأهل داري

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل في يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون في مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسني لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك في الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا والاوان لله سبحانه في مقامكم العلي الذي أيده وأعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتاصلة الى أصل

فكتب اليه كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائني قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فمر بالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتي قبور الاحبة فسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألوني ماذا قلت لهم وما قيل لي فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذ نوديت يا عمر أتعرفني أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ فوالله ما مضى بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم (وذكر المدائني) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها كالمداوي جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر

فمثله يجب اللياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ولامر مّا آثرناه واخترناه
بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين
ويبوّئ بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين
ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا
وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفي كريم وفي أعز جارا من أبي دواد وأحمى
انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فما
الاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر
جليسه بجليس القعقاع بن شور ومذاكره كذاكر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور
الى التحلي بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات الرذائل وهي الثلاث الحكمة
والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ما نشأت
من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح
نائل فبنو رحلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق وبمجده السامي خطره في الاخطار وبيته
الذي ذكره في النباهة والنجابة قد طار يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف
لا وهو الرفيع المنتمى والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراة وسط
أحجار في ضنضئ المجد وبحبوح الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم
وذؤابة الشرف التي مجادبتها لم ترم من معشر أي معشر بخلوا ان وهبوا ما دون أعمارهم
وجبنوا أن لم يحموا سوى ذمارهم بنو مرين وما أدراك ما بنو مرين

*سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

لهم من الهفوات انتفاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس فخرجوا
في البر عن القيس مالهم القديم المعروف قد نفد في سبيل المعروف وحديثهم الذي
نقلته الرجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف
تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم شم
الانوف من الطراز الاول اليهم في الشدائد الاستناد وعليهم في الازمات المعوّل ولهم في
الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول
كأنما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعذلني أبناء سعد عليهم * وما قلت الا بالتي علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يرجحون من التنزيل كل نازح قاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو احق بما قاله في
منقر قيس ابن عاصم

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

في عنفوان حداثته حتى عليه عبد له أسود جناية فقطعه وهم ليضربه فقال له العبد يا مولاي لم تضربني
قال لانك جنيت كذا وكذا
قال فهل جنيت أنت
جناية قط غضب بها
عليك مولاك قال عمر نعم
قال فهل عجل عليك
العقوبة قال اللهم لا قال
العبد فلم تعجل علي ولم
يعجل عليك فقال له قم
فانت حر لوجه الله وكان
ذلك سبب توبته وكان
عمر يكثر هذا الكلام في
دعائه فيقول يا حليما
لا يعجل على من عصاه
(وذكر جماعة من الاخباريين)
أن عمر لما ولي الخلافة وفد
عليه وفود العرب ووفد
عليه وفد الحجاز فاختار
الوفد غلاما منهم فقدموه
عليهم ليبدأ بالكلام فلما
ابتدأ الغلام بالكلام وهو
أصغر القوم سنا قال عمر
مهلا يا غلام ليتكلم من
هو أسن منك فقال مهلا
يا أمير المؤمنين انما المرء
بأصغريه لسانه وقلبه
فاذا منح الله العبد لسانا
لافظا وقلبا حافظا فقد
استجاد له الحلية يا أمير
المؤمنين ولو كان التقدم
بالسن لكان في هذه الامة من
هو أسن منك قال تكلم
يا غلام قال نعم يا أمير
المؤمنين نحن وفود التهنئة
لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة أما حلاهم

حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللازبه وانشق غيابهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبه فقل لسكان الفلا لا تغرنكم اعدادكم وامدادكم فلا يبالى السرحان المواشى سواء مشى اليها النقرى او الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد اشلائهم المعفرة ابتلاع التنين فهو كما عرفوه وعهدوه والفوه اخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع اشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

لا يشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

أسدى القلب آدمى الروا لابس جلد النمر بزدى العناد والنوا

وليس بشارى عليه دمامة * اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم
ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ويعيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفاد حينئذ يعض ذو الجهل والفدامه على يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات تؤز الكتائب أزا وهمزا حققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا وسلا للهندية سلا وهزا للخطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ثق خليفة الله بذاك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم بعد ما زينا معاطفها باستعطاف كم بدر ثناء أبهى من درر العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم متشرفين بخدمة عليائكم ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها وان المترامى على سنائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام من قعدت به نكاية الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه الينا من مكرمة بكر ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى معنعن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر بوعظ وما عهد منذ وجد الاسر يسالى داعى الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرم حافظا للعار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه مستفرغا وسعه فى رعيه المستمر ولحظه آخذا من حسن الثناء

فقال عطنا يا غلام وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين انا أناس من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك فنظر عمر فى سن الغلام فاذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل العراق أتى المدينة فى طلب جارية وصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضى المدينة فأتاه وسأله أن يعرضها عليه فقال يا عبد الله لقد أبعدت الشقة فى طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها لما رأى من شدة اعجابه بها قال انها تغنى فتجيد فقال القاضى ما علمت بهذا فألح عليه فى عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضى فقال لها الفتى هات فغنت

الى خالد حتى أنخن بخالد
فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه وقال

في جميع الاوقات والآناء بحفظه

فهو من دوحة المنافر ع عز * ليس يحتاج مجتنيه لهز
كفه في الامحال أغزر وبل * وذراه في الخوف أمنع حرز
حله يسفر اسمه لك عنه * فتفهم يامدعي الفهم لغزي
لاتسله شيأ ولا تستنله * نظرة منه فيك تغني وتجزي
فنداه هو الفرات الذي قد * عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذي تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز
فدعواذهنه بزاول قولي * فهو أدرى بما تضمن رمزي
دام يحيي بكل صنع ومن * ويعافي من كل بؤس ورجز

وكأنه قد عمل على شاكلة جلاله من مدظلاله وتمهيد خلاله وتلقي ورودنا بحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلي ويسعدنا به في حله وارتحاله ومآله وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيد نا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين في نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وارساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادي آشي في حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس واليراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذي قطف الكمال لما نور ورتب محاسن البديع في درر فقره وطور وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تنصر ضلة * فحاق به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عند النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف جبل يجره

وقال الوادي آشي أيضا في موضع آخر مانصه واشاعر العصر مالك زمامي النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدي محمد العربي وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب في جهور أنواره * فاين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لهن في الاسباب
وأين بنت الجبن لما بدت * طارت اليها شوقا الباب
وأين الالبان لأكوابها * في برم الارز تسكاب
واللعم بالبسباس قد ألفت * لطبخه في القدر الاحطاب

فزاد الطرب على القاضي ولم يدر ما يصنع فأخذ نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ويقول أهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة حتى أدمى أذنه فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال ياحبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول فنحن الآن فيها أرغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وأمر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية فبلغ ذلك عمر فاشخصه وأشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له أعد ما قلت قال نعم فأعاد ما قال فقال للجارية قولي فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضي فقال

والعـود ذودندنة يطـبى * آثارهـا للطـارديداب
وملح الاصوات قدطورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهـوى ختـام ولم * يسـد فى وجـه الهوى باب
وقيـل للوقار قم قبـل أن * تسلب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهى * ليس عـلى مناه حجاب
مسترسـلا ليس له عـذل * كلا ولا عليـه رقاب
فى راحـة خلعت أرسانها * لمثلها تعصر الاعناب
فى كل بستان قد اسنأسدت * فيـه النواوير والاعشاب
وأطلع الـتراب أدواحـه * كأنها العـرب الاتراب
لما تحلت بحلى زهرها * داخلها بالحسـن الاعجاب
عرائس ليس لها فى سوى * مائه اذ ينبـه خطاب
أمام تبـدى ثمرات بدا * فى جنباتهن الارطاب
كأنه فى العين ياقوت او * كأنه فى الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خلب برق لك خـلاب
ماحـوت الرؤس أمثالها * فكيف تحويهن الاذناب
قـدعاق عن ذلك دهـر به * تعـدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غـلابه * والدهـر للانسان غـلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لمحاصرة غرناطة

بالطبل فى كل يوم * وبالنفـير نراع وليس من بعد هذا * وذاك الا القراع
يارب خيرك نرجو * من هيض منه الذراع لاتسلبنى صـبرا * منه لقلبى ادراع

وله رحمه الله تعالى فى الموشحات اليد الطولى فمن ذلك قوله

بدر أهـل الزمان الرفيـع القـدر * لاتزل فى أمان من كسوف البدر

وله من اخرى

هل يصح الامان من شبيه البدر * وهو مثـل الزمان منتم للغدر
لم يغـر الاغر غـير غـر جاهـل * عيشه الحلوم وهوفيـه ناهل
والصبا الغض مر وهو عنه ذاهل
مرشف البهرمان فوق ثغر الدر * مطمع للامان باقتراب الدر

وعارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

ضاحك عن جمان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

وممن عارض هذه الموشحة ابن ارقم اذقال

مبسم البهرمان فى المحيا الدرى * صادقلبى وبان وأنا لم أدر

والانصاف أن معارضة العربى أحسن من هـذه وله أيضا معارضتان غير ما تقدم الاولى قوله

بان لى ثم بان ذاخدودجر * ينثنى مثل بان فى ثياب خضر

وغـيرهما عن الزبير بن بكار وعن عبدالله بن أحمد المدنى قال كان بالمدينة فتى من بنى أميـة من ولد عثمان وكان ظـريفا يختلف الى قينـة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولايعلم ويحبها ولاتعلم ولم تكن محبـة القوم اذ ذاك لريـبة ولافاحشة فاراد يوما أن يبـلو ذلك فقال لبعض من عنده امض بنا اليها فانطلقا ووافاهـا وجـوه أهـل المـدينـة من قـريش والانصار وغـيرهـما وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ولاتجد بواحد منهم وجدها بالاموى فلما أخذ الناس مواضعهـم قال لها الفتى اتحسنين أن تقولين
أحبكم حبا بكل جوارحى * فهل عنـدكم علم بما لكم عندى
أتجـزون بالود المضاعف مثله * فان كريما من جزى الود بالود
قالت نعم وأحسن أحسن منه وقالت
للـذى ودنا المودة بالضعـ * ـف وفضـل البـادى به لايجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الار * ض واقطارشأمها والحجازا

قال فعجب الفتى من حذقها مع حسن جوابها وجودة حفظها فازداد كلفا بها وقال

والثانية قوله

هل لمرآك ثان فى سنا الزالدرى * أو لمحبوباى ثان عن هواها يدرى

يامليحا جلا عن محيا جميل * همت فيه ولا هيمان جميل * مل قليلا الى من اليك يميل

عاشق فيك فان كاتم للسر * لك منه مكان فى صميم الصدر

ومن نظم العربى المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه من قصيدة

أوجه سعدى انحط عنه اللثام * أم بدر أفق فض عنه الغمام

أم أنا فى حالى لاعقل لى * أم حلم قد لاح لى فى المنام

يا لك من رأى من رأى حسنه * هاج لقلبه غراما فهام

كأنما أقبس نور البها * من وجه مولانا الامام الهمام

ابن أبى الحسن الاسرى الذى * قد كان للاملاك مسك الختام

ضرغام قد أنجب شبهاله * فى صدق باس ومضاء اعتزام

حامى وسامى فأفاعيله * تنقلها أبناء سام وحام

دام له النصر الذى جاءه * والسيف من طلى أعاديه دام

فيا أمير المؤمنين الذى * له بعروة اليقين اعتصام

أشهر بجد مقبل لم يؤل * الى انصراف لاولا لانصرام

وعزة لم يفض بنيانها * الى انهداد ولا ولا انهدام

لله منك ملك جنده * زهر النجوم وهو بدر التمام

ومنها يطرب من مادحه مثل ما * يطرب قلب الصب سجع الحمام

فيفعل الشعر بأعطافه * ماليس تفعل بهن المدام

وان حكى فى مدحه يوسفا * فحسنه يشبه زهر الكمام

ومنها فداره ليست ببغدادهم * مع أنها تدعى بدار السلام

ومنها اسأله الاعفاء من كل ما * أعجز عن حمله والتزام

ومنها مستشفعا له بخير الورى * محمد عليه أزكى السلام

ومنها وكل انسان وما اختاره * ورب ذى عذر قد اضحى يلام

وآخرها فالحمد لله على أن غدا * للشمل بعد الانصداع التئام

ولنختم هذه الترجمة بقوله

جز بالبساتين والرياض فما * أبهج مرئيها وأحلاه

واعجب بها للنبات ولتك فى * أسفله ناظرا وأعلاه

وقدس الله عند ذاك وقل * سبحانه لا اله الا هو

سبحان وارث الارض ومن عليها وهو خير

الوارثين والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله القسم الثانى)

أنت عبد الله اذا هتك
الستـ
ـروان كان يوسف
المعصوما
فبلغ ذلك عمر بن عبد
العزيز فاشتراها بعشر
ـدائق ووهبها له بما
يه لهوانا قامت عنده
حولا ثم ماتت فرثاها
وقضى فى حاله تلك فدفنا معا
وكان من مرثيته لها قوله
ـنت جنة الخلد للغا
ـدفاديتها بلا استثهال
ـت اذ نظمعت بالنعـ
ـه منها والموت أجمل حال
وقال أشعب الطامع هذا
شهيد الهوى انحروا
على قبره سبعين بدنة وقال
أبو حازم الاعرج المدنى
أما محب لله يبلغ هذا